

مجلة

مَجْمَعُ الْبَغْدَادِيِّينَ بِمَشْوَ

« مجلّة المجمع العلمي البغدادي سابقاً »

تموز « يوليو » سنة ١٩٦٩ م ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ

بقايا الفصحاح

تصرف العامة في طوائف من الألفاظ الفصيحة تصرفاً عجيباً ،
فإنما أن تنقل معانيها من الحقيقة إلى المجاز وإنما أن تحول هذه المعاني عن
وجهها الشريف إلى وجه دنيء ، ثم زارها في كثير من الأحيان تحافظ
على معاني بعض التراكيب فلا تختلف هذه المعاني عما كانت عليه قبل ألف
سنة ، وقد نجد لها تطلق أسماء فصيحة على بعض التسميات إلا أن هذه
التسميات لا تلبث أن تذهب فتعوت الأسماء بذهابها أو تكاد .

فمن الألفاظ التي حوِّلت العامة معانيها عن وجه إلى وجه لفظية :
الشبرقة ، لقد عاشت هذه اللفظة في لغتنا العامة في دمشق حتى يومنا هذا ،
ولكنها لم تعش على أصل معناها فقد تصرفت العامة في هذا المعنى بمض
التصرف ، فمن معاني الشبرقة في اللغة الفصيحة : نهش البازي الصيد

وتمزيقه وقطع الثوب ... أمّا الشبرقة في لعتنا المائة فلها معنى آخر ،
 فالشبرقة أن يشتري الولد من ههنا وههنا على سبيل التسلية ، فالأهل يدفعون
 إلى ولدهم يسيراً من المال ويقولون له اذهب إلى السوق وتشترق ، أي
 اذهب واشتر ما يروقك من ما كول أو مشروب ، اذهب وأنفق ما أعطيناك ،
 فأَيّ صلة بين معنى هذه اللفظة الفصيح وبين معناها العامي ، أيّ صلة
 بين نهش البازي صيده وتمزيقه وبين شراء الولد ما يترقه به في السوق ،
 لا نجد في الظاهر شيئاً من هذه الصلة ، ولكن إذا اجتهدنا في الأمر بعض
 الاجتهاد اهتدينا إلى ظِلٍّ من الصلة على سبيل المجاز ، فكما ينهش البازي
 صيده ويمزقه حتّى لا يبقى من هذا الصيد أثر فكذلك ينفق الولد مادفعه
 إليه أهله من المال في شراء كذا وكذا حتى لا يبقى من هذا المال شيء ،
 فكما أن البازي نهش صيده فكذلك الولد نهش ماله أي صرفه كلّهُ . هذا
 تعليل قد نصيب فيه أو نخطيء ولكنّا تقبله على ظاهره . حتى نهتدي إلى
 تعليل أقوى .

ومن هذا القبيل لفظة : النشّال الشائمة على ألسن أهل مصر ومعناها :
 السارق ، فالنشّال في اللغة الفصيحة كشدّاد من يأخذ حرف الجرّدة ،
 وهي الرغبة ، فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه ومن معاني : نشل
 الشيء أسرع نزعه ، من هذا يتبيّن لنا أنّ النشّال العامية أصلها فصيح
 ولكنّ المائة تصرّفت في معناها فنقلت هذا المعنى من وجه إلى وجه على
 سبيل المجاز ، فكما أنّ من ينشل الشيء يسرع نزعه ، فكذلك من ينشل
 الشيء من الثياب يسرع نزعه بحيث لا تقع عليه عين صاحبه ، وكما أنّ
 النشّال الفصيحة من يأخذ حرف الرغبة فيغمسه في القدر فيأكله دون
 أصحابه فكذلك النشّال العامية من يأخذ الشيء من ثياب صاحبه فيغمسه
 في جيبه ويستأثر به ، فالعنيان الفصيح والعامي متقاربان ولكن هذا التقارب
 على سبيل المجاز .

ومن هذا النمط ، وإن كان الأمر يختلف بعض الاختلاف لفظة :
 الشعوذة ، فقد اتسعت المائدة في معنى هذه المائدة وفسحت لآفاقها ، فالشعوذة
 في اللغة خفّة في اليد وأخذ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله في
 رأي العين وهو : مشعوذ ومشعوذ ، (بكسر الواو وفتحها) ، إلا أن
 المائدة اختارت كسر الواو ولم تكنف بأصل معنى هذه المائدة فقد وسّعت
 آفاقه ونقلته من معنى ضيق إلى معنى أرحب ، فلجأت إلى المجاز وأطلقت
 الشعوذة على كل نوع من أنواع الخفّة والسحر في السياسة أو العلم أو الدين
 وتطائر هذه الأمور ، فلم تبق الشعوذة في لغة المائدة والخاصّة خفّة في
 اليد أو أخذاً كالسحر ولكنها أصبحت خفّة في كثير من الأمور ، فهي
 خفّة في ستر حقائق الأشياء ، فالشعوذ يرينا السياسة بغير ما عليه أصلها
 في رأي العقل وكذلك يرينا العلم أو الدين أو ما شابه ذلك ، وإذا كان
 المشعوذ قد يطول أمر شعوذته في خفّة يده أو سحره فإن المشعوذ في أمور
 السياسة أو الدين أو العلم قد يُفضح أمره في هذه الخفّة وفي هذا السحر
 فينكشف باطنه وتعرف شعوذته ، وما أظن أن لفظاً من الألفاظ أقوى
 من لفظ الشعوذة في الدلالة على هذه الطبقة من الناس .

بقيت لفظة لا تحتاج إلى كثير من التعليل ، فهي عامية ولكن أصلها
 فصيح ، تقول في لغتنا العامة : فلان ذلق ... أو فلان ذلق لسانه ...
 ونحن نريد بقولنا هذا أن فلاناً كان يكتم عنا أشياء ولا يريد أن يبوح بها
 إلا أنه في خلال حديثه قد تخونه الذاكرة فيبوح بما كان يكتمه فنقول :
 فلان ذلق فقال كذا وكذا ... وقد تعدّي المائدة هذه المائدة وتستعمل
 الفعل المشدّد فنقول : ذلقه حتى قال كذا وكذا ... ماذا نجد في اللغة ،
 إثناً نجد : ذلق اللسان كفرح ذرب فهو ذلق وأذلق ... وذلق اللسان
 كنصر وكرم فهو ذليق وذلق بالفتح إلى آخر ما جاء من مشتقات هذا الفعل ،

فاللسان الذليق هو اللسان الحديد ، البليغ ، ثم نجد معنى أدلقه : أدلقه وأضعفه ، ولا زيد التوسع أكثر من ذلك في معاني هذه المادّة ، فالقول العامي : ذلق فلان فقال كذا وكذا .. لا يطابق القول الفصيح : ذلق اللسان فهو ذليق بمعنى بليغ ولكن قول العامة : ذلقه فقال كذا وكذا ... لا يبعد كثيراً عن أدلقه بمعنى : أدلقه وأضعفه ، فقد يأتي بعد هذا الإقلاق أو هذا الإضعاف حمل الإنسان على البوح بما يكتم ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الأغاني في الكلام على وقعة بدر ، فقد قبض على غلامين اعترفا بأنها سقاء لقريش ولكن القوم رجوا أن يكون الغلامان لأبي سفيان فضربوها ، فلما أدلقوها قالا : نحن لأبي سفيان إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، فالذي يهمننا منه إنما هو فعل : أدلقوها وما أدعى إليه هذا الإذلاق ، أي هذا الإقلاق والإضعاف ، فقد أدعى إلى الاعتراف بما يرضي الذين ضربوا الغلامين ، وإن كانت بقية الخبر تدلّ على أن الغلامين كانا صادقين فيها لقريش وليس لأبي سفيان .

فإذا رجعنا إلى قول العامة : ذلقه فقال كذا وكذا ... وجدنا شيئاً من التقارب بين القول العامي والقول الفصيح ، والفرق بينها أن العامة تستعمل : ذلقه بالتشديد ، واللغة الفصيحة تستعمل : أدلقه ، ومما يكن من الأمر فإن الإذلاق أو التذليق إنما تبيح البوح بما هو مكتوم سواء أوقع الإقلاق والإضعاف أو لم يقع .

وإذا انتقلنا من هذه الطبقة من الألفاظ إلى طبقة ثانية وجدنا أن العامة قد تصرف في بعض المعاني أقبح تصرف ، فمن الألفاظ الفصيحة لفظة : الملق ، (بكسر العين وتسكين اللام) ، ومعناها في اللغة : النفيس من كل شيء ، والجمع : أعلاق وعلوق ، إلا أن هذه اللفظة لم يبق لها في لغة العامة معناها الفصيح ، فقد تصرف فيها أسوأ تصرف فأطلقت الملق

على كل مخنث أو متفتّح من الناس ، وهي تريد به أقبح النّم ، ولا يسرّ أحداً أن يقال فيه أنه علق ، واختارت العامة من صيغة الجمع : العلوق وطرحت الأعلاق في لقتها ، فإذا قالت في جماعة من القوم أنهم علوق فقد بلغت من قبح تصويرهم في المجتمع كلّ مبلغ ، وهكذا نجد أن بعض الألفاظ الفصيحة قد تنحدر في لغة العامّة من ألقها الأعلى إلى الأفق الأدنى .

وإذا كانت العامّة قد تنصرف في بعض الأوقات في معاني فقه من الألفاظ فإنها قد تحافظ في كثير من الأحيان على معاني تراكيب فصيحة استعملت في قديم أدبنا ، من هذه التراكيب : فلان يدي ورجلي ... الكلام معك ضائع ... يتعلّم الحجامّة على رؤوس اليتامي والمساكين .

نجد في الأغاني في أخبار منصور النعري هذه العبارة : استقبلت منصوراً النعري يوماً من الأيتام فرأيتُه منموماً ، واجماً ، كتباً فقلت له : ما خبرك ، فقال : تركت امرأتِي تطلق وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي والقيّمة بأمرِي وأمر منزلي فهذه العبارة : فلان يدي ورجلي لا تزال مستفيضة في لغة العامّة ، وقوّتها ظاهرة ومعناها جزل ، فالذي يكون يدك ورجلك في أمورك إنما هو المموّل عليه في هذه الأمور ، لا تستطيع أن تعمل عملاً دونه ، وهل يستطيع أن يتحرّك من لا يد له ولا رجل ، وهكذا نجد أن التراكيب السهلة ذات المعنى الخصب قد تعيش دهرًا طويلاً في لغة العامّة فضلاً عن لغة الخاصة .

ومثل هذا التركيب في القوة قولنا : الكلام معك ضائع ... في أخبار حمّاد الراوية في الأغاني أن الطرمّاح أنشده قصيدة في مسجد الكوفة ، فلما سمعها حمّاد ادّعاها وتقّاها عن الطرمّاح ، فقال الكلام بينها في هذا الشأن حتى قال الطرمّاح لحمّاد : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع .

قد يشتدّ النزاع بين رجلين وقد يكون أحدهما على حق فيحاول أن يقنع الآخر بالحجة ، أو أن يوتّخه إن كان يستلزم التوييخ أو أن يدخل على ذهنه فكراً من الأفكار فيجده كأنه حائط ، لا يقنع ولا يلين ولا يأخذ بالصواب ، فتنفذ حيلته معه فلا يهتدي إلى سبيل من السبل في رده إلى الصواب ، فلا يجد في مثل هذه الحال أبلغ من قوله : الكلام معك ضائع ... فلا الحجة تنفع ولا التوييخ يفيد ولا المنطق ينجح ، فكل أمر من هذه الأمور ونظرائها لا طائل فيه ، فالكلام مع هذا الرجل ضائع ، فهذه العبارة تقني عن كل حجة وعن كل توييخ وعن كل منطق فضلاً عن أنها تجنبنا كل عاقبة غير محودة ، فما أحسن شيوعها على ألسن العامة والخاصة حتى يومنا هذا .

أمّا التركيب الأخير : فلان يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامي والمساكين فلا تقلّ قوّته عن أخويه ، قرأ في الأغاني في نسب أبي العتاهية وأخباره أن أبا العتاهية لما تنسك جلس يحجم اليتامي والفقراء ليضع من نفسه وليكتسب الثواب وهو لا يعرف ما يحتاج إليه كل واحد من الناس إلى أن يخرجهم من السم على قدر طبعه ممّا إذا زاد فيه أو نقص منه ضرّ المحجوم ، فقال بصر لأبي العتاهية : ما أراك إلاّ أردت أن تتعلّم الحجامة على أقباء اليتامي والمساكين !

هذه العبارة شائعة على ألسن الناس ، عامتهم وخاصتهم ، إلاّ أنهم يستعملون الرؤوس بدلاً من الأقباء ، فقد يتناول أحداً لأمر من الأمور ولم يأخذ لهذا الأمر عدته ولا هيئاً له أسبابه ولا عرف مصادره وموارده ، ومع هذا فهو يدّعي العلم بهذا الأمر فيأمره على جهله به والله أعلم بما يتم فيه على يده من الأذى ، ولكنّه يريد أن يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامي .

ولا أريد أن أختم هذا المقال دون الإشارة إلى لفظة قد تدلّنا على موت الألفاظ ، فإن للألفاظ حياة ، إن لها ميلاداً وموتاً ، من الألفاظ الشائعة في بنياننا لفظة : المشرقة ، فالمشرقة ، مثلثة الراء ، موضع القمود في الشمس بالشتاء ، وقد حافظت العامة على هذا المعنى في لفظها ، فلم تنحرف هذه اللفظة عن معناها الفصيح ، وإذا كانت المشرقة مثلثة الراء فإن العامة اختارت فتح الراء في كلامها ، إلا أن هذه اللفظة التي عاشت في دمشق زمناً طويلاً قد أوشكت أن تموت ، والسبب في ذلك عمراننا الحديث ، فالدور القديمة لها مشرقات ، وكان أهل هذه الدور يعمدون فيها بالشتاء للدفء أو ينشرون فيها غسيلهم ، فهي من أصل الدور وهي غير سطوح الدور ، ولكن عمراننا الحديث قد خلا من هذه المشرقات فأكثر الأبنية أصبحت ذات طابقين وكل طابق خالٍ من المشرقة ما خلا الطابق الأعلى فإن له سطحاً فأهله يقولون : السطح ولا يقولون : المشرقة ، وعلى هذا نجد أن هذه اللفظة التي لا تزال تعيش في حارات دمشق القديمة قد ماتت في الحارات التي استفحل فيها العمران الحديث .

شفيق جبري





فريد المروبة

الأستاذ الكبير ساطع المصري

فريد المروبي

الأستاذ ساطع الحصري

في صبيحة يوم الثلاثاء الواقع في الخامس من شوال سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٦٨ م، روع العالم العربي صوت من بغداد ينمى إليه الأستاذ الكبير ساطعاً الحصري، وكان لهذا الصوت صدى حزن وألم عمّ أرجاء الوطن العربي كافة، فقد خسر العرب بوفاته واحداً من أكبر علماء التربية والتعليم لديهم، وقدموا رائداً من أقدم رواد النهضة العربية الحديثة، وداعية من أشد الدعاة إخلاصاً للفكرة العربية البناءة، ومناضلاً من أشد المناضلين حماسة في الدفاع عن «القومية العربية المعاصرة» أفنى سمعه وبدد ضياء عينيه في تأريخ «الثورة العربية»، وتحديد معنى «القومية العربية»، وفي اندفاع عنها بالتصدي لكل من خطأ حرفاً ليس في صالحها، أو فاه بكلمة ليست في جانبها، أو صدرت عنه حركة قد تسيء إليها، كان صلباً في عقيدته، لا تخلو ردوده أحياناً من قسوة، كما كان ثابتاً على رأيه، يندر أن يتزعزع في مواقف الدفاع، ولو تحالف عليه كل الأقوياء سواء عبرا كرم أو بحبهم له أو بتقديره إياهم، وقد حلا للكثيرين من الكتاب ورجال الصحافة إطلاق لقب «أبو العروبة» عليه، فقد عاش مؤمناً بالمروبة، منافحاً عن الأصالة العربية، ومات عن ثروة ضخمة من المؤلفات حاول فيها ترسيخ مفهومه للقومية العربية، وإخغام خصومها من شعوبيين أو من عرب قاثين.

ولقد خسر مجمع اللغة العربية بدمشق بموت الأستاذ ساطع الحصري ،
عضواً من أبرز أعضائه بالراسلين ، فقد استخذه المجمع في الجلسة التي عقدها
في ١٧ من شباط (فبراير) سنة ١٩٥٥ م عضواً تقديراً لمكانته العلمية ،
واعترافاً بما أداه للعربية من خدمات بآرائه الصائبة ومقترحاته المفيدة ، وقد صدر
مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٥٥ م .

رحم الله فقيدنا الكبير رحمة واسعة ، فقد كان عالماً من أعلام الفكر
العربي المعاصر ، وفيما يلي نبذة عن نشأته وحياته وآثاره .

★ ★ ★

نشأته وحياته

كان محمد هلال الحصري ، من أهالي مدينة حلب في شمالي سورية ،
قد قضى شطراً من شبابه في مصر يدرس في الجامع الأزهر علوم الشريعة
والعربية ، فلما أجز ، عين قاضياً في مدينة دير الزور ثم نقل إلى مدينة حماة
السوريتين ، ثم عين رئيساً لمحكمة استئناف ولاية اليمن ، وفي مدينة
صنعاء أقام القاضي الجديد سنة أو تزيد ، فلما كان الخامس من شهر آب
(أغسطس) عام ١٨٨٠ ميلادية الموافق لسنة ١٢٩٧ للهجرة ، ولد له فيها
غلام أسماه «ساطعاً» .

لم يقم محمد هلال الحصري الحلي في صنعاء ، أكثر من سنتين نقل بعدها
إلى أخته ثم إلى أقرة من بلاد الأناضول ، فإلى طرابلس الغرب في ليبيا ،
ثم أعيد ثانية إلى اليمن ، فإلى قونية في تركيا ، فثانية إلى طرابلس الغرب ،
وهكذا كان الموظفون في الدولة العثمانية لا يستقر أحد في وظيفة عين فيها
أكثر من سنتين على الأعم الأغلب ، وكثيراً ما كان أطفال هؤلاء الموظفين
ينتقلون مع آبائهم كما وقع لساطع وليد الحصري الحلي .

وعندما انتقلت وظيفة القاضي الحصري إلى طرابلس الغرب للمرة الثانية سنة ١٨٩٣ م ، كان ساطع ، الذي فاته الدراسة الابتدائية النظامية ، قد استطاع بجده الشخصي واجتهاده الشديد ، دخول القسم الإعدادي من المدرسة الملكية الشاهانية ، في استانبول . فتركته الأسرة المسافرة إلى ليبيا تلميذاً داخلياً في هذه المدرسة ، على أن يلحق بها في العطلة الصيفية ، وقد لحق بها في عطلة أول سنة ، ولما كانت عطلة السنة الثانية ، لحق بأسرته وهي في بني غازي حيث كان أخوه الأكبر يتولى وظيفة النيابة العامة فيها ، ولم تأت عطلة السنة الثالثة ، إلا وكانت وظيفة رب الأسرة قد انتقلت إلى استانبول ، فاستراحت واستراح الشاب الساطع ، واستطاع أن يكمل دراسته العالية في المدرسة الملكية سنة ١٩٠٠ م بتفوق ملحوظ .

عين ساطع الحصري ، بعد تخرجه مباشرة ، مدرساً للمعالم الطبيعية في إعدادية (يانيا) عاصمة مقاطعة ألبروس وهي اليوم جزء من دولة اليونان ، فظل في هذه المدرسة إلى سنة ١٩٠٥ م . وخلال مدة السنوات الثلاث الأخيرة من إقامته في يانيا عين « مأمور معية » ، إذ كان أمثاله يسيرون كذلك تمهيداً لتعيينهم في الوظائف الإدارية ، مع السماح له بتدريس بعض ما كان يتولى تدريسه .

وفي سنة ١٩٠٥ م عين ساطع الحصري قائماً لقضاء (وادو ويشته) في ولاية قوصوة ، ذي الأكثرية البلغارية ، وكان القضاء سياسياً في المنطقة النمساوية من المراقبة الدولية التي كانت قد فرضت على ولايات ماكدونيا الثلاث ، ثم نقل ساطع قائماً لقضاء (فلورينه) في ولاية مناستر ، وكان هذا القضاء في المنطقة الإيطالية من المراقبة الدولية .

بقي ساطع الحصري قائماً في (فلورينه) حتى الانقلاب الثماني سنة ١٩٠٨ م ، ولما كان هوام مع الانقلابيين ، عهدوا إليه يوم إعلان الدستور بمهمة شرح

أهدافهم في عاصمة الولاية « مناستر » فقام بخطب في الجماهير يحمّسهم لتأييد الانقلاب ، وفي وفود المهتئين به يشكّونهم على تهاونهم .

ولم يمض على إعلان الدستور شهران ، إلا وأحب ساطع الحصري العودة إلى العاصمة ، فترك الوظائف الإدارية ، واغترباً في العودة إلى تولى التعليم في المعاهد العالية ، فكان بدءاً من نهاية عام ١٩٠٨ م : أستاذاً للتربية في جامعة استانبول (دار الفنون) وأستاذاً لعلم الأقسام في المدرسة الملكية الشاهانية ، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم « مدرسة العلوم الإدارية والسياسية » ، وأستاذاً لعلمي التربية والاجتماع في مدرسة (دار الخلافة العلمية) وفي (دار المعلمين العالية) . وقبل أن ينقضي عام ١٩٠٩ م ، عين ساطع الحصري مديراً لدار المعلمين ، فأحدث تعيينه هزة كبيرة في الدار ، إذ أعقبه حدوث انقلاب جذري في نظامها وأصول التدريس فيها ، وإقامة نظام جديد مبني على أحدث أساليب التعليم ، مما كان له أثر كبير في تبديل اتجاهات التعليم في جميع ممالك الدولة العثمانية .

وقام ساطع الحصري أثناء توليه مديرية (دار المعلمين) بتأسيس مدرسة أطلق عليها اسم (المدرسة الحديثة) متبعاً في أنظمتها أحدث أساليب التربية والتعليم التي عرفت في البلاد الأوربية .

احتل ساطع الحصري ، بما قام به من تبديل في نظم التربية والتعليم وبما نشره من مؤلفات ومقالات ، مكانة عالية في الدولة العثمانية وتمتع بمركز علمي مرموق ، وأخذ اسمه مقروناً بالتقدير يتردد في كل المحافل العلمية والتربوية ، وقد انتخب عضواً في « جمعية المطبوعات العثمانية » منذ يوم تأسيسها ، وكان من آخر المراكز التي تبوأها في العهد العثماني رئاسة « مؤتمر المطبوعات » .

ظل ساطع الحصري يعمل ويدأب في إصلاح نظم التربية والتعليم في الدولة العثمانية ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، ولكنه ما كاد يسمع أنباء جلاء الأتراك عن دمشق ودخول الجيش العربي إليها ، إلا وتطلع إلى هذه الدولة الفتية تقوم في دمشق بعد زمن طويل من سقوط الدولة العربية الكبرى ، فما أن تلقى إشارة تدعوه الحكومة العربية بها إلى سورية ، حتى غادر استانبول ، رغم ما عرضه عليه الأتراك للبقاء في منصبه ، ووصل دمشق في مطلع عام ١٩١٩ م ، فبادرت الحكومة العربية فيها إلى تكليفه بالإشراف على مسارف الدولة فكان على التوالي :

١ - مقتشاً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١٦/٤/١٩١٩ حتى ٣٠/٤/١٩١٩ م .

٢ - مديراً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١/٥/١٩١٩ حتى ٩/٣/١٩٢٠ م .

ويوم أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية ووضع دستورها الأول المسمى بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م ، قامت في دمشق أول حكومة عربية دستورية ، واختير ساطع الحصري وزيراً للمعارف فيها ، فمارس مهام الوزارة من تاريخ ١٠/٣/١٩٢٠ حتى تاريخ ٢٧/٧/١٩٢٠ م ، يوم احتل الجيش الفرنسي دمشق ليفرض على الشعب السوري ما أسمته عصبة الأمم بـ «الانتداب» .

غادر ساطع الحصري سورية مع ملكها البمد عن العرش فيصل الأول ، مراقباً مليكه في رحلاته التي انتهت به ملكاً على العراق ، وفي بغداد تولى الحصري المناصب التالية :

١ - معاون وزير المعارف من تاريخ ٥/٣/١٩٢٢ إلى ١٧/١/١٩٢٣ م .

٢ - مدير المعارف العام من تاريخ ١٧/١/١٩٢٣ إلى ٣١/٨/١٩٢٧ م .

٣ - أستاذ علم التربة في دار المعلمين المالية من تاريخ ١٩٢٧/٩/١ حتى ١٩٣١/١٠/١ م .

٤ - مراقب التعليم العام من تاريخ ١٩٣١/١٠/١ حتى ١٩٣١/١٢/٢٢ م .

٥ - عميد كلية الحقوق من تاريخ ١٩٣١/١٢/٢٣ حتى ١٩٣٤/١٠/١١ م .

٦ - عميد كلية الحقوق ومدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٤/١٠/١٢ حتى ١٩٣٥/٩/١٦ م .

٧ - مدير الآثار القديمة ومراقب التربة والتدريس العام ، من تاريخ ١٩٣٥/٩/١٦ حتى ١٩٣٦/٩/١٢ م .

٨ - مدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٦/٩/١٣ ، وظل يتولى هذا المنصب حتى الحادي عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ م ، يوم أبلغت الحكومة المراقية ، التي ألفت عقب فشل الثورة ضد الانكليز ، ساطعاً الحصري مدير الآثار القديمة ، قراراً بتزع الجنسية العراقية عنه بوصفه سوري الأصل ، وبضرورة مفادته الأراضي المراقية ، فنادرها باليوم نفسه ووصل مدينة بيروت وفيها أقام أربع سنوات .

وفي أعقاب جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية سنة ١٩٤٥ م ، قامت الحكومة السورية بتكليف ساطع الحصري بمهمة الإشراف على إعادة تنظيم المعارف ، وعينه مشاوراً قنياً لها لشؤون التربة والتعليم ، وظل يقوم بهذه المهمة ثلاث سنوات .

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٧ م ، دعت وزارة المعارف المصرية لإلقاء محاضرات في اجتماعات التربية في معهد التربة في القاهرة ، فاستمر يلقي المحاضرات في هذا المعهد مدة ثلاث سنوات أيضاً ، قامت خلالها جامعة الدول العربية بترشيحه لمنصب المشاور الفني للإدارة الثقافية ، فشغل هذا المنصب من أول سنة ١٩٤٧ م ، بما عرف فيه من دأب على العمل وإخلاص فيه ،

حتى نهاية عام ١٩٥٠ م ، إذ بدا له أن يستقيل منه فاستقال . على أنه قبل عرض الإدارة الثقافية بأن يدير معهد الدراسات العربية العالية ، الذي قررت جامعة الدول العربية بمساعيه افتتاحه في القاهرة ، واستلم إدارة المعهد اعتباراً من أول نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٣ م ، متولياً فيه كرمي " القومية العربية " . وفي سنة ١٩٥٦ استقال من إدارة المعهد ، ولم تمض سنة دراسية واحدة بعد ذلك حتى قرر ترك المعهد نهائياً ، لأنه لم يستطع تطبيق جميع ما يدين به من آراء ، فاستقال من التدريس أيضاً .

هذا وكانت الحكومة العربية السعودية قد كلفته خلال سنة ١٩٥٤ م ، بدراسة أحوال المعارف في المملكة ، وتقديم تقرير عن وسائل إصلاحها ، فقام بهذا الواجب خير قيام ضمن الحدود المرسومة وبحسب ما رآه مفيداً .

الدراسات التي اشتهرت الفقير ونجح فيها

عندما كان ساطع الحصري في " المدرسة الملكية الشاهانية " في استانبول ، لم يكن يرضى لنفسه الا كفاءة بالمحاضرات النظامية تلقى عليه ، وبالكتب المحددة المطلوبة منه ، فقد خلق شديداً الرغبة بالمعرفة والتقصي ، محباً للدراسة والتحصيل ، مولماً بالعلوم الرياضية ، مندفعاً وراء كشف دقائقها ، فأخذ يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب ومجلات تبحث فيها ، مستعيراً من أصدقائه طلاب مدرستي الهندسة والأركان الكتب المقررة عليهم ، وبدأ يُعرف بقدرته على حل المعويص من مسائل الرياضيات العالية ، فأطلق عليه رفاقه اسم " آوشيد " وبه اشتهر مدة طويلة من الزمن .

وكما أولع ساطع الحصري بالعلوم الرياضية ، أولع بالعلوم الطبيعية ، واستهواه تشريح الحيوانات وتمحيطها ، فأقن ذلك ، حتى كان في طليعة ما يفعله في المدارس التي تولى إدارتها ، إنشاء متاحف لتاريخ الطبيعي فيها .

ومن العلوم التي استهوت فقيدها أيضاً ، علوم النفس والتربية والاجتماع ، فأخذ يتبحر فيها وينوص وراء مشاكلها ، حتى غدا أستاذاً الذي يشار إليه بالبنان في استانبول يوم كان فيها ، وعيد أستاذه في أرجاء العالم العربي فيما بعد .
ومما ساعد ساطعاً ، في إتقان هواياته وإتقان أبحاثها ودقاتها ، الرحلات الدراسية التي قام بها إلى البلاد الأوروبية خلال أعوام ١٩١٠ - ١٩١٧ م ، فقد زار كلاً من إيطاليا وسويسرة وفرنسة وانكلتره وبلجيكا وهولندة وألمانية ورومانية وبلغارية ، دارساً في كل منها نظم التربية والتعليم المطبقة والصوب التي يشكى منها ، والاتجاهات الحديثة التي يفكر فيها المصلحون في مختلف البلاد المذكورة .

اشترك ساطع الحصري في المؤتمر الدولي الثاني للتربية الأخلاقية في لاهاي سنة ١٩١٢ م ، وكان من أعضاء عمدة مهيد جان جاك روسو الذي أسس في صيف السنة نفسها ، كما اشترك في المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع في استانبول سنة ١٩٣٢ م ، ممثلاً لدولة العراق ، كما مثله في المؤتمر الدولي للحفريات الأثرية في القاهرة سنة ١٩٣٧ م . وقد جرى انتخابه سنة ١٩٣٨ م عضواً في لجنة المتاحف الدائمة النشطة عن اللجنة الدولية للتعاون الفكري .

★ ★ ★

مؤلفات الفقيه وآثاره

كان الفقيه من أكثر المفكرين العرب تدويناً لدراساته وبحوثه وآرائه والحوادث التي وقعت معه ، وقد نشر أكثرها كتباً يتداولها الناس ، إلى جانب العديد من مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون .

كانت آثار فقيدها المطبوعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، مكتوبة بالتركية اللغة الرسمية للدولة العثمانية ، وهي تنقسم إلى قسمين بحسب زمن كتابتها :

القسم الأول : آثاره قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م

وهي عبارة عن سلسلة من الكتب المدرسية في عديد من العلوم الطبيعية ، وكانت وزارة المعارف العثمانية قررت تدريسها في جميع أنحاء الدولة ، وتبين موضوعاتها من المناوين التالية :

- ١ - معلومات زراعية ؛ ٢ - دروس الأشياء (للمدارس الابتدائية) .
- ٣ - علم الحيوان ؛ ٤ - علم النبات ؛ ٥ - تطبيقات زراعية (للمدارس الثانوية) .

وللفقيد مقالات كثيرة في مسائل عملية ، وفي وصف مخترعات حديثة ، نشرت له في المجلات العلمية والأدبية ، وعناوين بعضها كالتالي :

نحو القطب - التلغراف اللاسلكي - الأشعة المجهولة - الحياة في الناجم - مناظر الغروب : في الأرض ، وفي الكواكب .

القسم الثاني : آثاره بعد إعلان الدستورأ - الكتب التي ألفها الفقيد :

١ - كتاب « فن التربية » ويشتمل على مجموعة دروسه في دار المعلمين ، وهو في مجلدين .

٢ - « اتوغرافيا » [علم الأقوام] ، وهو كتاب يشتمل على مجموعة دروسه في المدرسة الملكية .

٣ - « تقارير » [لايحه لرم] ، وهي عبارة عن كتاب يتضمن مجموعة التقارير التي قدمها إلى وزارة المعارف ، بعد عودته من رحلته الدراسية الأولى سنة ١٩١٠ م .

٤ - « الوطن » وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات في الوطنية والتربية الوطنية .

٥ - « الأمل والعزم » وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات .

٦ - « اليابان واليابانيون » عنوان محاضرة عن نهضة اليابان وعواملها .

ب — المجلات التي عمل الفقيد على إصدارها :

١ — « أنوار المعلوم » ، وهي مجلة في العلوم والكشوف العلمية ، وقد صدر منها مجلد واحد .

٢ — « التدريسات الابتدائية » ، مجلة تعليمية صدر منها ثلاثة مجلدات .

٣ — « مجلة التربية » ، صدر منها عشرة أعداد فقط ، وكانت الأربعة الأولى مصورة .

ج — المقالات التي دمجها الفقيد :

اشتهر الفقيد بالمقالات الكثيرة التي كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات ، متنزاً أي مناسبة يستطيع فيها أن يدلي برأيه ، أو يدافع عن مبادئه أو يشرح فيها أفكاره وعقيدته .

وليس من السهل على المرء تقصي كل ما كتبه الفقيد ونشره ، على أن معظم مقالاته كانت تربوية واجتماعية ، وكان قسم كبير منها تقدماً أو دراسة للقضايا الإصلاحية الكبرى ، وبعضها كان سياسياً ؛ وكان من أهم المقالات التي نشرها في العهد العثماني ، وكان لها صداها في الرأي العام المقالات التالية :

١ — آثار الاستبداد وبذوره الباقية (أربع مقالات متتابعة) .

٢ — في سبيل إصلاح المعارف .

٣ — نظرية شجرة الطوبى والتفكير العلمي .

٤ — دور كهيم ونظرياته الاجتماعية (نقد) .

٥ — دفاع عن مدحت باشا .

٦ — قضايا التنظيمات .

٧ — معرض تورينو وطرابلس الغرب .

٨ — خطاب إلى طلعت بك .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الفقيه نشر مقالات عديدة خلال سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ م في مجلة « نبر حقبة » ، التي كانت تصدر في مناسبر ، بصورة سرية قبل إعلان الدستور ، وبصورة علنية بعد إعلانه ، وظل الفقيه يرسلها ويكتب فيها إلى ما بعد انتقاله إلى استانبول .

★ ★ ★

أما آثار الفقيه التي تؤلف ثروة ضخمة للمكتبة العربية ، فهي على نوعين أيضاً :
النوع الأول : ١ - مقالات منشورة في مختلف صحف ومجلات البلاد العربية ، ضمن الفترات الزمنية التالية :

أ - خلال وجود الفقيه في سورية (١٩١٩ - ١٩٢٠ م) ، وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، نشر فيها عدة مقالات تربوية ووطنية .

ب - خلال وجود الفقيه في العراق (١٩٢٢ - ١٩٤١ م) وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، أيضاً ، وصدر منها خمسة مجلدات بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣١ م ، وفيها كثير من المقالات والبحوث القيمة التي كتبها الفقيه .

ج - بعد إخراج الفقيه من العراق ، وقبل إقامته في مصر ، نشر كثيراً من المقالات والمحاضرات والأبحاث وقد جمع أكثرها في كتب مستقلة ، وكانت صحف بيروت ودمشق والقاهرة ومجلاتها ، ومجلة « الرسالة » ، في طليعتها ، هي الميدان الذي كان يقيدنا يناضل على صفحاتها .

د - بعد استقرار الفقيه في القاهرة ، أخذ ينشر آراءه ودراساته نشرًا منظماً ، كونه أم مؤلفاته القيمة .

النوع الثاني : — الكتب ، وفيما يلي ثبت بما عرفناه منها :

- ١ — « القراءة الخلدونية » ، (الألفباء) .
- ٢ — « موشد القراءة الخلدونية » ، (طريقة تعليم الألفباء) .
- ٣ — « مساعد القراءة الخلدونية » .
- ٤ — « دروس الأشياء » ، في أربعة أجزاء .
- ٥ — « أصول التدريس » ، و « أصول تدريس اللغة العوبية » ؛ كل بحث في جزء .
- ٦ — « رسائل إلى بول مونزو » ، نظرات نقد لتقرير مونزو عن معارف المراق .
- ٧ — « الإحصاء » ، مجموعة عاضرت في كلية حقوق بغداد .
- ٨ — « آراء وأحاديث في التربية والتعليم » .
- ٩ — « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » ، وهذا الكتاب والذي قبله تضمننا مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات التي نشرها الفقيد في مختلف الصحف والمجلات ، وقد طبعا في القاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- ١٠ — « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ، نشرت أولاً في بيروت سنة ١٩٤٤ ، ثم أعيد طبعا منقحة مزبدة في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ١١ — « يوم ميلاد » ، مذكرات الفقيد عن الأيام الأخيرة للدولة العربية السورية سنة ١٩٢٠ م . وقد طبع في بيروت أكثر من مرة .
- ١٢ — « تقارير » ، وتتضمن دراسة مستفيضة حول المعارف في سورية ، صدرت في جزأين طبعا في دمشق ، الأول سنة ١٩٤٤ والثاني ١٩٤٥ م .
- ١٣ — « صفحات من الماضي اللبيب » ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م .
- ١٤ — « آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م .

- ١٥ - د آراء وأحاديث في التربية والاجتماع ، ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ١٦ - د آراء وأحاديث في القومية العربية ، ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م وأعيد طبعه في بيروت للمرة الرابعة .
- ١٧ - د العروبة بين دعائها ومعارضها ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٢ م .
- ١٨ - د محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ، طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٩٥١ م ، وأعيد طبعه في بيروت للمرة الخامسة .
- ١٩ - د المروبة أولاً ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٥ م . ثم أعيد طبعه فيها أيضاً للمرة الخامسة .
- ٢٠ - د دفاع عن العروبة ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٦ م . وقد أعيد طبعه فيها للمرة الثالثة سنة ١٩٦٨ م .
- ٢١ - د آراء وأحاديث في اللغة والأدب ، ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٨ م .
- ٢٢ - د المحاضرة الافتتاحية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٢٣ - د البلاد العربية والدولة العثمانية ، ، طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٧ م ، وأعيد طبعه للمرة الثالثة في بيروت طبعة مزيده ومنقحة .
- ٢٤ - د حوليات الثقافة العربية ، ، وهي مجموعة دراسات وإحصائيات عن الثقافة العربية في أرجاء الوطن العربي ، صدرت منها الأجزاء التالية :
- ١ - السنة الأولى : عن السنوات التي سبقت ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وطبعت في القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

- ٢ — السنة الثانية : عن سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٣ — السنة الثالثة : عن سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٤ — السنة الرابعة : عن سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٥ — السنة الخامسة : فيها صلة ما انقطع حتى سنة ١٩٥٧ ، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- ٢٥ — « البلاد العربية منذ ظهور الإسلام » ، خريطة زمنية طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٢٦ — « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الخامسة سنة ١٩٦٦ م .
- ٢٧ — « حول الوحدة الثقافية العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٢٨ — « ماهي القومية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية .
- ٢٩ — « الاقليمية .. جذورها وبذورها » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ م .
- ٣٠ — « حول القومية العربية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٣١ — « ثقافتنا في جامعة الدول العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٣٢ — « مذكراتي في العراق » الجزء الأول وفيه حوادث سنة ١٩٢١ حتى ١٩٢٧ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٣٣ — « مذكراتي في العراق » الجزء الثاني وفيه حوادث سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٤١ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

بين الفقير وبينني

تربطني بالفقيد الكبير صلة ودية وتقدير عظيمة ، تمتد جذورها إلى سنة ١٩٣٩م يوم كنت في بغداد أزوره مع إخوان لي من شباب العرب المتحمسين لمروبتهم . كان الفقيد وهو شيخ يثني نحو الستين من عمره ، يستحوذ على كل تقديرنا واحترامنا ، لاندفاعه وحماسة في الدفاع عن القومية العربية ، حماسة لا تعدلها حماسة الشباب ولا اندفاعه . وتوثقت صلاتي بالفقيد عندما أقام في دمشق سنة ١٩٤٥م ، ثم اشتدت بعد أن أقام في القاهرة وكثر ترددي عليها ، أزوره أو يزورني فأقضي معه ساعات أفيد فيها من عقله وخبرته وقوته في الدفاع من آرائه .

وعندما أخرجت مطابع دار العلم للملايين في بيروت ، كتاب « حول القومية العربية » لفقيدنا الكبير سنة ١٩٦١م ، قمت بتعريف الكتاب بكلمة نشرتها مجلة الجمع العلمي العربي في الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين لسنة ١٩٦٢م ، وقلت مستهلاً تعريفى بالكتاب : [هذا كتاب جديد تصدره المطبعة العربية للعلامة ساطع الحصري ، إنه الحلقة الثامنة من السلسلة القومية ، سلسلة الكتب التي نشرها الأستاذ الحصري على الناس ، يحدثهم فيها حديث المعلم الواثق بعلمه ، وحديث المؤمن القوي بالإيمان بما يعتقد ، يحدثهم فيها عن القومية بمفهومها العام ، وعن القومية العربية بصورة خاصة] .

وكان من تقدي للكتاب تقد التعريف الذي أوردته الأستاذ الحصري بأن : « العربي من تكلم بالعربية » ، وقد قلت في ذلك : [.. لا بد لنا إذن من إضافة عنصر الإرادة إلى هذا التعريف الناقص حتى يتم بقولنا :

« العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً (١) » ، ومن المعلوم أن الشعور والإرادة هما العاملان الأساسيان في قيام جميع القوميات . وأدنى تقديري لهذا إلى ردة وتوضيح كتبه الأستاذ الحصري ، ثم إلى تعقيب مني على ردة ، وقد نشرنا في الجزء الثاني من المجلد المذكور من مجلة مجمع دمشق . على أن ما دار بيني وبين الفريد الكبير من جدال حول تعريف العربي ، وما كان يدور بيننا أحياناً من مناقشات حول القومية عامة ومدى علاقتها بالإسلام خاصة ، ما كان يفسد ما بيننا من ودية صافية وتقدير عظيم ، صورته في كلتي التي أشرت إليها آنفاً قائلاً فيها : [إن الأستاذ الحصري يضيء على كل ما يكتبه فيضاً من إيمانه بالقومية العربية واعتزازه بها ، فيزيد المؤمن إيماناً والمعتز اعتزازاً ، وهو يفرض على قارئه الاحترام ، ولو كان له رأي يخالف رأيه ، أو كان يحتفظ لنفسه بقيود على بعض نظرياته ، وذلك لأن من يكتب عن عقيدة واسعة وإيمان لم يتورع شك ، يوم كان المؤمنون قلة ، وظلام المستقبل يكتنفهم ، جدير بالاحترام] .

* * *

من أصدقاء موت الحصري

مات ساطع الحصري ، بعد حياة مديدة قاربت التسعين من السنين عدداً ، وكانت حافلة بالحركة الدائمة والنشاط الجم والأفكار القيمة العميقة ، وأحدث موته صدى أليماً في أرجاء الوطن العربي ، وحزننا لدى المفكرين عامة ، ولدى دعاة القومية العربية منهم بصورة خاصة ، وكان من أم الأصدقاء الدالة على مكانة الفريد في العالم العربي إعلان (اتحاد الصحفيين العرب) عن إقامة جائزة

(١) واضح هذا التعريف هو الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي الراحل . انظر كتابه عن « الاستعمار » ج ١ ص ١٣ القاهرة ١٩٦٥ م .

دروية يطلق عليها اسم (جائزة ساطع الحصري السنوية) ، وقد أعلن عن تخصيص ثلاث جوائز لسنة ١٩٦٩ م ، ذات قيمة مالية كبيرة تدفع لأحسن ثلاثة بحوث تقدم في أحد الموضوعات التالية :

- ١ - أثر القضية الفلسطينية في حركة الوحدة الدوية .
- ٢ - التكامل الاقتصادي العربي .
- ٣ - موقف ساطع الحصري من النظم التربوية الحديثة .

★ ★ ★

رحم الله ساطعاً رحمة واسعة وغفر له وأنزله منازل الأبرار
من عباده المؤمنين .

عدنان الخطيب



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٧ —

٢٠٥ الجنب

Plèvre (f.)

ف

Pleura

ز

في الأصل . — الجنب ، مجتمع الأضلاع وأسفل الضلوع .
في (ق) . — الجنب والجانب والجنبه شيق الإنسان وغيره والجنب
'معظم الشيء وأكثره .
قلت : في الطب يغلب استعماله مع الغشاء .
في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الجنب ، كيسٌ لافتحة له من غشاء
مصلي ، يُغطّي الزّور ويُغطّف الرئتين اليمنى واليسرى .
ما أضفته :

١ — غشاء جنب رقي

Plèvre cervicale

ف

Cervical pleura

ز

٢ — غشاء جنب ضلعي

Plèvre costale

ف

Costal pleura

ز

٣ - غشاء جنب حجابي

Plèvre diaphragmatique ف

Diaphragmatic pleura ز

٤ - غشاء جنب متصفي

Plèvre mediastinale ف

Mediastinal pleura ز

٥ - جني

Pleural ف ، ز

٦ - ذات الجنب

Pleurésie ف

Pleurisy ز

٧ - ذات الجنب (= برسام)

Pleurite ف

Pleuritis ز

٨ - جناب

Pleurodynie ف

Pleurodynia ; pleuralgia ز

★ ★ ★

٢٠٦) الخلف = القصيراي

Côte flottante ف

Floating rib ز

في الأصل . - وما يلي البطن يقال له الخلف وهي أيضاً القصوى .
(الخلف ما قصر من أضلاع الجنب ودق . شرح المحقق) .

في (ق) . - الخلف تقيض القدماء ؛ وأقصر أضلاع الجنب . ج خثوف ؛
والظهر وما يلي البطن من سنار الأضلاع ؛ وحلقة ضرع الناقة ... الخ .
والقصوى ، والقصيا في (ق) أيضاً : الناية البيدة .

ملاحظتي . — على اعتبار (القصوى) الغاية البعيدة ؛ فالذكورة في الأصل مرادفةٌ للختلف تكون صفةً لمحذوف هو (الضلع) (أي الضلع القصوى) . وفي رأيي أنها — وإن صححت مرادفةً — مصحقةٌ عن (القصيرى : وهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب) . فيصح تخصيص (القصيرى) للضلع الثانية عشرة من أضلاع الهيكل البشري : لأقصى الأضلاع وهي أقصرها أيضاً . ولذا وضعتها مصححةً في (الرقم ٢٠٦) .

★ ★ ★

(٢٠٧) الخاصرة

Flanc (m.) ; côté

ف

Flank ; side

ز

في الأصل . — والخاصرة عند ذلك (قلت : أي عند أسفل الضلوع كما يتبين من سياق الجملة التي قبلها) .

في (ق) . — الخَصْر ، وسط الإنسان ، وأخص القدم ؛ والخاصرة ، الشاكلة وما بين الحرقفة والقصيرى .

قلت : أما الشاكلة فهي من الفَرَس الجلايين عُرض الخاصرة والثفينة (هي من البعير الركبة ؛ ومن الإنسان مجتمع الساق والفخذ ؛ ومن الخيل موصل الفخذين في الساقين من باطن) .

وأما القصيرى فهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب .

في (ل) . — الخاصرة قسم البدن ، من الأضلاع حتى الوركين ؛ وعلى التوسع جانب الجسم .

★ ★ ★

(٢٠٨) الصِّفاق

- Péritoine (m.) ف
 Peritoneum ز
 في الأصل . - جليدة البطن التي تلي الجلدة الظاهرة (= ما بين الجلد والمصران) .
 في (ق) . - الصفاق ككتاب ، الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .
 في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - غشاء مصلي كاس أعضاء البطن داخلا ، منلفٌ وحافظٌ جميع الأعضاء الموجودة في هذا الجوف .
 ما أضفته :

١ - صفاق جداري

- Péritoine pariétal ف
 Parietal peritoneum ز

٢ - صفاق حَشَوِيّ

- Péritoine viscéral ف
 Visceral peritoneum ز

٣ - صفاقي

- Péritonéal ف ، ز

٤ - التهاب الصفاق

- Péritonite ف
 Peritonitis ز

★ ★ ★

(٢٠٩) الحَشَوَةُ = الحَشَى والحَشَا (*)

- Viscère (m.) ; entraille (f.) ف
 Viscera ; entrail ; bowels ز

(*) واوي ويالي .

في الأصل . — في البطن ، مما ضمت عليه الضلوع .
 في (ق) . — الحشًا ما في البطن ج أحشاء . والحشَى مادون الحجاب
 مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ؛ أو ما بين ضلع الخلف
 التي في آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن والحِضْن ؛ وحشوة
 الأرض بالضم والكسر حشوها ودغلها .
 في متن اللغة . — الحشوة بالضم والفتح ، من الشاة : جوفها وأماؤها ،
 أو جميع ما في بطنها عدا الشحم ؛ وفي الأرض حشوها ودغلها (على المجاز) .
 في (ل) . — الكلمة الأولى (Viscère) تطلق على كل من الأعضاء
 التي توجد في أجواف الجسم كالدماع والرئتين ، والقلب الخ .
 والكلمة الثانية (Entrailles) تُطلق على الأمعاء وهي الرَبَضُ .
 قلت : الكلمتان مترادفتان في الطب ، يراد بها الأحشاء عامة .
 ما أضفته :

١ — ألم الأحشاء

Viscéralgie	ف
Visceralgia ; neuralgia of visceral nerves	ز

٢ — مبحث الأحشاء

Splanchnologie	ف
Splanchnology	ز

٣ — هبوط الأحشاء

Viscéroptose ; splanchnoptose	ف
Visceroptosis	ز

٤ — حشوي

Viscéral ; splanchnique	ف
Visceral ; splanchnic	ز

(٢١٠) الحجاب

- Diaphragme (m.) ف
 Diaphragm ; midriff ; phren ; diaphragma ز
 قلت : و (الحاجز) كذلك . وقد يقال الحجاب الحاجز صفة للأولى .
 في الأصل . — الحجاب من الحشا ، جليدة لحم يحجز بين الصدر والبطن .
 في (ق) . — حجبته حجباً وحجاباً ستره كحجبته . والحاجب البواب .
 والحجاب ما احتجب به . ج حُجِبَ ، ولحمة رقيقة مستبطنة بين الجنين
 تحول بين الشعر (أي الرئة) والقصب .
 في (ل) . — عضلة عريضة جداً ورقيقة تفصل الصدر عن البطن .
 بتقبضها يزداد حجم القفص الصدري وبالتالي الشيق .

ما أضفته (أقسامه) :

١ — حُرْم ضلية

- Faisceaux costaux ف
 Pars costalis ز

٢ — حُرْم قصية

- Faisceaux stérnaux ف
 Pars sternalis ز

٣ — حُرْم قطنية

- Faisceaux lombaires ف
 Pars lumbaris ز

٤ — قُوَّة المريء

- Orifice œsophagien ف
 Foramen œsophagicum ز

٥ - فوهة الوتين

Orifice aortique	ف
Aortic opening	ز

٦ - فوهة الوريد الأجوف السفلي

Orifice de la veine cave inferieure	ف
Foramen venae cave	ز

٧ - مركز حجابي

Centre phrénique	ف
Central tendon	ز

★ ★ ★

(٢١١) الفؤاد = القلب

Cœur (m.)	ف
Heart	ز

في الأصل . - الفؤاد ، القلب .

في (ق) . - الفؤاد القلب أو أخص منه .

في متن اللغة . - القلب الفؤاد أو المضنة منه المعلقة بالنياط ، أو العلقة

السوداء في جوفه . ج قلوب .

والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده أو لحركته ونبضه (مذكر) أو هو وسط القلب أو غشاؤه أو وعاءه أو داخله أو ما يتعلق بالبريء من كبده وورثة وقلب فيكون أعم من القلب ج أفتدة .

في (ل) . - القلب عضو زوّري محفور (١) وعضلي يضوي الشكل وهو عضو رأس للدورة الدموية . يتلف هذا العضو ، التأمور (٢) .

ويتألف أساساً من عضلة هي عضلة القلب (٣) . أما باطنه فتؤلف من الشفاف

أي بطانة القلب (٤) . في هذا المصو أربعة أجواف : أذينة (٥) وبطين
 أيمن (= القلب الأيمن) ، وأذينة وبطين أيسر (= القلب الأيسر) .
 الأذينة والبطين الأيمن يتصلان بصفتيق (٦) - أي مصراع [ثلاثي الشرف (٨)
 من الأيمن ، وإكليلي (٩) من الأيسر] لا يسمح بمرور الدم إلا من الأذينة
 نحو البطين الأيمن . والدم يصل بالأوردة الجوفاء إلى الأذينة اليمنى ، ويمر
 إلى البطين الأيمن الذي يدفعه إلى الرئة حيث يتخلص من غاز حمض الفحم
 وحيث ينشحن بالأكسجين ، ثم يعود بعد ذلك إلى الأذينة اليسرى ويمر
 إلى البطين الأيسر وأخيراً يوزع على أعضاء البدن كافة ماراً بالوتين (١٠) .
 أما عضلة القلب نفسها فتروى من الدم بالشرايين والأوردة التاجية (١١) التي
 تأتي إلى العضلة القلبية بالدم اللازم لعملها (لإقيام بوظيفتها) . وهناك جملة
 عصبية مستقلة (١٢) تعمل على تنظيم تقلصات القلب . والجملة العصبية المستقلة
 هذه هي نفسها تراقبها صغيرة (١٣) قلبية مؤلفة من تشعبات (١٤) الودي (١٥)
 ونظير الودي (رثوي معدي) اللذين ينقلان إليها التنبيهات الواردة من الناظم
 القلبي (١٦) الموجود في البصلة السيسائية (١٧) ه .

وإليك ما يقابل الأرقام ، باللغتين الفرنسية والانكليزية :

- ١) Creux [hole , hollow , pit]
- ٢) Péricarde [pericardium]
- ٣) Myocarde [heart muscle]
- ٤) Endocarde [endocardium]
- ٥) Oreillette [oricle of the heart]
- ٦) Ventricule du cœur [ventricle of the heart]
- ٧) Valvule [valve]
- ٨) Tricuspid [tricuspid]
- ٩) Mitral [mitral]
- ١٠) Aorte [aorta]
- ١١) Coronaire [coronary , coronal]

- ١٢) Autonome [autononous]
 ١٣) Plexus [plexus ; network]
 ١٤) Ramifications [ramifications]
 ١٥) Sympathique , parasympathique [Sympathetic ,
 parasympathetic]
 ١٦) Cardiorégulateur [cardioregulator]
 ١٧) Buble rachidien [spinal or rachidian bulb]

أم ما أضفته عن القلب :

١ - قلب جنيني

Cœur foetal

ف

Primitive heart ; foetal heart

ز

ملاحظة - أقسام هذا القلب الجنيني نسيجياً سبعة ، ذكرتها في
 الاستدراك - الجنين) فليرجع إليها المستزيد .

٢ - قلب متحرك

Cœur mobile

ف

Wandering heart

ز

٣ - قلب متشحم (أو شحيم)

Cœur gras

ف

Fatty heart

ز

٤ - قلب مسترخ

Cœur en goutte

ف

Pendulous heart ; drop - herat

ز

٥ - قلبي ، مقوي القلب

Cordial

ف ، ز

٦ - قلبي عرقي

Cardio - vasculaire

ف

Cardiovascular

ز

٧ - قليات

Cordiaux ف
Tonics ; cordials ; restoratives ز

٨ - قلاب (مرض قلبي)

Cardiopathie ف
Cardiopathy ز

٩ - قلوبي (متخصص بأمراض القلب)

Cardiologiste ; cardiologue ف
Cardiologist ز

١٠ - مبحث أمراض القلب

Cardiologie ف
Cardiology ز

١١ - مقلوب (مصاب بقلبه)

Cardiaque ف
Cardiac ز

١٢ - تخطيط القلب الكهربائي

Électrocardiographie ف
Electrocardiography ز

١٣ - مخطط القلب ، الكهربائي

Électrocardiogramme ; E C G ف
Electrocardiogram ز

أقسامه :

آ - صفحة ابتدائية للمشارك البطني

Phase initiale (Q R S) du complexe ف
ventriculaire (E C G)

Initial deflection of the ventricular ز
complex (Q R S) ; Q R S - group
of ecg

ب - صفحة انتهائية للمشارك البطني

Phase terminale (T) du complexe
ventriculaire (E C G) ف

Terminal deflection of the ز
ventricular complex (T) (ecg);
Q R S T - group of ecg

ج (مشترك أذيني ؛ قفزة - ب

Complexe auriculaire ; ressaut P (E C G) ف

Auricular complex ; deflection P (ecg) ز

د - مشترك بطني

Complexe ventriculaire (E C G) ; ف
Complex Q R S T

Ventricular complex ecg ; ز
Q R S T — group of ecg

(يرادفه : مخطط بطني

(Ventriculogramme [ventriculogram]

هـ - القسم البدائي للمشارك البطني

Partie initiale du complexe ventriculaire ; ف
Complexe Q R S (E C G)

First position wave of the ventricular complex ; ز
Q R S — group of ecg

(يرادفه : مشترك بدائي

(Complexe initiale [initial complex (ecg)]

١٤ - مقور للقلب

Cardio - tonique ; tonicardiaque ف

Cardiac Stimulant ; cardiotonic ; cardiac tonic ز

(٢١٢) الخِلْب

ف ، ز
في الأصل . - الخِلْب ، غشاء القلب .
في (ق) . - الخِلْب ، الظفّر
والكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها ... الخ .
في معجم المتن . - الخلب ، الظفر عامة ؛ حجاب القلب والكبد ،
أو لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو زيادتها ، أو شيء
أبيض رقيق لازق بها ، أو عظيم مثل ظفر الإنسان لاصق بالحجاب مما يلي
الكبد ، أو حجاب القلب ، أو حجاب ما بين القلب ومواد البطن
والخِلْب ، الفيجل ، وورق الكرم المريض .
قلت : وفق التعريف في أصل المقالة ، هل هو التأمور (Péricarde) ؟ ؛
ووفق التعريف في (ق) و (المتن) هل هو ما كان يطلق عليه (Pérityne) ؟ ؛
أم هل هو الوَرَب (Intercostal) أي الفضاء ما بين ضلعين ؟ ولولا ذكر
المؤلف للخلب في مقالته لأسماء أعضاء الإنسان ، لزدت أم هل هو الفيجل
(Radis) أم ورق الكرم (Feuilles de vigne) ؟ !

★ ★ ★

(٢١٣) النِّيَاط

ف
ز
في الأصل . - نياط القلب عرقه الذي يلق به (= العرق الملق به
القلب ، حسب شرح المحقق) .
في (ق) . - ناطه تَوْطًا علّقه . والأنواط المعاليق . والنياط ككتاب
الفؤاد ، ومعلّق كل شيء ، أو عرق غليظ نبط به القلب إلى الوتين ج أشوطة

وأنواط ونوط بالضم . وعرق مستبطن الصلب تحت المتن كالنائط ، أو النائط
يمتد في الصلب .

في متن اللغة . - النياط ، الفؤاد . وعرق متصل بالقلب من الوتين
إذا قطع مات صاحبه . أو عرق مستبطن الصلب تحت المتن ، وهو العرق
النائط . والنياط العرق المعلق به القلب ج نياط .

ملاحظتي . - لم أتبين على التأكيد ما يقصد من عرق القلب الذي يعلق به
(والمعلق به القلب حسب شرح المحقق) . ثم إن النياط في (الرقم ٢١٣)
جمع والشرح مفرد . وفي (ق) مفرد والجمع أنوطة وأنواط ونوط .
وإن ما يعلق به القلب من العروق عديدة فلاي منها "يخصّص النياط ؟
فبحسب التشريح الوصفي للقلب في اليوم الحاضر أرى أن هذا العرق الغليظ
الذي نيط به القلب - كما في (ق) وفي متن اللغة - (هو الوتين) وشعبه .
وهذا ما جعلني أضع مقابلاً له الكلمتين الأفرنجيتين في (الرقم ٢١٣) .

أهم ما أضفته عن أقسام الوتين :

١ - وتين صاعد

Aorte ascendante

ف

Ascending aorta

ز

٢ - وتين نازل

Aorte descendante

ف

Descending aorta

ز

٣ - قوس الوتين

Crosse de l'aorte

ف

Arch of the aorta

ز

وأهم ما أضفته عن شعب الوتين :

(أ) السباتي الأيسر

Carotide gauche	ف
Left carotid	ز

(ب) شريان تحت الترقوة

Artère sous - clavière	ف
Subclavian artery	ز

(ج) شريان رئوي

Artère pulmonaire	ف
Pulmonary artery	ز

(د) جذع عَضْدي رأسي

Tronc brachio - cephalique	ف
Brachiocephalic artery ; innominate artery	ز

وعلى وجه عام أضفت :

١ - التهاب الوتين

Aortite	ف
Aortitis	ز

٢ - رسم الوتين الشعاعي

Aortographie	ف
Aortography	ز

٣ - ويني

Aortique	ف
Aortic	ز

(٢١٤) حَبَّة القلب

ب ، ز
في الأصل . — سويداء وهي عُلُقَة في جوفه (!) . ويقال الكبد
والرئة والفؤاد ، وسواد البطن .

في (ق) . — ... وحة القلب ، سويداؤه أو مهجته أو ثمرته
أو هنة سوداء فيه . والمَلَق ، الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ
أو الجامد ؛ والقطعة منه عُلُقَة .

في معجم التن . — حبة القلب ، وسطه ، سويداؤه ، وهي هنة سوداء
فيه ، أو المُلَقَة السوداء داخله ؛ ثمرته ومهجته .

ملاحظتي . — أية عُلُقَة هي في جوف القلب ؟ هل هي قطعة لحمية ثابتة
في تكوينه ، أم خثارة دم جامد فيه (كما في ق) ؟ أم ان الحَبَّة محض
وصف عاطفي (؟) لثمرته أو مهجته (؟) . وفي ظني أن أكثر هذه
الأوصاف يذكرها من شاهد قلباً مُزَع من حيوان مذبوح أو ميت فرأى
فيه (عُلُقَة سوداء ، أو هنة سوداء) . ولا شك أنها خثارة دم من عروق
القلب الخاصة أو مما تختل من الدم في جوف القلب إثر الذبح أو الموت .
أو — وهو الأغلب في الاحتمال — لعل هذه الهنة (لا المُلَقَة) هي مصاربع
القلب إذا نُظِر إلى القلب مقطوعاً أو مشرّحاً .

ومن اثبات اليوم أن أية عُلُقَة دموية أو خثارة مها دَقَّت قد تسبب
انسداداً لأحد الأوعية ، خطراً على الحياة سمي (حشاء أو سُداد Infarctus) .

لهذا لا يصح بوجه من الوجوه أن يُقبل وجود عُلُقَة في القلب بمعنى
الخثارة الدموية ، في حال الحياسة ، فيجب أن يطوى ذكرها في معجم

عربي حديث .

★ ★ ★

الدكتور صلاح الدين السكواكي

(يتبع)



صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٥ -

النظرة الجديدة إلى الاسلام في القرن الثامن عشر :

إن النزعة العقلية التي تميزت بها حركة النور ، في القرن الثامن عشر كان لها تأثير كبير في تغيير نظرة الأوربيين إلى الشرق عامة . فقد كانت هذه الحركة تسمى ، قبل كل شيء ، إلى التحرر من سيطرة الكنيسة ومن القيود التي فرضتها على الحياة الفكرية . وكانت الجماهير قد عرفت الشيء الكثير عن البلاد الشرقية بفضل كتب الرحلات الحقيقية أو الخيالية التي شاعت في هذا العصر . وكان الإعجاب عظيماً بحضارة الصين خاصة . فأخذ الكتاب ينوّهون بديانة (كونفوشيوس) وما امتازت به من حكمة وتسامح ويستندون إلى ذلك في مهاجمة تعصب رجال الدين المسيحي . ثم اتسع نطاق الاهتمام فشمّل الهند وفارس والشرق الإسلامي كله .

وقد بدلت النظرة إلى الرسول ﷺ ، فترى الفيلسوف (لايبنيذ Leibniz) يعتبره مبشراً بالديانة القطرية . ولعل أبرز ممثل للاتجاه الجديد هو الكونت (هنري دوبولنفييه Henry de Boulainvilliers) (١٦٥٨ - ١٧٢٢) الذي مات قبل أن يتم كتابه عن (حياة محمد) ^(١) فنشر بعده في لندن سنة ١٧٣٠ وأعيد طبعه في أمستردام سنة ١٩٣١ .

(١) Le Comte Henry de Boulainvilliers : La vie de Mohamet, avec des réflexions sur la religion Mahomérane et les coutumes de Musulmans. London 1730; 2ed. Amsterdam 1931.

يصرح (بولنفيه) بأنه يريد إثبات تفوق الإسلام على المسيحية . وهو قد وصف الرسول ﷺ بأنه مشرع حكيم ، متور ، قادشعبه إلى الحضارة وجاء بديانة « عقلية » لتحل مكان العقائد اليهودية والمسيحية المشبوهة . ثم إنه يهاجم الذين يشكّون في صدق الرسول ﷺ ويبين أن كل ما قاله محمد ﷺ عن تعاليم الدين الأساسية صحيح ولو أنه لم يكشف عن كل الحقائق .

لكن لا بد من الملاحظة أن (بولنفيه) لم يكن يعرف العربية وأن كتابه لم يأت بمعلومات جديدة . فهو قد جمع مادته من المؤلفات الأوروبية وأراد أن يستخدم الموضوع لمكافحة سيطرة الكنيسة .

ولقد نلخص فاشر الكتاب رأي المعاصرين فيه بالعبارة التالية ضمن رسالة بعث بها إلى المستشرق الفرنسي (جان غانيه Jean Gagnier) ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (او كسفورد) ، قال : « إن (بولنفيه) يمزج تاريخه بكثير من التأملات السياسية التي تعجب القراء لما فيها من طرافة وجراءة » .

جان غانيه :

على أن المستشرق (غانيه) رأى في هذه التأملات الطريفة والجريئة خطراً كبيراً وشعر بأن من واجبه التحذير من كل تطرف والدعوة إلى اتباع الطريق الوسط بين ضلال المتعصبين وحماسة المتهوسين . وكان قد سبق لغانيه أن نشر القسم المتعلق بسيرة الرسول من تاريخ (أبي الفداء) باللغة العربية مع الترجمة اللاتينية في سنة (١٧٢٣) فقام بعد صدور كتاب (بولنفيه) وألف في سنة (١٧٣٢) كتابه عن « حياة محمد » باللغة الفرنسية .

يتبين من مقدمة هذا الكتاب أن (غانيه) ليس صادقاً في ادعائه الحياد . فهو لا يقتصر على مهاجمة كتاب (بولنفيه) ، الذي يزعم بأنه يستحق الحرق بل يطمعن في الرسول أيضاً . وعلى الرغم من أن (غانيه) قد استند إلى القرآن والحديث وروايات المؤلفين المسلمين في وصف حياة الرسول ﷺ وشخصيته وأعماله وحاول أن ينقل النصوص بأمانة فإن التحزب واضح في اختيار الشواهد وفي طريقة عرضها .

(سيل) و (سافاري) :

إننا نلمس الرغبة في الإنصاف وحب الحقيقة عند مستشرقين آخرين برزا في ذلك العهد وقاما بترجمة القرآن من جديد :

الأول هو المستشرق الانكليزي (جورج سيل George Sale) (١٦٩٧ - ١٧٣٦) الذي مهد لترجمة القرآن^(١) بمقدمة ضافية بحث فيها عن العرب قبل الإسلام وعن حالة اليهودية والمسيحية في الشرق عند ظهور الرسول ﷺ وعن القرآن وتعاليمه ثم نفى عن الرسول المطاعن التي اعتاد الكتاب المسيحيون تكرارها وقارن بين محمد ﷺ والشرعين اليونانيين .

أما المستشرق الثاني الفرنسي (كلود أتيان سافاري Claude Etienne Savary) فقد كتب في مقدمة ترجمته للقرآن^(٢) يصف الرسول ﷺ بأنه أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت إلى آخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر . ثم يقول : « ونحن إذا أمعنا النظر في سيرة محمد ﷺ لا بد أن نشعر بالاعجاب تجاه المعجزات التي تستطيع البقرية البشرية تحقيقها إذا ما ساعدتها الظروف . فالرسول محمد ، على الرغم من

(١) George Sale, The Koran. London 1734 .

(٢) Claude Etienne Savary, Le Coran : Paris 1752 (2ed. 1783).

أنه ولد بين عبدة الأصنام ، قد استطاع أن يسمو إلى عبادة الإله الواحد . وهو قد لاحظ في رحلاته كيف كان المسيحيون يتنازعون وتلمن كل طائفة منهم الأخرى وكيف أن اليهود الذين هم حثالة الشعوب لا يتزحزون عن تقاليدهم البالية . وعلى العكس من المسيحيين واليهود أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافي الفضيلة ويعاقب الرذيلة

وبعد أن بنوه (سافاري) بعقريه الرسول السياسية والعسكرية وبمقدرته في السيطرة على البشر يصرح بأن الغربي المتور ، وإن لم يعترف بنبوءته ، لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهوروا في التاريخ .

إن الباحث العديدة عن حياة الرسول ﷺ وشخصيته التي ظهرت في القرن الثامن عشر كانت خاضعة للنزعات السياسية والاتجاهات الفكرية ، إنها كانت تهدف إلى الدفاع عن مبدأ معين أو فكرة سابقة ، لذلك كان الاختلاف شديداً والتناقض ظاهراً بينها . وهي بالإجمال كان محكوماً عليها بأن تبقى عقيدة لا تؤدي إلى كشف حقائق جديدة أو إلى تقدم المعرفة . هكذا نرى (فولتير) يمثل لنا هذا الاضطراب إذ اختار شخصية الرسول موضوعاً لرواية تشيلية (١) هاجمه فيها على أنه رمز للتعصب الديني ثم عاد في كتابه عن الأخلاق والمعادن ، (٢) يلتزم الاعتدال في الكلام على الرسول ويعترف بنبوغه وعظمته .

(قارلايل) :

وقد ظل الرأي السائد بين الأوروبيين عن الرسول ﷺ غامضاً وأقرب إلى المارضة والمداوة ، وقبل كل شيء ، بعيداً عن التحقيق التاريخي حتى

(١) Voltaire : Le Fanatisme ou Mahomet, le Prophète. Paris 1741.

(٢) Voltaire. Essai sur les mœurs. Paris 1756.

منتصف القرن التاسع عشر إذ قام ، من جهة (كارلايل) يدعو إلى الإنصاف ومن جهة ثانية ، بدأ غيره من المستشرقين يرجعون إلى المصادر العربية القديمة ويتبعون طرائق النقد التاريخي في دراستها .

في يوم الجمعة ، الثامن من آذار سنة ١٨٤٠ ألقى المستشرق الانكليزي (توماس كارلايل Thomas Carlyle) (١٧٩٥ - ١٨٨١) المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التي جمعها من بعد في كتابه المشهور « الأبطال وعبادة الأبطال » (١) وكان موضوعها : (الرسول محمد) . قال (كارلايل) :

« لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصني إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خداع مزور . وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة ، الخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتكة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً . فلو أن الكذب والنفس يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إذن إلا به وجماعين وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق . » [تعريب : محمد السباعي]

ثم حلل (كارلايل) شخصية الرسول وكشف عن نواحي عبقريته التي تتجلى فيها أسنى معاني الوحي وانتهى إلى أن محمداً ﷺ كان خلصاً في دعوته ، صادقاً في عقيدته مثل غيره من العظماء المؤمنين .

(١) Thomas Carlyle : On Heroes, Hero - Worship and the Heroic in History.

London 1849

وكان (فارلايل) من الكتاب الانكليز البارزين يمتاز بأسلوب رائع ، فاستطاع أن يترك أثراً عميقاً في الرأي العام الاوروبي . إلا أن محاضراته عن الرسول لم تكن بطبيعة الحال ، تتضمن شيئاً من البحث في المصادر التاريخية ومناقشة الروايات ...

(وايل) والبحث التاريخي الانتقادي :

لذلك كان المستشرق الألماني (كوستاف وايل Gustav Weil) (١٨٠٨ - ١٨٨٩) ، حينما نشر كتاب «محمد الرسول ، حياته وتعاليمه»^(١) على حق في قوله بأن كتابه هذا هو أول دراسة ذاتية مستقاة من المصادر العربية منذ كتاب (غانيه) الذي انقضى عليه أكثر من قرن ، عدا أن (غانيه) قد اقتصر على نقل بعض الأخبار عن (ابن العبري) و (أبي الفداء) دون أي نقد تاريخي . وهذان المؤلفان من الكتاب المتأخرين الذين لا يمكن الوثوق بهم .

إن (وايل) أيضاً يريد الاعتماد على المصادر العربية ، ولكنه يعتقد ، من جهة بضرورة الرجوع إلى جميع المصادر الممكن الحصول عليها ولا سيما المصادر القديمة ، ثم يطالب من جهة ثانية ، باخضاع هذه المصادر إلى النقد التاريخي ومقارنتها وتمييز الروايات الصحيحة من المدسوسة أو الزورة أو المحرفة . ويمكن القول بأن (وايل) قد افتتح مرحلة جديدة في دراسة سيرة الرسول ﷺ . فهو أول مستشرق بحث بطريقة انتقادية في الروايات المتناقلة عن الرسول وحاول أن يميز الأخبار القديمة التي تستحق التصديق من الأساطير المتأخرة التي ليس هناك من دليل على صحتها . وهو لم يكتف

(١) Gustav Weil. Mohammed der Prophet. sein Leben und seine Lehre. 1843.

بالمصادر المعروفة قبله ، بل بحث في المكتبات عن مختلف المخطوطات المتعلقة بالسيرة واختار منها كتاب « إنسان الميرون في سيرة الأمين المأمون » المعروفة « بالسيرة الحلبية » تأليف (برهان الدين علي بن ابراهيم الحلبي) ، ثم تاريخ « الحميس » (الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري) . والمؤلفان من رجال القرن السادس عشر ، ولكنها قد قفلا حرفياً كل ما عثرا عليه في الكتب القديمة منذ القرن الثاني للهجرة حتى عصرهما . وبعد ذلك أرسل إليه الأستاذ (أيوالد Ewald) ، المستشرق الألماني ، مخطوطة هامة جداً هي (سيرة ابن هشام) التي قام (وابل) في سنة ١٨٦٤ بتزجمتها إلى الألمانية بعد أن تولى (وستنفلد Wuestenfeld) تحقيق النص العربي ونشره . ثم أقدم (وابل) على دراسة القرآن بمساعدة تفسير الجلالين وحاول ترتيب الآيات حسب تعاقبها الزمني ليستبين بها في متابعة حياة الرسول . وبعد ذلك سعى إلى دراسة شخصية محمد الإنسان والنبي والشرع بصورة موضوعية دون أي تحزب ديني .

وكان طبعياً أن يراجع (وابل) كل المؤلفات الأوروبية عن حياة الرسول . وقد درس أيضاً بحوث (جايجر Geiger) و (جيروك Gerock) عن علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية .

والنتيجة التي انتهى إليها (وابل) من دراسته تلخص في قوله : « بالنظر إلى ما قام به محمد من نشر أسمى التعاليم الواردة في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بين شعب لم يصل إليه أي شمع من نور الإيمان ، يجب على غير المسلمين أيضاً أن يعتبروه رسول الله . »

منذ نشر كتاب (وابل) تقدمت دراسات المستشرقين خطوات عظيمة وكشفت عن كثير من الحقائق الجديدة . ولكن لا ينكر أن لهذا العالم

فضل سبق إلى البحث العلمي الدقيق . والأحكام التي وصل إليها العلماء بعده لا تختلف بالإجمال كثيراً عن رأيه

(دو برسفال) :

هكذا زى المستشرق الفرنسي (قوسان دو برسفال Coussin de Perceval) يصدر ، بعد بضع سنوات ، حكماً مماثلاً في كتابه عن « تاريخ العرب » (١) ، الذي خصص الجزء الثالث منه لوصف حياة الرسول . ويتلخص رأيه في « أن محمداً (ﷺ) كان صادقاً ، مخلصاً ، مؤمناً بأنه مرسل لإتقاد أمته من الضلال وبعثها إلى الحياة . . » وهو قد اقتصر على استعراض ماورد في المصادر العربية دون تحليل وتقد . ولكنه كان يمتاز على المستشرقين السابقين بمعرفته العميقة للغة العربية وباطلاعه الواسع على أخبار العرب ، كما إنه استخدم مصادر جديدة لم تكن معروفة قبله . بذلك أصبح كتابه مرجعاً هاماً يستقي منه الباحثون . وإليه خاصة استند (رينان Renan) في دراساته عن الإسلام ومقارناته بين مختلف الأديان . وهو يصف الإسلام بأنه « ديانة طيمية ، فطرية ، جدية ، متساعمة ، معقولة . . . »

تطور الطريقة التاريخية — الانتقادية :

لم يكن (وايل) و (دو برسفال) يجهلان ما لحق أخبار الرواة المسلمين من تحريف وتزوير بسبب المنازعات الطائفية والاختلافات المذهبية . ولا شك في أنها يمتازان على من سبقها من المستشرقين بالسمي إلى التمييز بين الروايات الصحيحة والكاذبة . ولكن طريقتها في النقد كانت تعتمد كلياً على مجرد

(١) Coussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes . . . Paris 1847—1848.

الدوق السليم ولم تستند إلى نتائج البحث التاريخي نفسه . فيها لم يلاحظ كما ينبغي أن كتب السيرة قد تطورت في طريقة تأليفها وأسلوب كتابتها تبعاً لما حدث من تطور في العقيدة الإسلامية ذاتها . وقد غفلا عن أن الكثير من التعاليم والتقاليد التي شاعت بين المسلمين في العصور المتعاقبة وأصبحت تعتبر من صميم الإسلام لم يكن لها أي صلة بالعقيدة الإسلامية الأصلية . وقد بدأ المستشرقون ينتبهون إلى هذه الناحية حوالي سنة ١٨٦٠ كما يستدل من مؤلفات عديدة عن حياة الرسول ظهرت في ذلك العهد ، أهمها هي مؤلفات (موير) و (شبرنجر) و (فولدكه) .

(للبحث صلة)

الدكتور محمد كامل عباد



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)^(١)

- ٤ -

١٦ - ووردت في الصفحة ١٦٢ ترجمة أبي فراس علي بن محمد بن غالب العامري المعروف بمجد العرب وقد جاء فيها « شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ولبس أخيراً لبس الأتراك وتوفي بالموصل سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة » . ولم يعلق الشيخ الفاضل محقق الكتاب عليه شيئاً ، لأنه لم يعرف من سيرته ومراجع ترجمته ما يعلقه ، ولذلك بقي الخطأ لا يبدأ في سنة وفاته التي جعلته من أهل القرن الثامن للهجرة ، مع أنه من أهل القرن السادس ، ترجم له المهاد الأصفهاني المتوفى في أواخر المائة السادسة للهجرة وهل يترجم أديب من المائة السادسة لأديب من المائة الثامنة (٢) ؟ ! قال المهاد الأصفهاني : « الأمير مجد العرب مظفر الدولة أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري - رحمه الله - هو الداهية الدهياء وأعجوبة الدنيا ، يصب الشعر في قالب السحر ويُباهي الفضلاء بالنظم والنثر ... وقصائده بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق » (٣) .

(١) نشر أول هذا البحث في الصفحات ٢٧٢ و ٥٥٣ و ٧٤٩ من المجلد (٤٣) .
(٢) أزل هذا الوم قدم التحقيق في خريدة القصر « قسم الثام ج ١ ص ٧٩ » فقد نقل هذا الوم إلى الحاشية الأولى من الصفحة للذكورة وجاء فيها « توفي بالموصل سنة ٧٥٣ » .

(٣) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » مختار الخريدة ٣٣٢٦ و ٢٧ » .

وقال الهادي أيضاً : « وآخر عهدي به بالموصل سنة ٥٧٠ لابساً زي الأتراك ، جليساً للأملأك » . وقال محب الدين ابن النجار : « علي بن محمد بن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر مجيد جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ونشر فضله وأظهر نباهة » ثم نقل بأسناده من تاريخ دمشق مشافهة من مؤلفه ابن عساكر ما هذا نصه « علي بن محمد ابن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر بغدادي قدم دمشق وأنا ببغداد وسمع منه بها شيئاً من شعره صدقنا أبو الندي يضر بن ألب شاور المقرئ » وكان يذكره ويثني عليه ويصفه بالبلاغة والكرم ، ثم قال : « كتب إليّ أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وذكر موجز ما ذكر في الخريدة من سيرته ثم قال ابن النجار أو الهادي : « توفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (١) » .

وذكره ابن الفوطي في الملقين بالظفر قال : « المظفر مجد العرب أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري الأديب الشاعر ، كان من أعيان الأدباء وأماثل الشعراء (٢) » . وذكر له بيتين من الشعر ولم يذكر وفاته ، وهو أمر عجيب الوقوع من ابن الفوطي وهو مؤرخ بغدادي وابن النجار مؤرخ ببلاد وتاريخ وفاته مثبت في تاريخه (٣) .

١٧ - وكرر في الصفحة ١٧٧ التصحيف الذي ذكرته في تعقيبي على الجزء الأول وهو جعل « النيرين » مثني النيرب الموضع التزم المشهور قرب دمشق « النيرين » وذلك في قول ابن وداعة الكندي :

ويوم لنا بالنيرين رقيقة حواشيه خال من رقيب يشينه

-
- (١) التاريخ المجد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ و ١١٠١ » .
 (٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٥ الترجمة ١٢٣٥ من باب الميم من طبعة الهند » .
 (٣) ومن ذكر وفاته الصفدي قال : « وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة » .
 « الوافي بالوفيات نسخة المجمع القوي العربي بدمشق ، الورقة ١٨٢ » .

١٨ - ووردت في الصفحة ١٨٨ ترجمة « علي بن يحيى القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي ، شاعر مجيد وكانت وفاته بالديار المصرية سنة » . ولم تذكر السنة ، وقال الشيخ الفاضل في تعليقه : « لم أعر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . مع أن له ترجمة في خريدة القصر^(١) ، وقال محققو الكتاب : « نقلنا هذه الترجمة من المغرب لابن سعيد ... ولم نقلها من مختصر الخريدة لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العهد في الخريدة ... وقد توفي ابن الذروي سنة ٥٧٧ ، انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ : ٢٧ ... وحسن المحاضرة ١ : ٢٦ » .

١٩ - وردت في الصفحة ١٩٣ ترجمة « علي بن يوسف بن شيان جلال الدين المارديني المعروف بابن الصفار ، ولم يحمل محقق الكتاب على مرجع آخر لترجمته ، وقد جاء في الترجمة « وتولّى كتابة أشراف ديس ثمانى عشرة سنة » . فمن هؤلاء أشراف ديس ؟ تركهم المحقق على حالهم من التصحيف ، والصواب « وتولى كتابة إشراف دنيس ثمانى عشرة سنة » . وهو ما ذكره اليوناني ، وجاء في الحاشية القديمة من كتاب اليوناني « دنيس بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان » .

٢٠ - وورد في الصفحة ٢٤٣ « حكى أن أبا الهيجاء بن عمر بن شاهين صاحب النطيحة قال : كنت أسير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد ... » . ولم يبحث الشيخ الفاضل عن « النطيحة » هذه ما هي ؟ والقصة في فوات الوفيات تدور حول « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ما هذا نصه « وقرأت في كتاب ألفه عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير : حدثني أبو الهيجاء بن عمران بن شاهين أمير البطيحة ... » وذكر القصة ،

(١) خريدة القصر ، قسم مصر ج ١ ص ١٨٧ .

فهي البطيخة لا النطيخة ، ثم إن الشيخ الفاضل أعاد نشر وفيات الأعيان وقد وردت هذه القصة بينها في ترجمة أبي حسان المقلد بن المسيب العقيلي .
والبطيخة وجمعها البطائح كما في معجم البلدان لياقوت : « أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة ، فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات بخلاف المادة فعُجز عن سدها فبتطح الماء في تلك الديار والعمارات والزراع ، فطرد أهلها عنها . . . » . والتمة والتفصيل في المعجم .

٢١ - وجاء في ترجمة القاسم بن القاسم أبي محمد الواسطي الأديب الشاعر - ص ٢٥٩ - « وقرأ اللغة على سيد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وجاء في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلّة على عميد الرؤساء أيوب » . وأشار الشيخ في الحاشية إلى أن ترجمة القاسم واردة في معجم الأدباء لياقوت الحموي وبنية الوعاة للسيوطي ، ولكن من فوائد الإحالة الاستفادة من المقابلة ، ففي معجم الأدباء « قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شيب ، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وفي بنية الوعاة « عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . والصواب هو ما ورد في معجم الأدباء والبنية وغيرها لا ما ورد في فوات الوفيات ، قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « هبة الله ابن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء ، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر ، شيخ وقته ومتصدر بلده (١) . . . » . وقال السيوطي : « هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء (٢) . . . » ، ونقل قول ياقوت . وقال

(١) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ٢٣٤ مائة مرغوليوث » .

(٢) البنية « ص ٤٠٧ » .

كمال الدين ابن الفوطي : « عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب الحلبي اللغوي (١) ... » .

٢٢ - وورد في الصفحة ٢٦٥ في ترجمة قرواش بن مقلد العقيلي « فقام بعده أبو المالقي قريش بن بدر بن مقلد ابن أخيه » . وكنت نقلت هذه الجملة في الكلام على وفاة قرواش في النقطة الثالثة عشرة ، والصواب « قريش ابن بدران » بالألف والنون قال المهاد الأصفهاني الكاتب : « وفي سنة ٤٥٣ توفي قريش بن بدران وتولّى ولده مسلم إمارة بني عقيل (٢) » . وقال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٣ من الكامل : « ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة : في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين ... » . وقد ذكره على هذه الصورة في كامله غير مرة ، وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي وفاته في سنة ٤٥١ قال في وفاتها : « قريش بن بدران أبو المالقي ويلقب بعلم الدين أمير بني عقيل ، كان داهية بخيلاً سفاكاً للدماء بعيد النور غداراً (٣) ... » .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٢٨٨ في ترجمة لوط بن يحيى أبي مخنف الأزدي أن من كتبه « حديث روشنياد » فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب معلقاً : « في ب روشنياد وفي فهرست روستقبان » . قلت : إن الشيخ أحال بترجمته على معجم الأدباء فكان حرياً أن يقابل بين الاسمين في الكتاين أولاً ، ففي معجم الأدباء « روشنياد » على ما جاء في طبعة مرغوليوث الأولى

(١) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ ، القسم ١ ص ٩٦٦ نشرة وزارة الارشاد السورية بتحقيقي » .

(٢) زبدة النصرة في دولة آل سلجوق « ص ٢٢ طبعة مطبعة الموسوعات بالقاهرة » .

(٣) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ٦٧ » . وورد في ترجمة الأمير ابن أبي حمينة من معجم الأدباء ٤ : ٦٩ قريش بن بدران بن المفلّح بن السيب .

« ٤ : ٢٢١ » وهذا هو أقرب إلى الصحة من غيره ، والصحيح « روستقباد » بالذال المعجمة ، فقد جاء في كتاب المسالك لابن خردادبه - ص ٦ - « طستوج روستقباد » قال : « وترجمة الطسوج : الناحية » ثم قال في الصفحة ١٣ : « طستوج روستقباد » الخطئة ألف كر ، الشعر والدخن ألف وأربعمائة كر ، الورق مائة ألف وسبعون ألفاً . وتكرر الاسم في الصفحة ٢٣٥ والصفحة ٢٣٨ .

٢٤ - وجاء في الصفحة ٢٩٦ في ترجمة مالك بن نويرة ما نصه « فقتل خيرار بن الأزور مالكا وسمع خالد الداعية ، فخرج وقد فرغوا منهم » . فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه « ملقاً على الداعية : « في ب الداهية وما أثبتناه موافق لما في ث » ، قلت : « وليكن موافقاً لما في تلك النسخة فما الفائدة ؟ القارئ البتدى يحتاج إلى الصحيح فما معنى الداعية هنا ؟ الداعية هي الدعوة كالكاذبة بمعنى الكذب ، ولا حادي على استعملها هنا ، فالصحيح السليقة يذكرك أنها « الواعية » أي الصُراخ على الميت ونحوه ، ولكن الشيخ الفاضل رضي بالوجود ، ثم إن المؤلف - أعني ابن شاکر الكتبي - صرّح في أول الخبر بأنه نقله من كتاب الأغاني ، فلم يرجع الشيخ إلى كتاب الأغاني ، على حين كان ذلك من السهولة بمكان ، قال أبو الفرج : « فقتل خيرار بن الأزور مالكا ، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منه (١) » . وقال محقق ذلك الجزء من الأغاني : « الواعية الجَلْبَة والصُراخ على الميت ونفيه . - الرابعة ، وفي سائر النسخ ما عداها ومب الداعية ، صوابها من النسختين والطبري » . قلت : صوابها قبل كل شيء من السليقة المرمية والدوق اللغوي العربي وعليها اعتمدت .

(١) الأغاني « ج ١٥ ص ٣٠١ طبعة دار الكتب المصرية » .

٢٥ - وورد في الصفحة ٣١٠ في ترجمة نصير الدين الطوسي وذكر تأليفه «ورسالة أبي نجم الدين الكاظمي» فمن أبو نجم الدين الكاظمي؟ الصحيح أن «أبي» تصحيف «إلى» فهي رسالة علمية أرسل بها النصير الطوسي إلى نجم الدين، ومن نجم الدين هذا؟ مرَّ به الشيخ وهو المترجم في هذا الجزء نفسه - ص ١٣٤ - باسم «علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاظمي (كذا) ديران بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبعدها راء وألف وفون القزويني المنطقي الحكيم». وقال الشيخ مطلقاً على الكاظمي: «في ب الكاظمي». ووقف عند هذا القول، لأنه لم يجد مرجعاً تاريخياً آخر لهذا العلامة. والذي علمناه وحفظناه هو «الكاظمي» بالتاء والياء وكذلك ورد في ترجمة الصفدي له، قال: «علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاظمي ديران (بفتح الدال...) القزويني المنطقي الحكيم (١)»... وكان ابن شاكر نقل ما ذكر الصفدي بنصّه ونبي ذكر سنة مولده. وقال حاجي خليفة في «الملخص» من كشف الظنون: «الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ست وستائة وشرحه أبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاظمي (٢)»... وقد كان قال في «الشمسية» من كتابه المذكور: «الشمسية من مختصر في انطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاظمي». وقال الصفدي في ترجمة ابن واصل الحموي: «وحضر حلقة نجم الدين الكاظمي المعروف بديران المنطقي (٣)». وكرر الصفدي هذه الجملة ولم ينقص منها حرفاً في تاريخه للعبان (٤). وفذلكة القول أن

(١) الرازي بالوفيات «نسخة مجمع اللغة العربية بدمشق المصورة» ١٣١١ هـ.

(٢) كشف الظنون «طبعة وكالة المعارف التركية» العدد ١٨١٩ هـ ومنه أي من

شرح الملخص نسخة في دار كتب ليدن واسمه فيه «الكاظمي».

(٣) الرازي بالوفيات «٣: ٨٥».

(٤) نكت العيان «ص ٢٥١».

التواريخ والفهارس والاجازات أجمت على أنه «الكاتب» حتى جرجي زيدان وإن كان متأخراً لا يتخذ وحده حجة فقد قال تحت عنوان «العلوم الدخيلة في العصر المغولي: ...» في الفلسفة ١ - نجم الدين الكاتب القزويني ويعرف بديران توفي سنة ٦٥٧ له الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية (١) ...» .
وورد كذلك في كتاب الاجازات من بحار الأنوار للعلامة محمد باقر الإيراني المجلسي ، وروضات الجنات للخونساري .

٢٦ - وجاء في الصفحة ٣١١ من الترجمة المذكورة «قال شمس الدين الحريري قال حسن بن أحمد الحكيم ...» . فالمؤلف نقل قول مؤرخ من المؤرخين ، والذي علمناه وحفظناه أنه «شمس الدين الجزري» لا الحريري ، وإذا كان ابن شاكر الكتي قد اقتبس أكثر تراجم كتابه من الوافي بالوفيات فلننظر ماذا يقول في ترجمة النصير الطوسي خاصة بهذه المسألة ، قال : «قال شمس الدين الجزري قال حسن بن أحمد الحكيم (٢)» . وشمس الدين الجزري من مشهوري المؤرخين وإن لم يطبع تاريخه .

٢٧ - وورد في الصفحة عينها «والرصد البيساني في حدود الشام» . فعلق الشيخ عليه مانصه «في ث البناني» . ولم يعلم القاري الشادي أيها الصواب . وجاء في كتاب الصفدي المذكور «والرصد البناني في حدود الشام (٣)» . والكتاب مطبوع باعتناء المستشرق هـ. ريتز ، ولم يعلق ريتز عليه شيئاً ، والصواب «الرصد البستاني» نسبة إلى عبد الله محمد بن جابر الحراني البستاني ، قال القفطي : «وكان بعض أرساده التي ضمنها زيجته في سنة تسع وسنين ومائتين من الهجرة ، ومن ذلك في سنة سبع وثمانين [ومائتين]

(١) تاريخ آداب اللغة العربية «٣ : ٢٥٠» .

(٢) الوافي بالوفيات «١ : ١٨٢ طبع استانبول سنة ١٩٣١» .

(٣) الوافي بالوفيات «١ : ١٨٣» .

ولا يعلم أحد في الإسلام ، بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها ، (١) .

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل ، البتاني الحاسب النجم المشهور صاحب الزيج الصابي ، له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة ، وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلاثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين ، وكان أوحده عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه ، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له قصر الحضرم ولم أعلم أنه أسلم لكن اسمه يدل على إسلامه ، وله من التصانيف الزيج وهي نسختان أولى وثانية ، والثانية أجود ... والبتاني بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الأكفاني : بكسرها ، وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون . هذه النسبة إلى بتان وهي ناحية من أعمال حران (٢) ... » . وفي هذا كفاية للآثبات .

٢٨ — وورد في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب » وقال في الحاشية مطلقاً : « في ب حميد الرؤساء » . وقد أشرنا إلى ذلك في النقطة الحادية والعشرين وبرهنا على أن عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب لا هبة الله أيوب ولا حميد الرؤساء ولا سيد الرؤساء فأغنى ذلك عن الإعادة .

٢٩ — وورد في الصفحة ٣١٩ ترجمة من اسمه في هذه الطبعة من هذا الكتاب « محمد بن محمد بن بنان أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب ، من أهل

(١) أخبار الحكماء « ص ٢٨٠ طبعة ليزيك » .

(٢) وفيات الأعيان « ٢ : ١٩٦ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » . وقال التهمي في الشقبه : « وبكسر ذلك وقيل بالفتح والتشديد (البتاني) محمد بن جابر ابن سنان الحراني البتاني الصابي صاحب الزيج ، هلك بعد الثلاثمائة » .

مصر وأصله من الأنبار . فملّث عليه المحقق ما هذا نصه « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٣٢٨ وصماه محمد بن محمد بن أبي طاهر بن محمد بن بيان الأنباري ، وقال : توفي في ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ وله تسع وثمانون سنة ، وذكره الذهبي في وفيات ٥٩٦ محمد بن محمد بن بيان الأنباري ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بيان الأنباري . قلنا : إذا لم ينص المؤلف على الحروف المشبهة فليس لنا حق في أن نلقي العهدة عليه ، ثم إن تعليق الشيخ لم يقفنا على الوجه الصحيح في تسمية هذا العين من الأعيان ، فالصحيح الرجوع إلى الكتب الضابطة . قال الزكي المنذري في وفيات سنة ٥٩٦ : « وفي ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر توفي القاضي الأثير ذو الرئاستين أبو الطاهر محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الفضل محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الطاهر محمد بن بئان الأنباري الأصل المصري المولد والدار الكاتب ، بالقاهرة ودفن من الغد . ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسة . . . وبئان بضم الباء الموحدة وفتح النون وبمد الألف نون أخرى (١) . وقد قلنا هذا الضبط إلى حاشية ترجمته في مختصر تاريخ ابن الديلمي (٢) .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٣٢١ ترجمة أبي الحسن محمد بن محمد بن أحمد البُصروي وجاء فيها « وبُصري قرية بدجيل دون عكبرة ، كذا وردت عكبرة بالهاء ، وأشار المحقق إلى أن للرجل ترجمة في النجوم الزاهرة ومعجم البلدان - يعني في بُصري - على حين أن له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٣ : ٢٣٦ ، والمتنظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ٨ : ١٥٢ ،

(١) الكلمة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمي العراقي الصورة ، الورقة ٣ » .
 (٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديلمي « ١ : ١٢٢ طبعه المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥١ بتحقيقي » .

والوافي بالوفيات لاصفدي « ١ : ١٢٠ » . قال الخطيب البغدادي : « محمد بن محمد بن أحمد بن خلف أبو الحسن الشاعر البصري ، من أهل بصرى وهي قرية دون عكبرا ، فهي إذن إما « عكبرا » وإما عكبراء لا « عكبرة » كما جاء في فوات الوفيات بتحقيق الشيخ ، وكان الصفدي نقل قول الخطيب فقد قال : « وبصرى قرية بدجيل دون عكبرا » . وقال ياقوت : « عكبرا بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد يتد ويقصر والظاهر أنه ليس بـبري » ،

٣١ وورد في الصفحة ٣٤٣ « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود القدوخي أبو نصر الكاتب الأوائى » . هكذا ورد « القدوخي » و « الأوائى » بتشديد الشيخ للواو ، من غير أن يحيل على كتاب أو يذكر الأسباب ، لأنه لم يجد لترجمته مظنة غير هذا الكتاب ، فلماذا شدد الواو وأكد صحة الباء ؛ والصواب « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود بن أبي عبد الله ابن علي بن محمود الفروخي أبو نصر الكاتب الأوائى ^(١) » . فالفروخي وهو من الأنساب المشهورة تصحف عليه إلى « القدوخي » . والأوائى تصحف عليه إلى « الأوائى » فشدد الواو ، وقال المهاد الأصفهاني الكاتب : « السيد أبو نصر محمد بن أحمد بن محمود الفروخي الكاتب الأوائى ، من قرية يقال لها أوانا بدجيل وهي ذات سوق كالبلدة كبيرة ^(٢) » .

وقال ابن المهاد في وفيات سنة ٥٥٧ : « وفيها أبو نصر محمد الفروخي الكاتب ، كان أديباً فاضلاً ، من شمره ... » ^(٣) . وأورد له بيتين ،

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٠٩ ، ١١٠ » .

(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية ياريس ٢٣٢٧ الورقة ٨٢ » .

(٣) شذرات الذهب « ٤ : ١٨٠ » .

ولا أرى حاجة إلى ذكر الكتب الخطية كذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي وتاريخ الإسلام للذهبي وإنما أجتزئ باختصار الذهبي لتاريخ ابن الديلمي فإنه مطبوع وقد جاء فيه « محمد بن أحمد بن محمود بن الحسين الكاتب أبو نصر ، من أهل أوانا (١) - يعني الأواني - والد شيخنا محمود وكان كاتباً شاعراً توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة (٢) » . وبما ذكره ياقوت في معجم البلدان قال : « أوانا بالفتح والنون ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، زهرة من نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلفاء في أشعارهم ... وينسب إلى أوانا قوم من أهل العلم ... وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأواني ، كاتب سديد وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان منها رسالة في حسن الربيع أجاد فيها وله غير ذلك ومات بأوانا سنة « ٥٥٧ » .

٣٢ - وورد في الصفحة ٣٤٥ في ترجمة ابن سيد الناس أبي الفتح محمد ابن محمد العمري « فكاد يدرك القمر ابن السخاوي فمات ببلتين » . وفي مصدر آخر « الفخر بن النجاري » ذكرها محقق الكتاب في الحاشية وهي الصواب عندي ، وبقى تصحيف في « فمات » والصواب « فماته » أي توفي قبل وصول المترجم له إليه ببلتين ، ولو جاء قبلها لوجده حياً وسمع منه أو قرأ عليه .

٣٣ - وجاء في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة أبي البر الهاشمي « وعلى رأسه قطعة رقة حبك مشدود بالشوطة » . وهذه الجملة العربية أحالها التصحيف

(١) قلت في الحاشية : « قال ابن عبد الحق في المراد : بليدة من دجيل كثيرة البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من فوقها ، تحاذي عكبرا ، كانت بينهما الدجلة واستحال عنها » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : « طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي » .

إلى النبطية والسليقة العربية تحكم بأنها في الأصل « وعلى رأسه قطعة رثّة من جبل مشدود بأنشودة » . أو أنها « وعلى رأسه رُمّة جبل مشدود بأنشودة » . فشرح بعضهم الرُمّة بالقطعة فأدخلها الناسخ في الأصل ، على ما أحسب .

٣٤ - وجاء في الصفحة المذكورة « وفي كتاب بئر الدر باقي فوائده » . ولم يبحث المحقق عن كتاب بئر الدر ولا عن مؤلفه ، والصواب « ثر الدر » أو « ثر الدرر » بالنون ، جاء في كشف الظنون « ثر الدرر في المحاضرات لأبي سميّد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنة [٤٢٢] في سبع مجلدات كلها بخط بليغة على عدة أبواب لم يجمع مثله ... » . وهو كتاب معروف مشهور منه أجزاء في دور كتب المالمين وخزائنها .

٣٥ - وورد في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة ابن الظهير الإريلي محمد بن أحمد الأديب « وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة » . وإذا كان الشيخ الفاضل أحال بترجمته على الوافي بالوفيات والجواهر المضيئة لزمته الاستفادة من الإحالة ، ففي الوافي بالوفيات ١ : ١٢٣ « ولما توفي سنة سبع وسبعين وستمائة دفن بمقابر الصوفية » . والفرق عشرون سنة ، وما في الوافي هو الصواب ، أما إحالته على الجواهر المضيئة فأخذها من حاشية ترجمته في الوافي بالوفيات وهي لمحقق ذلك الكتاب ، أعني الوافي ، وهي إحالة ناقصة ومفلوطة في أرقامها ، أما نقصانها فإن ترجمة هذا الأديب ماثورة في الكتاب على حسب ترتيب اسمه « ١٩ : ٢ » فلم يقف عليها محقق الوافي بالوفيات بل أحال على ترجمة ثانية له في الجواهر المضيئة في باب « ابن فلان » وفيها سنة الوفاة قد سقط رقمها الأوسط فجاءت « ٦٠٧ » وأما سنة وفاته في ترجمته الأصلية فهي سنة « ٦٧٧ » كما في الوافي بالوفيات ، وقال المقرئ في وفيات سنة ٦٧٧ : « وتوفي مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر ابن الظهير الإريلي

الحنفي عن خمس وسبعين سنة بدمشق (١) ، ، ووم ابن الهاد قد لقبه « الظهير » ، مع أنه لقب أبيه قال في وفيات سنة ٦٧٧ : « وفيها الظهير العلامة بجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الاربلي الحنفي الأديب . ولد سنة اثنتين وستائة بربل . . . (٢) » . ثم إن عمره معلوم وهو « ٧٥ » سنة . ووردت في الصفحة ٣٧٧ ترجمة « بهاء الدين كافي الكفاة أبي المعالي محمد ابن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب المؤلف صاحب التذكرة المشهورة التي هي من أمتهات كتب الأدب أو أماتها على قول بعضهم ، فملق الشيخ الفاضل على اسمه ما هذا نصه : « له ترجمة في الوافي ٢ : ٣٥٧ وفي بنية الشمس ، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة ٦٢٦ بتحقيقنا) . وفي شذرات الذهب ٥ : ٣٢ وسماه الحسن بن محمد بن الحسن وذكر وفاته في سنة ٦٠٨ » .

قلت : الذي ذكره مؤلف الشذرات وأشار إلى اسمه الشيخ الفاضل هو ابنه « الحسن » الأديب المتصرف المشهور عند المختصين بالتاريخ ، لا هو ، وإنما تابع ابن الهاد شمس الدين الذهبي - رحمه الله تعالى - في وهمه بإسناده تأليف التذكرة إلى الابن (٣) لا إلى الأب مؤلفها بإجماع المؤرخين ، وإجماع نسخ الكتاب الخطية ، وقد ناقض ابن الهاد نفسه بمزوره التذكرة إلى الحسن ابن حمدون ، فإنه قد ذكر الوالد مؤلفها في وفيات سنة ٥٦٢ وفات الشيخ وجدان ترجمته بسبب من أسباب الغفلة التي تعرض لكل إنسان ،

(١) اللوك « ج ١ ص ٦٥١ » .

(٢) الشذرات « ٥ : ٣٥٩ » .

(٣) وذلك في كتايه « المعبر في خبر من عبر » ج ٥ ص ٢٧ وتاريخ الإسلام .

قال ابن العماد في وفيات تلمس السنة : « وفيها محمد بن الحسن بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية ، ولأتم المستنجد ديوان الزمام ، ووقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات قوم غضاضة من الدولة ، فأخذ من دست منصبه وحبس إلى أن رُمس (١) » .

أمّا ابنه الحسن بن محمد بن حمدون الذي ظنّه الشيخ إياه فأشهر من أن يذكر ، ترجم له ياقوت الحموي ترجمة مفصلة (٢) ، قال : « الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب ، قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء . . . » . هكذا قال ياقوت مع أن ترتيب كتابه معجم الأدباء ليس على ترتيب كتب التاريخ التي تقدم أسماء الحمدين لشرف هذا الاسم ، فياقوت نقل هذه المقدمة من تاريخ آخر (٣) وما علقها ولا فكر في دلالتها ، فكيف تقدم اسمها وترتيبه يوجب إيرادها في جزء الحمدین المتأخر عن هذا الجزء ؟

هذا وقد وردت ترجمة أبي سعد الحسن بن محمد بن حمدون في مختصر تاريخ ابن الديلمي الذي اختصره الذهبي (٤) ، وذكره عز الدين ابن الأثير

(١) الشذرات « ٢٠٦ : ٤ » .

(٢) معجم الأدباء « ٢٠٩ : ٣ » طبعة سرغوليوت الأولى .

(٣) الظاهر لي أنه نقلها من ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي والتاريخ المجدد لمدينة السلام فابن الديلمي قال في ترجمة الحسن : « وقد تقدم ذكر أبيه وجده » . وعنى بجدّه الحسن بن محمد بن علي بن حمدون وقد ترجم له .

(٤) المختصر المحتاج إليه « ٢٣ : ٢ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي .

في وفيات سنة ٦٠٨ قال : « وتوفي أيضاً أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ابن حمدون التغلي المدوي وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالماً » . وقد كان ذكر أباه في حوادث سنة ٥٦٢ ووفاته مسجونا .

٣٧ - وجاءت في الصفحة ٣٨٣ ترجمة « شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف الموصللي الأديب المُفْتَنُّ المشهور ، الذي اختلط شعره بترجمة إبراهيم بن سليمان بن حمزة ابن التجار الدمشقي المجود المتوفى سنة ٦٥١ بعد تواليه تقابة الأشراف (١) ، مع أنه كان في هجاء أحمد بن البيهقي المتهم بالزندقة القتل عليها سنة ٧٠١ » بين القصرين (٢) ، وجاء في ترجمة ابن دانيال ما هذا نصه « وكانت وفاته بالديار المصرية في شهر سنة ثمان وستائة » . فكيف يهجو المتوفى سنة ٦٠٨ رجلاً قتل سنة ٧٠١ ؟ ثم إن ابن شاكر قال في ترجمة ابن دانيال هذا : « قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هو ابن حجاج عصره وابن مسكرة مصره ... » . ولم يراجع الشيخ الفاضل ترجمة ابن دانيال في تاريخ الصفدي للرجال وهو الوافي بالوفيات « ٥١ : ٣ » لأنه لم يحمل عليه في الحاشية ، وترجمته واردة في تاريخ رجال القرن الثامن لابن حجر ، قال ابن حجر : « مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ » (٣) . وفي تاريخ ابن تقي بردي في حكام مصر قال ابن تقي بردي في وفيات سنة ٧١٠ « من تاريخه الموصوف : « وتوفي الحكيم الأديب البارح شمس الدين محمد بن دانيال الموصللي صاحب النكت الغريبة والنوادر المعجبة وهو مصنف

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب « ص ٨ - ١٠ » .

(٢) راجع الجزء الأول أيضاً « ص ١٣٤ » .

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٣٦ : ٣ . م (٥)

طيف الخيال (١) وفي تاريخ القرظي الكبير فقد قال في وفيات سنة
 « ٧١٠ » منه : « ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف
 ابن معنوق الخزاعي الموصل في ثامن عشرين (٢) جمادى الآخرة ، ومولده
 بالموصل سنة سبع وأربعين وستائة وكان كثير المجون (٣) وفي تاريخ
 ابن العماد الحنبلي فقد ترجم له في وفيات سنة ٧١١ قال : « وفيها الأديب
 الخليل الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال مؤلف كتاب طيف الخيال (٤) ... » .

مصطفى جواد

(بغداد)

يتبع :



-
- (١) النجوم الزاهرة « ٢١٥ : ٩ » .
 (٢) أي الثامن والعشرين .
 (٣) السلوك « ج ٢ ص ٩٥ » .
 (٤) الشفراء « ٢٧ : ٦ » .

شعر

الوقوف على الأطلال

مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ

- ٤ - (١)

٣ - تخريب الديار

من المعاني العامة الأساسية في شعر الوقوف على الأطلال ذكر خراب الديار واندثار بقاياها بعد رحيل أهلها . وقد ألح الشعراء على هذا المعنى ، فذكروه كثيراً في أشعارهم ، حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة في الوقوف على الأطلال . والصفة العامة التي تشترك فيها الديار وبقاياها جميعاً في هذا الشعر هي صفة القدم والبلى . كما أن الصفة العامة التي تشترك فيها جميع التشبيهات والتصاویر التي أتى بها الشعراء في معرض وصف الديار وبقاياها هي صفة القدم والبلى أيضاً .

وقد ذكر الشعراء في عرضهم هذا المعنى الأسباب في خراب الديار واندثارها . فحاولنا استقراء هذه الأسباب ، فانتهى بنا الاستقراء إلى أن الشعراء يرجعون خراب الديار إلى عاملين اثنين . أحدهما تقادم العهد ومرور الزمن ، وثانيها حوادث الطبيعة .

أما تقادم العهد ومرور الزمن فقد جعله الشعراء سبباً لخراب الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، ولكنهم لم يهتموا به كثيراً ، ولم يقفوا عليه

(١) نهر القسم الأول في الصفحات ٣٥١ و ٦٣٥ و ٨٤٩ من المجلد (٤٣)

طويلاً ، فما كان يرد في أشعارهم إلا الفينة بعد الفينة . وما كان ذكراً له
مع ذلك إلا سريعاً خاطفاً ، لا يعتمد على تصوير أو تشبيه ، ولا يمدو
الإشارة المأثرة . قال عبيد بن الأبرص (١) :

تَشَرَّتِ الدِّيارُ بِذِي الدِّفينِ فَأَوْدِيَةِ اللَّتوى ، فرمالٍ لِينِ
فَخَرَجَتِ ذِرْوَةٌ ، فَقَفَا ذِيالٍ يُعَفِّي آيَةً سَلَفُ السَّنِينِ (٢)
فقد تغيرت آيات الديار وتعت ، لأن مرّة السنين قد بعدت بها عن أيام
غناها بأهلها وساكنيها .

وأما حوادث الطبيعة فقد جعلها الشعراء سبباً لخراب الديار أيضاً ،
وذكروها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها وأفرطوا في
ذلك ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . وحوادث الطبيعة التي اعتاد الشعراء
أن يذكروها منذ الجاهلية ، ولم يكادوا يخرجون عن ذكرها في المصور
التالية ، هي الرياح وما تثيره من التراب والرمال ، والسحاب وما ينشأ عنه
من الأمطار والسيول . قال النابغة الذبياني (٣) :

أَمِنْ ظِلَامَةِ الدِّمَنِ الْبوالي بِمُرْقَضِ الْحَيِيِّ إِلَى وَعَالٍ
نَعَاوَرَهَا السَّواري وَالنَّوادي وَمَا تُذْري الرِّيحُ مِنَ الرَّمالِ (٤)

* * *

ذكر الشعراء فيما يتعلق بالرياح أنها تمنى الديار ، وتمحوها بما تسفي عليها
من الحصى والتراب والرمال ، فتدفعها وتخفيها عن العيون . وقد عدّوا في

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) الحرج بنى الوادي هاهنا . وآية : أي علاماته وآثاره ، واحداً آية .

(٣) ديوانه ٦٤ .

(٤) السواري : السحاب التي تنشأ في الليل ، من سري يسري ، إذا سار ليلاً .
والنوادي : السحاب التي تنشأ في القداة ، أي الصباح ، من غدا يندو ، إذا
سار في القداة .

ممرض ذلك أكثر أنواع الرياح المعروفة عند العرب ، ومنها الرياح اللينة اللطيفة مثل ربح الصبأ ، ومنها الرياح الشديدة الضيفة مثل ربح الشمال . وذكروا منها أيضاً الرياح التي تهب في فصول السنة المختلفة ، كالمصايف وهي الرياح التي تهب في الصيف ، والرابع وهي الرياح التي تهب في الربيع . وقد عمد الشعراء في ذكر الرياح إلى شيء من الوصف والتصوير . فشبهوا أنفها بحنين النوق وهي تحين^(١) إلى أولادها التي 'سليت' منها حيناً حزناً موجماً . قال إياس بن عامر أعشى طرود^(٢) :

وعرصة^(٣) الدار تستن^(٤) الرياح بها تحين^(٥) فيها حنين^(٦) الوثة السلب^(٧)
والتشبيه واقع بين حنين النوق الحزين الرقيب وبين دوي الريح الكتيب الرقيب حين هبوبها ومرورها بالديار . ولم يكثر الشعراء من تشبيه صوت الرياح بحنين النوق ، فلم ترد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال إلا نادراً . وربما كان السبب في ذلك دقة هذه الصورة ، وحاجتها إلى حس رفيف دقيق ، يخترق حجاب الواقع المنظور إلى ما لا تراه العينان .

على أن هؤلاء الشعراء قد أكثروا في وصف تخريب الديار من تشبيه الرياح بالمروس وبأذيال ثوبها التي تجرها وراءها . قال الأسود بن يعفر في ذلك^(٨) :

جرئت^(٩) بها الريح أذيالاً مظهرَةً كما تجر^(١٠) ثياب^(١١) القوة العرس^(١٢)

(١) ملحقات ديوان الأعشى ٢٨٤ .

(٢) تستن الرياح بها : أي تسرع فيها .

(٣) ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ ، والمان (فو) .

(٤) القوة : عروق نبات يستخرج من الأرض ويصنع بها الثياب . والعرس : جمع مروس .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

جرت عليها رياح الصيف ، فاطردت^(٢) والريح فيها تمنعها بأذيال^(٣)
فالريح تمر بالديار وقد جرت وراءها سحبا من التراب والرمال ، تلمس
بها آثار الديار ، كما تجر العروس أذيال ثوبها خلفها ، وتلمس بها آثار
أقدامها على الأرض .

وقد لاحظ الشعراء حركة الرياح الدورية في دفن آثار الديار بما تحمله
من التراب والرمال ، ثم الكشف عنها بنسف التراب والرمال . فكما دفنته
هذه بالرمال سفرت عنه الأخرى الرمل وأظهرته . لاحظوا هذه الحركة
الدائمة ، وشبهوها بعمل النسج ، نسج الثياب .

قال امرؤ القيس في مطلع معلقته (٣) :

قفا بك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط التوى بين الدخول فحول
فتوضّع فاليقراءة لم يعف رسمها لما تسجتها من جنوب وشمال^(٤)
فشبه حركة الرياح الدورية من جنوب مرة وشمال مرة بعمل نسج الثياب ،
لأن الحائك يداول في حركته أثناء النسج بينة مرة ، ويسرة أخرى .
وقال ذو الرمة في ذلك أيضاً (٥) :

خليلي ، عوجاً عوجةً ناقيكاً على طلل بين القلات وشارع
به ملب من مئصيفات تسجته كنسج اليابني برودة بالوشائع^(٦)

(١) ديوانه ١٠١ .

(٢) جرت عليها : أي جرت الرياح التراب عليها كما تجر العروس أذيال ثوبها .

(٣) ديوانه ٨ .

(٤) تسجتها : تعاقبت عليها مرة هذه ومرة هذه . والجنوب : ريح الجنوب .
والشمال : ريح الشمال .

(٥) ديوانه ٣٥٥ .

(٦) المصطفات : الرياح الشديدة . والوشائع : لثاق التزلج ، وانحنائها ومجبة .

فالرياح العاصفة تلمب بالديار ، وتنسج آثارها بألوان وأشكال مختلفة كما ينسج الصانع الياني الثوب ، ويزينه بالوشائع . والصورة هنا تختلف عن الصورة الأولى ، لأن امرأ القيس اهتم بالحركة ، وعُني برسم حركة المداولة في هبوب الرياح على آثار الديار ، وفي عمل الحائك في نسج الثوب ، بينما اهتم ذو الرمة بالألوان والأشكال الحادثة من عصف الرياح بآثار الديار ، ومن تزيين الصانع ثوبه بالوشائع حين نسجه .

* * *

وأما فيما يتعلق بالسحاب وتخريبها الديار فقد جعل الشعراء السحاب تعني الديار بما ينشأ عنها من أمطار وسيول تمحو الرسوم ، وتجرف الدمن ، ونهلم النشي . وقد أكثروا من وصف السحاب والأمطار والسيول في معرض وصف تخريب الديار . وأكثروا من ذكر أنواعها وأشكالها وألوانها ، دون أن يمدوا كثيراً إلى التصوير والتشبيه . ولكنهم وصفوا خلال ذلك العواصف وثورات الطبيعة وزحف السحاب وهطول الأمطار ، فأثروا من ذلك بصور جميلة شيقة ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . ولقد فاق الأخطل أصحابه في ذلك كله . وهذا وصف له لعاصفة هبت على آثار ديار أجبته (١) :

دِمنٌ تذعذعها الرياحُ ، وقارةٌ تُسقي بمرتجيز السحاب ثقال (٢)

باتت يمانيةٌ الرياح تقسوده حتى استفاد لها بغير حبال (٣)

(١) ديوانه ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الدمن : الآثار التي يتركها الناس في الديار ، واحدها دِمنة . وتذعذعها : تفرقها .

(٣) هبده : أي تعود الرياح السحاب .

في مظلم غَدَقَ الرِّبَابُ ، كأنما يَسْتَقِي الأَشَقُّ وعالجاً بدوالي (١)
فهو يصور هنا عاصفة قاتمة ، نرى فيها الرعد مرتجزاً مدوياً ، والسحاب
متراكماً ثقيلًا ، تدفقه الرياح الهائجة ، فيتدافع ويقبل بالمطر غزيراً كثيفاً ،
وقد أظلم الجو ، واسودت جوانب السماء . وكل ذلك في لفظ يسير ، وجل
قليلة قصيرة ، تمضي سريعة كسرة العاصفة الهائجة .

٤ - الحيوان الذي يألف الديار

كان العرب في الصحراء يتوخَّون في الأرض التي يتزلونها الخصب
والإنبات وملاءمة شروط الحياة . ولذا كانوا يختارون أخصب الأماكن ،
وأغناها بالماء والكأ لتزولهم . ويبدو لنا أن وحوش الصحراء كانت تألف
هذه الأراضي أيضاً ، وتوطن بها ، بعد أن يخليها أهلها ، ويرحلوا عنها .
كان لها غريزة تشبه غريزة الإنسان في البحث عن المكان الملائم لشروط حياتها .
وكان العرب يمشون في أسفارهم ورحلاتهم بالديار التي همجروها ، فيرون
الحيوانات تسرح وترتع في الأماكن التي عمروها في الأيام الماضية ، وقضوا
فيها شطراً من حياتهم ، يرونه عزيزاً غالياً ، فكان ذلك يؤلمهم ويشير في
نفوسهم ذكريات حلوة جميلة . ولذا كان الشعراء يذكرون هذه الحيوانات
التي أوطنت بديارهم في شعر الوقوف على الأطلال ، كأن نفوسهم تأمى لذلك ،
وكان لسان حالهم يقول : ما أقسى صروف الأيام ! لقد عمرنا هذه الديار
حيناً من الدهر ، ثم اضطررنا لهجرها ، فسكنتها بعدنا الوحوش . وكأنا

(١) في مظلم : أي في سحاب مظلم ، والسحاب المظلم يكون مليئاً بالماء . والغدق :
السحاب الغزير المطر . والرباب : السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب .
والأشَقُّ وعالج : موضحان . والدوالي : جمع دالة ، وهي العيولاب يدبرها الثور ،
أو الناعورة لشيء الأرض .

بهؤلاء الشعراء يضمنون بهذه الديار على الوحوش ، لأن فيها بقية من ذكريات حياتهم الماضية ، مازالت أطرافها تتردد جاثية ذاهبة في ساحاتها وجنابتها .
ومها يكن من أمر فقد ذكر الشعراء الحيوانات التي تألف الديار في شمر الوقوف على الأطلال ، وأكثروا من ذكرها ، حتى جعلوا ذلك معنى من المعاني اللازمة التي وردت في هذا الشعر على مدى العصور .
وحوانات الصحراء قليلة ليست بالكثيرة . ومن استقرأ شعر الوقوف على الأطلال نجد أن الشعراء لم يذكروا فيه سوى البقر الوحشي والظباء والنعام ، وصغار هذه الحيوانات أحيانا ، ثم الطيور ، ولا سيما الحمام . وقد أكثر النزلون البداة من ذكر الحمام ، وتغنوا بصوته خاصة دون غيرهم من الذين سبقهم أو الذين جاءوا بعدهم .

ويمكننا أن نقول إن الشعراء قد ذكروا هذه الحيوانات في معرض وصف الديار بالخلو والإفقار . مرة يقولون إن الديار خالية مقفرة ، ليس بها أحد سوى قطيع من البقر ، أو سرب من الظباء ، أو إجل من النعام ، كما قال المرقش الأكبر (١) :

أمست خلاء بعد سكانها مقفرة ما إن بها من إرم^(٢)
إلا من العين رعى بها كالفارسيين مشوا في الكمم^(٣)
بعد جميع قد أرام بها لهم قياب^(٤) ، وعليهم نعم^(٤)
ومرة يقولون إن الديار قد أفقرت من ساكنيها ، وتبدلت بهم الحيوانات ،

(١) الفضليات ٢٢٩ .

(٢) من إرم : أي من أحد .

(٣) العين : بقرات الوحش ، واحدتها عيناء . والكم : الفلانس .

(٤) الجميع : القوم المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعليهم نعم : أي لهم أنعام

تروح عليهم ، وهي الإبل .

كما قال النابغة الذبياني (١) :

عهدتُ بها حياً كراماً فبدلتُ خناطلَ آجالِ النعامِ الجوافلِ (٢)
 ترى كلَّ ذئبالٍ يمارضُ رَبرباً على كلِّ رَجَافٍ من الرملِ هائلِ (٣)
 يثرن الحصى حتى يباشرنَ برده ، إذا الشمسُ مدتْ ريقها، بالكلاكلِ (٤)
 وقد وصف الشعراء هذه الحيوانات بصفات كثيرة ، وشبهوها في أثناء
 ذلك تشبيهات مختلفة ، حسب أنواعها كما رأينا في المثالين اللذين ذكرناهما .
 ولكنهم لم يقفوا على صور مميّنة يتداولونها ، ولا يخرجون عنها ، كما كان
 الأمر في وصف الديار وتصويرها مثلاً . ونحن نذكر ، إلى المثالين السابقين ،
 طرفاً من هذه الشبيهات على سبيل المثال .

شبهَ طريقة النعامِ بالإماء ، وهن يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن
 في قوله (٥) :

حابي رسمٌ وقفتُ به لو أطيع النفسَ لم أرمهُ
 لا أرى إلا النعامَ به كالإماء أشرفتُ حُرْمهُ
 والصورة طريفة جداً ، فالنعام قوائمه طويلة ، تبدو دقيقة بالقياس إلى
 جسمه الثقيل المشرف ، ويزيده إشرافاً ريشه المتدلي على جانبيه . وهو

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الخناطل : الجماعات ، واحدتها خنطة وخنطل . والآجال : قطعان النعام ،
 واحدتها إجل .

(٣) الذئبال : ثور الوحش الطويل الذيل والبرب : قطع بقر الوحش . والرجاف
 من الرمل : الذي يتحرك وينهار حين وطئه من لينة . والهائل : الذي ينال .

(٤) ريق الشمس : لعابها وهو يبدو في الهجرة كأنه يسيل من شدة الحر .
 بالكلاكل : أي يثرن الحصى بالكلاكل ، وهي الصدور ، واحدتها كلاكل .

(٥) ديوانه ١٥٠ .

يُشَبَّه بهذه الحالة الإمامة اللواتي يحملن حزمَ الخطب على رؤوسهن ، فتبدو أجسامهن دقيقة رقيقة تحت هذه الحزم العريضة الشرفة .

وشبهَ عبيد بن الأبرص الأطباء بأباريق الفضة في قوله (١) :

بُدِّلَتْ مِنْهُمْ الدِّيارُ نِعاماً خاضباتُ رُجَينٍ خَيْطُ الرِّثالِ (٢)
وِظباءُ كَأَنَّهُنَّ أَباريقُ لُجَينٍ ، تَحْنُو عَلَى الأَطفالِ
والصورة هنا طريقة جداً أيضاً . والأطباء تشبه أباريق الفضة حقاً بطول أعناقها وحنها في دقتها ورقتها ورشاقتها وبياضها .

وقد أكثر الشعراء من وصف بقر الوحش بالعَيْن وطول الذيل والخَنَس . قال النابغة الذبياني (٣) :

أَهاجَكَ مِنْ سَعْدائِكَ مَغْنَى المَهادِ بروضة تُشْمِي فِذاتِ الأَساودِ
تَماوَرَّها الأَرواحُ يَتَسَيِّفُنَ رَبَّها وكلُّ مُلَيْتٍ ذِي أَهاضيبَ راعِدِ (٤)
بِها كُلُّ ذِيئالٍ وَخَنساءَ تَرعوي إلى كُلِّ رَجائِفٍ مِنَ الرَمَلِ قارِدِ (٥)

وهم قد أكثروا أيضاً من وصف هذه الوحوش بأنها متوشية الأكارع ، ولا سيما الشعراء الأمويون ، حتى صار ذلك شبه قاعدة عامة عندهم .

(١) ديوانه ١٠٦ .

(٢) خام خاضبات : خضب الكلاً سيقانها في الربيع . والخيط : جماعة النعام .
والرثال : فراخها ، واحدها رآل .

(٣) ديوانه ٣٣ .

(٤) تماورها : تداولها هذه مرة ، وهذه مرة . واللك : السحاب يكون مطره دائماً . والأهاضيب : دفنات المطر .

(٥) الخنساء : بقر الوحش التي في أمها خَنَس . وترعوي : تطف وترجع .
والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار ليه .

قال الأخطل (١) :

فما به غير مَوْثِيٍّ أكارعه إذا أحسَّ بشخص نائيٍّ مَثَلًا (٢)
يرعى بخينفٍ أحيانًا ، وتضمّره أرضٌ خلّاءٌ وماءٌ سائلٌ غَلَلًا (٣)
والشراء منذ الجاهلية قد اعتادوا كذلك عند ذكر هذه الحيوانات
أن يذكروا معها صغارها أحيانًا ، وهي تتبع أمّاتها ، أو تمشي أمامها .
قال زهير (٤) :

هاج القوّادُ مطارفُ الرسمِ قفر بذى الهضبات كالوشمِ (٥)
تعتاده عينٌ مَلَمَّةٌ تزجي جاذرها مع الأُدمِ (٦)

(يتبع) الدكنور هزة من



(١) ديوانه ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) مَوْثِيٍّ أكارعه : أي نور في قوائمه سواد وياض . ومثل : أي إذا أحس
بشخص آتٍ زال عن موضعه .

(٣) خينف : وادٍ بالجزيرة . وسائل غَلَلًا : أي يسيل متعللاً من مكان إلى مكان .
(٤) ديوانه ٣٨٢ .

(٥) مطارف الرسم : علاماته المعروفة .

(٦) العين : بقرات الوحش ، واحتبا عينا ، سميت بذلك لسة أحداقها . والملمة :
التي يخالع تخالف سائر لونها . والجاذر : أولادها ، واحدا جؤذر . والأدم :
الظباء البيض .

أبو علي القالي و كتابه الاثمالي

هو أبو علي القالي البغدادي . واسمه اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان . وجدته سلمان هذا مولى عبد الملك ابن مروان الأموي (١) . ولد سنة ٢٢٨ هـ ، ٩٠١ م . وقيل سنة ٢٨٠ هـ في بلدة « منازجرد » أو « منازکرد » ، في إرمينية من أعمال ديار بكر بالقرب من بحيرة « وان » ، التي تقع شرقي الفرات . ومنازجرد — كما يقول ياقوت — بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم (٢) ، وأهلها أرمن وروم ، وفيها قلعة عرفت بهذا الاسم . غير أننا لا ننجح إلى رأي ياقوت الذي ينعت منازجرد بأنه مشهور ، بدليل أن أبا علي نفسه عسدل عن الاقتساب إليه وآثر بلداً آخر أكثر شهرة وهو « قالي فلا » ، الذي كان مركزاً للمجاهدين والغزاة المسلمين . وإلى منازجرد ينسب الشاعر أبو نصر المنازي صاحب الأبيات المشهورة في وصف الطبيعة ، ومنها قوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف النيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوة المروضات على الفطيم
يروع حصاء حالية المذارى فتلس جانب العقيد النظيم

وحين بلغ أبو علي الخامسة عشرة من عمره شمر أن منازجرد القصية لا تتسع لمطامعه فشد الرحال إلى بغداد طلباً للعلم ، وكانت منتجع الأدباء

(١) انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ . وفي إنباء الرواة ١ : ٢٠٧ لا يرد ذكر سلمان بل سليمان عوضاً عنه ، كما يذكر الحميدي في جنوة القتبس أن جده سليمان كان مولى محمد بن عبد الملك .

(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٠٢ . وخلاط كما يذكر ياقوت عاصمة إرمينية .

وقبله الطلاب والمريدين ، وفي إيهام مساجدها كان يتربع شيوخ اللغة والأدب والنحو .. ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي . وقد روى أبو علي نفسه قصة رحلته ولقبه لتليذه أبي بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » ، فقال :

« رحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثئة ، فأقمت بالموصل ، وكتبت عن أبي يعلى الموصلي وغيره . ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثئة ، فأقمت بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثئة ... » قال الزبيدي : « وسألت أبا علي لم قيل له القالي ؟ فقال :

« لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رُقعة ، فيها أهل قالقلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثمر ، ورأيت الناس يعظمونهم . فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قالقلا وهي قرية في منازلجرد ورجوت أن انتفع بذلك عند العلماء فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي ،

وفي هذا النص ما ينم على عصامية القالي ، وأنه وهو الغريب في بلد كبير مثل بغداد كان عليه أن يبدأ الطريق من أوله وأن يجد له مكاناً بين الزحام ، حتى قبيض له أن يبلغ أقصى درجات الشهرة في الشرق والغرب . ونحن لا ننرف الكثير عن هذه المرحلة من حياة أبي علي مرحلة إقامته بالمراق . وبومنا القول إنه استطاع أن يقدر صلات علمية وثيقة مع شيوخ العلم في الموصل وبغداد ، وأن نباهته لفتهم إليه وجعلته مقرباً إليهم . وأغلب الظن أن شهرته أخذت تستفيض بعد وفاة أكر شيوخه وبخاصة ابن دريد صاحب كتاب « الجمهرة في اللغة » . وإذا ذاك استقل أبو علي " بشخصيته وتم له النضج ، وغدا بذكائه واقتداره في الرواية وتمكنه في اللغة ذا شأن في بغداد . يؤيد ذلك ما تذكره كتب الأدب

والتراجع من أمر إرسال خليفة قرطبة الأموي إليه يستدعيه وهذا يعني استفاضة شهرته حتى بلغت الأندلس . وقد يكون من أسباب إثاره دون سائر العلماء بهذه الدعوة السامية أن جده البعيد سلمان أو سليمان في بعض الآراء كان مولى لعبد الملك بن مروان الأموي . غير أن بروكلمان يمنع إلى خلاف هذا الرأي ، فيرى أنه لم ينبه للقالى ذكر في بغداد وأنه لما لم ير بعد دأب خمس وعشرين سنة أن دراساته قد أبتع ثمرها وآت أكلها عول على الرحيل إلى بلاد المغرب^(١) . ويبدو أن بروكلمان يفترض أن أبا علي رحل عن المراق مهاجراً يائساً ، وبغفل أمر دعوة الخليفة الأندلسي له ، وفرق كبير بين هذا الحافز وذاك .

ومها يكن من أمر فقد كان خروج أبي علي من بغداد قاصداً إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ وكانت سنة يومئذ تناهر الأربعين . وقد مر أبو علي بأرض مصر حيث علم ب وفاة احمد بن عبد ربه^(٢) صاحب كتاب د المقد الفريد ، ثم بلغ المغرب ووصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ بعد نحو ثلاث سنوات ، فاستقبل استقبالاً عظيماً وكان في مقدمة مستقبليه الأمير الحكم ولي العهد ولقيف من وزراء والده الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ولاية الأندلس من الأمويين في قرطبة ، وكان أول من تلقب بالقب الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وأقوى من حكم الأندلس . وكان الناصر قد استدعاه بعد أن بلغت شهرته وعلم فضله ، فوكل إليه أمر تعليم ابنه ، وعهد إليه بتربيته وتهذيبه ، وفتلقاه الحكم بالجميل ، وحظي عنده ، وقرب منه ، وبالغ في إكرامه . ويقال إنه هو كان قد كتب إليه ، ورغبه في الوفود عليه . وكان قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت إليه ، يمشي على

(١) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٨ .

(٢) تراث الإنسانية ، العدد الأول من المجلد الخامس . بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

التأليف وينشطه بوسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط والإكرام، (١) وبعد الحكم بن عبد الرحمن من أشد ملوك الأندلس شغفاً بالعلم وأكثرهم اشتغالا به وحرصاً عليه . وبعضهم يمزو إلى القالي هذا الفضل وأنه غرس في نفس تلميذه الحكم حب المعرفة (٢) ، ولكننا لا نذهب إلى هذا المدى في تأثير أبي علي في الحكم ، لأن الحكم كان في الثامنة والعشرين من عمره سنة وصول أبي علي إلى الأندلس (٣) .

استوطن أبو علي قرطبة ونشر علمه بها وألف فيها أكثر كتبه ، وفي طلبتها كتاب الأمالي والنوادر وكتاب البارع في اللغة ، وكان يولي معارفه أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، « فاستفاد الناس منه وعوتلوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله » .

وكما عرف أبو علي في المراق وسائر المشرق بالقالي عرف أيضاً بالبغدادي بين أهل المغرب والأندلس بمد رحيله اليهم . وقد يرى بعض الباحثين في إطلاق المغاربة الأندلسيين لقب البغدادي على أبي علي ما يشير إلى مذهبه في اللغة والتحو والتصريف الذي اشتهر به نتيجة إقامته في بغداد وأخذه عن عدد من الشيوخ البغداديين في المراق . فكأنه الناقل لهذا المذهب البغدادي والمبشر به في المغرب والأندلس . غير أننا لانجح إلى هذا الرأي لأسباب؛ منها أن مدرسة بغداد لم تكن مدرسة متميزة بالمعنى الدقيق وذات ملامح بارزة كما كان شأن مدرستي الكوفة والبصرة المتنافستين ، ولكنها

(١) جنوة القيس في ذكر ولاية الأندلس ١٥٥ .

(٢) ينجح الأستاذ أحمد أمين إلى هذا الرأي في كتاب « ظهر الإسلام » ٣ : ٨٦ - ٨٣ .

(٣) تولى الحكم خلافة الأندلس من ٣٥٠ - ٣٦٦ سنة وفاته ، وكان مولده

سنة ٣٠٢ .

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

خصيلة مشتركة للتفاعل العلمي بين البصريين والكوفيين ، وإن كان الميل إلى البصريين غالباً عليها . يؤيد ذلك ما نجده في العديد من كتب السلف من تجاوز لمذهب بغداد ، مثل كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر الزبيدي ، فقد ميز البصريين من الكوفيين ثم أتبعهم المصريين والأفريقيين والأندلسيين بل إن كتاب الزبيدي نفسه يصنف أبا علي القالي في الطبقة السابعة من اللغويين البصريين ويعدّه من أصحاب ابن دريد ، كما يجعله في موضع آخر من كتابه في الطبقة الماشرة من النحويين البصريين ويذكر أنه من أصحاب ابن درستويه (١) . يضاف إلى ذلك أن أكثر من ترجموا لأبي علي في القديم أشاروا إلى أنه كان أعلم الناس بنحو البصريين . على أن أبا علي نفسه لم يكن في مصنفاته البارزة نحوياً بقدر ما كان لغوياً يعتني بنوادر العربية وغريبها ، ولغات العرب وأشعارهم ، يتم على ذلك كتابه الكبيران : الأمالي والبارع . وقد ذكر الحميدي أن « أكثر من يحدث عن القالي بالمغرب أو يحكي عنه يقول أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، نسبوه إليها لطول مقامه بها ووصوله إليهم منها » أما أبو علي نفسه فقد آثر أن يجمع بين النسبتين حين استهل كتابه « الأمالي » بقوله : « قال الشيخ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي رحمه الله .. » .

سُورُخ القالي :

أُتِيح لأبي علي أن يتلمذ على نخبة من العلماء الأجلاء ، فأخذ الحديث النبوي في بغداد عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي محدث العراق في عصره (٣١٧ هـ -) وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني من فقهاء

المراق (٣١٦هـ -) وأبي سعيد الحسن بن زكريا السدي البصري
(٣١٩هـ -) ، ويوسف بن يعقوب القاضي (٢٩٧هـ -) وابن صاعد يحيى
ابن محمد (٣١٧هـ -) ، وأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرئ .
(٣٢٤هـ -) ، وحسين بن اسماعيل الحاملي ... وكلهم من علماء الحديث
الذين تضبط عليهم الرواية بدقة وتشدد . وحين قصد أبو علي إلى الموصل
في أول مقامه بالعراق لازم فقيها وعالمها أبا يعلى الموصلي .

وما من شك في أن هؤلاء الشيوخ المحدثين تركوا أثراً منهم عند أبي علي
القالي من حيث اعتماده الكبير على الرواية والحفظ وتوخيهِ الدقة والاتقان
وحرصه على التمسك بالأسانيد ، على غرار كتب الفقه والحديث ، مما نلسه
بوضوح في كتب القالي وبخاصة في الأمالي والبارع .

وأخذ أبو علي علوم العربية عن أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه
النحوي ويسد أبرز تلاميذ البرد (٢٨٨هـ -) ، وأبي اسحق إبراهيم بن
السري الزجاج من تلاميذ البرد أيضاً (٣١١هـ -) ، وأبي الحسن علي بن
سليمان المعروف بالأخفش الصغير (٣١٥هـ -) ، وأبي عبد الله إبراهيم بن
محمد المعروف بنقطويه (٣٢٣هـ -) ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد
الأزدي صاحب الجهرة (٣٢١هـ -) ، وأبي بكر بن محمد بن السراج النحوي
(٣١٦هـ -) ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري من أبرز علماء
الكوفة (٣٢٨هـ -) ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومن شيوخ أبي الفرج
الأصبهاني (٣٢٥هـ -) ... وسوى هؤلاء من اللغويين والنحويين . وكان
أكثرهم من تلاميذ البرد اللامعين وعرفوا مثله بكثرة المحفوظ ودقة الرواية
وبنبلة الطابع العربي في ذلك كله بعيداً عن المؤثرات الثقافية التي كانت ترفد
الفكر العربي من الفرس واليونان وتتجلى في نتائج أخرى من الأعلام
كالجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصبهاني وقدامة بن جعفر وسوام .. على

تفاوت في مدى هذا التأثير . وثمة شيوخ آخرون أخذ عنهم أبو علي ومنهم ابن شقير والمطرز وجحظة وابن قتيبة الابن ... غير أن أبرز من أخذ عنهم أبو علي أبو بكر بن دريد ، فقد كان شديد الملازمة له والأخذ عنه ، كما ملأ كتبه بأخباره وأقواله ومجالسه ، « وقد روى عنه كتابه الجهرة رواية واعية متقنة وبخطه » . وعندما توفي حزن حزناً شديداً وقال : « لا أرجو أن أقيم بعده في بغداد » . وهذا ما حدث بعد حين من الزمان ، فلم يلبث أبو علي في العراق سوى بضع سنين رحل بعدها إلى الأندلس . وقد كان آخر ما أورده أبو علي في كتابه « النوادر » قصيدة طويلة في رثاء ابن دريد ، وكأنه أراد بها أن تكون خاتمة لكتابه الجليل ودليلاً على ما يمكنه لشيخه من حبة ووفاء .

ترويض اللغالي :

رحل أبو علي عن بغداد وهو يناهز الأربعين ، ولم يتح له أن يترك أثراً كبيراً في تلاميذه هناك . على أن الحال كان على خلاف ذلك في الأندلس حيث ذاع فضله وكثر قاصدوه ولعل الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي كان في طليعة الذين أفادوا من علمه . وأبرز من تعلموا على أبي علي إطلاقاً أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، وهو لغوي كبير اشتهر بكتابه « مختصر العين » و « طبقات اللغويين والنحويين » ، « وكان إماماً في الأدب ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه واختص به واستفاد منه وأقر له » . (٢) وتذكرنا ملازمة الزبيدي لأبي علي في قرطبة بملازمة أبي علي لابن دريد في بغداد . وفي مؤلفات الزبيدي جانب كبير مما أخذه عن

(١) مقدمة الجهرة في اللغة ١٧ .

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت ٧ : ٣٠ ، وجذوة النقبس للحبيدي ١٥٤ .

شيخه وكان يحمله إجلال أبي علي لابن دريد ، وفيه يقول (١) : « ولا نعلم
أحداً من المتقدمين ألف مثله ، »

ومن النابيين الذين أخذوا عن أبي علي أحمد بن أبان اللغوي (٢) ويذكر
السيوطي أنه صنف كتاباً اسمه « العالم » في اللغة ويقع في مئة مجلد ، وقد
رتبه على الأجناس ، وبدأ فيه بالفلك وختم بالذرة . وأغلب الظن أن هذا
الكتاب حصيلة تأثر ابن أبان بالقالي في زعته اللغوية ، ولعل صاحب « العالم
في اللغة » كان يضع نصب عينيه كتاب « البارع في اللغة » لأبي علي
ويحرص على مباراته في مادته وحججه .

ثقافة القالي :

إن معرفتنا بشيوخ القالي تتيح لنا أن نقف على طبيعة ثقافته ولون
معارفه ، كما تلقى في الوقت نفسه ضوءاً على مذهبه في اللغة ومنهجه في
التأليف . وقد رأينا أن معظم شيوخه في الموصل وبنداد كانوا نخبة مشهورين
ومحدثين بارزين اتسموا بالطابع العربي الخالص وعرفوا بالضبط والإتقان .
وأكرم من ترجموا لأبي علي يشيرون إلى اقتداره في النحو ، فيصفه
ياقوت بأنه أعلم الناس بنحو البصريين (٣) ، ويحمله القفطي في عداد أنباء
النحاة ويقول عنه : « إنه قرأ على ابن درستويه كتاب سيويه أجمع ،
واستفصره جميعه وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل الملة ، »

(١) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

(٢) هو أحمد بن أبان بن سعيد اللغوي الأندلسي ، ترجم له السيوطي وقال إنه كان
ماتاً إماماً في العربية حاذقاً أديباً سريع الكتابة . توفي سنة ٣٨٢ هـ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين .. (١) وعلى الرغم مما توحى به هذه العبارات فإن النحو لم يستأثر باهتمام أبي علي إلى هذا المدى . ومع أن أبا علي ألف في النحو كتباً مثل كتاب « المقصور والمدود » وكتاب « فملت وأفملت » ومشاكلها فإن هذه البحوث تعد أدخل في علم الصرف منها في النحو ، وطابعها لنحوي أكثر منه نحويًا . كما أن مثل هذه الكتب يقل في منزلته وأهميته عن سائر كتب أبي علي اللغوية وفي مقدمتها كتابه « الأمالي » ومعجمه « البارع » فتزعة أبي علي اللغوية بارزة في هذين الكتابين وغالبية على ما عداها . وعلى ذلك لا نجد أبا علي في عداد النحاة على علو كعبه في النحو على حين يتبوأ منزلة رفيعة بين اللغويين وأصحاب المعاجم في تراثنا العلمي . ولعل أبا علي في هذا الشأن أشبه ما يكون بالخليل بن أحمد الذي جعله بعض الذين ترجموا له في عداد النحويين البصريين دون اللغويين ، ومنهم أبو بكر الزبيدي في طبقاته ، على حين عرف الخليل باللغة وكان له فيه معجم الميزان كما كان لأبي علي معجم البارع . على أن أبا علي عرف لدى بعض القدماء بهذا الفضل وأنه « كان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقناً لها » (٢) . وهكذا تكونت شخصية القالي على أنه إمام ثبت وحجة ثقة ، وأنه راوية للغة والأخبار في غاية التقييد والضبط . وقد عرف فضلاً عن ذلك بسعة العلم وقوة الحفظ وأنه كان يميل معارفه عن ظهر قلبه (٣) .

(١) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٠ .

(٢) حجة للنسب في تاريخ رجال أهل الأندلس ٢١٢ .

(٣) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٠ .

كتب القالي :

ألف أبو علي كتباً عديدة مازال بعضها بعيداً عن متناول الأيدي بعد أن عبثت به الأيام . وكانت كتبه في غاية التقييد والضيبط والإتقان . وقد ألف في علمه الذي اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته ، (١) ومن هذه المؤلفات التي نوردتها كتب التراجم والفنون :

كتاب المقصور والمدود والمهموز : وقد بناء على التفصيل ومخارج الحروف من الخلق . وقد وصفه القفطي في إنباء الرواة بأنه « مستقصى في بابيه ، لا يشذ عنه شيء في معناه ، لم يوضع له نظير » . ونقته الحميدي بأنه لم يؤلف في بابيه مثله (٢) ، ويقع في عشرة أجزاء (٣) .

كتاب الإبل وتناجها وما تصرف معها ، ويذكر أيضاً باسم كتاب الإبل وتناجها وجميع أحوالها ، وهو في خمسة أجزاء .

كتاب حلي الإنسان والخيول وشياتها .

كتاب فلت وأفلت : وقد جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج (٤) .

كتاب أفل من كذا (٥)

كتاب مقاتل الفرسان

(١) بنية الشمس ٢١٨ .

(٢) يرد اسم الكتاب في جذوة القتبى بأنه كتاب المقصور والمدود والمهموز ، ١٥٦ . على حين تورده كتب التراجم الأخرى باسم كتاب المقصور والمدود .

(٣) فهرست ابن خير ٣٥٣ - ٣٥٥ .

(٤) فهرست ابن خير ٣٥٣ .

(٥) اقرء بذكره ابن خير وأسنده إل شيوخه في رواية متصلة .

كتاب تفسير القصائد والملقات : ولعله هو نفسه كتاب : تفسير السبع الطوال الذي ذكره ياقوت .

كتاب الأمالي ، وذيل الأمالي والنوادر : وهو أجل كتبه وأشهرها .

كتاب البارع : وهو معجم مسهب في ألفاظ العربية .

وينسب إلى القالي أيضاً أنه شرح ديوان ذي الرمة . ولكن أكثر المصادر لا تشير إلى ذلك .

ويحسن بي أن أقف وقفة طويلة بمض الشيء عند كتابين بارزين من هذه الكتب وهما : البارع ، والأمالي .

كتاب البارع كتاب في اللغة (١) ، بناء أبو علي على حروف المعجم . وتذكر كتب التراجم أنه جمع فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء وأنه اختصر الاسناد عنهم . وما يؤسف له أن هذا الكتاب الجليل لم يصل إلينا كاملاً . وقد نشر الأستاذ (A. S. Fulton) الجزء المخطوط لديه في المتحف البريطاني مصوراً عام ١٩٣٣ ، ويقع في ١٤٨ صفحة وقدم له بالانكليزية . غير أن أصل الكتاب أضعاف هذا الجزء . وقد ذكر ياقوت أنه يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة وأنه يحتوي مائة مجلد وفي وفيات الأعيان وإنباء الرواة أن كتاب البارع يشتمل على خمسة آلاف ورقة . وأغلب الظن أن الذين تكلموا على البارع من المشارقة لم يصفوه من كتب ، ولذلك يبقى ابن خير وهو أندلسي عرف بتدقيقه أفضل من يحدثنا عن هذا المعجم الكبير . فهو يحدد حجمه بقوله : « إنه في مائة وأربعة وستين جزءاً ، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست

(١) افرد حابي خلية في كشف الظنون بأنه ذكر للقالي كتاباً اسمه « البارع في غريب الحديث » ولم يذكر له البارع في اللغة ، ونظن أن هنا وهم منه ،

وأربعمون ورقة ، وبورد ابن خير مزبداً من التفصيل عن هذا الكتاب فينقل عن الزبيدي تلميذ أبي علي قوله . « وهو في اللغات كلها ، زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمئة ورقة مما وقع في (العين) مهملات فأملاء مستعملاً ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه ، (١) .

وبكاد المصنفون يجمعون على إجلال هذا الكتاب ، فيقول فيه الحميدي إنه « كاد يحتوي على لغة العرب » (٢) . ويقول فيه ياقوت إنه « يحتوي على مائة مجلد لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب » ، ثم ينقل عن الزبيدي قوله : « ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله » (٣) . وبرغم اشتهار هذا المعجم لم يمل الناس إليه منذ زمن قديم ، يقول السيوطي : « ولم يبرجوا أيضاً على بارع أبي علي البغدادي » (٤) ولعل ذلك هو السبب في أننا لم تصل إلينا نسخة كاملة من المعجم (٥) ومما يكن من أمر فإن الأندلس تبقى حتى القرن الرابع ليأتيها القالي من المشرق ويؤلف فيها كتاب البارع أول معجم عربي في تاريخها (٦) .

ونفهم مما قاله ابن خير وسائر من ترجموا للقالي ومن بعض أقوال أبي علي نفسه ان مصنفات أبي علي في معظمها قد ألفها في الأندلس وأنها

(١) الفهرست ٣٥٤ .

(٢) جذوة المقتبس ١٥٦ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .

(٤) المزهر ١ : ٤٥ ، والمعجم العربي : حين صار ٢٨٧ .

(٥) المعجم العربي : حين صار ٢٨٧ .

(٦) ذكر ابن خير أن الزبيدي ألف كتاباً اسمه « المستدرك » من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي ، علي كتاب « العين » للخليل بن أحمد ، ٣٥٠ .

أهديت من صاحبها إلى الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وبخاصة كتاب الأمالي وكتاب البارع وكتاب فعلت وأفعلت . وقد ذكر ابن خلكان أن أبا علي اتخذ قرطبة مقاماً له وأن « أكثر كتبه بها وضعها ولم يزل بها » (١) .

كتاب الأمالي

كتب الأمالي :

الأمالي جمع إملاء على غير قياس . أو أنها جمع أملية كأغنية وأحجية وأثنية وأمسية . وقد ذكر السيوطي أن طريقة الإملاء أعلى وظائف حفاظ الحديث (٢) . وقال حاجي خليفة يصف التأليف في هذا الفن « هو أن يقدم عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ، ويسمونه الإملاء والأمالي . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية » (٣) . فالأمالي كل ما يعليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وأدب . وهي في رأينا تطابق في مدلولها كلمة المحاضرة في العصر الحديث ، بل إن المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهاً بالإملاء ؛ فقد ذكر أبو منصور الأزهرى أن الأصمعي كان أملي ينفذ كتاباً في النوادر ، فزيد عليه ما ليس من كلامه ، فأنكر ذلك وقال : « خير العلم ما حاضرت به » (٤) . وإذا كان ثمة فارق بين

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) اللزهر ٢ : ٣١٣ .

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ : ١٦١ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ، المقدمة للأزهري .

الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي تتملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب ، على حين تتلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل . وبصير آخر أن المحاضرة صورة جديدة ومتطورة للإملاء تقسم بالتركيز ووحدة الموضوع . وكثيراً ما كان يستعاض عن كلمة أملية أو إملاء بكلمة مجلس . وثمة كتب عديدة تحمل هذا الاسم أشهرها « مجالس ثعلب » وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، والتداخل بين هذين الاصطلاحين أيضاً شائع . ففي أمالي القالي مثلاً نجد مادة الكتاب مقسمة إلى مجالس ، وواضح أن المراد بكلمة المجلس مايلقى في جلسة واحدة ولعله يشبه الفصل أو الباب . ومن هنا وتبعاً للمدلول الواسع لكلمة الأمالي كثرت الكتب التي تحمل هذا الاسم كثرة بالغة في تراثنا العربي على صعيد اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير ... الخ . وفي كتب التراجم والفنون مثل فهرست ابن النديم وفهرست ابن خیر وكشف الظنون وسواها مصنفات لا تكاد تحصى وتحمل جميعاً كلمة الأمالي عنواناً لها . ولا يفتننا من هذه الكتب إلا ما كان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير فعدد منه ولا نعد :

- أمالي ثعلب (٥٢٩١ -) .
- أمالي الزبيدي (٥٣١٠ -) .
- أمالي الزجاج (٥٣١٦ -) .
- أمالي ابن دريد (٥٣٢١ -) .
- أمالي أبي بكر الأنباري (٥٣٢٨ -) .
- أمالي الزجاجي (٥٣٤٠ -) .
- أمالي القالي (٥٣٥٦ -) .
- أمالي بدیع الزمان الحمذاني (٥٣٩٨ -) .
- أمالي للرزوقي (٥٤٣١ -) .
- أمالي المرتضى (٥٤٤٦ -) .

أُمالي أبي الملاء (٤٤٩ هـ -) .

أُمالي ابن الشجري (٥٤٢ هـ -) .

أُمالي الزمخشري (٥٣٨ هـ -) .

أُمالي ابن الحاجب (٦٧٢ هـ -) .

ولسنا ندري على وجه الدقة متى عرفت تسمية الكتب بالأُمالي واختيرت لمصنفات بينها ، ولكنتنا نزجح أن كتب الفقه والحديث كانت أُسبق من سواها في هذا الصدد . ونحن نرى مثلاً كتاباً في الفقه يحمل اسم الأُمالي لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وهو صاحب أبي حنيفة (١) . وهذا يدل على أن التسمية عرفت منذ القرن الثاني ، ثم شاعت خلال القرنين الثالث والرابع . ولعل أول كتاب بارز في اللغة والنحو والأدب من هذه الزمرة كتاب « مجالس ثعلب » من رجال القرن الثالث ويبقى كتاب ثعلب هذا إلى جانب أُمالي القالي وأُمالي ابن الشجري أشهر كتب الأُمالي في هذا الموضوع .

مُزنة أُمالي القالي :

أما كتاب الأُمالي لأبي علي القالي البغدادي فهو أشهر كتبه ، وبه عرف في مضمار التأليف . ولعله أشهر كتب الأُمالي قاطبة . وكثيراً ما يطلق على أُمالي القالي اسم (النوادر) . ولعل هذه التسمية من قيل إطلاق الجزء على الكل . فالمعروف أن جزءاً من الكتاب يلي الأُمالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماه : « النوادر » كما أن الكتاب نفسه يعرف أيضاً باسم آخر هو « النوادر والأُمالي » ، (٢) .

(١) طبع الكتاب في حيدرآباد سنة ١٣٦٠ هـ ونُسخ في نيف وسبعين صفحة .

(٢) انظر إنباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

ولكتاب الأمالي منزلة رفيعة في تراثنا العربي، وقد عرف القدماء فضله وقدموه . يقول ابن خلدون في مقدمته : « وسممنا من شيوخنا في مجالس التلميم : أصول فن الأدب وأركانها أربعة دواوين ، وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

وفي تقديرنا أن كتاب الأمالي حظي بشهرة واسعة في الأندلس ، وكان له صدى بعيد في محافلها الأدبية ، لأنه أول كتاب من نوعه ألف في تلك الزمعة (١) وغدا عمدة في موضوعه وغوذجاً يحتذى في غزارة المادة وغنى النصوص وإتقان الرواية ودقة الضبط . يضاف إلى ذلك ما أصاب أبا علي نفسه مؤلف الكتاب من حفاوة بالغة في إثر وصوله إلى الأندلس وخروج جمع حاشد من العلماء وجملة القوم لاستقباله ، على رأسهم الأمير الحكم نيابة عن أبيه الخليفة الناصر وما من ريب في أن نباهة شأن أبي علي على هذا النحو قد انعكست على ما كانت عليه في قرطبة وبالتالي على كتابه « الأمالي » .

وكان من أصداء هذه الشهرة أن أبا عبيد البكري الأندلسي (٢) نشط

(١) ذهب الأستاذ أحمد أمين في مجلة « الثقافة » ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ إلى أن أمالي أبي علي النواة الأولى التي بذرها القالي في الأندلس من علوم المشرق . وفي هذا غلو ولا يتفق والحقيقة . وهذا الرأي قادم إلى الوم حين قال إن مشهوري الأدباء في الأندلس ومنهم ابن عبد ربه قد تخرجوا في مدرسة أبي علي . وهذا يعني أن القالي أسبق وجوداً وتأليفاً وإن ابن عبد ربه بمثابة تلميذ ، على حين توفي ابن عبد ربه قبل بلوغ أبي علي الأندلس ، وقد ناقش هذا الرأي بدقة محمد سعيد الريان في تقديمه للمقدّم الفريد .

(٢) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري عالم في اللغة والأنساب والشعر والأخبار سكن قرطبة وتوفي سنة ٤٨٧ هـ .

لشرح الأمالي وتفسير نوادره في كتابين يحمل أحدهما اسم « اللآلي في شرح أمالي القاضي » (١) ، والثاني « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (٢) . وعلى الرغم مما يوحى به عنوان الكتاب الثاني من تحامل ومن حرص لدى البكري على تسقط هفوات أبي علي فإن هذه التعليقات زادت شهرة الكتاب استفاضة . وإن تصدي البكري للأمالي ينطوي في الوقت نفسه على إقرار بأهمية الكتاب وجلال شأنه .

كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريشي المتوفى سنة ٥١٩ هـ عمده إلى اختصار أمالي القاضي . ومن جهة أخرى حرص بعضهم على احتذاء كتاب الأمالي والنسج على منواله ، كما فعل اللغوي الوافد على الأندلس أبو الملاء صاعد بن الحسن الذي ألف للخليفة الأموي المنصور كتاب « القصص » ، على نحو كتاب النوادر لأبي علي القاضي (٣) . وكان أبو علي قد أملى كتابه من حفظه في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، ثم أهدى أماليه إلى الخليفة الحكم وأشاد بفضلها في خطبة كتابه .

نشر الأمالي :

نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ (٤) .

(١) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ م بتحقيق جيد من قبل العلامة الهندي عبد العزيز الميني . والكتاب يزيد في حجه على كتاب الأمالي نفسه .

(٢) عمل على نشره الأب أنطون صالحاني وظهر في أربعة أجزاء بدار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ، وطبع مع كتاب الأمالي نفسه ملحقاً بكتاب النوادر . انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٩ .

(٣) انظر جذوة الفتى للحبيدي ٢٢٣ .

(٤) ذكر محمد عبد الجواد الأحمي في خلال تصديره طبعة دار الكتب المصرية لكتاب الأمالي أن تاريخ نشره كان سنة ١٣٢٢ هـ ، على حين يذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٩ أن نشره الأول كان سنة ١٣٢٤ هـ ، ويظهره في ذلك عبد السلام هارون وهو في صدد تنقيح لأمالي الزجاجي . ونحن لم نوفق في الوقوف على الطبعة الأولى .

وقد صنع للمستشرقان كرنكو وميفان فهارس للأشعار التي وردت في كتاب الأمالي وأصدرها في كتاب عام ١٩١٣ مطبعة ليدن . ثم طبع الأمالي ثانية في دار الكتب المصرية عام ١٩٢٦ . وبعد ذلك أعيدت طباعته مرات في القاهرة ودمشق وبيروت ، وأكثرها كان بطريقة التصوير عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب . وطبعة دار الكتب تشير إلى أن كتاب الأمالي مؤلف من جزئين يليها جزء ثالث هو « ذيل الأمالي والنوادر » ، ثم جزء رابع صغير هو كتاب « النوادر » .

ويبدو أن تقسيم كتاب الأمالي لم يكن على هذه الصورة لأن كتب التراجم تفيد أن صاحبه جملة ستة عشر جزءاً للامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءاً^(١) . أما السيوطي فيقول في مقدمة (بنيسة اللغات) انه اعتمد عليه في كتابه وأنه في خمسة مجلدات ، وقد كرر هذا القول في كتاب « الزهر » .

مختصر الأمالي :

قال أبو محمد بن حزم « كتاب فوارس أبي علي مبارك لكتاب (الكامل) الذي جمعه البرد ، واثن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً ، (٢) . وقد وصف القفطي الكتاب أيضاً فقال (٣) : « وهذا الكتاب غاية في مناه وهو أنفع الكتب ، لأن فيه

(١) انظر تراث الإنسانية ، المجلد الخامس : المدة الأولى ، بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٨ .

(٣) إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٠٥ .

الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر المتقى في كل معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد في شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ماهي في هذا الكتاب . وفيه القلب والإبدال مستقصى ، وفيه تفسير الإتياع وهو مما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد كثيرة .

على أن القالي نفسه يتكلم في خطبة كتابه على محتوى أماليه فيقول « وأودعته فنونا من الأخبار ، وضروباً من الأسماء ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب اللغات . على أنني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولا فناً من الخبر إلا امتلأته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته .

ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ . على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الإتياع ما لم يفسره بشر . فمادة الأمالي كما أرادها أبو علي أمشاج من الأخبار والأسماء والأمثال ، يتخللها شيء من تفسير القرآن وحديث الرسول . ويطلب على ذلك كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب ، على حين أننا قلما وجدنا المؤلف يتعرض لقضايا في النحو ، وهو في ذلك يسير في « أماليه » وفي « بارع » أيضاً على هدي أستاذه ابن دريد . ومن خلال سطور المقدمة هذه أيضاً يتجلى أبو علي مؤلفاً شديد الثقة بنفسه معتدأ بلمه وبخاصة في مجال التصريف . وليس هذا تبجحاً منه ، فما بين دفتي كتابه من نصوص قيمة أمر لا ينازع فيه ويدل على أن صاحبه حوى خطير علوم العربية في عصره .

مفرد الأمالي :

إن غزارة المادة في كتاب الأمالي سمة بارزة فيه ؛ فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يميز وجوده في كثير من كتب الأدب . وإذا تساءلنا

عن النهاج الذي آثره القالي في كتابه القيم هذا خاب أملنا . إنه أشبه بمنجم من المعادن الثمينة تناثرت كنوزه وتوَعرت إليه الدروب . وهذه السنة في التأليف التي تضيق بالتزام الموضوع وتحديد إطاره ابتدعها الجاحظ ووطد أسسها في كتبه ولما استطاع المؤلفون بعده أن يتحرروا منها . وكان جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية الرائدة بأكثر من قرن أن يعمد إلى شيء من تنسيق الأشياء والنظائر في كتابه . فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كابن قتيبة وابن عبد ربه ينجحون إلى نوع من التبويب في مصنفاتهم الكبيرة ، برغم بقاء ظاهرة الاستطراد فيها . ويمكن القول إن أبا علي مازال في عصره — القرن الرابع الهجري — يمثل الاتجاه العربي الخالص ، وينطوي على سمات المحافظة دون أن يسمع بمقدار كافٍ للمؤثرات الدخيلة لثوثر في منهجه ، على حين نجد بين معاصريه علماء كانوا في الطرف المقابل كقدامة بن جعفر الذي اسطنع في كتابه « قد الشعر » تقسيمات شديدة التحديد .

لقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية التي كانت ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيخه العلماء وتتجلى في الرواية عنهم وإسناد المنقول إليهم . وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي علي وتشيع في سائر كتبه ؛ حتى إننا قلنا تقع خلال الأمالي على فقرة لا تبدأ بإحدى العبارات التقليدية المألوفة : (حدثنا ، أو ، أنشدنا ، أو ، قرأت على فلان ...) . حتى إن الرواية عن الآخرين تكاد تطنى على ما عداها من أقوال المؤلف وآرائه . إن أبا علي في أماليه باهت الشخصية ، يصطنع مذهب رجال الحديث في الرواية والإسناد ، ثم يدلي أحياناً بدلوه بين الدلاء في تواضع جم .

إن طابع الإملاء واضح في كتاب الأمالي ، وكأنني بأبي علي في مسجد قرطبة وحوله جمع غفير من المريدين والطلاب والمتأدين ، وقد أخذ يسترسل في إيراد الأخبار ويتدفق في إنشاد الأشعار ، ثم يحلو عوبصها ويشرح غريبها ويشرح غامضها . وقد تدعو فكرة فكرة أخرى خطرت بباله ، أو قصيدة تذكره بما يشبهها في عبارة وردت فيها أو معنى عرض خلالها ، فإذا الرجل آخر الأمر قد اتمد عن موضوعه الأول أشواطاً . ولم يكن هذا الاستطراد في ذلك العصر عيباً ، بل كان مزية يراد منها أن تذهب عن الطلاب السأم وتتنقل بهم أو بقراء الكتاب في جواء مختلفة الألوان والطعوم . ولعل من أسباب ضعف التسويب وقلة التنظيم في كتاب الأمالي أن مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه . ولا ريب أن في هذا اقتداراً يتزع الإعجاب . وقد قال القفطي في كتاب أبي علي (١) : « وأملأ ظاهراً من قلبه ... وارتجل تفسير ما فيه » . وأبو علي نفسه يستد بقرارة محفوظه فيقول في خطبة كتابه : « فأملت (٢) هذا الكتاب من حفظي » . ويؤثر عن القدماء أنهم كانوا يرون أن الحفظ أعلى منازل العلم ، وأن الحفاظ في أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين . لقد كان أبو علي من هذا القيل ، وهو يباهي بأنه حوى علوم الملف ، غير أنه لم يكن يحرص على تجاوز هذا النطاق . ويبدو هذا الاعتداد أيضاً في خطبة كتابه حيث يقول .

« لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حوت خطيره ، وأحرزت رفيقه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارد ، ورويت نادره » . وهذا النص واضح الدلالة

(١) إنباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) أملت الكتاب على الكاتب إملاً وأملته عليه إملاء أي قلته له فكتب عني ، والأولى لغة الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم وقيس . (المجلة) م (٧)

على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب ، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى . وقد ذكر ابن بسام (١) أن أبا علي كان يقول لأهل الأندلس : « إن علمي علم رواية وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، وفي هذا القول ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه ينم على تواضعه ، وهو ما هو بين العلماء في عصره .

وأغلب الظن أن أبا علي كان يأنس من أهل الأندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشارة وإقبالاً على علمهم وأدبهم ، فيعتمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نفوسهم ، ويحرص على أن يهرم بسمة محفوظه وغزارة علمه وكأنه يضع بين يديهم حصيلة ما حواه شيوخه وما آل إليه منهم . ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو المدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين وأحياناً عن بعض الكوفيين غير الموثقين . وينبغي أن نقر في الوقت نفسه أن أبا علي اقوى كبير وعالم جليل ، انفتح ذهنه على المعارف كلها دون تمييز بين مذاهب أهلها . وفي فهرست ابن خير ثبت طويل بأسماء الكتب التي حملها أبو علي معه إلى الأندلس ، من بينها كتب لعدد من علماء الكوفة كما أن أبا علي يكثر في أماليه من الرواية عن أبي بكر بن الأنباري وينقل أيضاً عن الكسائي وعن الفراء وعن ثعلب وسوام من الكوفيين ، وينقل في الوقت نفسه عن سائر اللغويين والنحاة البصريين كالبردد والأخفش وابن درستويه وابن دريد والزجاج .

وفي رأي المستشرق بروكلان أن أبا علي القالي كان أول من نقل علم الأدب إلى الأندلس (٢) وهذه منزلة رفيعة لم يبلغها أحد من المشارة قبل

(١) انظر مقدمة كتاب الأمالي عملاً عن جزء مخطوط من النسخة .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٧ .

أبي علي وبعده في مضمار اللغة والأدب ، ولا يضارعه فيها إلا زرياب في الموسيقى والغناء .

على أننا قد نظم القالي إذا عددناه في كتابه جامعاً حافظاً للنصوص فحسب فالحق أنه فقيه لغوي قل نظيره ، مقتدر على شرح العويص من الألفاظ ، غير أنه بالإضافة إلى ذلك بل فوق ذلك ذواقة للنصوص ، بصير بجميل الشعر والنثر . ولعل قيمة كتابه الحقيقية إنما تكمن في هذه الناحية ، لأنه حوى زبدة فنون القول وآداب العرب . إن كتاب الأمالي في جملته مختارات أدبية رفيعة تسم في الغالب بالأصالة والتدرة ، وتنطوي في الوقت نفسه على الفائدة والمتعة .

الدكتور عمر الدقاق



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة^(١)

- ٥ -

(حرف العين)

٢٨٤ - ص ١١٧٣ د عارف حكمت ... أسس مكتبة باستانبول ... ،
من الملاحظات : إن الموسوعة لم تذكر أنه نقل مكتبته إلى المدينة ،
وما زال فيها ، ولها شهرة بخطوطاتها .

٢٨٥ - ص ١١٧٤ د عائشة بنت أبي بكر ... كانت أديبة شاعرة .
من الملاحظات : أنها لم تكن شاعرة ...

٢٧٦ - ص ١١٧٥ د عائشة بنت طلحة ... أديبة عالمة ، عرفت
بجمالها

في الحديث عن عائشة بنت طلحة تقدم مسألة الجمال على غيرها ، وقد
تكون عائشة أديبة بمعنى ما ، ولكن لا داعي إلى د عالمة ، في موسوعة
ميسرة ولا سيما إذا وردت الصفة من غير تخصيص .

٢٨٧ - ص ١١٧٥ د عائشة التيمورية ... لها ديوان اسمه حلية الطراز
ولها كتاب نتائج الأحوال د أما ديوان شعرها التركي فاسمه كشوفة ...
وللأنسة مي دراسة مشهورة عنها حيث أطلقت عليها اسم شاعرة الطبيعة .

(١) نشر أول هذه الملاحظات في الصفحات التالية : ٢٨٥ و ٤٧٧ من المجلد (٤٧)
و ١٠٤ و ٣٤١ و ٦٢٧ من المجلد (٤٣) .

أ - حلية الطراز - ط . نتائج الأحوال - ط . ب - كشوفه :
شكوفه - ط . ج - ليست دراسة مي من النيعوج بحيث يمكن وصفها
بأنها مشهورة . د - شاعرة الطبيعة : شاعرة الطبيعة .

الكتيب في الأصل « محاضرة » ألقها مي في جمعية « فتاة مصر الفتاة »
ونشرت فصولاً منها في المقتطف ... وأعادت دار الهلال نشر هذه الفصول
وزادت عليها ما بقي مخطوطاً منها ؛ وصدرت باسم « شاعرة الطبيعة » ... ويبدو أن
التسمية من إطلاق دار الهلال - مشتقة إياها من الموائل التي قدّمتها مي
لدراستها الشاعرة : « إن عائشة تيمور طليعة اليقظة النسوية في هذه
البلاد ... » صدر الكتيب في سلسلة كتاب الهلال . العدد ٦٨ .

٢٨٨ - ١١٧٥ « الباس : عم النبي ... وإليه يصعد الباسيون ... »
من الملاحظات : خير من « يصعد » : يتسبب (أو ينتمي) .
٢٨٩ - ص ١١٧٦ « الباس بن مرداس ... شاعر فارسي » :
... فارس .

٢٩٠ - ص ١١٧٦ « الباسيون ... قسم [الرشيد] دوله قبل
وفاته بين أولاده : الأمين والمأمون والقاسم ... »

أصح من هذا أن يقال بين أولاده : محمد وعبد الله والقاسم ... ،
(أو الأمين والمأمون والمؤمن - إذا كان لابد من ذكر الألقاب) .

٢٩١ - ص ١١٧٨ « عبد الله بن رواحة ... شاعر فارسي ... » : فارس .

٢٩٢ - ١١٧٩ « عبد الباقي العمري ... له ديوان الترياق الفاروقي ،
وديوان أهلة الأفكار في معاني الابتكار و « زهوة الدهر في تراجم
فضلاء مصر » .

أ - الترياق - ط . ولا نعرف عن الكتابين الآخرين شيئاً يذكر .

ب — تكررت ترجمة عبد الباقي في ثلاثة أماكن من الموسوعة مرة تحت « عبد الباقي » ومرة « العمري » وثالثة « الفاروقي » . وأقل ما يمكن عمله في هذه الحالة أن يترجم له في مكان ، ويحال على هذه الترجمة في الأماكن الأخرى .

٢٩٣ — ص ١١٨٣ « عبد العزيز بن سمود ١٨٨٠ — ١٩٥٣ ... »
أسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب واضع المذهب الوهابي .
لم يؤسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب ، فقد كانت قائمة قبل ذلك ، وكان أميرها محمد بن سمود في الدرعية . ومحمد بن سمود هو مؤسس دولة آل سمود وليس محمد بن عبد الوهاب . وأهم ما يذكر من الأمر أن محمد بن عبد الوهاب لما ضاق ذرعاً ببلدته السيئة لجأ إلى الدرعية وفيها تم الاتفاق بينه ومحمد بن سمود ...

٢٩٤ — ص ١١٨٦ « عبدان : مدينة ج . غ إيران ... » : عبدان .
٢٩٥ — ص ١٢١١ « المسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ... »
خلف ديوان شعر ، ألف عدة كتب في اللغة مثل : « التلخيص » و« جمهرة الأمثال وشرح الحاشية ... » وفي الأدب مثل « معاني الأدب » والمصون ... الخ .

أ — لم يصل إلينا ديوانه . ب — لم تميز الموسوعة ما وصل من كتبه وما لم يصل ، وما طبع وما بقي مخطوطاً . ج — المصون ، ليس للمسكري أبي هلال وإنما هو للمسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سيد . وهو مطبوع . (الكويت . تح : عبد السلام محمد هارون ١٩٦٠) .

٢٩٦ — ص ١٢٢٠ « العقاد ... » غني بآب الرومي ، وكتب عنه كتاباً كبيراً ، : كتاباً ...

٢٩٧ - ص ١٢٣٦ « عمر أبو ريشة ... له عدة قصائد » : له ديوانان
وعدة قصائد ...

٢٩٨ - ص ١٢٣٧ « عمران بن حطان ... كان ثقة صادقاً ... » :
... صدوقاً .

٢٩٩ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن قبيصة ... خرج مع امرئ القيس إلى
قيصر ، ومات في الطريق ... ذكره امرؤ القيس في معلقته » .

لم يذكره امرؤ القيس في معلقته . وذكرت الرواية أن عمرو بن قبيصة
هو المقصود بقول امرئ القيس : بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
٣٠٠ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن كلثوم ... له ديوان أشهره معلقته ...
التي رددتها تغلب ... وأخذ شعراؤها يضيفون إليها ، فبلغت قريباً من
ألف بيت ، وصل إلينا جزء منها » .

لا قيمة للخبر الأخير ، ولا داعي إلى ذكره - على أي حال - في
موسوعة مبصرة .

٣٠١ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن معدى كرب ... شاعر فارسي » : عمرو
ابن معدى كرب (وهذا الحظ أسير) شاعر فارس .

٣٠٢ - ص ١٢٣٨ « العمري ، عبد الباقي ... تزعم الأدب في أيامه ... » .
أ - مرت ترجمته على ص ١١٧٩ من الموسوعة واستمرت تحت الفاء (الفاروقي) .
ب - لم يتزعم الأدب في أيامه .

٣٠٣ - ص ١٢٤١ « عنتره ... شاعر فارسي » : فارس .

(حرف الغين)

٣٠٤ - ص ١٢٤٩ « غ (غين) ... قيمته في حساب الجمل ١٠٠ » :
١٠٠٠ .

٣٠٥ - ص ١٢٥٤ « الغزالي ... درس علوم الفقهاء » : الفقه .

٣٠٦ - ص ١٢٥٧ « الغلابي ، مصطفى ... » لم تذكر له الموسوعة « الدروس العربية » وجامع الدروس العربية .

(حرف الفاء)

٣٠٧ - ص ١٢٦١ « فاجير ، ريتشارد ... » كما يعد من عباقرة الموسيقى فهو أيضاً في الصدارة من كتاب القصص .
مسألة الشطر الثاني من الحكم فيها نظر .

٣٠٨ - ص ١٢٦٢ « فاجيه ، أميل ... » : الصحيح فاگژ [هـ] أو فاج [هـ] لأنه Faguer .

٣٠٩ - ص ١٢٦٢ « فارس أو فارستان ... » لا داعي لـ « فارستان » ولعلها غير موجودة .

٣١٠ - ص ١٢٦٤ « الفاروقي ، عبد الباقي بن سليمان المصري ... » شغف بالشعر الصوفي ومدائح الرسول ... له ديوان مطبوع باسم « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي ... » .

أ - تكررت الترجمة للمرة الثالثة . ب - من منشآت : في منشآت .

٣١١ - ص ١٢٦٧ « ... » وفيما يلي ثبت بأسماء سلاطين الفواطم ...
أ - سلاطين : الخلفاء . ب - الفواطم : الفاطميين .

٣١٢ - ص ١٢٧٥ « الفتوة نظام أخذت به بعض البلدان العربية ، يستهدف إعداد تلاميذ المدارس الثانوية للحياة العسكرية » .

لم تشر الموسوعة إلى « الفتوة » في التاريخ العربي وهو أمر جدير أن يراعى ، ولا إلى الفتوة في المعنى الاصطلاحي لدى المتصوفة والشطار ، ولا إلى دلالتها في عهد الخليفة الناصر المباني (تنظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد على كتاب الفتوة لابن المهار البغدادي الحنبلي - بغداد ١٩٦٠) .

٣١٢ — ص ١٢٨٠ « فرانس ، أناتول ... » لم تذكر الموسوعة بين ما ترجم له إلى العربية « الآلهة عطاش » (القاهرة ، ١٩٥٢) .

٣١٣ — ص ١٢٨٣ « فرح أنطون ... ترجم » أنالا ، لشاتوبريان ،
أنالا : Atala .

٣١٤ — ص ١٢٨٧ — ٨ « الفرزدق ... هو أحد الشعراء الثلاثة الذين
عدم النقاد أمراء الشعر الأموي . تفوق على زميله في الفخر ... » .
أ — من عدم أمراء ؟ أي من أطلق هذه اللفظة ؟ إنها ليست مما
يطلقه القدماء . إنما هم فحول ...

ب — الشعراء الثلاثة . من هم ؟ كان المناسب أن تنص الموسوعة على
أسمائهم : جرير والفرزدق والأخطل .

٣١٥ — ص ١٣٣٢ « فورستر ... روائي انجليزي ... اشتهر بالنقد الأدبي
وبخاصة في كتابه أوجه الرواية .

ترجمت له مجموعة من القصص ، وترجم كتابه النقدي بعنوان « أركان القصة » .
٣١٦ — ص ١٣٣٤ « فوق الواقعية أو سيربالية ، حركة أدبية وفنية ...
أسسها ... أندريه بريتون ... » .

أ — سيربالية : Surréalisme . ب — كان المفروض أن يعرف
بها في حرف السين (سيربالية) لأنها هكذا عرفت وشاعت . فإذا وصلنا
إلى حرف الفاء ، قلنا — إذا كان لا بد من القول — : فوق الواقعية ينظر
سيربالية . ج — اندريه بريتون : أندرا [هـ] برتون André Bréton .

٣١٧ — ص ١٣١٣ « فلوير ... أصيب بمرض عصبي جعله يمكث
طويلاً في كرواسيه ... » .

كرواسيه : كرواسيه [هـ] Croisset .

- ٣١٨ - ص ١٣٢٦ « فنون تشكيلية ... في العراق ... حافظ الدروبي ، وطارق مظلوم وجواد سليم وفاضل عباس واسماعيل الشبخلي ومحمود صبري » .
- أ - كان الأولى أن يدل تسلسل الأسماء على أمر نسي من المهم والأم ، ويكون المناسب في هذه الحالة البدء بجواد سليم .
- ب - بين الأسماء التي ذكرتها الموسوعة من لم يبلغ درجة الذكر ووصفه بالقطب .
- ج - أغفلت الموسوعة أسماء لامعة مبدعة مثل فائق حسن ، خالد الجادر ، جميل حمودي ، كاظم حيدر ، محمد غني حكمت ، ضياء الراوي ...
- ٣١٩ - ص ١٣٠٢ « فضولي ... اتصل بسلطان القانوني ... فهناً . بقصيدة كوفي . عليها بجاهية شهرية ... » .
- كلمة « ماهية » ، لاتليق بموسوعة وكان من الممكن استعمال : رسم أو مرتب أو راتب أو مشاهرة ...
- ٣٢٠ - ص ١٣١٢ « قلنسيا ... » : بلنسية .
- ٣٢١ - ص ١٣٥١ « فليبي » ، ... عين ... وزيراً للداخلية في العراق (١٩٢٠ - ١٩٢١) ولكنه استاء من سياسة الحكومة البريطانية إزاء ذلك القطر فاستقال ١٩٢٥ .
- أ - لم يمين فليبي - ولا أي انجليزي آخر - وزيراً للداخلية (أو غيرها) في العراق .
- ب - إنما كان مستشاراً للداخلية (١٩٢٠ - ١٩٢١) ثم خرج من العراق لدى مجيء فيصل . ج - مسألة « استثناء » فيها نظر . د - لم يبق في العراق بعد ١٩٢١ أي أنه لم يكن فيه حتى ١٩٢٥ .
- ٣٢٢ - ص ١٩٥٧ فيني ... فرنسي ... من أشهر قصصه ... شارتون ... ، شارتون مسرحية وليست قصة : ...

٣٢٣ - ص ١٣٥٨ « فیت ... مستشرق فرنسي ... حقق الجزء الأول من كتاب « الخطط » للمقریزی .
لقد حقق فیت أكثر من جزء .

حرف القاف

٣٢٤ - ص ١٣٦٣ « القالي ... ولد في متز أجرد بأرمينية » منازل جرد (أو منازل كرد . قال ياقوت ، منازل جرد بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة ودال ، وأهله يقولون بالكاف ... » .

٣٢٥ - ص ١٣٧٢ « قدر البواليع » : « تتركب الأنظمة الحديثة لنقل مياه القاذورات بالمدن إلى بجار من الحديد أو الخرسانة ... ينطلق فيها قدر البواليع من التركيبات الصعبة إلى مجاري النازل ومنها إلى مجاري الشارع » .

أ - هل يكون قدر البواليع مصطلحاً ؟ ب - لم التخصيص بالبواليع ؟ ج - البواليع : البلاليع .

٣٢٦ - ص ١٣٧٣ « قرامطة ... حمدان ولقبه قرميطي أي أحمر العينين ... » .

أ - قرميطي : القرمطي . ب - جاء لدى الطبري ، حوادث سنة ٢٧٨ ... وكان في القرية رجل ... أحمر العينين شديد حمرتها ، وكان أهل القرية يسمونه : كرميته لحرمة عينيه وهو بالنبطية أحمر العينين » .

٣٢٧ - ص ١٣٧٤ « قرائيون » : قراءون .

٣٢٨ - ص ١٣٧٥ « قرطاجة » : قرطاجة .

٣٢٩ - ص ١٣٧٦ « قرطاجنة » : قرطاجنة .

- ٣٣٠ - ص ١٣٧٩ « القزويني ، زكريا ... كتاب عجائب البلدان
أو « آثار وأخبار البلاد » وفي رواية ... آثار البلاد وأخبار العباد .
٣٣١ - ص ١٣٨٣ « قصة قصيرة ... ادجار آلن پو » : ألن Alan .
٣٣٢ - ص ١٣٩٣ « قم مدينة ... وسط إيران ... يحج إليها الشيعة » : يزورها .
٣٣٣ - ص ١٤٠٨ « قولي خان ، محمد هادي رضا خان » : رضا قليخان
هدايت ...

(حرف الكاف)

- ٣٣٤ - ص ١٤٢٨ « الكاظمي ... له ... ديوان شعر في جزئين ... » :
له ديوان صدرت منه مجموعتان (جزءان) وأعلن عن الثالثة .
٣٣٥ - ص ١٤٤٧ « كربلا ... يحج إلى كربلا الآلاف من الزوار
المسلمين » : يزورها .
٣٣٦ - ص ١٤٦٤ « الكعبة ... ترسل كسوة الكعبة من مصر كل
عام منذ عهد الملك الصالح نجم الدين إلى اليوم » : توقف الإرسال منذ حوالي
عشر سنوات وأقامت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً بكسوة الكعبة .
٣٣٧ - ص ١٤٧٦ « كلية ودمنة ... ترجمها عبد الله بن المقفع إلى العربية
وابتغى في ترجمتها إرشاد الخليفة المنصور إلى ما يجب أن يتمسك به من خلق » .
الرأي شخصي وخاص وليس مقررأ ، فهو لا يصلح أن يعرض في
موسوعة مبصرة ، وإذا كان لا بد من ذكره ، وجب الإشارة إلى ذلك
وسبقه بكلمة مثل : ربما ، ويظن ، ويمكن القول ... الخ .
٣٣٨ - ص ١٤٩٦ « كوييه ... من أم مسرحياته » وفي سبيل التاج
« ... التي ترجمها النفوطي إلى العربية » .

أ - كوييه : كوييه [٤] Coppée . ب - المنفلوطي لا يترجم ، ولا يعرف الفرنسية ، إنما يترجم له ، ويُلخص ويتصرف . ج - جاءت في اللغة العربية على شكل قصة .

٣٣٩ - ص ١٥٠٧ « كوكتو ... من أشهر مسرحياته « الأبناء المتعبون » ...
أ - مسرحياته : قصصه . ب - الأبناء المتعبون (بكسر العين ، إذا كان لا بد من الاحتفاظ بالترجمة) لأنها Les Enfants Terribles .
٣٤٠ - ص ١٥٠٩ « كوكت أدبية فرنسية ، أم روايتها « عزيزي » .
عزيزي : عزيزي (إذا كان لا بد من الاحتفاظ بترجمة الموسوعة .
وإلا فهي حبيبي إذا أريد معناها ، وهي شيري Chéri إذا طلبت الدقة والصحة
فأقد استعملت اللفظة علماً للفتى الذي أحبه بطة القصة الكهلة Léa . وبهذا
الاسم أي (شيري) نقل القصة إلى العربية محمد بدر الدين خليل (القاهرة .
سلسلة الروايات المالية - الدار القومية -) .

٣٤١ - ص ١٩١٩ « كوندية أسرة أمراء فرنسية » : كوند [٥] Condé .
٣٤٢ - ص ١٥٣١ « كيمياء قديمة (الخيمياء) » ، لا معنى لـ (الخيمياء)
هنا ، ولا سبب .

(حرف اللام)

٣٤٣ - ص ١٥٣٨ « لاروشفوكو ... شهرته الأدبية تغزى إلى الحكم
والأمثال التي برع في نظمها .

أ - إنها خطرات وأقوال أكثر منها (حكماً وأمثالاً) ... Réflexions .
ب - في نظمها : في كتابتها ، لأنها شر وليست شعراً .

٣٤٤ - ص ١٥٥٩ « لغة العرب ... الأب أنستاس ماري الكرمل -
أصدر جريدة العرب ... » .

لم يصدر « العرب » الكرمللي ، وإنما أصدرتها السلطة الإنكليزية المحتلة ، واختارته محرراً لها ...

٣٤٥ - ص ١٥٧٧ « لوساج » ، الن رينيه ... كتب قصة « مغامرات جيل بالاس ... » .

أ - رن[ه] René . ب - « قصة جل بلاس Histoire de Gil Blas .

(حرف الميم)

٣٤٦ - ص ١٦٣١ « المأمون » ولم ينتقل المأمون من مرو إلى بغداد قبل ست سنوات ، . العبارة غير مستقيمة قد يكون أفضل منها : لم ينتقل المأمون من مرو إلى بغداد إلا بعد مضي ست سنوات على بدء خلافته ...

٣٤٧ - ص ١٦٤١ « متحف الآثار المصرية ... » .

كان المناسب في موسوعة عربية أن تعرف - إلى جوار تعريف متحف الآثار المصرية - بمتاحف الآثار الأخرى ، كالعراقية والسورية ... الخ .

٣٤٨ - ص ١٦٧٠ « مدحت باشا ... » .

ليس من العقول أن تتحدث موسوعة عربية عن مدحت باشا دون الإشارة إلى تاريخه في العراق .

٣٤٩ - ص ١٦٧١ « مدرسة : ليس أدل على حب المصريين للعلم من أنهم أطلقوا على دور العلم والمعرفة : بيوت الحياة . وبيت الحياة علم عند الفراعنة على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة ... وكلها تابعة للمعبد ...

... ولا تظن أن المدرسة في مصر القديمة اختلفت كثيراً عن مثلها أيام العصور الوسطى . فقد كانت كذلك في معابد اليهود ، ثم في كنائس النصارى ، وأخيراً في المساجد عند المسلمين .

أ - المفروض في كلام على مادة « مدرسة » أن يبدأ - أو أن يتضمن

في الأقل - تعريفاً لها وتحديداً لنشوء اللفظة تاريخياً عند العرب - ولكن شيئاً من هذا لم يقع . ب - بل إن الموسوعة لم تتعرض - كما يجب - إلى المدرسة عند العرب والمسلمين ، وبكفي أنها لم تقترب من اسم « النظامية » و « المستنصرية » ... ج - وليس المهم الاقتصار على الزمن الفرعوني وإهمال العهد العربي الإسلامي ... د - مسألة « بيوت الحياة » فيها نظر ...

٣٥٠ - ص ١٦٨٠ « مرجليوث ... مستشرق انجليزي ... حقق ونشر « ديوان الحماسة » ...

كلام به حاجة إلى التحديد .

٣٥١ - ص ١٦٨٨ « مرميه ، پرسپر ... تعزى شهرته إلى القصص القصيرة التي كتبها ، ومنها كولومبا ... و كارمن ... »

أ - مرميه ، پرسپر : مرم - [٤] (أو مريم - [٤] ، پرسپر . Mérimée , Prosper

ب - كولومبا و كارمن منقولتان إلى اللغة العربية .

٣٥٢ - ص ١٧٣٠ « المقتدر بالله ... وأسس الفواطم دولتهم » : الفاطميون .

٣٥٣ - ص ١٧٥٥ « منصور فهمي ، فيلسوف وباحث عربي ... » .

ليس منصور فهمي فيلسوفاً وإن درّس الفلسفة والأخلاق بالجامعة المصرية .

٣٥٤ - ص ١٧٨٠ « موسوعة ... وكان تطور التأليف الموسوعي الذي يستمد على الترتيب الأبجدي بطيئاً ... أبجدياً ... أبجدياً ... ثم ظهرت بين عامي ١٩١٣ - ١٩٣١ دائرة المعارف الإسلامية ... وبدأت سنة ١٩٥٤ لجنة من المستشرقين المحدثين بإشراف كرامرز وجيب وبرنارد لويس في إخراج طبعة جديدة ... أبجدياً ... »

أ - كل « أبجدي » : هجائي ب - درست الموسوعة المبررة مائتة بنوان « دائرة معارف » تحت حرف الميم (موسوعة) كأن الأصل هي

لفظة موسوعة وكأنها اللفظة التي لا توجد سواها ، وهذا غير صحيح ، لأن لفظة « دائرة معارف أشهر وأقدم ، ولذا حسن - في أقل تقدير - أن تكتب تحت حرف الدال : دائرة معارف تنظر موسوعة . ج - كرامرز : Kramers .

٣٥٥ ص ١٧٨٥ « الموطأ » : كتاب لابن مالك ... انظر ابن مالك ، أنس ص ٢٦ ... »

ابن مالك ، أنس : ابن أنس ، مالك (لأنه مالك بن أنس) .
٣٥٦ - ص ١٧٩٠ « موتسكيو ... مؤلفه « الرسائل الفارسية » ... وروح القوانين ... »

أ - الرسائل الفارسية : رسائل فارسية Lettres Persannes
مترجم إلى العربية ب - روح القوانين - ت
٣٥٧ - ص ١٨٠٠ « مثذنة ... وكانت تسمى منارة ... » : منارة (كانت وما زالت ...)

٣٥٨ - ص ١٨١١ « النابتة الجمدي ... هاجي ... أوس بن مفراد » : مفراء .

٣٥٩ - ص ١٨١٤ « ناجي ، إبراهيم ... أصدر ديوانين « وراء النعام » ١٩٣٤ ، و « ليالي القاهرة » ١٩٤٤ ... »

نشر إبراهيم ناجي في حياته ديوانين من شعره ، هما : « وراء النعام » .. وليالي القاهرة ... وخرت له دار المعارف بعد وفاته ديواناً ثالثاً هو « الطائر الجريح » ، ثم تألفت لجنة لجمع شعره في « ديوان ناجي » فصدر عن دار المعارف سنة ١٩٦١ ولكن لهذا الديوان مشكلة فقد ضمنه الجامعون شعراً لغير ناجي ... »

٣٦٠ - ص ١٨١٦ « الناصر لدين الله : لقب عدة أمراء زيديين في اليمن ... »

أهملت الموسوعة « فاصراً » مهماً جداً هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء المتوفى سنة ٦٢٢ من الخلفاء العظام - ولا يمكن أن يهمل .

(حرف التون)

٣٦١ - ص ١٨٢٩ ، زفال ، جيراردي كاتب فرنسي ترجم عن الألمانية كثيراً من المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية « فاوست » ١٨٢٨ وبعض الأقاويص مثل « بنات النار » ١٨٥٤ و « رحلة إلى الشرق » ١٨٥١ ، وأخيراً « أورليا » ١٨٥٤ .

أ - المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية فاوست ... : الآثار الأدبية ، ولعلها في الأصل : المسرحيات . ب - يفهم من نص الموسوعة أن كل هذه الآثار المذكورة ترجمات وهذا غير صحيح لأن بنات النار ... الخ من تأليف زفال . ج - إذا كان تاريخ كتابة « رحلة إلى الشرق » سنة ١٨٥١ - وهو صحيح فلم تؤخره عن « بنات النار » ١٨٥٤ !

٣٦٢ - ص ١٨٣٨ . النظامية ... وقام نظام الملك بالتعليم بالمدرسة ... وأساقفتها جميعاً من أهل السنة

أ - لم يكن نظام الملك معلماً ... ب - السنة : الشافعية .

٣٦٣ - ص ١٨٥٦ « نوح باني سفينة نوح ... » .

لم نشر الموسوعة إلى أنه « نبي » .

٣٦٤ - ص ١٨٦٨ « نيكلسون ... مستشرق انجليزي ... ألف

« التاريخ الأدبي للعرب » : تاريخ الأدب العربي Aliterary his. of The Arabes .

(حرف الهاء)

٣٦٥ - - ص ١٨٩٦ د هرون الرشيد ... ثار عليه الخوارج بقيادة الوليد ابن طريف الشاري ، : الشاري .

٣٦٦ - - ص ١٩٠١ د همدان : مدينة ... بنربي إيران : همدان .

٣٦٧ - - ص ١٩١٤ د هورثون ثنائيل ... روائي وكاتب قصصي أمريكي ،

هوثرن Hawthorne .

٣٦٨ - - ص ١٦١٤ د هوجو . فكتور ... من أشهر مسرحياته

هرناني ، الترجمة الإنجليزية ١٨٣٠ ... ومن أعظم رواياته : البؤساء ١٨٦٣
« عربها الشاعر حافظ إبراهيم » .. دفن في الباتيون .. »

أ - Hernani مهمة في تاريخ المسرحية الفرنسية (الرومنطيقية) ،
وعام ١٨٣٠ تاريخها بالفرنسية وهو أولى أن يذكر من تاريخ الترجمة ...
ب - حافظ إبراهيم لا يعرف اللغة الفرنسية ولم يعرب البؤساء وإنما ظهر
باسمه تعريب لجزء يسير من هذه الرواية الضخمة . إن الذي عربها هو
منير بعلبي وجاءت مترجمة في خمسة مجلدات (بيروت . دار العلم للملايين
ج - الباتيون : الباتيون Panthéon .

٣٦٩ - - ص ١٩٢٩ د هيكل ، محمد حسين ... ولد في قرية هيكل

بمركز السبلاوين بمصر ... »

جاء في كتاب « الدكتور محمد حسين هيكل » الذي أشرف عليه أحمد
لطفى السيد (القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٥٨ وكتب فيه حياة محمد حسين
هيكل الدكتور حسين فوزي النجار : « ولد .. لأبوين من صميم الريف
المصري بقرية كفر غنّام إحدى قرى مديرية الدقهلية . وكان أبوه حسين
أفندي سالم هيكل سيد قومه وعشيرته ... »

(حرف اليا)

٣٧٠ — ص ١٩٩٧ يونس بن حبيب لغوي ولد ببلدة (جبل)

بالمراق ، ، ، ، ،

جبل : جبّـل ، قال ياقوت : جبّـل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضما
ولام) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي ، ، ، — وينظر
نور القبس المختصر من المقتبس ص ٤٨ : « قيل إنه من أهل جبّـل ، ؛
أنساب السمعاني (الجبّـلي) ، ابن خلكان (يونس) ٦ : ٢٤٥ .

الدكتور علي جواد الطاهر



كتاب «الجوهريتين»

Al Hamdani: Kitab al Gauhratain Al 'Atiqatain Al - Mar'atayn
von Christopher Toll, Uppsala 1968 P. 389.

الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن ، كما اختار أن يلقب نفسه ، طود من أطواد الثقافة العربية ، ومع شهرته لدى المستشرقين فإنه يكاد يكون مغموراً بين بني قومه من العرب ، إلا منذ عهد قريب حيث تصدى لنشر بعض مؤلفاته أحد أبناء اليمن وعلمائها : الأستاذ المحقق محمد ابن علي الأكوع الحوالي الحميري ، فنشر الجزأين الأولين من « الإكليل » وقام بتحقيق « صفة جزيرة العرب » ، فأعدّه للنشر ، ومن قبل طبع هذا الكتاب طبعين ، وطبع الجزآن : الثامن والعاشر من كتاب الإكليل .

والهمداني كما قلنا في كلمة سابقة ، واسع جوانب المعرفة ، وهو مع ما قام به في حياته من ضيق وجبس وتمذيب ، لم يترك مجالاً من مجالات العلم المروفة في عهده إلا أثف فيه ، فقد ألف في الفلسفة « سرائر الحكمة » ، وصل إلينا منه الباب العاشر في التنجيم ، ويصف صاعد الأندلسي وابن القفطي الهمداني بأنه فيلسوف ، ويقول صاعد في « طبقات الأمم » ما معناه : إنه لم ينبغ في الفلسفة من العرب سوى اثنين : أبو إسحاق الكندي ، وأبو محمد الهمداني ، وقد عرفه علماء الأندلس قبل أن يعرفه المشارقة ، فوصلت إليهم كتبه ، واستفادوا منها - كما هو الحال مع أبي علي الهجري - قبل أن تصل إلى المشارقة .

ومن مؤلفات الهمداني غير « الإكليل » كتاب « الحرث والحيلة » وكتاب « الإبل » وكتاب « القسي والنبال » وكتاب « القوي » وكنت ظننت أن هذه الكلمة محرفة عن القوس ، غير أنني رأيته يذكر هذا الكتاب في مؤلفاته . ومن أم كتبه : كتاب « الجوهريين العتيقين المائتين من الصنفراء والبيضاء » ، ولعل هذا الاسم المسجوع الطويل مما قرر الباحثين عن العناية به ، وقد سبق أن تحدثت عنه في هذه المجلة (١) ، وتحدثت عنه في مجلات أخرى ، وقت بنسخه ، وهيأته للنشر ، غير أن ذلك لم ينهياً لي ، بل تهيأ لأستاذ غربي جليل هو (كريستوفر ثول) .

وقد قام بترجمة الكتاب إلى الألمانية ونشر الترجمة مع النص العربي ، في منشورات (جامعة أبساله سنة ١٩٦٨) بعد أن وضع للكتاب مقدمة باللغة الألمانية ، تحوي موجزاً عن تحصيل الناشر ثم ترجمة موجزة للهمداني فوصفاً للمخطوطات الثلاث المعروفة من الكتاب ، مخطوطة جامعة أبساله ومخطوطة مكتبة المشرق الألماني (جلازر) في مكتبة ميونخ ومخطوطة مكتبة امبروزيانا في ميلانو في إيطاليا والأولى أوفى النسخ ، ثم دراسة مفصلة عن موضوع الكتاب . وقد بذل المحقق الناشر جهداً كبيراً في إبراز الكتاب بأوضح صورة استطاعها .

ولا يدرك ذلك الجهد إلا من اطلع على النسخ المخطوطة ، فرأى رداها ، وكثرة التعريف فيها وإيراد كثير من الكلمات غير معجمة ، ومنها كلمات لأسماء آلات في التعدين ، لا تحوي كتب اللغة التي وصلت إلينا وصفها ، وأخرى كلمات أعجمية كان الهمداني يتلقاها مشافهة من المعدّنين في اليمن ، وكانوا من الفرس ، وكلمات عربية فصيحة يوردها الهمداني ، ولكنها مما تضمنت معجمات اللغة بإيضاحه ، والهمداني لغوي كبير مترجم في كتب اللغويين ، وشاعر تصدّى العالم النحوي ابن خالويه ، لجمع ديوانه في ثلاثة أجزاء وشرحه .

(١) المجلد السادس والعشرون من ٥٣٥ - وما بعدها - .

ولقد بلغ من حرص الناشر الكريم أنه عمد إلى الكتاب ، فنسخه بخط يده ، ثم صور ما نسخ ، لكي يسلم من هفوات الطبع ، وأشار في ذيل الصفحات إلى اختلاف النسخ ، وخرّج بعض الأسماء ، ورجع إلى مصادر كثيرة عربية وعجمية ، فاستحق بعمله التقدير ، "كل" التقدير ، من كل ذي غيرة على التراث العربي . ولعل من مظاهر التقدير لعمل هذا الأستاذ الكريم أن نشر إلى بعض ملاحظات قد تفيده أو يستفيد بها من يقتني مطبوعته ، مؤازرة في إخراج هذا الكتاب بأقرب صورة إلى الأصل ، وندع الحديث عن موضوعه ، فقد أوضحناه في كلتنا المنشورة قديماً في هذه المجلة .

آ - لقد استعصى على الناشر الفاضل فهم كلمات كثيرة من هذا المخطوط فاكفى بأن وَضَعَ في أمكنتها قطعاً ، وأشار إلى صورها في الهوامش ، وكنا نرى إبقاء الصورة بموضعها من الكتاب ليكون أسهل للقارئ ، خاصة وإن الناشر الكريم صور ما كتب تصورياً ، ولهذا لا يستعصى عليه أن يصور الكلمة الغامضة نفسها .

ب - ظهر لي عند مطالعة الكتاب أن الناشر الفاضل أورد كلمات على غير وجهها الصحيح ، فرأيت ذكر بعضها بما أميلُ إلى صحته ، أما الكلمات التي أخالف الناشر الفاضل في كيفية نطقها ، مما عول فيه على إحدى النسخ ، فإنني أترك ذكرها لوقت آخر . وسأشير إلى صفحات النص العربي حسب ترقيم الناشر الكريم .

١ - ص ١ : (فلم يفل) : (فلم يعل) . بالعين المهملة .

٢ - ص ١ : (يأكلون التراث... يحبون المال) : (وتأكلون التراث... وتحبون المال) آية قرآنية معروفة .

٣ - ص ٢ : (فصبياء يسكنن العرب) : (فصبياء يسكنن العرب) .

- ٤ - ص ٢ : (يقول العرب بينهم) : (تقول العرب بينهم) .
- ٥ - ص ٢ : (آتته) : (أتيتته) .
- ٦ - ص ٢ : (يرضى عيواً) : (يرضى عيواً) .
- ٧ - ص ٢ : (وكان أساوره ... الفرس) : (وكان أساوره ... الفرس) .
- ٨ - ص ٢ : (وجعله من أعظم ما في هذه الدنيا دينار) : أرى حذف كلمة (دينار) إذ لا محل لها .
- ٩ - ص ٣ : (وإن كل ما) : (وإن كل ذلك) . وهي آية قرآنية .
- ١٠ - ص ٣ : (ويقول العرب) : (وتقول العرب) ، والحمداني يكرر هذا التعبير كثيراً .
- ١١ - ص ٣ : (ولا إن بكلمة التقوى) : (ولا أن لنا بكلمة التقوى) كما في نسخة ابسالة وبها يستقيم المعنى .
- ١٢ - ص ٣ : (إن الذين يكتزون) : (والذين يكتزون) كما في القرآن الكريم .
- ١٣ - ص ٣ : (ثم ما يشدد الله ... ما يشدد) : (ثم ما تشدد الله ... ما تشدد) .
- ١٤ - ص ٣ : (وما أوتيتم ... لتربوا ... يربوا) : (وما أوتيتم ... ليربو ... يربو) آية قرآنية .
- ١٥ - ص ٤ : (عدى بن زيد) : (عدى بن بداء) . واظفر ضبط هذا الاسم في كتاب « الإكمال » لابن ماكولا ١ : ١٢٣ .
- ١٦ - ص ٤ : (من بركة ابن مارية) : (من بركة ابن مارية) . والقصة معروفة .

- ١٧ - ص ٤ : (ابن الرقيات) : (ابن قيس الرقيات) . الشاعر المعروف .
- ١٨ - ص ٤ : (وثروه وباعوه) : الصواب حذف الواو : (باعوه) .
- ١٩ - ص ٤ : (يَكْفُ الْمُنْتَقِدُ) : (يَكْفُ الْمُنْتَقِدُ) .
- ٢٠ - ص ٥ : (كانت بَشَارَةً وَنَهَارَةً) : (كانت تُشَارُهُ وَتَهَارُهُ) .
- والحديث معروف ، وانظره في ، تاج العروس ، ٣ : ٢٩٥ و ٥٣٨ و ٦١٩ .
- ٢١ - ص ٥ : (فزوجهها حورانيا) : (فزوجهها حورانيا) .
- ٢٢ - ص ٥ : (من زالها) : (من زالها) . انظر ، التاج ، ٧ / ٢٢٦ .
- ٢٣ - ص ٥ : (تَتَشَقُّ) : (تَتَشَقُّ) .
- ٢٤ - ص ٦ : (كل أَيْثَانٍ) : (كل إَيْثَانٍ) .
- ٢٥ - ص ٦ : (يُرَاجِعُ ماء الدر) : (تَرَا جُعُ ماء الدر) .
- ٢٦ - ص ٦ : (لا يشرب) : (لا يشرب) .
- ٢٧ - ص ٦ : (رَقِمٌ وَجْهَهُ) : (رَقِمَ وَجْهَهُ) .
- ٢٨ - ص ٦ : (وما قرب منها) : (وما غزر منها) .
- ٢٩ - ص ٦ : (والجبل والمراق) : (والجبل والمراق) .
- ٣٠ - ص ٧ : (ما كان أعلاه) : (ما كان أغلاه) .
- ٣١ - ص ٧ : (محذوف) : (محذوف) أي مقصوص الذنب .
- ٣٢ - ص ٧ : (في مولد) : (في مولود) .
- ٣٣ - ص ٨ : (وقيل : إبل المسجد) : (وقيل : بَلِ العَسْجِدُ) .
- ٣٤ - ص ٨ : (وثاني عسجد) : (وبآبي عسجد) . من أرجوزة الرداعي التي وصف بها طريق الحج .
- ٣٥ - ص ٨ : (فياله بيتاً) : (فياله بيت) .
- ٣٦ - ص ٨ : (وجه العروس) : (وَجْهَةُ العَروس) .

- ٣٧ - ص ٨ : (وهي المذهب) : (وهي المذهب والمذهب) .
- ٣٨ - ص ٨ : (تَفْضَمُ اللام) : (يَفْضَمُ اللام) .
- ٣٩ - ص ١٠ : (الأهلول مدرها وهي النزاعة) : (الأهلول مدرها ، وهي البراعة) .
- ٤٠ - ص ١٠ : (وسمي الرجال) : (وسمي الرجل) .
- ٤١ - ص ١٠ : (ومثل قول (. . .) وغيره : ما نبأ مصمئل) : (ومثل قول التائب : خَبَرْتُ ما تَابَنَّا مُصْمِئِلٌ) وهذا شطر بيت من قصيدة تأبط شرأ ، التي أولها :
- إِنَّ بالشَّيْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلٌ دَمُهُ ما يُطْلُ
- والحمداني يعبر عن تأبط شرأ ، بقوله التائب كما في شرحه لقصيدته الدائمة ، الورقة ٤٠ النسخة الخطية .
- ٤٢ - ص ١٠ : (أو دقت عليهما) : (أو دَقْتُ عِلْثَها) . وقد فسر الحمداني العلة في الكتاب .
- ٤٣ - ص ١١ : (واني شاري البعير) : (وأَيْنَ شاري البعير ؟) .
- ٤٤ - ص ١١ : (فحسنة ما قلت) : (فَحَسَنَةُ ما قُلْتُ) .
- ٤٥ - ص ١١ : (في ما) : (في من) .
- ٤٦ - ص ١١ : (اسماء من اسماء) : (أسماء من أسماء) .
- ٤٧ - ص ١٢ : (الفلال) : (القلال) .
- ٤٨ - ص ١٣ : (وكل ناكٍ من الجواهر) : (وكل ناهي من الجواهر) وكله ناهي يستعملها الحمداني .
- ٤٩ - ص ١٤ : (دائمة مستديعة) : (دائمة مستديعة مستديعة) .
- ٥٠ - ص ١٤ : (جلبلت الأرض) : (خلخلت الأرض) .
- ٥١ - ص ١٥ : (وناسبه اتصالاً طبيعياً) : (وناسبته اتِّصَالاً طَبِيعِيّاً) .

- ٥٢ - ص ١٦ : (من اوجه ين) : (مزاجه ين) .
- ٥٣ - ص ١٦ : (تسعة درجات) : (تسع درجات) .
- ٥٤ - ص ١٦ : (فكذلك) : (فذلك) .
- ٥٥ - ص ١٦ : (فصارت رأس الحمل) : (فصارت من رأس الحمل) .
- ٥٦ - ص ١٦ : (الحلاوة فيه) : (الحرارة فيه) .
- ٥٧ - ص ١٧ : (حرّان) : (حارّان) .
- ٥٨ - ص ١٨ : (يسر اجزاء الحجر) : (يشدّ أجزاء الحجر) .
- ٥٩ - ص ١٨ : (القهر من هذه الحجارة) : (الفيهر من هذه الحجارة) .
- ٦٠ - ص ١٨ : (قبول صدقه) : (قبول صدقة) .
- ٦١ - ص ١٨ : (كالحجر التي) : (كالحجرة التي) .
- ٦٢ - ص ٢٠ : (على الذات والدوام) : (على الدأب والدوام) .
- ٦٣ - ص ٢٠ : (ما لا انقض له) : (ما لا انقضاء له) .
- ٦٤ - ص ٢٠ : (وفسادها) : (وفساده) .
- ٦٥ - ص ٢٠ : (النيازك والدواب) : (النيازك والدواب) .
- ٦٦ - ص ٢٢ : (بقي الحرارة) : (نقي الحرارة) .
- ٦٧ - ص ٢٢ : (حرارة الاج) : (حرارة الأجسام) .
- ٦٨ - ص ٢٢ : (البخارات المتجدد) : (البخارات المتجددة) .
- ٦٩ - ص ٢٣ : (في اجزاء نفسه) : (في أجزاء اليبس) ،
- ٧٠ - ص ٢٣ : (يملان مكة) : (يميلان مكة) .
- ٧١ - ص ٢٤ : (الأعرّج) : (الأعرّج) .
- ٧٢ - ص ٣٤ : (افيقة) : (أقيعية) وهو منهل معروف . ويسمى
(أفاعية) أيضاً .
- ٧٣ - ص ٢٤ : (وابناء شمام) : (وابناء شمام) وما اثنان .

- ٧٤ - ص ٢٥ : (يملونه) : (يملونه) .
- ٧٥ - ص ٢٥ : (بنجار) : (بنجاري) .
- ٧٦ - ص ٢٦ : (مدحج) : (مدحج) .
- ٧٧ - ص ٢٧ : (حجرة) : (حجرة) .
- ٧٨ - ص ٢٧ : (معروفا) : (معروفا) - بالقاف .
- ٧٩ - ص ٢٧ : (وتصد) : (وتصد) .
- ٨٠ - ص ٢٨ : (لا تفرق) : (لا تفرق) .
- ٨١ - ص ٢٨ : (حلة التبر) : (حلة التبر) .
- ٨٢ - ص ٢٨ : (على المراقين) : (على المراقين) .
- ٨٣ - ص ٢٩ : (وتبرأ منه الذهب) : (وتبين منه أسنة الذهب المتشزر) .
- ٨٤ - ص ٢٩ : (أو أن) : (أو أن) .
- ٨٥ - ص ٣١ : (فقع اللهب) : (فقع اللهب) .
- ٨٦ - ص ٣١ : (يحذو اللسان) : (يحوذ اللسان) .
- ٨٧ - ص ٣١ : (حتى ينقياها) : (حتى ينقياها) .
- ٨٨ - ص ٣٢ : (النار اذا انسفرت) : (النار إذا استمرت) .
- ٨٩ - ص ٣٢ : (يسبك) : (سبك) .
- ٩٠ - ص ٣٢ : (ثم) (...) : (ثم أحيرة الماء والهواء) .
- ٩١ - ص ٣٢ : (ولم ... الماء والهواء) : (ولم ينقص احرا را شديدا يطير الماء والهواء) .
- ٩٢ - ص ٣٢ : (نصفي يضة كينتين) : (نصفا يضة كيفتين) .
- ٩٣ - ص ٣٢ : (التضمدة ... يضم) : (التضمدة ... يضم) .
- ٩٤ - ص ٣٢ : (فاذا عم الصف الدواء) : (فاذا عم الصق الدواء) .
- ٩٥ - ص ٣٣ : (تضايح لقوم) : (بضايح لقوم) .

- ٩٦ — ص ٣٣ : (الاذهاب والتور) : (الأذهاب والتبور) .
- ٩٧ — ص ٣٣ : (حتى يصل البرودة ويرتقي) : (حتى تصل البرودة ويرتقي) .
- ٩٨ — ص ٣٣ : (خلة الزاج ودقته) : (جلة الزاج ودقته) .
- ٩٩ — ص ٣٣ : (بمائه ذلك) : (بمائه ذلك) .
- ١٠٠ — ص ٣٤ : (حدة الزاج على قدر حدته) : (حدة الزاج على قدر جيدته) .
- ١٠١ — ص ٣٤ : (كيلا نزل ... شيء) : (كيلا يزل ... شيء) .
- ١٠٢ — ص ٣٤ : (وان استحسن أحدهما) : (وان استخشن أحدهما) .
- ١٠٣ — ص ٣٥ : (الجرش) : (الجرش) .
- ١٠٤ — ص ٣٥ : (ما ينقص) : (واحدة ما) : (ما ينقص في المعاد ، وأخذ ما يزيد) .
- ١٠٥ — ص ٣٥ : (بما صف ... المطرقة) : (بما صف الا بما رمى بأثر المطرقة) .
- ١٠٦ — ص ٣٥ : (من جهات فيها) : (من جهات : منها) .
- ١٠٧ — ص ٣٦ : (قدر مُرَازَةٍ) : (قدر مُرَادِمٍ) .
- ١٠٨ — ص ٣٦ : (بما انفق) : (بما انفق) .
- ١٠٩ — ص ٣٦ : (الشث والكلام) : (الشغب والكلام) .
- ١١٠ — ص ٣٧ : (حبة واكثر) : (حبة ، حبة ، واكثر) .
- ١١١ — ص ٣٧ : (لنا ان نظير) : (لها أن نظير) .
- ١١٢ — ص ٣٧ : (ذلك يستوي) : (ذلك لأن يستوي) وانظر ص ٣٨ .
- ١١٣ — ص ٣٧ : (وآمن السباك أن يسوط) : (ومن السباك من يسوط) .
- ١١٤ — ص ٣٨ : (اثنان مستعملان ورأيتيه) : (اثنان : مُستعملٌ ، ورأيتيه) .

- ١١٥ — ص ٣٨ : (تبلغ قدرهن) : (يبلغ قدرهن) .
- ١١٦ — ص ٣٩ : (حذو القيدۃ بالقيدۃ) : (حذو القذۃ بالقذۃ) .
- ١١٧ — ص ٤٠ : (وايها حذاءها) : (وانها حذاءهما) .
- ١١٨ — ص ٤٠ : (كما يتيا) : (كما نبتنا) .
- ١١٩ — ص ٤٠ : (وايها جنرها) . (وانها جنرها) .
- ١٢٠ — ص ٤٠ : (الارادة) : (الإدارة) .
- ١٢١ — ص ٤٣ : (جادت النار) : (جارت النار) .
- ١٢٢ — ص ٤٣ : (فقد فيه) : (فقد أصبح فيه) .
- ١٢٣ — ص ٤٣ : (سوى فذلك) : (سواء ، فذلك) .
- ١٢٤ — ص ٤٤ : (خمسة في نسق سوى) : (خمسة ، في نسق ، سوى
- محمد بن ابراهيم بن محمد محمد بن ابراهيم بن محمد بن
- ابن عبد الرحمن ، من محمد عبد الرحمن بن محمد ،
- إلى محمد) . من محمد إلى محمد) .
- ١٢٥ — ص ٤٤ : (وان ما ذهبوا له) : (وان ما ذهبوا إليه) .
- ١٢٥ — ص ٤٤ : (لا يسقط عن خطائين) : (لا يسقط عن خطائين) .
- ١٢٦ — ص ٤٤ : (ولا بين ضعفه) : (ولا يميز ضعفه) .
- ١٢٧ — ص ٤٥ : (فاذا استوت على انها) : (فاذا استوت ، علم أنها) .
- ١٢٨ — ص ٤٥ : (من الكفة الأخرى) : (في الكفة الأخرى) .
- ١٢٩ — ص ٤٦ : (كل ما يفرغ من هذه) : (وكل ما تفرغ من هذه) .
- ١٣٠ — ص ٤٧ : (أو رجحانات) : (أو رجحان) .
- ١٣١ — ص ٤٨ : (أو حزن كثيرة الوعث) : (أو طرق كثيرة الوعث) .
- ١٣٢ — ص ٤٨ : (ينادى الى هذا) : (يتأدئى إلى هذا) .
- ١٣٣ — ص ٤٨ : (من المياه إلى الريق) : (من المياه إلى الرق) .

١٣٤ — ص ٤٨ : (ما يستوى بين الناس) : (ما يسوي بين الناس) .
 ١٣٥ — ص ٤٨ : (اجر الساق البتراء وقدر بما) : (أختر الساق والسر ،
 وقدر له بما) .

١٣٦ — ص ٤٨ : (على ما (...) إليه) : (على ما يغب إليه) .
 ١٣٧ — ص ٥٠ : (ثم : باب حكومة) : (ثم : باب حكومة) .
 ١٣٨ — ص ٥٠ : (فينتني أن يعرف ذلك ، فأما) : (فينبني أن يعرف
 ذلك تماماً ، فأما) .

١٣٩ — ص ٥٠ : (فإن تصور) : (بأن تصوّر) .
 ١٤٠ — ص ٥١ : (فحيث تبحثي) : (حيث تبحري) .
 ١٤١ — ص ٥١ : (تقايض من جنوبها) : (تقايض من جنوبها) .
 من قاض .

١٤٢ — ص ٥١ : (بصرف بش) : (بصرف نفيس) .
 ١٤٣ — ص ٥١ : (فاذا استوت هندمت) : (فاذا استوت هندمت) .
 ١٤٤ — ص ٥١ : (ولا تقدو به الجفنة) : (ولا يمدونه الجفنة) .
 ١٤٥ — ص ٥١ : (فتشع ما كان) : (فتبع ما كان) .
 ١٤٦ — ص ٥١ : (حي به) : (حيي به) .
 ١٤٧ — ص ٥١ : (يخل من القلة) : (نخل من القلة) .
 ١٤٨ — ص ٥١ : (ثخيناً ، لأن) : (ثخيناً ، لثيناً) .
 ١٤٩ — ص ٥٣ : (لما في أول) : (كما في أول) .
 ١٥٠ — ص ٥٣ : (ثم يعمد) : (ثم يعمد) .
 ١٥١ — ص ٥٣ : (ثم عره عليه وعمد) ، (ثم عره عليه عر عرّة
 غليظة ، وعمد) .

- ١٥٢ — ص ٥٤ : (إذا يصح) : (إذا نضج) .
- ١٥٣ — ص ٥٤ : (فورت) : (قَوِّرَتْ) .
- ١٥٤ — ص ٥٤ : (امرأته قد احب) : (امرأته فقال : أحِبُّ) .
- ١٥٥ — ص ٥٤ : (فقرغ) : (فقرح) .
- ١٥٦ — ص ٥٥ : (ليست بعده) : (ليست تقده) .
- ١٥٧ — ص ٥٥ : (عن بعض المفسدين) : (عن بعض المفسرين) .
- ١٥٨ — ص ٥٥ : (وجففت ...) : (وجففت بتين) .
- ١٥٩ — ص ٥٦ : (الثخان) : (التجاب) . والتجباب — ككتاب —
ما أذيب مرة من حجارة الفضة ، أو الخط من الفضة يكون في حجر
المدن (اللسان) ، وهو المقصود هنا — كما يفهم من الكلام .
- ١٦٠ — ص ٥٧ : (النفيس الغزير) : (النفيس الغريز) .
- ١٦١ — ص ٥٧ : (الرداة) : (الرداءة) .
- ١٦٢ — ص ٥٧ : (المشاش) : (الأمشاش) .
- ١٦٣ — ص ٥٧ : (ولا يشاء) : (ولا شاء) . من الملاشاة
- ١٦٤ — ص ٥٧ : (فعلى عصر ذلك) : (فعلى عكس ذلك) .
- ١٦٥ — ص ٦٠ : (المرتضاة الحروف) : (المرتضاة لأن أصلها الحروف) .
- ١٦٦ — ص ٦٠ : (فهي باهية) : (فهي ناهية) أي جيدة .
- ١٦٧ — ص ٦١ : (الجب وهو الجرة) : (الحِبُّ وهو الجرّة) .
- ١٦٨ — ص ٦١ : (في الارطال) : (من الارطال) .
- ١٦٩ — ص ٦١ : (لأنها تهوى) : (كأنما تهوى) .
- ١٧٠ — ص ٦١ : (وقد تهرج) : (وقد يهرج) .
- ١٧١ — ص ٦٢ : (فنزل جله) : (فنزل ما به) .
- ١٧٢ — ص ٦٢ : (الاخلاص) : (الخلاص) .

- ١٧٣ — ص ٦٢ : (على حَدِّهِ) : (على حَدِّهِ) .
- ١٧٤ — ص ٦٢ : (بِإِلَاحَةٍ) : (مَلَأَمًا) . من الملاءمة .
- ١٧٥ — ص ٦٣ : (وبه نفس ، وأما الذي لا نفس فيه) : (وبه نفس ، وأما الذي لا نفس فيه) .
- ١٧٦ — ص ٦٣ : (تمد الطبخ) : (بعد الطبخ) .
- ١٧٧ — ص ٦٣ : (النطائق) : (التطابق) .
- ١٧٨ — ص ٦٤ : (اخوذ واللوز) : (الجوز واللوز) .
- ١٧٩ — ص ٦٤ : (مدلق بمرار البقر) : (مُدَيِّف بمرار البقر) .
- ١٨٠ — ص ٦٤ : (استفرع) : (استفرع) .
- ١٨١ — ص ٦٤ : (كَيْهٌ الحديدُ) ، (كَيْهٌ الحديدُ) .
- ١٨٢ — ص ٦٤ : (ويسمر البائنة من الفلوق ... فيصرف فلقتها) : (وتسمر البالية العلوق ... فيصرف علقتها) .
- ١٨٣ — ص ٦٤ : (النفري) : (النضرة) .
- ١٨٤ — ص ٦٤ : (متصعد من بخاره) : (فتصعد من بخاره) .
- ١٨٥ — ص ٦٥ : (عند الناس منه) : (عند اليأس منه) .
- ١٨٦ — ص ٦٦ : (فتطلي ماشب) : (فتطلي ماشئت) .
- ١٨٧ — ص ٦٧ : (تحوذ .. وتقي) : (يُجَوِّدُ .. ويُثَقِّي) .
- ١٨٨ — ص ٦٧ : (ولثوْنٌ قثاب) : (ولثوْنٌ ، قبان) .
- ١٨٩ — ص ٦٧ : (كانت أقل اخذها) : (كانت أقل لأخذها) .
- ١٩٠ — ص ٦٧ : (شيء ما كان) : (شيء مما كان) .
- ١٩١ — ص ٦٧ : (سحائب زبد) : (سحائب رُبْدٌ) .
- ١٩٢ — ص ٦٨ : (قد فني عنه) : (قد فُتأ عنه) .
- ١٩٣ — ص ٦٨ : (لين اللوز) : (لِأَنَّ اللوز) .

- ١٩٤ — ص ٦٨ : (تكسر من .. ميمانه) : (تكسر من جِدَّتِه ميمانه) .
- ١٩٥ — ص ٧٠ : (تحسر وترفع) : (تحسَّن وترفع) .
- ١٩٦ — ص ٧٠ : (تبين عتق الذهب) : (بين عتق الذهب) .
- ١٩٧ — ص ٧٠ : (وكما ما هو أخف) : (وكل ما هو أخف) .
- ١٩٨ — ص ٧١ : (اول الكواكب ضررا) : (أقل الكواكب ضررا) .
- ١٩٩ — ص ٧١ : (قصب المصنَّان) : (قصب المضار) . وقد ذكره
في « صفة الجزيرة » ص ١٩٣ .
- ٢٠٠ — ص ٧١ : (قوم يصونه) : (قوم يمتصرونه) .
- ٢٠١ — ص ٧٢ : (اللوابي تحججن) : (اللواتي يحججن) .
- ٢٠٢ — ص ٧٢ : (وجملوا ما في أرجل) : (رجمو الى ما في أرجل) .
- ٢٠٣ — ص ٧٢ : (بحال اليبس) : (لحال اليبس) .
- ٢٠٤ — ص ٧٣ : (الحدة .. خلق) : (الجدة .. خلق) .
- ٢٠٥ — ص ٧٣ : (في البقاء) : (في النقاء) .
- ٢٠٦ — ص ٧٤ : (اعظم يدينون به) ، (أعظم ما يدينون به) .
- ٢٠٧ — ص ٧٥ : (صدى المطرقة) : (صدأ المطرقة) .
- ٢٠٨ — ص ٧٤ : (من بعد يومئذ) : (من بعد ، ويومئذ) آية قرآنية .
- ٢٠٩ — ص ٧٦ : (واما علة لأن) : (واما علة لين) .
- ٢١٠ — ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ : (النفيت) : (التفيت) .
- ٢١١ — ص ٧٧ : (لينبت الدينار) : (ليثبت الدينار) .
- ٢١٢ — ص ٧٧ : (فإنَّ فيه الميل) : (بأنَّ فيه الميل) .
- ٢١٣ — ص ٧٧ : (وان جل طوقه) : (وان كان جل طوقه) .
- ٢١٤ — ص ١٧ : (ويسر الوضعات) : (وشر الوضعات) .
- ٢١٥ — ص ٧٨ : (فمن صدر السكة وحفظها) : (فمن حدر السكة وخفضها) .

٢١٦ — ص ٧٨ : (ومن يضرب السكة ورفعها) : (ومن نصب السكة ورفعها) .

٢١٧ — ص ٧٨ : (يلقاها الراحة) : (تلقاها الراحة) .
 ٢١٨ — ص ٧٨ : (وما كان هشافي) : (وما كان هشاً من وجه) .
 ٢١٩ — ص ٧٨ : (وجدة الاكرع مع نباتها) : (وحيدة الاكرع مع نباتها) .

٢٢٠ — ص ٧٨ : (تحينا) : (ثخينا) .
 ٢٢١ — ص ٧٨ : (يصلدم ما تحته) : (يصادم ما تحته) .
 ٢٢٢ — ص ٧٨ : (فيخرج الأسفل على...) : (فيخرج الأسفل على الثبات) .
 ٢٢٣ — ص ٧٩ : (فقد يصدأ ولكنه) : (فقد يُضيء ولكنه) .
 ٢٢٤ — ص ٧٩ : (بنقوش) : (يتنقوش) .
 ٢٢٥ — ص ٧٩ : (وقد يعرف الحديد) : (وقد يمرق الحديد) .
 ٢٢٦ — ص ٧٩ : (لأن البقار) : (لأن النعال) .
 ٢٢٧ — ص ٧٩ : (ثم ريزج وصقل) : (ثم رُتدِج وصقيل) .
 ٢٢٨ — ص ٨١ : (النحلي) : (التخلي) اسم موضع في صفة جزيرة العرب ص ٢٤٠/١٩٠ .



وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

- ٢ - (١)

ويمكننا أن نعتبر الحقل الرابع من شعر الصنوبري والذي سنقف عنده وصف المياه وما يجري هذا المجرى . ويستوقفنا هنا وصف الثلج ووصف البركة ووصف نهر حلب المسمى بقويق .

على سبيل العموم ، نلاحظ قلّة احتفال الصنوبري بوصف المياه من خلال القطّعات التي في الذيل . ولعل نهر قويق استنزف منه قريحته في هذا الموضوع فما خرج إلينا في سواء بغير المادي . والمياه توصف عنده عادة بالصفاء والرقّة ، وتشبه بالفضّة والدّور ، و"سطوح" بجانيها تنغصّن إذ ما لمستها يدُ الريح كأنها الدروع الزردية .

ونحفل بوصف الثلج لقلّة ورود هذا المعنى في الشعر العربي ، ولا حرج . قلّة الثلج في العالم العربي أدّت إلى ذلك ولا غرو . في مقطوعة يرِدُ بها ذكر الثلج لم يأتِ الصنوبري على شيء سوى ذكر الثلج وتسميته وتشبيهه بالورد الأبيض :

وردُ الربيع موزّد والورد في تشرين أبيض

وله قصيدة أخرى في وصف سقوط الثلج ، يتّصلُ الوضع الطبيعي فيها بالوضع الإنساني . فنَدَفُ الثلج يحدو الصنوبري لأنَّ "يهيب" بصحبه إلى اللهو والقصف . على أن ما يستوقف الناظر حال النهار الضاحك المتفتح بفلاة من فضاء . وهو ولا شك معنى مطروق من كلام شوقيه ليس لشاعرنا فضل سوى الجمع تحت عنوان جديد . وخلاف هاتين القطعتين « الثلجيتين » لا نثر له على شيء في الموضوع .

(١) نثر أول المقال في الصفحة ٨١٠ من المجلد (٤٣) .

أما اختفائنا بوصف البركة فلورود معنى رائع فيه . وقد جاء خلال وصف الشاعر لرياض حلب الشهباء حيث يذكر أن وسط ساحات هذه الرياض بركاً ماؤها زجاج مذاب ، ولجّين مسبوك ، ولصفاء ماء هذه البركة تقود :

هي الجوّ من رقة غير أن مكان الطيور يطير السمك
لقد حاول البحري أن يقول قبل الصنوبري مثل هذا المعنى في قصيدته
بوصف بركة المتوكّل :

يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مَجْنَحَةٍ كَالطَّيْرِ تَنْقُضُ فِي جَوِّ خَوَافِيهَا
ولكنّه قصر عن معنى شاعرنا .

وأما الصنوبري ونهر حلب فينبها غرام وعشق . فهو لا يرى من هذا النهر إلاّ المحاسن والفضائل . رياض قويق نضرة مزهرة عقيقة ، تمخرّض على حثّ الكؤوس ، وماؤه بقيّ كالبلّور يلمع كالشمع اللؤلؤ ، وهو يأبى أن يحمل على ظهره السفائن ، وله من العلاجم (١) ما يسبّح بحمد الله له . ولكنّ الذي أفضّ مضجع شاعرنا أن هذا النهر إذا جدّ جدّ الصيف ، غادر الماء جسمه فبدا شحيحاً . فيحاول الصنوبري أن يتحلّ له الليل ، فيقول أولاً بمرضه :

قويق على الصفراء ركّب جسمه رباه بهذا شهّد وحدائقه
إذا جدّ جدّ الصيف غادر جسمه ضيلاً ، ولكنّ الشتاء يوافق
ولكنّ المرض من العيوب ، وأيّ حسن يكنّ في جسد ركّب
على الصفراء ! فيذهب يلتئم له المنر من العاطفة السامية ، الحب :

(١) العلاجم جمعها : علاجم ، وهو الفقدع الذكر ، وله معان أخرى . (المجلة)

وقد عابه قومٌ وكلّهمو له على ما تعاطوه من العيبِ، عشاقُ
يهابُ قويقٌ أن يملّ فإنما يقيم زماناً ثم يمضي فنشتاق ...
كانَ هذا النهر محبّ خفيف الظلّ يزور غيّاً كي يزداد حبّاً :

فلو دام في الحبّ الوصالُ ولم يكنْ فراقٌ ولا هجرٌ لما اشتاق مشتاقٌ ...
ولكنّ قويقاً قويّاً في الشتاء ، فما بالُ حُسادِهِ يمدّونه :

تذهبُ أمواجه كخيالٍ شقر لها وسطها ذهابٌ
وهل موجه كالخيل وحسب ، إنّه إن شمّ ريح الشتاء تاه وتكبر :
وناسبَ دجلة والنيل والفرات بهاءً وحسناً وطيباً

ولكنّ ماءهُ شحيح في الصيف . ما باله هكذا ؟ إن هذا ليؤلم شاعرنا
ويحزنه . لا بُدَّ وأن يعتذر لهذا . وما له من حيلة أو مخرج سوى
الخفوت في الاعتذار . فيرثي له ويعتذر عنه وبشير الشفقة فيك عليك
تصفح وتغفر :

وإن أقبلَ الصيف أبصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كشيء

إذا ما الضفادع نادينه قويقٌ ، قويقٌ ، أبي أن يجيبا

وهنا تكن الشاعرية .

اسم هذا النهر لا يوحى بالموسيقى اللفظية مطلقاً . ومن جهة أخرى ،
يعتبر تقيق الضفادع مزججاً ممقوتاً . ولكن شاعرنا استعار الواحد للآخر ،
ومزججها ، فأعطاك أبداع صورة وأدقّ تعبير تنقّ الضفادع له ... وهكذا تقول :
قويق قويق ... ولكنه لا يجيب ! قبل هنالك من عاتب عليه بعد الآن ؟
ولا حاجة لنا بعد هذا كلّيه أن نشير إلى بلاغة التجريد والتشخيص
والوجدانية فيما مضى .

أما الحقل الخامس من شعر الصنوبري فهو وصف المدن والأماكن . وهو ضربٌ من الوصف لا يهمننا كثيراً إلا بالقدر الذي تناول فيه وصف رياض هذه الأماكن والمدن . وقد ألمحنا لذلك في مكانه حيث تحدثنا عن شمره في الرياض ، صناعيةً وطبيعيةً .

والحقل الأخير الذي سنشير إليه هو ذلك النوع من القصائد التي تحدث بها على سجيته فصور شعوره النفسي تجاه الطبيعة وأظهر ذلك واضحاً جلياً . وهذا نهجٌ وجدانيٌ صرف .

الشعور العام الذي يرافق هذا الحقل في تلك القصائد واحدٌ في التسلسل ، واضحٌ لا لبس فيه ولا غموض . ولتمثل على ذلك بعض المقاطع لنخلص إلى حكم عام بشأن هذا الحقل الأخير . يقول الصنوبري في إحدى قصائده بعد مطلع غزل :

لا تلمني بالرقتين ودعني إنَّ قلبي بالرقتين رهينُ
يا نديمي ألا تحنَّ إلى القصصف فهذا أوانُ يبدو الحنينُ
إلى أن يقول :

كم غدا نحدو ديزككى^(١) من قلبٍ صحيحٍ فراح وهو حزينُ
ويُشيعه بسنة أيات في الغزل .

ومن قصيدة أخرى يفتحها بالوصف حتى يقول :

أيا متنزهي في دير زكى ألم تكُ نزهتي بك نزهتين
إلى أن يصل بقوله :

(١) ضبط المؤرخون كلمة : (زكى) بالزاي المفتوحة مع الكاف المفتوحة الممددة ، ثم ألف مقصورة أو ألف ممدودة وكلاهما صحيح (البيارات للشابثي ص ١٣٩ كوركيس عواد) . والبيت مضطرب الوزن (المجلة)

تَرَانَا وَاصْلِكَ كَمَا عَهَدْنَا وَصَالًا لَا نَنْفَعُهُ بَيْنَ
 أَلَا يَا صَاحِبِي خُذَا عِزِّي هَوَايَ ، سَلَمَتَا مِنْ صَاحِبَيْنِ
 لَقَدْ غَضَبْتَنِي الْخَمْسُونَ فَتَكِي وَقَامَتِ بَيْنَ لَذَاتِي وَبَيْنِي
 وَكَانَ اللَّهُ عِنْدِي كَابِنِ أُمِّي فَصَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ كَعَلَتَيْنِ

وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ يَطْلُعُ عَلَيْنَا بَيْتُ كَهَذَا :

حُثَّ الْكَؤُوسَ فَإِنْ هَذَا وَقْتُهَا وَصَلَ الرِّيَاضَ فَإِنْ ذَا إِبَانُهَا
 أَوْ كَهَذَا :

ذَهَبَ كُؤُوسُكَ يَا غَلَامُ فَإِنْ ذَا يَوْمٌ مُفَضَّضٌ
 أَوْ كَهَذَا :

فَاشْرَبْ عَلَى ذَا الشَّقِيقِ كَاسًا تَشْرَبُ عَقِيقًا عَلَى عَقِيقٍ ...

الملاحظ أنه لو حصرنا كل شعره الذي في هذا الموضوع فإننا نرى قصائده
 الوجدانية المتصلة بالرياض ، تبدأ بالحنين إلى الطبيعة ثم إلى وصلها من أجل
 اللبو والقصف . فالأمر إذا أمرٌ لذاتٍ وشهوات ، وما الطبيعة عنده إلا
 "مُتَشَجِّعٌ" للشرب وحث الكؤوس . فهل قتلوا إذا قلنا إن زعته
 نواسيئة الجذور . ولكنه يشدد على الروض بدل التشديد على الحر ومفهومها
 كما هي الحال عند زعيم هذه المدرسة ؟ هذا غلوٌ ولا شك ، ولكن لا بد
 أن يكون تحته شيء من الصحة والصواب .

* * *

(١) في العبارات ص ١٤٠ : لعتين ، وربما كان الصحيح : فصرنا بعد ذلك علتين. (المجلة)

ونختتم هذا البحث بعد أن تدرّج بنا إلى هذا الحد . وقد كان بالإمكان أن يطول ويتشعب . فنختمه بكلمة موجزة قصيرة حول أسلوب الصنوبري الشعري .

أول ما يلفت الانتباه سرعة العطاء الشعري ، وازدحام الصور الوصفية في محبلة الشاعر حتى تظني عليه ، فإذا به يذكر الأشياء ذكراً دون وصفها . والسرعة تورثه أحياناً التدفق في العطاء ، وهذا غير ما سبق ، لأنه يتأثر على الصورة ويتفتن في إخراجها والتعبير عنها فهو إن قال :

أقحوان وسوسنٌ وشقيقٌ وبهارٌ يُجَنِّيْ وأذريونٌ

نلمس السرعة في العطاء الشعري حيث ازدحام الصور . وهو إن قال :

وكانَ عَمرُ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أعلام ياقوتٍ نَشرنَ على رِماحٍ من ذَبرجَدَ

نلمس تدفق التعبير لصورة واحدة .

ومما يسترعي الانتباه أيضاً الجزالة وشدة الأسر في شعره مما يُنتج فكرة سرعة العطاء لديه وتدفق التعبير .

أمّا ألفاظه فـ"فلسية" على العموم ، وقلّما تقع له على اللفظة النافرة أو الحوشية المخترج . فكأنما الكلمات لسلاستها يأخذ بعضها برقاب بعض ، . انظر مثلاً هذا البيت :

وبدا النرجس البديعُ كأَمْـشال عيون ترنو إليها عيونُ

حتى إن الوقفة القصيرة ما بين صدر البيت وعجزه قد اختفت في المديد من أبياته فيغدو اليتان أو الثلاثة أو الخمسة أحياناً لا يفصل بينها من ناحية تدافع الألفاظ إلا هذه القافية لليرثان . وإذا أنت أمام مقطوعة تسلب

التفّس وتأسرُ الأعصاب . وأما تناسق اللفظ والمعنى من جهةٍ وتوافق اللفظ والمعنى والموسيقى الشعرية من ناحيةٍ أخرى فقد رأينا مثلاً رائماً على ذلك في نداء الضفادع لقويق .

وهناك ظاهرة بارزة بجلاء وهي إغراقه في استمارة ألوان الجواهر والأحجار الكريمة ، وتشبيه ألوان الزهر والنبات بها . وهذا ضرب من التشبيه الخيالي . فلو أخذنا وصفه للرجس حين يقول :

أقداح ياقوت تعاطيكمها أناملٌ من لؤلؤ رطبٍ

نرى أنه جمع ما بين الأقداح والياقوت والأنامل واللؤلؤ الرطب . والأربعة "تدرك بالحس" المادي منفصلةً ، ولكن متى "جمعت" تغدّر ذلك وأصبح يقع ضمن إطار الخيال . وأغلب خيالاته من هذا النوع ، قريبة المثال بعيدة عن الغموض والتكلف . وقتلما يقع شاعرنا في الغلو .

أما الصفة الغالبة على شعر الصنوبري من حيث منطقية الوصف فنحن لا نرى ذلك عنده كما يُرى عند البحري مثلاً من حيث أخذ الأخير المعنى العام للموصوف ثم الدنو شيئاً فشيئاً إلى الجزئيات الدقيقة ، ولم يكن الصنوبري من يأخذ المعنى وبشتط في تقليبه على وجوه ، كما كان يفعل أبو تمام ، وإنما نرى معاني الصنوبري وصوره تستقل الواحدة عن الأخرى وتتقدم أو تتأخر دون إخلالٍ بالاطرار العام . على أن همه الأول كان دائماً نقل الصورة مستطرفةً إذا أراد التصوير الموضوعي ، وإذا أراد بث شعور التعاطف مع الطبيعة أغرق في الوصف الوجداني .

قبل أن تنتقل إلى القصائد المختارة في الذيل أودّ أن أسطر بعض الحقائق عن حياة الصنوبري .

هو أبو بكر أحمد بن محمد الضبّي (ونيس الصيني) الصنوبري . كان في بلاط سيف الدولة الحمداني بالموصل متسلماً خزانة كتب الأمير . وقد مدح كبار عصره ووجهاء دولته بالعديد من المطولات ، ناهيك عن مدائح آل البيت الشريف . ثم لما استولى سيف الدولة على حلب انتقل الصنوبري معه ، ومات فيها سنة ٣٣٤ للهجرة .

يقال ، والله أعلم ، إن المتنبي كان من بعض تلامذته أو الناشئة الذين طلبوا رأي الصنوبري بشعرهم واستقوا آراءه في ذلك . ويقال كذلك إن سيف الدولة كان يزوره في جنة كبيرة ابتناها وحشد فيها صنوفاً من الطير والزهر والمياه مما يفوق الوصف .

على أن حياة هذا الشاعر مجهولة الغاية ، وهو كابن الرومي ، ينتظر من يبعثه من رقاد الأجيال وينفض عنه غبار السنين .

فواز أحمد طر فاد



محكمة المياه في بلنسية

قال انقرى* قلا عن الجغرافي البكري وتشابه اسبانيا بلاد الشام بسحر مناخها وصفاء هوائها ، واليمن بمناخها المعتدل صيفاً وشتاء ، والهند بمطورها الزكية الرائحة ، وبلاد فارس بأهمية مكوسها وعدن بمتوجات سواحلها ، .

وعلى ذكر متوجات سواحلها أقول بأن العرب في أقطارهم لا يعرفون أسبانيا معرفة تامة ، فقد رحلت إلى هذا الفردوس المفقود وشاهدت بأم عيني أرض الأندلس وسواحلها ، وكورها ومزارعها ، ومدنها وقصباتها ، وأهلها في حواضرهم وأريافهم ، وعانيت سحنهم وأشكالهم وعاداتهم وأخلاقهم . وقد تبين لي : بعد أن زرت هذا القطر بأن اسبانيا في حاضرها مدينة للعرب بترائبها الحضاري وطابعها الأحيائي (البايولوجي) المتجسم في خلقه أنبائها ، وبوفرة إنتاجها الزراعي وجودته ، وكثال على أثر الحضارة العربية على أسبانيا أذكر أعمال الري في منطقة بلنسية فإنها شاهد صدق على ما أقول .

لقد حوّل العرب بلنسية إلى بستان حقيقي رغم أن تربتها ليست فائقة الجودة ، كما أن ميزات مناخها ليست أفضل الميزات الزراعية إذ أن نسبة هطول الأمطار منخفضة جداً (٤٨٠ مليمتراً في السنة) . ولكن عرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها العزيز (نهر توريا) منذ ألف سنة أو أكثر فانشأوا السواقي المديدة تروي الأراضي القاحلة بمياه النهر فأحالتها إلى جنات تجري من تحتها الأنهار .

إن السواقي التي أوجدها العرب مازالت باقية حتى أيامنا هذه ، وهي تشكل عملاً هندسياً رائعاً بشهادة أبرز الشخصيات الفنية الحديثة ، فلا عجب أن أصبحت منطقة بلنسية اليوم عبارة عن بستان كبير كثير الخصب وافر المتوجات ، تلك المتوجات الزراعية التي حازت اليوم تقدير المستهلك وإعجابه داخل اسبانيا وخارجها .

إن هذه اللجنة التي يرجع عهدها الى أكثر من ألف سنة ، تجري فيها سبع سواك تشير أسماءها إلى مصدرها العربي وهي : ساقية قوارت ، وابن عشار ، ومسلطة ، وفهارة على الضفة اليمنى وساقية الترمس ، ومستليسا وراسكانيا على الضفة اليسرى للنهر ، ويتفرع منها قنوات وافرة تنقسم بدورها إلى فروع عديدة تشمل مساحة واسعة من أراضي الري .

هذا وقد أشاد الدكتور (روزيه) رئيس جامعة لوزان في سويسرا بهندسة الري العربية في بلنسية إذ قال (لقد طوفت بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الإعجاب ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فإن أهل هذه الولاية من الأسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأ أبناء جنسكم (ويعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المسلم في أرض الأندلس ، على نف هذه السكور على وادي الأحمر وغيرها وإلا لهلك ولا من يبكيها قبح من قضوا عليها) راجع مجلة الجمع العلمي العربي ، الجزء السابع من المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٢) .

مما يكن من أمر فإن العرب لم يقتصروا على القيام ببناء القنوات على هذه الطريقة المعجبة بل نظموا أيضاً توزيعها بين المزارعين بشكل قانوني ليستفيدوا جميعهم منها فأنشأوا هيئة تحكيمية تسمى « محكمة المياه » ، قام بخلقها

الخليفة الأموي الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية آنذاك عبد الرحمن بن حبال ، وقد تأسست هذه المحكمة في أواخر عام (٩٦٠ م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر . وعندما فتح الملك خيمي الأول بلنسية احترمت هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما احترمتها جميع المحاكم الذين استلموا زمام الأمور في اسبانيا حتى يومنا هذا . واعترف التشريع الاسباني بشرعية وقوانين المحكمة المذكورة اعترافاً صريحاً .

لقد كان عام (١٩٦٠ م) عام الذكرى الألفية لتأسيس محكمة المياه ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العدل الاسباني وبصحبته وزراء الزراعة والأشغال العامة ، وقد أشاد الخطباء في تلك الاحتفالات بالهبة بالحضارة العربية وبمآثر العرب الرائعة في الأندلس ، وبما يلاحظ بأن تكفير الاسبان عن خطاياهم التي ارتكبوها ضد العرب قد جاء متأخراً جداً .

أما محكمة المياه هذه الطارفة التليدة فتقام في المراء كل خميس في مدينة بلنسية منذ تأسيسها من قبل العرب حتى اليوم ، وانتخب يوم الخميس من بين أيام الأسبوع لتجري فيه محاكمات المياه لأنه اليوم السابق للمطلة الإسلامية (الجمعة) ويتم اجتماع المحكمة عند مدخل كاتدرائية بلنسية التي كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب .

تتألف المحكمة من سبع قضاة ينتخبهم الشعب من بين المزارعين المنتجين ، قاض عن كل ساقية . واختصاص هذه المحكمة هو الفصل في الدعاوى الناتجة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الأكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذي يعتبر نفسه مغبواً ، فيقدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه أمام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ، ويجوز إحضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكفي غالباً برد الواقع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجري بصوت منخفض بين أعضاء المحكمة يملن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف .

لمحكمة المياه ميزات فادرة ، تجري المحاكمة في المراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية ، وعلى القضاة أن يرتدوا اللباس الرسمي — وهو عبارة عن قميص أسود — (وهذا الزي تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية بالنقد المتداول ، ولكنّه يجب الإشارة الى قيمتها بالائيرات القديمة . ويتقاضى الرئيس عادة نصف لييرة من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل خاص مشهور بلنسية يكلف بإعدادها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوانين التي تطبقها المحكمة مقتبسة باكثرها عن قوانين الري التي كانت سارية بملك في القرن الثامن الميلادي ، وبعضها مقتبس من مجموعة قوانين (حمورابي) التي ترجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ، وهذا يعني أن أقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كاتدرائية — مسجد — بلنسية .

إن قوانين بملك وشرائع حمورابي دخلت إلى أسبانيا عن طريق الجيش العربي الذي جاء لنصرة طارق بن زياد ، وشارك في فتح بلنسية التي استوطن فيها .

في خلال الحرب العالمية الثانية كان أحد سفراء الدول العظمى بمدريد ذا ثقافة عالية وميل شديد إلى الدرس والتنقيب في البحوث التاريخية ، حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشأتها وبعد أن اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر أن هذه المحكمة خالدة إلى الأبد ، ويظهر أن العرب لم يتركوا الأندلس نهائياً بعد .

اقول أجل ان هذه المحكمة خالدة خلود التراث العربي في الأندلس وباقية بقاء السمرة العربية الظاهرة على ملامح الأسبان في الفردوس المفقود .

الدكتور فيصل دهبوب

مجمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحث بحلل المقامات ويستشف من

درائها صورة المجمع الذي أنشئت فيه

— ٤ — (١)

٣ — في الدور والأسواق

(الدور — المساجد — البيروستانات — المقامات — المطاعم —

الحوانيت — الحانات — الأسواق ..)

الدور في التاريخ : لسا في حاجة إلى ذكر ما كان القوم عليه من
عناية بالعمران وتفنن في هندسة الأبنية وزخرفتها ، فهذا أمر معروف عن
حضارة القرن الرابع ، والحق أن كتب الحضارة وصفت لسا كثيراً من
الأبنية والقصور ، وإن كانت قد اقتصرت على قصور الخلفاء والمساجد
حيث كثر الإتفاق أو ظهرت آثار الفن وروعته ، وأما دور الشعب ومساكن
الطبقة العامة فقد لا نعرف عنها الكثير من خلال تلك الكتب . ولعل
أكثر ما نعرفه عنها مقتبس من بعض الكتب الأدبية التي تعرضت في مناسبات
مختلفة ، لوصفها ككتاب « الأغاني » و « المقامات » .

الدور في المقامات : لسا نكم أن الهمداني لم يوف الدور حقها من
الوصف ، وأن حديثه عنها كان موجزاً وسريماً ؛ إنه يذكر ما كلفت من

(١) نشر أول البحث في المصحات ١٢٤ و ٦٠٥ و ٨٢٦ من المجلد (٤٣) .

أموال ، وقد كانوا يتفاخرون بكثرة الإنفاق ، ويذكر أحياناً ما يتصل بدقة الصنعة وجمال الشكل .. وهو إذا فصل في وصف باب أو حلقة ، وليس في وصف البيت وتخطيطه ، ومن الحق أن نشير إلى أن حديث الحمذاني عن الدور ووصفها لا يقارب ما نقله « آدم متر » مثلاً في الموضوع نفسه (١) قال الحمذاني على لسان أبي الفتح : « واتينا إلى باب داره ، فقال : هذه داري ، كم تقدر يا مولاي أنفق على هذه الطاقة ؟ أنفقت عليها والله فوق الطاقة ، ووراء الطاقة . كيف ترى صنعها ومشكلها ؟ أرايت بالله مثلها ؟ انظر إلى دقائق الصنعة فيها وتأمل حسن ترميجها فكأنما خط بالبركار ، وانظر إلى حذف النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذ من كم ؟ قل : ومن أين أعلم ؟ هو ساج من قطعة واحدة لا مأروض ولا عفن ، (٢) .

وواضح من هذا أنهم يصنعون أبواب يوتهم من الخشب ويتخذون على الباب حلقة تدور بلول يطرق بها الباب ، وبالجملة كان الخشب يستعمل كثيراً وكان أحب أصنافه عند السراج الهندي (٣) .

ويتابع الحمذاني حديثه عن الدار فيقول « وهذه الحلقة تراها ؟ ... فيها من الشبه ستة أرتال ، وهي تدور بلول في الباب ... ثم قرع الباب ودخلت الدهليز فقال : عمرك الله يا دار ، ولا خربك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، وأقوى أساسك ، تأمل بالله معارجها ، وتبين دواخلها وخوارجها .. (٤) ، وقال : « فقلت ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : حاجة أقضيها . فقال : يا مولاي تريد كنيفاً يُزري بريعي الأمير

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) المقامة للضيرية : ١١٣ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٠ .

(٤) المقامة للضيرية : ١١٤ .

وخربق الوزير ؛ قد جُمِصَ أعلاه وصُهرج أسفله ، وسطح سقفيه ، وفُرشت بالمرمر أرضه ، يزلّ عن حائطه الذرّ فلا يملق ، ويمشي على أرضه الذباب فيزلق ، عليه باب غير أنه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين أحسن ازدواج ، (١) .

وقد كانت الدور موضعاً للاجتماع والسمر ؛ ففيها يجتمعون للمر والطرب ، قال « وجعلت للدار حاشيتي النهار (٢) » ، وقال « بت ذات ليلة في كتيبة فضل من رفقائي فتذاكرنا الفصاحة ، وما ودعنا الحديث حتى طرق علينا الباب (٣) » . . .

المساجد في التاريخ : غير خاف أن المساجد من الموضوعات التي عنت بها كتب الحضارة الإسلامية ؛ فوصفت بناءها وفتها وزخرفتها ، وذكرت عدد العاملين في بنائها ومدى ما أنفق عليها . . . وزاد بعض المؤرخين فتناول أحوال القوم فيها ؛ قال المقرئ : « .. إنهم كانوا يجتمعون في المساجد ، وقد يولون فيها وينامون .. وروى لنا قصة حدثت بها الأمير عليّ تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي ذكر أنهم اجتمعوا ليلة في مسجد فعملوا أسماطاً وأكلوا ثم تحدثوا وناموا .. وكانت ليلة باردة فناموا عند المنبر .. » (٤) وكذلك نقل آدم متز كثيراً من أخبار المساجد واجتماع انهم فيها ليلاً ونهاراً (٥) .

المساجد في المقامات : لا يقف الهمداني بنا خارج المسجد ليصفه لنا وإنما يأخذ بأيدينا الى داخله ليطلنا على ما يحدث فيه ويسمنا الأحاديث

(١) المقامة المضيرة : ١٢٢ .

(٢) المقامة القريضة : ٩ .

(٣) المقامة الناجية : ١٩٩ .

(٤) الخطط والآثار ٢ : ٣١٩ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ٨٥ وما بعدها .

التي تدور في حلقات القوم ؛ فقد كانوا يجتمعون في أفنية المساجد وتدور بينهم الأحاديث المختلفة ويمرّ بهم المكثّون ...

لقد حدثنا الهمداني عن إقبال القوم على الصلاة في المساجد وإجابتهم داعياً ، وعن عادة بعض الأئمة في إطالة الصلاة ، وعما يحدث بعد انقضاءها من مفاجآت المكثّين ، وقد حدث مرة أن « نودي للصلاة نداء سمعته وتعيّن فرض الإجابة ، فانسلت من بين الصحابة أغثم الجماعة أدركها ، (١) وكانت صلاتهم طويلة » تقدّم الإمام إلى المحراب فقرأ فاتحة الكتاب ، بقراءة حمزة مدّة وهمزة ... وأتبع الفاتحة الواقعة ، (٢) وانتهت الركعة الأولى « .. وقام الإمام إلى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى بها عمر الساعة ، واستنزف أرواح الجماعة ، فلما فرغ من ركعته ، وأقبل على التشهد بلحيّته ، ومال إلى التحية بأخذه ، وقلت : قد سهّل الله المخرج وقرب الفرج ، قام رجل وقال : من كان منكم يحبّ الصحابة والجماعة ، فليعزني سمعه ساعة . قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق ... ، (٣) ويتابع حديثه حتى يصل إلى مطلوبه فيذكر حاجته إلى المال ... !

وكذلك يذكر الهمداني تلبية الدعوة إلى الصلاة في المقامة الحزبية حين « ثوب منادي الصبح ... فبادرنا إلى الدعوة وفننا وراء الإمام قيام البررة الكرام . (٤) »

(١ و ٢) القلعة الأصفهانية ٥٦ و ٥٧ .

(٣) القلعة الأصفهانية : ٥٨ .

(٤) المقامة الحزبية : ٢٤٥ .

وأما دخول المكديين إلى المساجد فقد مرّ ذكره في المقامة النجارية حيث يقول : حدثنا عيسى بن هشام قال أحلّني جامع نجاري معهم وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستلّى طفلاً عُريانا . . . (١)

ويشير الهمداني إلى أنهم كثيراً ما كانوا يعرجون على المساجد تخفيفاً لمشقة أو فراراً من حرّ فيقول في المقامة الرصافية : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة ، وحمارة القيظ تغلي بصدر القيظ ، فلما نصفت الطريق اشتدّ الحرّ وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سرّ . . » (٢)

البيمارستانات : إن اتخاذا الناس للبيمارستانات أمر قديم ، وقد ذكروا أن هذه الأماكن كانت منتشرة في القرن الرابع (٣) ، بل هي معروفة قبل ذلك التاريخ إذ قيل إن أول من بنى المارستان هو أحمد بن طولون بناء في مصر سنة ٢٥٩ هـ . وكانت أمور المارستانات بيد ذوي المناصب الرفيعة ، حكى ابن الأثير أنه توفي سنة ٣٩٦ عبد الرحيم المرزباني الأصبهاني قاضي خراسان وقال : وإليه كان أمر البيمارستانات ، (٤)

وأما الهمداني فيأخذ بأيدينا إلى مارستان البصرة ويسمنا كلام بعض المجانين من نزلائه ، وقد سمعناه في بحث الردّ على المتزلة (٥) ، وذلك حين

(١) المقامة النجارية : ٨٧ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٤٧ وما بعدها .

(٤) الكامل ٩ : ٦٦ .

(٥) انظر ما سبق في ص : ٨٤٦ من المجلد ٤٣ .

دخل المارستان مع أبي داود المتكلم^(١) ، ورأينا أن الخطرين منهم كانوا يقيّون خوف أدام إذ أن أحدهم ما هو « إلا شيطان في أشطان »^(٢)

الحمامات : كانت الحمامات معروفة منذ القديم ، ولكن عناية الناس بها زادت بعد الإسلام ، وذكر الطبري أنه لم يكن للفرس عهد بالحمامات قبل الإسلام . أما عند المسلمين فقد شاعت وانتشرت وتنافست البلاد في كثرتها ، على أن ذوي الورع لم يدحوها ، ونقل عن عليّ أنه قال : « بش البيت الحمام ، تكشف فيه العورات وترفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله » . وقد بلغ عدد الحمامات في النصف الأول من القرن الرابع في جاني بغداد عشرة آلاف حمام^(٣) ، ولم يغفل الحمذاني ذكر الحمامات في مقاماته وإنما تحدث عنها وذكر عناية القائمين عليها بزائريها من المستحقين . لقد طلب ابن هشام أن يرشدوه إلى حمام « واسع الرقعة نظيف البقعة ، طيب الهواء معتدل الماء »^(٤) فأشار إلى ما كان الناس يتوخونه في الحمام ، ثم دخل ابن هشام الحمام وقال « وأتينا فلم نرقوامه ، لكنني دخلته ودخل على أثري رجل وعمد إلى قطعة طين فلطّخ بها جيني ووضعها على رأسي .. »^(٥) ثم يتابع حديثه عما جرى له وكيف تشاجر عليه اثنان من المستخدمين كل يدّعي أنه له « وما لبث أن دخل الأول فحيثما أخدم الثاني بمضمومة فقت أنيابه ، وقال : بالكع مالك ولهذا

(١) القامة المارستانية : ١٢٧ .

(٢) القامة المارستانية : ١٣٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٢ .

(٤) القامة الخلوانية : ١٨٠ .

(٥) القامة الخلوانية : ١٨١ .

الراس وهو لي ، وعطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابها ، وقال :
 بل هذا الراس حقّي ، وملكي في يدي ، ثم تلاكها حتى عييا ... (١)
 وكان الهمذاني قد أدخلنا حمأ وأطلعنا على ما يحدث فيه ، وكيف
 نستقبل لو ذهبنا إليه ، وأشار إلى أخلاق أصحاب هذه الحرفة ... ولسنا
 ندري سبب الخصام بين المستخدمين في الحمام ولكن لعله أراد أن يشير
 إلى أن كلاً من المستخدمين كان يشغل لحسابه الخاص ، أو أن صاحب
 الحمام كان يحاسبهم على « الراس » !

المطاعم والحوانيت والمآكل : تحدث كتاب « الوزراء » عن بعض
 ولائم القوم وعاداتهم فيها ، ووصف لنا مثلاً وليمة دعا إليها الوزير ابن
 الفرات جماعة من أصحابه ، وجاء في الحديث ذكر لبعض أنواع الطعام
 والمعادن ، إلا أنه وغيره من أخبار التاريخ غير كاف لمرص صورة عن
 أسواق القوم ومطاعمهم الشعبية وما فيها من المآكل ؛ نعم نحن نجد فيها
 أخبار ولائم العظماء ونسمع أسماء أطعمة عربية وغير عربية ولكننا لا نستطيع
 تصوّر تلك الأطعمة لأنها سرّدت لنا أسماءها دون أن توصف لنا .

وأما بديع الزمان فقد استطاع بوصفه للجزئيات أن يضع أمامنا
 صورة للسوق وما فيها من حوانيت ومناظر ، وللمطاعم وما فيها من
 مآكل ... ولترك للهمذاني أن يأخذنا إلى تلك الأماكن كما أخذنا إلى
 الحمام ، وأن يمرّ بنا عبر الطرقات ويقدم لنا بعض المآكل :
 يصل القريب إلى البلدة فيشعر — كما شعر السوادي في بغداد —
 بالجوع يستولي عليه ، فيقدمه الهمذاني أو ابن هشام إلى مطعم شعبي

(١) القصة الحوانية : ١٨١ .

(٢) الوزراء : ٢٤٠ .

انتشرت منه روائح الشواء ... وفي هذا المطعم نجد اللحم والخبز والحلوى
وكأننا في مطعم من مطاعم أحيانا الشعبية في حي السيدة زينب بالقاهرة أو
باب الجاية أو الدرويشية بدمشق .

وبصف الهمذاني لنا ما في هذا المطعم الشعبي من أطعمة يفصل ويجيد
إجادة تجعلنا أمام ذلك الطام أو تجعله أمامنا ، بل يقدمه لنا حتى نكاد
نذوقه ونعرف أنه يذوب كالصمغ قبل المضغ ... يقول الهمذاني : ثم أتينا
شواء يتقاطر شوائه عرفاً وتتسائل جوداباته مرقاً . فقلت : أفرز لأبي زيد
من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء . واختار له من تلك الأطباق
وانضد عليها أوراق الرقاق ورش عليها شيئاً من ماء السمّاق ... ،
فأنحنى الشواء بساطوره على زبدة تنوّره فجعلها كالكحل مسحاً وكالطحن
دقاً ... وقلت لصاحب الحلوى : زن من اللوزينج رطلين ، فهو أجرى في
الحلوق وأمضى في المروق (١) ، وإن كنا لاندري ما اللوزينج فالهمذاني
لا يتركنا كما يتركنا كتاب التاريخ أمام اسم مبهم الدلالة ولكنه يصفه ويوضحه
فيقول : وليكن ليلى العمر يومي الشر ، رقيق القشر ، كفيف الحشو ،
لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ قبل المضغ ... (٢) .

ويذكر الهمذاني الماء الثلج فيقول : ... ما أحوجنا إلى ماء يشمع
بالثلج ليقمع هذه الصارّة ويفتأ هذه اللقم الحارّة ... (٣) ، والماء المشمع
بالثلج الذي ما يتناوله الناس في الصيف ، ويحكى أنه يوم تولى ابن الفرات
الوزارة ، وكان يوماً شديداً الحر ، سقي في داره أربعون ألف رطل من
الثلج في يوم وليلة (٤) .

(١) المقامة البغدادية : ٦٥

(٢ و ٣) المقامة البغدادية : ٦٦ .

(٤) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٤ .

ويذكر الحمذاني في مقامات أخرى كثيراً من أنواع الأظعمة ؛ ففي
المقامة الساسانية مثلاً يقول زعيم المكديين :

أريد منك رغيفا	يملو خوانا نظيفا
أريد ملحاً جريشاً	أريد بقللاً قطيفا
أريد لحماً غريضا	أريد خبلاً ثقيفا
أريد جدياً رضيعاً	أريد سخلاً خروفا
أريد ماءً بثلج	يشى إناءً طريفا
أريد دنً مدام	أقوم عنه زيفاً (٢)

وفي المقامة المضيرية يحدثنا عن المضيرة ويعدد المواد التي طبخت
بها (٣) ويذكر أن الخبز عندهم كانت أرغفته رقيقة واسعة ينضجونها في التنور
فهي « أوراق الرقاق » (٣) أو هي « صلائق كأنها القباطي » المنشرة أو الفوهي
المصّر ، (٤) تطلع من « تنور مسجور » (٥) ويذكر من ما كلهم البقل
والسمك والباذنجان والتفاح والأقال ... يقول في المقامة المجاعية ، فما
قولك في رغيف وبقل قطيف الى خـل ثقيف وخردل حرّيف وشواء
صفيّ ، وأوساط محشوة وأكواب مملوءة وأقال معددة ... ولحم طري
وسمك نهري وبادنجان مقلي وراح قطربثلي وتفاح جني ... (٦) كما يذكر

(١) المقامة الساسانية : ٩٧ .

(٢) المقامة المضيرية : ١٢٢ .

(٣) المقامة البغدادية : ٦٥ .

(٤) المقامة النهدية : ١٨٩ .

(٥) المقامة البغدادية : والأرمينية : ١٩٦ .

(٦) المقامة المجاعية : ١٣٣ .

التمر مع الزبدة التي هي « نهيدة » فرق كهامة الأصلع ، (١) وربما نربوا
معا الحليب في « أقعب قد احتلبن من الجلال الهرمية » (٢) . ومنها
نوع يصنع من الدقيق الذي يعجن بالحليب ويشوى ويصنع على أشكال مختلفة
كالكمك ، ثم يصب عليه المسل ويشرب معه الحليب ، وهو يبين لنا طريقة
صنع ، ويصفها خطوة خطوة (٣) ، ومن ذبائحهم المتأق النجدية تقدم مع
الخبز وبعض مايقوتي الشبثة كالخردل والأصباغ (٤) .

ومن طعام فقرائهم الخبز اليابس والتمر الرديء وهو ماقدّم لابن هشام
إذ يقول « فأنتنا ابنته بطبق عليه جيلفة وحشالة ولويّة » (٥) .

وأما الأغنياء وأهل اليسار فقد ذكر ابن هشام بعض مآثله عندهم من
لذيذ المأكّل والشرب فقال « فلم نزل في صبح وغبوق تنفذي بالجدايا
الرضع ، وانطباهجات الفارسية ، والمدققات الإبراهيمية ، والقلايا المحرّفة ،
والكباب الرشيدي ، والحملان ، وشرابنا نبذ المسل ... ونقّاننا اللوز
المفشر ، والسكر والطبرزد ... » (٦) « وكانت لنا طبّاخة حاذقة فاتخذت
تشرين لونا من قلايا محرّقات .. » (٧) .

وهكذا دخلنا مطاعم القوم وشهدنا بعض ولائمهم وعرفنا بعض ماكلهم ،
وما يزال الهمداني يتقدّمنا في الأسواق حتى وقف بنا أمام بائع للفواكه
حسن الذوق جيد الترتيب فهو قد « أخذ أصناف الفواكه وصنّفها ، وجمع

(١ - ٤) القائمة النهديّة ١٨٥ وما بعدها .

(٥) القائمة النهديّة : ١٨٩ . والجلفة : قطعة الخبز اليابسة . واللويّة : ما يجفّ .

(٦) القائمة الصيرية : ٢١٦ .

(٧) « » : ٢٢١ .

أنواع الرطب وصفتها ... (١) ثم وقف أمام بائع الألبان الذي صنف
الأواني النظيفة وفيها أنواع الألبان ... (٢)

وأما صاحب الخبز فهو يُعنى بنظافة رغفانه ويرمي ماشك في نظافته
حتى استغل ذلك أبو الفتح على نحو ما جاء في المقامة الأرمنية حين قال « وسرفا
في طلب أبي جابر فوجدناه يطلع من ذات بطن تُسجر بالفضا ، فعمد الاسكندري
إلى رجل فاستماحه كفّ ملح وقال للخباز : أعرفني رأس التنور فإني
مقرور ، ولما فرّغ سنامه وجعل يحدث القوم بحاله ويخبرهم باختلاله وينشر
الملح في التنور من تحت أذياله يوههم أن أذى بشيابه . فقال الخباز :
مالك لا أبالك ؟ اجمع أذيالك فقد أفسدت الخبز علينا . وقام إلى الرغفان
فرماها وجعل الاسكندري يلقطها ويتأبطها ... » (٣)

الحانات : وما تزال نسير مع الهمداني حتى يقبل الليل وتبدأ الحانات
بفتح أبوابها واستقبال زبائنهن ، ولكل حانة باب وكلاب ومستخدمون
يتكفلون بدواب الزبائن ، وصبايا حسان ، ومطربون ... في المقامة
الحرية أنه « لما حشرج النهار أو كاد نظرنّا فإذا برايات الحانات أمثال
النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السراء وتناشرنا بليلة غراء ووصلنا إلى
أفخمها بابا وأضخمها كلابا ... فدفعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منجل ،
إذا قتلت الحاظها أحيت ألقاظها ، فأحسنّت تلقينا ... وأسرع من معها
من الملوج إلى حطّ الرحال والروج ... قلنا « هذه الضالّة وأبيك

(١) المقامة الأرازية : ١٤ .

(٢) المقامة الأرمنية : ١٩٧ .

(٣) « » : ١٩٦ .

فمن الطرب في ناديك ؟ قالت : إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف
المجون ... ، (١)

في الطرقات : ولا يكتفي الهمذاني بأن يربنا ما على جوانب الطريق من
مطاعم وحوائيت وحمامات وحانات وحلاقين ... وإنا يربنا أيضاً ما يعترض
سبيل المسارّة في عرض الطريق ، فمن قوم تحلّقوا حول قرّاد ، إلى صبية
يستهنّون بالمارّة ... ففي المقامة القردية يقول : « يينا أنا في مدينة السلام
أميس ميس الرجلّة على شاطيء الدجلة ... إذ انتهيت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوي الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقني
الحرص إلى ما ساقهم حتى وقفت بسمع صوت رجل دون رؤية وجهه
لشدة الهجمة وفرط الزحمة فإذا هو قرّاد يُرقص قرده . » (٢) وفي
المقامة المضيرية أن أبا الفتح حين فرّ من وليمة صاحبه وجعل يمدو أخذ
صاحبه يمدو خلفه ويصيح : يا أبا الفتح المضيرة ... فظن الصبيان أن
المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، (٣) وأخيراً ينبغي لنا أن نذكر أن هناك
جزئيات قافية ومع ذلك لم ينقل الهمذاني عن ذكرها ، وتلك ميزة أدبية
تساعد على التوضيح ، ولا يقوى عليها من الأدباء إلا من كان شديد الملاحظة
حاذي الذكاء لا تفوته ملاحظة الأشياء الصغيرة كما لا يفوته الحديث عنها ؛
فالهمذاني مثلاً يذكر أن بعض الناس كان يحمل ما يشتريه من السوق في
منديل واسع كما يفعل بعض الناس اليوم ، وأن بعضهم كان يضع ما يشتريه

(١) المقامة الحورية : ٢٤٧ .

(٢) المقامة القردية : ١٠١ .

(٣) المقامة : ١٢٣ .

في طرف إزاره كما في المقامة الأزاذية حين قبض من كل شيء أحسنه وقرض من كل نوع أجوده ، فجمع حواشي الإزار على تلك الأوزار ... (١) ، أدواتهم : مازالت الحضارة تقدم للإنسان اليوم الكثير من الأدوات والوسائل التي تملأ حياته راحة ورفاها ، وتيسر عليه العمل الشاق وتوفر له الكثير من وقته ... وألف الإنسان ما يستعمل حتى نبي ما كان يتخذه سلفه الأول من أداة ومتاع ؛ لقد ألف الكهرباء حتى نبي شكل السراج ، وألف السيارة حتى نبي شكل جدته وهو على دابته ... ولقد ذكرنا بديع الزمان بالكثير من أدوات القوم وأثاثهم ؛ أما الأغنياء فإنّ عندهم « حدائق وأعنابا ، وكواعب أربابا ، وخيلاً مسوّمة ، وقناطير مقنطرة ، و«عدة وعديدا ومراكب وعبيدا .. » (٢) وذكر أحدم ما كان معه فقال « ومعي جراب دنائير ومن الخريز والآلة وغير ذلك ما لا أحتاج معه إلى أحد ، وعند بعضهم « صنان ، كل صنّ بأربعة آذان . » (٣) وقصاع كبيرة يذلّ عنها الطرف ... (٤) ومن أدواتهم الخوان والإبريق والطست والمناديل المطرّزة ، وقد ذكرت في المقامة المضيرية ، وكانوا يستنيرون بضوء السراج وهو « حوت مصرور في بعض البحور مخطف الخصور يلدغ كالذنبور ويعتم بالنور ، أبوه حيجر وأمه ذكر ، ورأسه ذهب واسمه لهب وباقيه ذنب ، له في اللبوس عمل السوس ، وهو في البيت آلة الزيت

(١) المقامة الأزاذية : ١٤ .

(٢) المقامة القزوينية : ٩٤ .

(٣) المقامة الصيرية : ٢١٥ - ٢٢٢ والصن وعاء كبير يشبه السلّة .

(٤) المقامة المضيرية : ١٠٩ .

شريب لا ينقع ، أكل لا يشبع ، بذول لا يمنع . ينمي إلى الصمود ،
ولا ينقص ماله من جود ، يسوءك ما يسرته وينفعك ما يضرته . . . (١)
أما الطبع فلك أنت تتخيل ما لم يذكره من أدواته حين تدخله مع
أبي الفتح لترى المرأة فيه وهي تدور من التنور إلى القدور ، تنفث فيها
النار وتدق يديها الأبرار . . . (٢)

وبما كان معروفاً عندهم المنزل ، وقد عرفناه في بعض دورنا القديمة ،
والأمشاط ، وقد ألغز فيها الهمداني في المقامة المنزلية وأورد لكل من المنزل
والشط كثيراً من الأوصاف (٣)

وكذلك ذكر في المقامة الساسانية بعض أدواتهم في مثل قوله :

أريد مشطاً وموسى أريد سطلاً وليفاً (٤)

الشطرنج : وهو من وسائل التسلية عندهم ، وقد كان معروفاً من
قبل ، وعُدَّ الصولي والخليفة المأمون من المهرة فيه (٥) . أما الهمداني فقد
ذكره حين أراد أن يصف يد أبي الفتح وجولائها بين الصحن فقال

(١) المقامة الإبلية : ١٩٣ .

(٢) المقامة المضيرية : ١١١ .

(٣) المقامة المنزلية ١٧٤ .

(٤) المقامة الساسانية : ٩٨ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٧ .

إنها و تسافر على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقاً
عيون الجفان، فهي «تجول في القصة كالرخ» في الرقعة، (١) والرخ من
قطع الشطرنج ذو جولة وصوله وقوة ومنمة حتى سماء بعضهم بالقلمسة .
وورد اسم الشطرنج أيضاً في وصية الاسكندري لابنه حين كان يلقنه أصول
التجارة فقال له « كن مع الناس كلاعب الشطرنج ؛ خذ كل ما معهم واحفظ
كل ما معك (٢) » .

الدكتور مازن المبارك

(يتبع)



(١) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

(٢) المقامة الوصية : ٢١٤ .

نافذة تطل على تاريخ الزيدية

منذ أمد طويل وأنا أتبع ما يكتب ويقال عن الزيدية ، ولم تكن نفسي تطمئن إلى شيء من ذلك .

ومنذ أمد اطلعت على نص نفيس يكشف القناع عن هذه الفرقة ويوضح تاريخها الذي اختلفت فيه الآراء ، وكنت أحاول نشره في مجلة المجمع العلمي العربي حينما اطلعت على ما كتبه الأستاذ محمود الملاح في المجلد الثامن والثلاثين ص (٣٣٤) وكانت الموائق تحول دون ذلك ، والآن وقد كتب لي بعض الفراغ من الوقت فاني اكتب هذه اللمعة لتضاف إلى ما كتب عن هذه الطائفة الفاضلة مقدماً عليها كلمة تمهيدية .

سياسة بني أمية ومعاوية وابنه يزيد :

كانت سياسة بني أمية تقوم على تقديس رجالاتهم والطمع في خصومهم خصوصاً الطالبين ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى سرد نصوص تؤيد ذلك .
فمعاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وأضرابهم كان لهم من القدسية والاحترام في العصر الأموي وإلى منتصف العصر العباسي مثل ما لآل البيت النبوي في عصرنا .
يذكر المقدسي (١) أنه دخل مدينة أصبهان فوصف له رجل معروف بالزهد والتعب ، قال : فقصدته وتركت القافلة خلفي وبت عنده تلك الليلة ،

(١) أحسن التقاسيم ص (٣٩٩) والمقدسي هذا كان حياً سنة (٨٣٧٦) .

وجعلت أسأله إلى أن قلت : ما قولك في صاحب (١) ؟ فجعل يلعنه ، ثم قال : أنه أئانا بذهب لانعرفه .

قلت : وما هو :

قال يقول : معاوية لم يكن مرسلًا .

قلت : وما تقول أنت ؟

قال : أقول كما قال الله تعالى (لا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُحُلِهِ) ، (٢ : ٢٨٦) أبو بكر كان مرسلًا ، وعمر كان مرسلًا ، حتى ذكر الأربعة ثم قال : ومعاوية كان مرسلًا قلت : لا تفعل ، أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكًا ، وقال النبي ﷺ : الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ، ثم تكون ملكًا ، فجعل يشنع علي وأصبح يقول للناس : هذا رجل رافضي ، فلو لم أئدارك القافلة لبطشوا بي ، ولهم [أي لأهل أصفهان] في هذا الباب حكايات كثيرة . ويقول المقدسي أيضاً (٢) : ويتماد غالية يفرطون في حب معاوية .

وهناك نص يفيد بأن أهل الكرخ كانوا من جماعة معاوية وأنصاره ، فقد سب إبراهيم بن رستم معاوية ، فقال له رجل : لم لا تقول هذا بالكرخ ؟ فقال [إبراهيم بن رستم] ولم لا نصلي أنت على محمد — صلى الله عليه وعلى آله — بالقسطنطينية (٣) .

ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم (٤) : كنت يوماً بجامع واسط وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه فإذا هو يقول :

(١) أي صاحب ابن عباد .

(٢) أحسن التقاسيم ص ١٢٦ .

(٣) البصائر لأبي حيان التوحيدي ج ٢ ص ٢٠٤ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ،

(٤) ص ١٢٦ .

حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ : أن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويقلعه بيده ، ثم يحلوه على الخلق كالعروس ، فقلت له : بماذا ؟ بمحاربته عليا ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت أنت يا ضال . فقال خذوا هذا الرافضي فأقبل الناس علياً ، فمررتي بمض الكتب فكرروهم عني .

مثل هذا الاحترام والتقدير عند بعض الناس لمعاوية انتقل إلى ابنه يزيد فكان فيهم من يعتقد مثل هذا أو قريباً منه في يزيد ، وتفيد فتوى الشيخ الإمام أحمد بن تيمية (١) التي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي أن بعضاً من الناس في عصره يعتقد أنه كان صحابياً وبعضاً آخر يعتقد أنه كان نبياً وقد ردّ الشيخ ابن تيمية على هذين القولين وذكر اعتقاد أهل السنة في يزيد راجع (المجلد ٣٨ ص ٤٥٢) من هذه المجلة .

وبعد هذه المقدمة نفود إلى النص الذي أشرنا إليه في أول المقال وهو من طرائف النصوص النادرة .

التعريف بصاحب هذا النص :

هو أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ، ولد بمدينة ميفارقين في شهر شوال وعاش ما بين سني (٥١٠ - ٥٩٠) رحل خلالها إلى مدن الجزيرة والمراق والشام والعجم قابل فيها الخلفاء وأبناء الخلفاء والملوك والسلاطين والعلماء وكبار رجال الحكم ، وألف تاريخاً لمدينة ميفارقين نقل عنه ياقوت الرومي وابن خلكان وابن شداد في الأعلام الخطيرة .

(١) سؤال في يزيد بن معاوية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشره مع جوابه الدكتور صلاح الدين المنجد في المجلد المذكور .

طبع جزء من هذا التاريخ بالقاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م ، وقام بتحقيقه ووضع مقدمة له دكتور بدوي عبد اللطيف عوض ، وهذا النص مما أثبتته الدكتور في هذه المقدمة ص ٤٢ لطرافته وهو :

في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة هجرية كان مؤرخنا في تقليس وأقام بها مدة ، وهناك اتصل بملك الابخاز وصاحب تقليس الملك ديمتري ابن داود ، ثم التحق بخدمته وبقي عنده مدة ، وسار في ولايته ورأى بلاداً وأماكن كثيرة لم تتح لغيره من المؤرخين والكتاب .

ويسجل لنا ابن الأزرق في تاريخه بعض الحوادث الهامة التي وقعت له مع الملك فيقول ما ملخصه :

بينما كان يسير ذات يوم مع ملك الابخاز إذ وصلا إلى مرج واسع تحت جبل قلعة شائخة ، قزلا هناك ، وعرفه الملك بأن في هذه القلعة رجلاً غريباً أسيراً من ولاية حلب ، ثم طلب منه أن يصعد إليه في باكورة الغد معتزماً أن يرجو الملك في إطلاق سراحه ، وبينما هو يتأهب للقاء الرجل وقت السحر وصل الخبر إلى الملك أن بعض الولاة قد ثاروا وتمردوا عليه فذعر الملك وارتحل لوقته وارتحل معه ابن الأزرق ولم يقدر له الاجتماع بهذا الرجل .

كما يسجل لنا حكاية طريفة وقعت له مع الملك أيضاً في مدينة الدربند (١) : في سنة تسع وأربعين وخمس مئة رحل ابن الأزرق إلى مدينة الدربند ، وفي ذات يوم خرج الملك ديمتري في عسكره وأخذوا يطوفون من جهة إلى

(١) ويسمى العرب أيضاً : الباب والأبواب - أو - باب الأبواب وهي بلدة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر وهي الساحل الوحيد لبلاد الداغستان . انظر معجم ياقوت مادة : باب الأبواب ، دربند ، خنلق ، وترجمة دائرة المعارف الإسلامية مادة : دربند داغستان .

أخرى ويتنقلون من موضع إلى آخر في الولاية، ولما نزلوا في ولاية الدربند، وهو الدربند خيزران الذي بناه كسرى، ترك الملك العسكر في مرج^(١) تحت الجبل وأتى إليه الأمير أبو المظفر ملك الدربند، وكان صهره على ابنته، واستقبله استقبالا كريما وحمل إليه من الخدم والضيافة والإقامة.

وبينا الملك وعسكره نازلين في هذا المرج ومعهم ابن الأزرق، إذا بجماعة يأتون إليهم من ضياعهم، فعبأ أحدهم إلى ابن الأزرق وتحدث معه بالعربية فمجب لذلك ودار بينها الحديث التالي.

من أين أنت يافتي؟، إني مارأيت بهذه الأرض مستعربا.
من تلك اقرية وأشار إلى قرية على قمة في وسط الجبل.
ومن أين هذا الكلام العربي؟
إن جميع من في القرية عرب، ونحن جميعا نتكلم العربية.
ومتى حلتم في هذا المكان؟
منذ خمس مئة سنة.

ومن أي العرب أتم.
نحن من بني أمية ومن كندة ومن قبائل أخرى
وما الذي جاء بكم إلى هذا المكان؟
لا أعلمك.

ولماذا؟ — إني أرى أنكم من قتلة الحسين الذين انهزموا من وجه المختار الثقفي وهربوا إلى هذه الجهات.
وكيف تعلم ذلك؟

من المعلوم والثابت في الكتب أن جماعة من قتلة الحسين انهزموا أمام المختار إلى الدربند.
ثم انصرف الفتي.

(١) في الأصل: برج في الجميع، وما أثبتناه هو ما رجعناه.

ولما مضت تلك الليلة وكان الند حضر الفتي ومعه جماعة عند ابن الأزرق وتحدثوا ساعة ، وكان فيهم شيخ كبير يسمى محمد بن عمران أخذ ابن الأزرق يسأله عن مقامهم في تلك البلاد ، وكيف استقروا فيها ولم يعودوا إلى بلادهم الأولى ، وكيف احتفظوا بلقمتهم العربية إلى هذا الوقت .

فقال هذا الشيخ : إن هذه البلاد أصبحت لنا وطناً ، ويوصي بعضنا بعضاً أن لا نترك العربية مطلقاً .

ونسأؤنا لا نكلم الأطفال إلا بالعربية لكي ينشأوا على اللسان العربي الفصيح .

فقال ابن الأزرق : وكيف أحوالكم هنا ؟

فقال له : في خير ، ما بيننا وبين أحد معاملة ، ولنا هذه الأرض التي مساحتها خمسة فراسخ في مثلها نحرث ونزرع ما نحتاج إليه وما يمارضنا أحد ، وهذا الأمير صاحب الدربند يحسن إلينا ويوفر علينا مصالحنا وكل من ولي أمر هذه البلاد يحسن إلينا ونكون عنده في أحسن منزلة .

وبعد تلك المحادثة الطريفة أخبر محمد بن عمران الفارقي : أنهم حقاً انهزموا أمام المختار ، ولكنهم لا يعلمون أين صارت تلك الطائفة الأخرى وما هي أخبارهم الآن .

فقال له ابن الأزرق : إن العصبة الأخرى التي تقصدها انهزمت إلى الموصل ، وجبل الجزيرة (١) فأنفذ إليها إبراهيم بن الأشتر النخعي وحاربهم فانهزموا أمامه ، وهربوا إلى ولاية مياقارقين فأرسل إلى محاربتهم عبد الله ابن مساور ، فانهزموا أمامه إلى جبل السناسنة (٢) فوق مياقارقين ، وأقاموا

(١) الظاهر أنه يريد بهذا الجبل جبل سنجار .

(٢) السناسنة قبة من الأرمن لها حصون منيعة تجاور خلاط (تاريخ مياقارقين ص ٧٥) .

عند ملك منجاريب ملك السنانة وم طائفة من الأمويين .
فقال محمد بن عمران : صدقت ، ثم قال له : وهل بقي إلى اليوم من
نسلهم أحد ؟

فقال له ابن الأزرق : نعم .
وحيث أنصرف هؤلاء الجماعة من العرب بعد أن قضوا مع ابن الأزرق
يوماً كاملاً .

وبعد فإن هذا النص لا بدع شكاً لمستريب في أصل الزيدية ، ويجب
أن يعاد النظر في تاريخ الزيدية على ضوء هذا النص النادر الطريف .

دمشق : محمد أحمد وهما



التعريف والنقد

كتاب (الأثيقون)

أو فلسفة الآداب الخلقية

تأليف : ابن العبري

ترجمه عن السريانية الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام

عدد الصفحات (٤٤٠) من القطع المتوسط

مطبعة الشاب - القامشلي (سورية)

ما زالت الكنيسة السريانية تبدي نشاطاً كبيراً في إرشاد أبناء الطائفة والمساهمة في الأعمال الوطنية والمحافظة على التراث السرياني .

ومن المعروف أن آثار العلامة (مارغريغوريوس أبي الفرج ابن العبري) [سنة ١٢٢٦ - ١٢٨٦ ميلادية] تؤلف جزءاً هاماً من هذا التراث الثقافي . فهو قد ألف ستة وثلاثين كتاباً في الديانة والفلسفة والطب واللغة والتاريخ أكثرها بالسريانية وبعضها بالعربية كما ترجم إلى اللغة السريانية كتاب الإشارات والتنبيهات في الفلسفة ، وقسماً من كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا . وقد سبق أن ذكرنا في مجلة مجمع اللغة العربية^(١) كيف أن المشرق الانكليزي (بوكوك) نشر النص العربي لكتابه « تاريخ مختصر الدول » وترجمته إلى اللغة اللاتينية وأشرقا

(١) راجع الجزء الثالث من المجلد (٤٣) صفحة (٥٧٣) .

إلى القول الشائع في أن تسميته بابن العبري يرجع سببها إلى أن أباه كان يهودياً اعتنق المسيحية .

على أن نياقة المؤلفان (بهنام) ، مطران بغداد والبصرة ، الذي ترجم كتاب (الأثيقون) أو (فلسفة الآداب الخلقية) تأليف ابن العبري إلى العربية بنى في مقدمة الكتاب هذه النسبة ويقول إن سبب التسمية هو أن أباه (أوجدته) كان قد نزح من قرية (عبري) ، التي كانت قائمة يوماً على نهر الفرات بقرب مدينة (ملطية) . وفي الوقت نفسه تكرم قداسة بطريرك انطاكية وسائر المشرق فلفت نظرنا إلى هذا الأمر ، وأرشدنا إلى ما كتبه قداسته في العدد ١٦ / السنة الثانية من « المجلة البطريركية » ، ينقد الأخطاء التي ارتكبها الأب (بولس مورتد) اليسوعي في ترجمة حياة العلامة ابن العبري في دائرة معارف (فؤاد افرام البستاني) ويرد بالأخص على ترداده القول الشائع بين المستشرقين بأن ابن العبري من أصل يهودي . فرأينا من الضروري الإشارة إلى ذلك ...

يبعث كتاب (الأثيقون) ، كما يدل عنوانه اليوناني ، في الأخلاق وآداب السلوك وقد قسمه المؤلف إلى أربع مقالات كبرى تحوي كل منها أبواباً وفصولاً شتى . وموضوع المقالة الأولى هو ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه فيستعرض المؤلف هنا الصلاة وفضيلتها وآثارها ثم أعمال النسيك والسر وقوانين النوم وترتيب المزاج وتأثير الألحان وفوائد الصوم والعزلة والغربة وزيارة الأماكن المقدسة . وتبحث المقالة الثانية في أعمال الحياة الجسدية من طعام وشراب . وزواج شرعي وتربية أطفال وإعطاء الصدقات . وفي المقالة الثالثة يتكلم المؤلف على تنقية النفس من الأهواء الشريرة فيشرح معنى النفس ويبين قواها وخصائصها ثم يتعرض إلى ترويض النفس وإصلاح الماديات وعلاج الشهوة واجتناب عثرات اللسان ، والابتعاد عن

الحسد والحقد والغضب وعن الشهوات وحب المال والرياء والكبرياء والخيلاء .
وأخيراً فهو يكرس المقالة الرابعة لموضوع تجميل النفس بالفضائل من علم
وإيمان وقوة وصبر وشكر وتقوى وزهد وتوكل وصداقة وذكر الله ومحبة
والتفكير في الموت ...

إن طريقة ابن العبري في بحث الموضوعات الأخلاقية تشبه طريقة الإمام
الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين . فهو يستشهد في كل موضوع بأقوال
آباء الكنيسة والقديسين ثم يلجأ إلى التحليل النفسي والبراهين العقلية .
كذلك نلاحظ التشابه مع الإمام الغزالي في تطوره الفكري الذي انتهى به
إلى التصوف (١) فقد تحدث ابن العبري أيضاً في كتابه (الحماسة) عن اجتيازه
مرحلة قاسية من الاضطراب النفسي والتشكيك الى أن أشرقت عليه أنوار
الحقيقة وسار في طريق الصوفية وكيف أنه تأثر في ذلك بآراء ابن سينا
وأمثلة المتصوفين اليونانيين والمسيحيين . وتتجلى زعة ابن العبري الصوفية في
كتاب (الحماسة) وفي عدد من القصائد ثم في أكثر فصول كتاب (الأتيقون)
وعلى الأخص عند البحث في معرفة الله ومحبه والشوق إليه ، وعند
الكلام على مبادئ الزهد والنسك وأساليب الرياضة الروحية لتطهير
القلب ...

وفي الختام لابد من التنويه بالجهد الصادقة التي بذلها نيافة المطران
(بهنام) في ترجمة كتاب (ابن العبري) النفيس بلغة عربية مشرقة ، واضحة
وسلسة ، كما أنه لا يسعنا إلا لبداء الإعجاب بالمقدمة الشيقة التي صدر
بها الكتاب وتكلم فيها بإسهاب على تصوف ابن العبري .

الدكتور كامل عياد



(١) كما وصف ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » .

المعلم رفيق قيريش

حياته — آثاره

عنوان كتاب أهدت إلى مجتمعا نسخة منه — مشكورة — سفارة الجمهورية التركية بدمشق .

أعدت الكتاب — بمناسبة مرور مائة عام على مولد المعلم المشار إليه — أحد أبناء قيريش (فؤاد آرون) أصغر أنجال المرحوم ، وطبع في آنفرة (١٩٦٨) طبعا متقنا . والمنوان على الفلاف الأسود (بحروف سود بارزة) بالحروف التركية الجديدة على رقعة مستطيلة صفراء ذهبية اللون . عسدد صفحاته ٣٤٤ . في أولى صفحاته صورة للمربي القدير المرحوم حسين رفيق قيريش أخذت له في استانبول بعد إحالته على التقاعد ، وقد تجاوزت خدمته في التعليم أكثر من نصف قرن تخرج على يديه إلى الوطن الألوف من النشء المتعلم بالإضافة إلى كثير من الأصدقاء .

كتب (المقدمة) السيد فؤاد نفسه ، برأ بوالده وتخليداً لذكرى أبيه الذي قارب الثمانين من العمر يوم غادر هذا العالم الفاني الى دار البقاء ، تاركاً بعده — إلى الذكر الحسن — مؤلفاته ، وما ترجمه من آثار ، وما نشره وما لم ينشره في عالم الطبوعات ، من المقالات والأشعار أو ماكتبه كذكرات متناثرة بين أوراقه .

ولا عجب في عمل هذا النجل النبيل وهو الذي أخذ عن أبيه المعلم الحافلة حياته بالتعليم والإرشاد والوعظ — بله حرصه على تعليم أولاده وتهذيبهم وإرشادهم — الرعاية لحقوق الوالدين برأبهما ، وهو نوع من اتصال عمل المتوفى ،

في الدنيا الوارد ذكره في الحديث الشريف : (... وولد صالح يدعو له .
أو كما قال عليه السلام) .

فجمع ما تيسر له من المعلومات المتوفرة في المعاهد والمؤسسات العلمية
والمكتبات الخاصة والعامة من الأصدقاء المخلصين والطلاب الأوفياء ، عدا عما
لديه هو ، من الأوراق كما حصل على صور تذكارية للمرحوم كان أهدي
في حال حياته إلى أصحابه وأصدقائه عدداً منها ؛ وأخرج إلى عالم المطبوعات
كتاباً عن حياة هذا المربي الجليل تبقى ذكرى بين أصدقائه ، وغوذجاً ينسج
على منواله الملمون الشباب الجدد . وهو في خمسة فصول جميل الطبع
حسن التبويب :

في الفصل الأول . — ترجمة حياة رفيق قيريش وأسرته .

في الثاني . — ما أدّاه للوطن من الخدمات الرسمية وغير الرسمية والفخرية .
في الثالث . — آثاره ، المطبوع منها وغير المطبوع من المؤلفات والترجمات
مع مقالات له في موضوع الدين والأخلاق (اتحاد المسلمين —
فضائل الصوم — يوم الخضر . الخ) وجوابه على عشرة أسئلة
وجّهتها وزارة المعارف إلى العلماء والمفتين (بتاريخ ٢٠ شباط
١٩٢٢) وفيها ظهرت قدرته ، إنشاءً وبياناً وقوة حجة ،
وحسن جواب ، وكانت فصل الخطاب .

في الرابع . — أشعاره : في الولادات ، في الوفيات ؛ في حرب الاستقلال ،
وذكريات شتى .

في الخامس . — سنواته الأخيرة ، وفاته وما بعد ذلك .
ماحق وجيز . — في تفسيره باللغة التركية للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ،
والأدعية المأثورة .

ثبت . — لبعض المصطلحات القديمة وما يقابلها بالتركية الحديثة .

الكتاب ، قصة حياة واقية ، مثيرة فيها عظة ؛ حقيق أن تكون مثلاً يحتذىه جيل صاعد راغب في سلك التعليم .

القصة : تسرد بصدق وبساطة حياة معلم جليل القدر ، واسع الصدر ، تلقى صدمات الدهر وعقباته بثبات ورضى ، واجتاز مراحلها بعزم وحزم ، وهو يتنقل في أرجاء الوطن من وظيفة إلى أخرى في التعليم . ولقد أفى من عمره نصف قرن في التعليم ، فإدارة معاهد علمية من الولايات العثمانية سابقاً منذ سنة (١٨٨٨) [في الشام ، في اللاذقية ، في بغداد ، في كربلاء] فالولايات التركية [سيواس ، وان ، قونية ، استانبول] . قام بوظيفته التعليمية أحسن قيام وخرج منها يوم أحيل على التقاعد ، ناصع الجبين مرتاح الضمير ، فخوراً بما قدّم للوطن من هذا العدد المديد من الشباب المتعلم ، إلى يوم لفظ أنفاسه الأخيرة مودعاً هذه الدار الخلابة المظاهرة ، بين لفيق من أفراد أسرته وأقاربه الأدينين .

وأروع ما في الكتاب وأدعى للتأثر والاعتبار : ما كتبه في آخر أيامه وهو في سرير المرض بعنوان (في فراش المرض) (ص ١٨٣) يخاطب نفسه ، شعراً ونثراً استلهمه عن إيمانه العميق ، وبخطه وتوقيعه (١٥ شباط ١٩٤٥) . وهي قطعة بليغة حقاً ، فيها تتجلى : التقوى والعقيدة المتينة ، والإيمان الصادق الراسخ في قلب مؤمن مخلص لله تعالى . وبها عظة وعبرة لابن آدم هذا المخلوق المعد للفناء ، المغرور المتكبر ، على عجزه ، بمن غير تعقل وتفكر ، الذي تصرعه حمّة جرثوم تلقيه في دمه (برغشة) ضئيلة !

أثارت مطالعة الكتاب في الذكرى - والذكرى تشوق - إلى ربوع الماصحة التركية القديمة الجميلة ، المليئة بالأحداث التاريخية الهامة التي لقبها شاعرهم المبدع (توفيق فكرت) بـ (المعجزة الفتانة الأرملة البكر) في قصيدته المصماء الرائعة بما اشتملت عليه من حسن الوصف ، والتي رفعت

إلى قمة الشعرية وعنوانها (الضباب (*)) في يوم غشّي الضباب الكثيف العاصمة ، أقول أثارت في نفسي الذكرى والحنين إلى العاصمة استانبول ، القديمة وأكثر ما ورد ذكره في الكتاب من أحيائها هو مما تفتحت عيني منذ طفولتي ، على أرجائها وعشت فيها أعواماً طويلاً .

فمرت أمام عيني مرور الصور على الشاشة السينمائية ، كما مرت المدارس التي تلقيت دروسي الأولى فيها ، والأسواق والطرق التي نجتازها إلى المدرسة (المكتب) ، والحدائق التي كنا ورفاق المدرسة نلعب فيها ، فرحين دون أن ندري ما يخبّؤه المستقبل .

وشخصت أمام بصري أشباح المعلمين الأتراك الذين أخذت عنهم بلقبهم ، منذ الطفولة ، من (الابتدائي) و (الرشدي) و (السلطاني) وهم لا يزالون من نفسي في محل الإجلال والإكبار .

ومما بلغت النظر - زيادةً عن كل ما ورد عن حياة المعلم المرحوم من جلائل الأعمال تعليماً وإدارةً - ما كان يتحلى به من التقوى والصلاح والحرص على أداء الفرائض الدينية ، والنصح والإرشاد .

دخل المعلم رفيق ، سلك التعليم في الدولة العثمانية (سنة ١٨٨٨) بالشام (مركز ولاية سورية آنذاك) معلماً للإملاء ، في مدرسة (الرشدية العسكرية) بعد نجاحه في المسابقة التي أجريت لذلك ، وكان في الشام عمه (حسين أفندي) منفياً ، ففاد عبد الحميد الثاني ، الذي لم يرق له أن يبقى في استانبول أحدهم ممن كانت لهم صلة بسراري السلطان مراد الخامس . ووالي ولاية الشام إذ ذاك هو أحمد مدحت باشا .

(*) (ميس) بالتركية : ألهمه إياها ضباب يوم ، كثيف ، غطى العاصمة ، وهو مطّل من شرفة بيته العليا في (بك) ، الذي أسماه (آشيان) ومعناه (عش الطير) تشبهاً منه ، نفسه - وهو الشاعر الصداح - بالطير المغرّد من عشه . ويمدّه الأدباء الأتراك مؤسسي مدرسة الشعر الحديث في الأدب العثماني السابق .

وعلى الرغم مما عرض عليه من الوظائف الملكية الأخرى آثر البقاء في سلك التعليم ، فملّثم في الشام ثم في اللاذقية التابعة لولاية بيروت في ذلك العهد ، ثم في مدارس بغداد ، ثم في (سيواس ، وان ، قونية ، استانبول) .
ففي بعض منها قام بالتعليم ومعاوناً للمدير ؛ وفي بعض منها كان مديراً .
ثم عُيّن مديراً للمعارف ، فمديراً لشعبة الحقوق من دار الفنون .
ولطول إقامته في البلاد العربية معلّماً ، أتقن اللغة العربية تكلماً وكتابة .
كما تعلم اللغتين الفرنسية والفارسية فبلغ فيها درجةً تمكّنه من التكلم والكتابة بها .

في الكتاب صور شتى خارج المتن ، عدا الصورة الأولى للمرحوم ، صور تذكارية في أعوام مختلفة . وخريطة لولاية سينوب فيها اسم القرية التي ولد فيها المرحوم (*) .

منها بين الصفحتين (١٦ — ١٧) صورة له حين كان بالشام معاون مدير للإعدادية الملكية سنة (١٨٩٢) ، وصورة أخرى له في المدرسة نفسها مع طلبته وهو يلقي عليهم درساً في الهندسة وتطبيقات المسح (١٨٩٣) .
وبين الصفحتين (٤٨ — ٤٩) صورة له وهو ملتح ، بعد أن عُيّن مديراً لإعدادية اللاذقية وعاد مأذوناً لدمشق (١٨٩٧) .
وبين الصفحتين (٦٤ — ٦٥) صورة له حينما كان مديراً للمعارف ببغداد ، وصورة أخرى بجانبها وهو بالزي البغدادي بالعباءة والعقال (١٩٠٦) .
وصور شتى له في مدارس الولايات التركية واستانبول أخيراً .

(*) ولد عام (١٨٦٨) في قرية (گوللي كوي) في ناحية (گرزة) في ولاية سينوب الواقعة على البحر الأسود . وتوفي باستانبول (حي بشكطاش) حزيران ١٩٤٥ ودفن في مقبرة (يحي أفندي) ، في حطيرة الأسرة .

وفي الصفحتين (١٤٦ - ١٤٧) رُسمٌ لدعاء خطبة الجمعة بالنص العربي وبخط رقي مشكول ، جميل (يحيد المرحوم الخطين الرقي والديواني) .
وفي الصفحتين (١٥٦ - ١٥٧) رُسمٌ قصيدة امروف الرصافي بعنوان (سادة رفيق بك) يوم كان المرحوم مديراً للمعارف في بغداد وكان الرصافي معلماً للعربية (١٩٠٦) بخط رقي جميل بالحروف العربية [بعد ذلك ترجمة القصيدة إلى التركية بالحروف التركية الجديدة] .

يشكر نجله الفاضل (فؤاد آرون*) لعمله المجيد هذا في تخليد ذكرى والده المربي المناضل تقمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .
وتشكر سفارة الجمهورية التركية بدمشق ، لهديتها لمجمنا نسخة من هذا الأثر التاريخي المتعلق بالعلم والتليم ، لعله يكون مثلاً جميلاً عن حيلة طويلة تقضت بشرف وأمانة ، لمن يطالع من الجيل الصاعد فيقتدي به إذا انخرط في سلك التليم .

الكواكب

ملاحظة . — لم يرد ذكر قصيدة الرصافي المتعلقة بالمرحوم في ديوان الرصافي المطبوع سنة ١٩٣١ فرأيت من المفيد إثبات نصها هنا خدمة للتاريخ والذكرى .
(ص ١٥٦ - ١٥٧)

(*) ولد السيد فؤاد آرون (سنة ١٩٠٩) في يوم تصيب السلطان رشاد ملكاً على عرش السلطنة ، بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه (ص ٥) . وهو حالياً مقيم في (يكنيشهر - أقرة) أمداً الله في عمره وأكثر من أمثاله من الأولاد النبهاء البررة الأوفياء .

سعادة رفيق بك

مما رَفَقنا مِنْكَ استنارت بدورها
وقد أصبحت أَفلاكها مستديرة
وكان بنوها يشكون انحرافها
سميت إلى تقويتها سمي قادر
عباً لأبائها حوت حجراتها
فكنت لها كالنيت باكر روضة
فأضحت بها الأزهار رَبَّنا نَدِيَّة
تسنى عسبر من طريق رُقيتها
أشار إلى غايتها بدلالة
له ذل من أرض السياسة صعبا
تأمل في أحكامها بفراصة
فألفت إليه بالأمور واثه
وصارت مقاليد الرياسة رُجْعاً
إذا ما طريق للنجاح توَعَّثت
وأقلامه في الطرس إن هي أعملت
تلوح بها الأفكار أيضاً وجوها
رأت سعة في الفضل منك وفي التشبي
وماجت بنا في بُعد فضلك مثلاً
وكم لك آراء حكين كواكباً
أعيزك بالصدق الذي أنت أهله

على حين قد كانت سراراً شهورها
بحسن انتظام حيث أنت مديرها
فما جئت إلا واستقامت أمورها
بسورة عزم يستحيل فتورها
رفيقاً بأبناء تضم حجورها
ذوت لانتظام النيت عنها زهورها
تنشئ على الأغصان فيها طيورها
ولولا رفيق ما تسنى عسبرها
فيا حبذا الغايات وهو مشيرها
فلو شاء لانت في يديه صخورها
فبانت له أعجازها وصدورها
جدير بأن تلقى إليه أمورها
إليه ألا نعم المصير مصيرها
وسار بها عادت سهولاً وعورها
يروع قلوب المنشئين صريرها
إذا انتظمت في الصحف سوداً أسطورها
أمانيتنا حتى استطال قصيرها
عوج بأبعاد الفضاء أثيرها
يشق عمى الأبصار بالحق نورها
من القوم إن القوم يخدع زورها

فديتك إن القوم صالية الحشا بيران حقد لا ييوخ سميها
فكم سلكوا بي في مفاوزٍ للقلبي عليّ تلتظي باليداء هجيرها
فله أشكو ثم لله مشراً بضام بتضييع الحقوق عثيرها
ولست بأحداث الليالي مبالياً أهب صباها رخوة أم دبورها
أدامك رب الناس للناس فاصراً إذا عز في دار الهوان نصيرها

بغداد في ٣ مارت سنة ٣٢٢ الداعي

معروف الرصافي

[٣ مارت سنة ٣٢٢ توافق سنة ١٩٠٦ م]



نظرة في معجم

(الطحانة والخبازة والفرانة)

أعدّه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي
بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
بالدار البيضاء — المغرب

في علم الآليات والحركات (الميكانيك) مبدأ يقول (الحركة الدائمة في الطبيعة شيء مستحيل) ... على أن ما يبدو في (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) في العالم العربي ، في الرباط - المغرب ، يكاد يجعلني أقول (إن الحركة الدائمة) ليست شيء مستحيل . وها هو ذا المكتب يحقق هذه الحركة المباركة المستمرة بما يقوم به من جليل الأعمال بنشاط فادر المثال ، واتصال دائم مع سائر الأقطار العربية العلمية ليُخرج للناس أحسن ما عمل من ثمرات جهود جبارة تذكر فتشكر . أليس كل هذا (حركة دائمة) دون انقطاع ؟ !

إن ما أخذ على عاتقه هذا المكتب الفذ من عمل ضخم وشاق وما بذله وبذله في هذه السبيل من تضحيات مادة ومعنى لجدير بالإعجاب والإكبار . لقد أخرج (المكتب) أخيراً (معجم الطحانة والخبازة والفرانة) وصلت إلى منه نسخة مطبوعة على الطابعة ، إعداداً للطبعة النهائية بالمطبعة ، وهي حاوية من المصطلحات الجديدة الجديدة بكل تقدير لمن عمل على وضعها وانتقاها من بين ما وُضع لها ، ورتبها فأحسن ترتيبها ، ونسّقها فأجاد تنسيقها الملائم للغرض (وعددها ٤٨٩ كلمة) بمسند الشاهدة رأي العين لأجزاء مختلف الآلات والأجهزة في أكبر مطحنة في المغرب وأرقاها وأكملها تجهيزات ، في زيارة دراسية لطاقتها ، تحقيقاً وتدقيقاً وتفهماً للغرض الذي ابتكرت له ، لتأتي مصطلحات هذه المهنة متوافقة مع مدلولها ، وهي المهنة التي تنوقف عليها أسباب الحياة وأغني الأغذية وعلى رأسها الخنطة والدقيق ، من طحن ونخل ونخب وعجن وخبز . وهذا حقاً عمل منطقي طريف منطبق على الواقع الشاهد عياناً ، تهناً عليه اللجنة .

هذا وقبلاً ، أخرج هذا المكتب (الديناميكي) معاجم في مختلف الشؤون والعلم والفن . فالشكر والتقدير لنشاط أركانه ولمن يتولون إدارته ويسهمون في أعماله بنيرة وحماس عجيبين .

وإذ قد رغبت لجنة المكتب إلى المطالع إبداء رأيه وملاحظته حول ما ورد في المعجم من المصطلحات رأيت - تلبيةً لهذه الرغبة - أن أذكر على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي مما وجدت فيه ما يلاحظ عليه من المصطلحات ، خدمةً للمعجم نفسه ، فمضى أن تنظر إليها اللجنة بين الرضى . وفقنا الله جميعاً لما فيه مصلحة لتتنا الحية إلى قلوبنا ، من ناحيتي العلم والفن ، وهذا للصواب .

واليك الآن الملاحظات :

الصفحة	الرقم	
٢	٧	Granulation يقابله : التَحْثِير ، بالخاء .
٢	٨	يحسن أن تذكر كلمة (طحن) أسوةً بأخواتها السابقة فيقال (الطحن بالمتحاز) بدلاً من (النحر) فقط . وفي التعريف يقال : النحر الدق بالمتحاز أي بالهاون .
٣	١٣	وُضع لكلمة Rendement : مَرْدُود . واختلف على هذه الكلمة . قلت : الأصل (التَرْجُوع) الفصحى من (بجاتني رُجعى رسالي أي مرجوعها وهو جوابها) كما في القاموس ، وكأن الفرنسية ترجمة المرية .
٤	١٧	الجشب ، كالجرش : Concassage .
٤	٢١	الكركرة ، بحسب شرحها يقابلها : Remoudre .
٤	٢٣	المرس : Broiement .
٥	٢٥	يكتفى بكلمة (الهاون) لشهرتها .
٥	٢٦	ـ (الدق) ـ
		وما عدا الهاون ، والدق ، يترك لما يجده من آلات السحن .
٦	٣٣	Meuleuse أليست هي (المِطْحَنَة ، بكر الميم) ؟
٧	٣٩	الناعورة بالتهز à impulsion ، إضافة (المهز) وهو الدفع .
٩	٥١	النفة النبّانة (على التفعيل) والفعل هو النبّذان .
٩	٥٢	الجبّانة () الجبّذان .
		لما في الفعلين من معنى الحركة [فعلان : الاضطراب والحركة] .
١٠	٥٤	Vanne . و (الحَيْس) Ecluse بمعنى .
١١	٥٥	ملّتها : Moulin à bras . م (١٢)

الصفحة	الرقم	
١٣	٧٥	الجمجمة : Bruit de Moulin كما وردت في معجم كليفييل الفرنسي (انظر النسخة الفرنسية العربية) .
١٣	٧٦	المِدْوَل Pilon d'agate تخصيصاً .
١٥	٨٤	الفَصَّالَة لما يقابل Séparateur أصلح .
١٩	١٠٥	المُفَرَّجِيَّة Brosse à blé الآلة التي تعمل عمل الفرجون .
٢٣	١٢٢	الدَّمُوك ، صفة . فالأصلح أن يقال (رحي ' دموك) كما وردت في القاموس .
٢٤	١٣١	المِسْحَلَة أو المِسْلَخَة ، بالخاء . فيجب تصحيح الخطأ المطبعي .
٢٥	١٣٢	المِخْلَطَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) التي جرت عليها مصلحة التعريب .
٢٥	١٣٣	أليس الأصلح : (مَبْلَغ الاستخلاص) فقد ورد في الرقم ١٤٩ : استخلاص مقابل Extraction .
٢٥	١٣٣	مكرر و (الجاروشة Moulin à bras) .
٢٨	١٤٤	Bluterie : مَنخَلَة وزان مِفْعَلَة للكان ، والمعاجم الفرنسية لم تذكر استعمال bluterie اسماً لما يُنخل به !
٢٩	١٥٢	مَبْلَغ (السفسفة) مقابل taux مثلاً ورد في الرقم ١٣٣ .
٣٢	١٦٢	Silo : هو الكُنْدُوج تخصيصاً . أما (المُرِّي) فهو (بيت يجمع فيه طعام السلطان) كما في القاموس .
٣٣	١٦٨	المِكْيَسَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) ؛ أو (مَكْيَسَة ، على التفعيل ، كما ورد الفعل نفسه في الرقم ١٦٩ .
٣٤	١٧٤	Treuil هو المَنجَنُون ، والمَنجَنَتِين .

الصفحة	الرقم	
٣٥	١٧٨	Etiquette : يَفْتَحُ (عَرَّبْتُهَا عن التركية يَاقَتَه) كما (وردت في مصطلحاتي العلمية - طبعة ثامنة ١٩٥٩) والاشتقاق منها سهل . أليست هذه أصلح من (البطاقة) التي هي (الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت كذلك لأنها تُشَدُّ بِطَاقَةٍ من هُدُب الثوب ؟ ! - القاموس) .
٣٥	١٧٩	Étiquetage : يَفْتَحَةُ . [يَفْتَحُ étiqueter ؛ مِيَفْتَحُ étiqueté الخ] .
٣٥	١٨٠	المَقْطُ (وهو الخيط الذي يُصطاد به الطيور) أصلح من المِيقَاط ، بكسر الميم ، فهو الجبل يُشَدُّ به .
٣٦	١٨٦	الباضعة الرَدْفُ أو الرَدِيفَة (بدلاً من : المدبورة) . وفي الشرح : باضعة ترَدِفُها ، كنصر ، أو ترَدِفُها من أرَدَفَ . كل هذا من (الرَدِفُ كالرَدِيف وهو الراكب خلف الراكب ، كما في القاموس) .
٣٧	١٨٧	الباضعة المردوفة أو المُرْدُفَة تميزاً لها من الرقم ١٨٦ .
٣٧	١٩٠	لعل الأصلح (اليدْرَعَة ، وهي الثوب يُتمدرع أي يلبس) ، بدلاً من (الميدعة كاليدع ، المكان الذي يُصان فيه الثياب وهو الصَّوَان Garde - robe) .
٣٩	٢٠١	فوق اكسيد الآزوت (بدلاً من يروكسيد الآزوت) .
٤١	٢٠٦	Issues : مُغَايَات (ومثلها Déchets) كذلك .
٤٢	٢١١	ومثلها (الخُشَالَة ، بالشين) كذلك .
٤٦	٢٥٥	Moisissures هو : (العَفَن ، العفنات) كما ورد في معجم كيرفيل (انظر النسخة الفرنسية العربية) .

الصفحة	الرقم	
٤٨	٢٣٦	Ergot هو (أرغوت ، تعرياً) [وميهاز الجودار : ergot de Seigle كما وضعته لجنة المصطلحات الطبية ، انظر النسخة الفرنسية العربية - معجم كيرفيل] .
٥٠	٢٥٠	وكذا (ناشطة) بمعنى .
٥٠	٢٥١	وكذا (نشوظ) بالمعنى نفسه وهو نبات الشيء من أرومته أول ما يبدو حين يصدع الأرض .
٦٨	٣٤٣	يكتفى بكلمة (الميرقاق) . و (الشوبق ، معرب مشهور) وتترك الباقيات لما يجد من آلات التريق .
٧٥	٣٧٥	المخمر ، على اسم المكان ، من الثلاثي وهو ترك المعجين حتى يجود .
٨١	٤١٢	الفنمة [بدلاً من (الملائ) الذي له معان شتى] من الفنم والتفانم .
٨٢	٤١٤	(التحميم بحمام ماري) باضافة حمام ماري ، تخصيصاً باسم مبتكرة الطريقة والجهاز المسمى باسمها .
٨٣	٤١٦	خبز فطير هو بالفرنسية : Pain azyne .
٨٤	٤٢٨	الميرتنة تقابل Tartine .
٨٤	٤٢٩	الخبز المقمّر (والكلمة مشهورة) وأحسبها من (القمرة) وهي الياض فيه كدرة . فهي أصلح من (المشوي) . فالخبز لا يشوي بل يجعل على النار لتلوه كدرة ، وهو نوع من التحميص .
٨٥	٤٣٤	Biscottes هو البقسماط أو الخشكنان (من الفارسية) على ما أذكر .

الصفحة	الرقم	
٩١	٤٧٢	الأصلح (صمغ ، باليم) بدلاً من (صبغ ، بالباء) إذ ليس هنا صبغ بصباغ ما . إنما هو (تليغ) والصبغ لتناع ملئغ .
٩٢	٤٧٧	مبلّمة Gelée ، من الهملاية gel [وهذه من الهملام . والاشتقاق منها وفيه : gélification تهليم ، se gélifier تهلّم] بدلاً من (مجمّدة) .
٩٢	٤٧٨	مراءة ، بدلاً من (خيصة : empoi) .

الكواكب



مدينة دمشق

عند الجغرافيين والرحالين المسلمين

وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد

استشهد المؤلف في تضاعيف كلامه بقول البحري :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفي مطربها بما وعدا
يمشي السحاب على أجيالها فرقا ويصبح البت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واذيا خضرا أو يانما خضيلاً أو طائراً غردا
نعم ! هذه دمشق الغناء ، وهذا كتاب ابنها البار صلاح المنجد فيها ،
نأى عنها غير مختار ، فما خفف البعاد شيئاً من تعلقه بها ، وصبوته إليها .
كان من بعض هذا الهيام بها ، والحنين إليها ، أن بلغ ما أخرجه من
كتب تعلق بها ، وتصل بتاريخها وأحداثها ، ثلاثين كتاباً ، كان آخرها
هذا الكتاب الذي يتحدث عنه : « مدينة دمشق » ، ضم بين دفتيه (طائفة

كبيرة من النصوص التي وردت في تواريخ الجغرافيين الرحّالين والعلماء الذين وردوا إلى دمشق وكانوا غرباء عنها : من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري) جميعها من شتات الكتب من مطبوع ومخطوط .

بلغ من نقل عنهم أربعين شيخاً : من عالم ومؤرخ وأديب . يبدأ بخلاصة عن حياة كل منهم : مولده ، ونشأته ، وسائر ما يعرف عنه مما وصل من خبره إليه . ثم يعقب على ذلك بما كتبه هذا الشيخ عن دمشق من ثمر وشمر .

ومن يبدأ بهذا الكتاب لا يملك نفسه أن يتركه قبل أن ينتهي إلى آخر صفحة منه .

تقرأ في هذا الكتاب الممتع المفيد من طرائف ولطائف تبدي لك عن محاسن هذه المدينة ، وعمّا فيها من عادات وأعراف ، وعمّا لاقيه في حياتها الطويلة — وهي من أقدم مدن العالم إن لم نقل أقدمهن على الإطلاق — من رفعة وعزة ، وضمة وذلة ، واستقلال واستعباد ، وما فيها من معاهد ومدارس ، ومن جوامع وكنائس ، ومن ضياع ورباع ، ومن متاجر ومصانع ، ومن أسواق وحمامات ومن وقوفات ورباطات ، وما من عليه أهلها من لطف ولين .

وهذه المحاسن والمحامد على شهرتها وشهرة أهلها بها ، لا تمنعه أن ينشر إلى جانب هذا المدح والثناء الحق ، ما قاله بعضهم في ذمها وتفضيل غيرها عليها .

فمن المادات المستحبة التي يذكرها عن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء والقضاة والخبراء ، فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار وكبار السوق فعل مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبادية

فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدم وفي مسجد ، ويأتي كل واحد بما عنده فيفطرون جميعاً ، (١)

أدركنا ذلك في عهدنا يوم كان الرئيس محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية يدعو إلى مائتته في رمضان الوزارات على التعاقب : وزارة وزارة : وزيرها ورؤساءها وأركانها ثم المتقاعدين والمحامين والوجوه والأعيان ثم أرباب المتاجر والمصانع بحيث لا تخلو مائتته في ليالي رمضان من عشرين إلى ثلاثين مدعواً .

جرى في هذا على سنة دمشق وعلى طريقة وزراء الدولة في الآستانة ، - وكان منهم - ثم هو يودع أضيافه على باب داره بكل ما أوتيته من لطف وقواضع .

وتبتين هذه الأخلاق الدمشقية في ناحية ثانية من نواحي الآداب الاجتماعية . فانت قل أن تعرف صديقاً رفعت له الأقدار إلى منصب لم يكن ليحلم به إلا شمع بأنفه ، ونمالي عمن كان يعرفهم ، ونجد الدمشقي وقد بلغ أسمى المراكز - رئاسة الجمهورية مثلاً - لا يزال على كثير من الوضع الذي كان عليه من قبل ، ويظل في كثير من مجالسه على ما كان عليه من ظرف ولطف ونكتة .

(١) وحافظت دمشق على عاداتها هذه فكان وجوها وأعيانها يدعون في جملة من يدعونهم إلى إفطار رمضان كبار الحكومة . وما كنت أحب هذه الدعوة لرجال القضاء . وكان يزعمني أن أرام جماعة جماعة في سوق الأروام ينتظر بعضهم بعضاً حتى إذا تكامل عددهم ذهبوا إلى حيث هم مدعوون . فطلبت إليهم أن يعتنوا عن قبول هذه الدعوات فقد تخرجوا إلى الخروج ، أو الانتهام بالخروج عما يتطلبه القضاء من تجرد وحياد . ففعلوا . فارتاحوا وأراحوا (ع)

هذه خطرات رأيت أن أشير إليها ونحن في الحديث عن مدينة كتب لي أن أعيش فيها قرابة أربعين سنة فلا عجب أن يولع بها أبناءها والمقيمون فيها ، وأن يمثلهم الأستاذ الصلاح في هذه الكتب الممتعة .

وإذا كان كتاب « مدينة دمشق » قد جمع ما قيل في دمشق من قبل ، فلا بد أن يضاف إلى ذلك ما كان في هذه المدينة الجارية من وطنية صادقة ، حمل السلطات الأجنبية في كثير من الأحيان أن تحنو أمامها رأسها . بدأت الحركة العربية في بيروت : أدباً وسياسةً وحديثاً . والأدب فيها غالب على السياسة والعمل . فانتقلت إلى دمشق سياسة وأدباً وعملاً . والسياسة والعمل غالبان فيها على الأدب . كان يقع لهذه المدينة أن تضرب عن الأعمال إضراباً عاماً شاملاً ، يبلغ في بعض الحالات أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ، لا يخيفها تهديد ولا وعيد . وقضت في جهادها ربع قرن حتى جلا المستعمر عنها كما جلا عنها غيرهم من المستعمرين من قبل .

وبعد ، فإن لدمشق أن تفخر بصلاح الدين المنجد كما له أن يفخر بها ، مقيماً بها أو نازحاً عنها ، أحسن الله إليه قدر ما أحسن في كتابه هذا إلى وطنه وإلى العلم والأدب .

و (مدينة دمشق) طبع طبعاً متقناً على ورق صقيل ، مبوب أحسن تبويب ، وله فهارس قيمة تعين على الرجوع إلى بحوثه وموضوعاته .

وقد وقع بعض أخطاء مطبعية كان الحق أن يستدركها المؤلف كما استدرك غيرها ، من ذلك ما جاء في الصفحة ٢٩٧ في بيتين لابن نباته :

دمشق في أرجائها مواضع	يسبو إليها قاطر وسامع
ربوعها وقصرها والجامع	فهي ثلاثة ما لهن رابع
والصواب : ثلاث ليستقيم الوزن .	

وفي الصفحة ٣٠٨

باكر إلى قهوة مسكية فضحت ذكرى المدام وشتف لي الفناجيننا
تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجيننا
ولو أن ألف امريء طافوا بحاناتها قصد النجاة رأيت الألف ناجينا
وهذه الواو في البيت الأخير من خطأ الطبع لا يستقيم الوزن
إلا بحذفها .

النكري



الملكة زنوبيا

مشرقية شعرية للأستاذ عدنان مردم بك

يُخرج الأستاذ عدنان ، مسرحيات شعرية يُوفق في موضوعها
وفي أسلوبها .

وأخر هذه المسرحيات « الملكة زنوبيا » جعلها أربعة فصول ، وأهداها
إلى موطن البطولات ، ومهد الحضارات ، المدينة الخالدة : « دمشق » .

وقدم لها بتوطئة موجزة في تاريخ « زنوبيا » وذكر أن السبب الذي
حمله على وضع هذه المسرحية ، زيارة سبقت له إلى تدمر برفقة والده
العلامة الفقيه خليل مردم : رئيس الجمع العلمي الأسبق رحمه الله .

والمسرحيات الشعرية العربية قليلة . وقليل من وفق فيها ، حاشى شوقي .
وقد يكون الشيخ خليل اليازجي أول من فتح هذا الباب بروايته :
« المروءة والوفاء » . ثم جرى على خطاه ابن أخيه السيد نجيب الحداد
في روايته : « صلاح الدين » .

والصعوبة في المسرحيات الشعرية : أن الشاعر في موضوعه وفي أسلوبه

مقيد غير طليق ، على حين أن الشاعر في غير المسرحية طليق غير مقيد ،
يذهب في قوله كل مذهب .

وفي رواية زفوييا من المواقف الشعرية الموقفة ما يسيل رقة وعذوبة :
لفظ فصيح في معنى صحيح ، من ذلك قوله :

الغرب في كل عصر للشرق مصدر شر
شرق وغرب لعمري الضدان في كل أمر
ولعله لو قال « ضدان في كل أمر » لكان القول أكثر انسجاماً .
ومن مستجاد قوله :

الناس في كل المصور هم الضواري الكاسرة (١)
خضبوا الأكف بما أسالوا من دماء طاهرة
ومضوا يمشون الفساد قياصراً وأكاسرة
ومن الآيات السائفة :

إن يؤس النفس لو أنصفت من سوء السريرة
والعمى في الناس أصناف وألوان كثيرة
وأشد الداء خطباً حيناً تعمى البصيرة
خطأ أن تصف النور إلى عين ضريبة

وأمثال هذه الآيات الموقفة كثيرة .
وفي الرواية بعض ماخذ لا بد للمؤلف أن يتداركها في طبعة جديدة
إن شاء الله .

والشكر للأستاذ عدنان علي هذه الروائع التي يخرجها لقومه ، وهم بحاجة
إليها وإلى أمثالها أسلوباً وموضوعاً .



ع . ن .

(١) ولنا نرى رأي من يخطئ في الضواري بالكاسرة . ويحصر « الكواسر »
بجوارح الطيور .

كتاب الهفوات النادرة

تأليف

غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي* المتوفى سنة ٤٨٠

حققه وعلق عليه وقدم له

الدكتور صالح الأشر

هذا سفر نادر من أسفار الثقافة العربية ، ذو موضوع طريف في الأدب والتاريخ . اضطلع بتحقيقه أخي الدكتور صالح الأشر ، وطبعه في سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ . وقد قدم له بمقدمة طويلة جيدة ، عرّف فيها بال مؤلف ، ودرس الكتاب في موضوعه وأسلوبه وقيمته ، ووصف أصوله المخطوطة ، وشرح طريقته التي اتبعها في التحقيق . خرج الكتاب من بين يدي الدكتور صالح مصححاً منقحاً ، يفري الناس بقرائه ، ويجتذب الباحثين إلى النظر فيه ، والإفادة منه في الأدب والتاريخ واللغة ، ولا سيما اللغة الحضارية واللغة الدارجة في بغداد إبان المصور الباسية إلى زمن المؤلف .

أضاف الدكتور صالح إلى الكتاب حواشي وتعليقات جيدة مفيدة في شرح الكتاب وضبطه ، وردّ نصوصه إلى أصولها ، والإشارة إلى وجودها في مصادر أخرى ، والترريف بالأعلام والشراء والرواة الذين وردت أسماءهم في متن الكتاب . وكل هذا ينير الكتاب ، ويوضحه . على أن من هذه الحواشي ما لا فائدة كبيرة ترجى منه ، مثل الإشارة إلى بحور أبيات الشعر الواردة في الكتاب . وهي كثيرة فكاد نجدها في كل صفحة . وهذا مع أن المحقق الكريم قد ذكر بحور هذه الأبيات في فهرس القوافي . فكان له في ذلك معدي ومعدل عن ذكرها في حواشي الكتاب .

وألحق بالكتاب فهارس عديدة مفيدة أيضاً . والفهارس مفاتيح ذهبية يصوغها المحقق ، ويضعها في أيدي الباحثين والدارسين ، ليصلوا بها إلى المعلومات والأفكار المكنوزة في طيات الكتاب . على أن الدكتور صالح كلف نفسه فوق ما يلزم ، حين صنع (فهرس محتويات الكتاب) . فقد أجاز لنفسه أن يضع لكل خبر في الكتاب عنواناً يدل عليه ، وحشر هذه العناوين في فهرس طويل شغل ما يقرب من ثلاثين صفحة . وهذا لا يفيد أحداً من القراء ، بله الباحثين والدارسين . وفي الفهارس الأخرى ، ولا سيما فهرس الأعلام ، غنى عنه .

* * *

جوّد الدكتور صالح تحقيق الكتاب وضبطه كما ذكرنا آنفاً . ولكن شاب عمله الجيد هنات معدودة ، و « لا تعدم الحسنة ذاماً » ، كما يقول المثل العربي القديم . وسوف نورد هاهنا أمثلة من هذه الهنات طمعاً بالزيادة في نقاء الكتاب وصحته .

قال الدكتور صالح في الصفحة ٥١ من مقدمته : « وقد ترجمنا لعدد كبير من الأعلام الواردة في الأخبار ، وعدد ضخم من الرواة الذين وردت أسماءهم في أسانيد الأخبار . وأتبنا كل ترجمة بذكر المصادر التي ترجم لصاحبها » . ولكنه في الواقع ترجم لبعض الأعلام ، وأهمل بعضهم . ولم نعرف خطئه في ذلك ، ولم يذكر سبباً نعرفه .

ففي الصفحة ٩ من الكتاب ورد ذكر المدائني المؤرخ الراوية المشهور ، وعيسى بن موسى الباسي . فترجم المحقق للثاني منها ، وأهمل الأول ، فلم يترجم له مع أنه أحال على كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته لعلي بن عيسى . والمدائني مترجم له في الأعلام أيضاً (١٤٠/٥) .

وفي الصفحة ١٠ من الكتاب ورد ذكر إبراهيم بن المهدي وطاهر بن الحسين . فترجم المحقق للثاني منها ، وأحال على كتاب الأعلام . وترك الأول ولم يترجم له ، وهو مذكور في الأعلام كذلك (٥٥/١ - ٥٦) . ومثل هذا كثيراً جداً في الكتاب .

وقد أحال الدكتور صالح في معظم التراجم التي أوردتها إلى كتاب الأعلام . وهو لعمري كتاب جيد في بابه . ولكنه ليس من المصادر الأولى ، لأنه كتاب حديث ، يأخذ عن المصادر القديمة في تراجم الأعلام القديمة . والأولى الرجوع إلى المصادر القديمة في الأول ، ثم الكتب الحديثة . فهذا أجدى وأقوم .

* * *

إن معظم الهفوات في الكتاب واضحة ، بينة المعنى والنكته . إلا أن عدداً منها لا يستبين معناه ، ولا يدرك موضع الهفوة والنكته فيه إلا بالشرح والبيان ، بسبب اختلاف البيئة ، وتغير الظروف الاجتماعية والتاريخية ، وتطور مدلول الكلمات وغير ذلك من الأمور . ومن الأجدى شرح مثل هذه الهفوات ، وبيان مواضع النكته فيها .

مثال ذلك الهفوة ٤٣ في الصفحة ٤٧ من الكتاب . فقد سأل أبو إسحق أبا سعد : « هذا الصبي ولد له ؟ » أي ولد الخادم . فأجاب أبو سعد : « يا سيدنا ، خادم لا يكون له ولد ! » . وهذا السؤال هو موضع الهفوة ، والجواب موضع النكته . ويتقضي الخبر من غير إيضاح من المؤلف ، أو شرح وتعليق من المحقق . ويتساءل القارئ العادي ، وربما خاصة القراء : ولماذا لا يكون للخادم ولد ! ولا يعرف السر في ذلك . والسر أن كلمة الخادم صارت تطلق في المصور السياسية ، ولا سيما في بغداد ، على

التخصي من الخلم دون غيرهم . بل مُخَصِّت بهذا المعنى ، وصارت مرادفة لكلمة الخمي . ولا نجد هذا في معجمات اللغة ، وإنما نعرفه من كتب الأدب والتاريخ بالاستقراء .

ومثل هذا ما جاء في الهفوة ٣١٠ ، في الصفحة ٣١٣ من الكتاب :
 « كان علي بن خلف النيرماني ينشد دائماً :

فميناك عيناها ، وجيدك جيدها ولكن أخلاق الرجال تضيق ،
 وقال المحقق الكريم في الحاشية (٢) تعليقاً على هذا : « شطران من الطويل » . وقوله هذا صحيح ، ولكنه لا يعني ، ولا يعني شيئاً .
 والشر الأول من هذين الشطين صدر بيت معروف لمجنون بني عامر قيس بن معاذ العامري ، من شعر له ، وكان وقع في شراكه ظبية ، فأطلقها وقال :

أيا شبه ليلى ، لا تراعي ، فإني	لك اليوم من وحشة لصديق
ويا شبه ليلى ، لا تزال بروضة	عليك سحاب دائم وبروق
أقول ، وقد أطلقتها من وثاقها :	لأنت ليلى ، ما حيت ، طليق
فميناك عيناها وجيدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق

(انظر لسان العرب : روع) .

والشر الثاني من الشطين عجز بيت لعمر بن الأهتم النقيري ، من قصيدة له مفضلية مشهورة (انظر المفضليات ١٢٥ — ١٢٧ ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤) . وتنام البيت مع البيت الذي قبله :

وكل كريم يتقي الدم بالقرى	والخير بين الصالحين طريق
لعمر ما ضاقت بلاد بأهلها	ولكن أخلاق الرجال تضيق

في الصفحة ٥٨ السطر ١١ - ١٢ :

«وتقلني من الرئاسة والميالة . وهي المنزلة الزرية والرتبة الدنيصة» .
ولا يستقيم معنى الكلام بهذه الصورة . لأن منزلة الرئاسة والميالة ليست
بزرية ، ولا رتبها برتبة دنية . إنما المنزلة الزرية ذات الرتبة الدنية هي
منزلة اللب بالشرنج . فبين الجملتين سقط لم يشر إليه المحقق ، كما ترى .
وفي بقية الخبر دليل على ذلك .

في الحاشية (٤) في الصفحة ٦٥ :

قال المحقق تعليقاً على جملة «ويزهزه ألفاظه» : « ولم نجد في المعاجم
(زهزه ألفاظه) بمعنى أن يقول . زهـ زهـ ، استحساناً عند سماع كل لفظة ،
لكن ذلك هو ما يتطلبه المعنى هنا» . وتقول : جاء في كتاب (شفاء الغليل فيما في
كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ص ١٠٠ : «زهزة :
بمعنى تحسين ، مولدة من قول الفرس : زهي زهي» .

في الصفحة ٧٤ السطر ٧ - ٨ :

«وقيل : خرج عبد الملك بن مروان يوماً قاراً ، وعليه جياب خز
متظاهرة ، على علي بن عبد الله بن العباس» .

قوله «قاراً» هاهنا تصحيف . والصواب : «ماراً» ... على علي بن
عبد الله بن العباس» . وقد خيل إليّ في بادئ الأمر أن هذا من الغلط
المطبعي . ثم نظرت فإذا المحقق الكريم يثبت «قاراً» عن اختيار . ويعتبر
«قاراً» الواردة في نسختي (أ) و(ع) تصحيفاً ، كما في الحاشية (٤) .

في الصفحة ٩٤ السطر ٨ :

«واتفق لي ، وهي تحدثني بذلك ، أن موسى وراء الباب» . في هذا
القول غلط لم يصححه المحقق . والصواب : «واتفق لي وهو يحدثني بذلك ...»
لأن الحديث كان بين جد القنائي وبين داود بن الجراح في منزل موسى
ابن عبد الملك . وفي أول الخبر وبقية دليل على ذلك .

في الصفحة ١٣٢ السطر ١١ :

« وجعلت اليانية تعض على شفاهها ، تظن أن قد هربت » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « ب : هويت » . وما في نسخة (ب) هو الصحيح . و (هربت) لا معنى لها هاهنا . و (هويت) معناها : هلكت ، وهو المقصود هاهنا .

في الصفحة ١٧٧ السطر ١٣ :

« ويحقق الأمر عنده كون الرجل وحده ... » . وفي الحاشية (٥) في ذيل الصفحة ما يشير أن (يحقق) زيادة من نسخة (ب) ، وأنه كان فيها : « وتحقيق الأمر عنده لكون ... » . وما جاء في نسخة (ب) صحيح لا بأس به ، ولا زى وجهاً لتغييره كما صنع المحقق .

في الصفحة ١٧٨ السطر ٨ - ٩ :

« قسم الله أجله وتبر عمره » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « تبره : أهلكه » . وفي ب : تبر » . و (تبر) الواردة في نسخة (ب) ، وهي بمعنى قطع ، أصح وأجود هاهنا من (تبر) التي اختارها المحقق ، وأكثر انسجاماً مع (قسم) .

في الصفحة ٢١٥ السطر ٥ :

« وحدث عن ابن الزنقيلي ... » . وفي الحاشية (٥) : « ع : الزنقيلي » . وفيها تصحيف تصحيحه : الزنقيلي ، أو الزنقيلي نسبة إلى الزنقيلية أو الزنقيلة ، وهي فارسية معربة أصلها زَنْبِيلَه ، أي الزنبيل كما تقول العامة . (انظر نواذر أبي مسحل ٣٢٧ ، والمغرب ١٧٠) .

في الصفحة ٢٧٩ السطر ٢ :

« كان إسماعيل بن بلبل الوزير يفاوض المتمد بالله في أمر ... » . الصواب : « المتمد على الله » . وقد كانت في الأصل « المتمد بالله » .

فصوب المحقق كلمة (المتضد) كما ذكر في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة ،
ونسي تصويب كلمة (باقة) .

في الصفحة ٢٨٧ السطر ١٤ - ١٥ :

« وإنما يبقى لرب الضيعة صباية كصباية الإناء ، وجة كمجة المرقوب ، .
وقال المحقق في الحاشية (٦) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة (كمجة) :
« في الأصول : مجة ، ولعلها مجة ، ويقال : لم يبق في الإناء إلا مجة ، .
وما جاء في الأصول هو الصحيح . وأصل هذا القول مثل من أمثال العرب
معروف . جاء في لسان العرب (عرقب) : « وفي المثل : الشر ألباء إلى
مع المرقوب . وقالوا : شر ما أجهك إلى مجة عرقوب . يضرب هذا عند
طلبك إلى اللئيم ، أعطاك أم منعك ، . وانظر أيضا بجمع الأمثال ٣٥٨/١ ،
وفيه : « والمعنى : ما أجهك إليها إلا شر ، أي قرر وفاقة . وذلك أن
المرقوب لا منع له ، وإنما يحتاج إليه من لا يقدر على شيء ، .

في الصفحة ٢٩١ السطر ١ - ٢ :

« ولا أزال على حالي حتى تأخذه يما صحيحا ، لا شرط فيه ولا خيار
ولا مثنوية ، . وقال المحقق في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة
(مثنوية) : « كذا في الأصول ، . وقوله هذا ينبغي بشكه في صحة
هذه الكلمة . ولا داعي إلى هذا الشك ، لأن سياق الكلام صحيح ،
والمنى مستقيم . ومعنى قوله « ولا مثنوية » : أي لا رد في هذا البيع (لسان
العرب : ثنى) . ومنه بيت النابغة الذبياني في قصيدته البائية في مدح
عمرو بن الحارث النسائي المعروف بالأعرج :

حلفت عينا غير ذي مثنوية . ولا علم إلا حسن ظن بصاحب

* * *

هذا وهناك أشياء أخر في الكتاب أقل شأنا مما ذكرنا آنفا ، أعرضنا
عن الإشارة إليها ، لأنها هنات صغيرة تدرك بأقل نظر .

الدكتور هزفة حسن

م (١٣)

آراء وأبناء

تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي^(١)

كانت الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٨ م موعداً لجلسة مجلس الجمع العلمية التي دعا اليها الدكتور طه حسين رئيس الجمع لتأين المنفور له الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس جمع اللغة العربية بدمشق ، وقد توفي في ١٤ من مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ م .

وقبل الموعد المحدد أقبل على دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، وهي المكان الذي تقرر عقد الجلسة فيه ، جملة من أساتذة الجامعات والعلماء والأدباء وأبناء الجمهورية السورية والبلاد العربية ، وعدد من فضليات السيدات وبعض أفراد أسرة الفقيد .

وكان في طليعة الحاضرين الدكتور حسني سبيع رئيس جمع اللغة العربية بدمشق والدكتور شكري فيصل عضو الجمع ، وقد حضرا من دمشق إلى القاهرة خاصة للمشاركة في حفل التأين .

ورأس الجلسة الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس الجمع نيابة عن الدكتور طه حسين رئيس الجمع المعتذر من التخلف لحالته الصحية ، وحضر الجلسة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام ولقيف من الاعضاء .

(١) الكلمات التي أقيمت في الجلسة الخامسة للدروة الخامسة والثلاثين لجمع اللغة العربية في القاهرة في تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي .

وفي الموعد المحدد أعلن الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع افتتاح الجلسة وألقى كلمته في رثاء الفقيد ، ودعا بمدحا الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع لالقاء كلمته ، ثم تلاه الدكتور حسني صبح رئيس مجمع دمشق فألقى كلمته ، ثم تلاه الأستاذ عزيز أباطة عضو المجمع فألقى قصيدة رثاء ، ثم أعقبته السيدة زيا حافظ فالتت كلمة الأسرة .

ثم قرأ الأستاذ شوقي أمين رئيس التحرير بالمجمع البرقية المرسلة من كريمي الفقيد بدمشق .

ثم أعلن الأستاذ زكي المهندس انتهاء الجلسة ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة مساء والكلمات والبرقية جميعها مرافقة لهذا المحضر .

كلمة الأستاذ زكي المهندس

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان السيد رئيس الجمع الدكتور طه حسين يود أن يشاركنا في تأييد الفقيد العظيم والعالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي ، ولكن حالته الصحية اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار ، فباسمه وباسم الجمع أحييكم وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأييد هذا الرجل العظيم ، وأخص بالتحية والشكر السيد رئيس جمع دمشق ومن معه من الزملاء والأصدقاء الذين وفدوا إلينا لكي يمزجوا أحزانهم بأحزاننا ودموعهم بدموعنا في تأييد الزميل الراحل ، على أن الفجعة في الشهابي ليست فجعة جمع القاهرة وحده ولا جمع دمشق وحده ولكننا فجعة الأمة العربية بأسرها ، وفجعة العلم والمطاء في كل قطر عربي .

نحن إذ نبكيه الليلة لا نبكي فيه رئيساً لجمع أو زميلاً سابقاً في جمع القاهرة وحسب ، وإنما نبكي فيه رجلاً عظيماً وعالماً جليلاً ، وعريباً أصيلاً من رجال الرعيل الأول الذين يفخر الوطن العربي ويبتز بأسمائهم وتاريخهم .

حقاً أيها السادة لقد فقد العالم العربي في الشهابي ثروة علمية ضخمة ليس من السهل أن تموض ، أما خسارة الجمعيين فيه فخسارة فادحة ، فقد كان رحمه الله قوة علمية يوثق بها ويعتمد عليها ، وكم من مسألة علمية أو لفوية عرض لها الجمع في مؤتمراته فكانت للفقيد فيها جولة تم عن غزارة علم وسعة اطلاع وإحاطة تامة بأصول اللغة ، حتى في الشهور التي يغيب عنا فيها كان دائماً حاضراً معنا بذكراته التي كان يرسلها إلى الجمع حافلة بالتعليقات والمقترحات والتوجيهات النافذة المفيدة .

ولعل الشهابي يعد من طليعة هؤلاء العلماء القلائل الذين استطاعوا أن يواثموا بين القديم والجديد ، وأن يطوعوا اللغة للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث ، وعهدنا بكثير من العلماء الطيبين أن يضعوا المصطلحات من غير أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث في اللغة ، أو العناية بدراسة تراثنا العلمي العربي القديم للاستفادة منه ، ولكن الشهابي كان على خلاف ذلك ، كان كثير البحث في اللغة العربية قواعد وأصولها وطرق الاشتقاق فيها ، كما كان معنياً كل العناية بدراسة ما وضعه العلماء القدامى من أسماء ومصطلحات ، يفيد من هذا كله في وضع المصطلحات العلمية حتى كتب عنه (أمين المفلوف) فقال : لم يكتب في الزراعة منذ صدر الإسلام بلغة أبقى وأصلح من لغة الشهابي . وكان الفقيد إلى جانب علمه وكفائته مثلاً للأخلاق العالية ، كانت له شخصية جذابة ساحرة ، تؤثر فيمن حوله وتحملهم على إجلالها واحترامها . كان هادئ الطبع كريم النفس عف اللسان . عامراً قلبه بالمظاهر الإنسانية الكريمة ، كان يدلي بآرائه في تواضع العلماء ويحترم آراء غيره . وإن كانت مخالفة لآرائه .

لقد زاملناه في المجمع أكثر من خمسة عشر عاماً . ولم أذكر أنني رأيته يوماً غاضباً من أحد ، أو ساخطاً على أحد ، بل كان محباً للجميع محبوباً من الجميع . رحم الله الشهابي رحمة واسعة وجزاه عما قدم للعلم واللغة بخير ما يجزي به عياده المخلصين العاملين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتولى تأيين الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع ، ويليهِ السيد رئيس مجمع دمشق الأستاذ الدكتور حسني مبيض ويليها الزميل الشاعر الأستاذ محمد عزيز أباطة عضو المجمع فيلقني قصيدة في رثاء الزميل الراحل وبعد هذا كله تلقى السيدة ثريا الحافظ كلمة الأسرة ثم تلقى برقية كريمي الفقيد إلى المجمع من دمشق .



كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيمة في غفران زلاتي
أيها السادة الكرام أيها الزملاء الخالدون :

كأنني بفقيدينا العظيم الخالد ، قد لحص حياته وجهاده في خدمة اللغة العربية في هذا البيت الرقيق من الشعر ، الذي نظمته ، وأوصى أن يكتب على قبره ، وحقاً لقد كانت حياته متميزة بطابع الجهد المضني ، الذي يبذله راضياً ، في خدمة اللغة العربية وتطويعها للعلوم المصرية ، تقدم صفوف حماة الفصحى ، الذابين عن حياضها ، المنافحين عن حوزتها ، الداعين إلى جعلها لغة العلم الحديث في مختلف فروع وفنونه .

عرفت الأمير مصطفى الشهابي ، في أروقة مجتمعا الموقر ، منذ نحو ربع قرن من الزمان ومنذ ذلك التاريخ ، وقد اتصلت بنا الأسباب ، وكانت آصرة الحماس للغة العربية ، والغيرة الشديدة عليها ، والحفاظ على سلامتها وبذل الجهد لجعلها لغة العلم ، بترجمة المصطلحات العلمية . أمضى آصرة وأفواها . ومنذئذ وقد اتخذت منه في هذا المجال معلماً وإماماً . ولعل الكثيرين منكم يذكرون ، ما كان يدور بيننا من نقاش حول هذا المصطلح أو ذاك ، وأشهد أنني كثيراً ما كنت أسلم بنصاعة حجته ، وقوة عارضته ، وسعة اطلاعه فأتقاد للحق الذي يدافع عنه ويقنع به ، ويكون أغلب الأمر في جانبه ، فلم يكن يرضيه أن نلتزم باصطلاح استعمله أصحاب الصنعة خمسين عاماً مادام غير مطابق أو غير سليم ، فتأخذ بالتصحيح الذي يرضي اللغة ويرضيه ، ونترك ماشاع على ألسنة الدارسين ، وندعو إلى التزامهم به ، وكان في حرصه على ذلك يدعو إلى استعمال السلطان في نشر ما يقره

المجتمعون من مصطلحات وكنت أرجوه أحياناً أن نترك إلى سلطان الذوق والاستعمال والقذوة الحسنة ، وأنه لا مجال في موضوع المصطلحات العلمية ، إلى تطبيق القول بأن « مايزع الله بالسلطان أشد مما يزع بالقرآن » .

وكان يقول ان توحيد هذه المصطلحات ، لا يتم ، كما يفهم الكثيرون ، بمقد المؤتمرات والندوات أو صنع معجمات من لدن هيئة أو مؤتمر ، وإن أفاد ذلك جزئياً ، ولكن الرسالة أسمى من ذلك وأجل من أن يتطلع إليها فرد أو طائفة ، إذ يجب أن ينظر إلى هذا التوحيد على أنه عمل قومي كبير ، يهم البلاد العربية كلها ، ويستوعب الكثير من الجهد والوقت والمال وقد قدر لهذا العمل منذ ثلاث عشرة سنة ، مبلغ مائة ألف جنيه ، وحسب الزمن الذي يستغرقه بستين شهراً . غير أنه عاد أخيراً ، فضاعف المبلغ إلى مائتي ألف وأما الوقت فقد قال انه يستطيل بالحساب على الستين شهراً الذي سبق له تقديرها . ويرى في معنى توحيد المصطلحات أن يكون في كل الأقطار العربية « معجم فرنسي عربي ، و « معجم انجليزي عربي على الأقل ، لتلك المصطلحات ، تعرف فيه الألفاظ بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً ، يناسب حجم المعجم ، على أن يشتمل المعجم على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تأخذ الحكومات العربية نفسها باستعمال الفاظه دون غيرها في وزاراتها ، ودوائرها وجامعاتها ومدارسها . وأن تصنيف المعجم يحتاج قبل كل شيء إلى أداة تميز المصطلحات بعضها من بعض ، وترجع بعضها على بعض وتستقر على الأصح والأصلح ، وتمضي على طريق واحدة ، ومن رأيه أن يجمعنا الموقر ، هو الأولى والأقدر على وضع هذا المعجم ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا العبء دون تأزر ومساندة من جامعة الدول العربية والعلماء والأدباء العرب ، الذين عرفوا بوضع المصطلحات العربية وتحقيقها ، كل في دائرة اختصاصه وحدود ثقافته ، ورسم منهاج العمل ،

بأن تؤلف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى لجنة معجم المصطلحات العلمية ، يكون لها شخصيتها الاعتبارية واستقلالها المالي والإداري ، وأن يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذي يقدر لتصنيف المعجم ، ويأذن للجنة المذكورة أن تتصرف في اتفائه بمراقبة أمين الجامعة ورئيس المجمع ، وتتصل اللجنة بالمتخصصين بالمصطلحات في الأقطار العربية ، وتتطلب منهم ، وضع قوائم مصطلحات أعجمية عربية ، ضمن اختصاصهم لقاء مكافآت مجزية ، وتضع اللجنة من هذه المصطلحات والقوائم « معجم المصطلحات العلمية » وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية ، فيقر ألفاظه ويناقشها في حضرة واضعها من متخصصي الأقطار العربية ، لقاء مكافآت مجزية ، ثم يطبع مجمع القاهرة المعجم ، ويوزع نسخه على دول الأقطار العربية . وتبقى لجنة المعجم قائمة على عملها في مجمع القاهرة ، لإضافة ما يجد من المصطلحات ، وإعادة طبع المعجم وتوزيعه ... ثم يردد رحمت الله عليه قول الشاعر :

«مَنْ إِنْ نَكُنْ حَقًّا نَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
ثم يردد قول شاعر آخر :

إِكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ

وفي الواقع لقد كانت الخطوات العملية ، هي نفسها التي رسمها قييدنا الراحل ، فيما عدا رصد المال اللازم ، عندما أخذت وزارة البحث العلمي على عاتقها وضع المعجم العلمي العربي الموحد مستفيدة من خبرات المتخصصين مما وضعتهم المهامع والهيئات والأفراد من قوائم ومعاجم إلا أنها لم تجد بنداً تخفّض فيه من نفقاتها إلا البند الخاص بهذا المعجم ، فأوقفت العمل فيه ، بعد سنتين من الجهد المتصل من الخبراء والمتخصصين لم تزد النفقات على بضعة آلاف ، ونيفت المصطلحات التي روجعت ونسقت ووضعت لها الجذاذات على الثلاثين ألفاً وقد كان رحمه الله متفائلاً بهذه اللجان التي ضمت ثلاثة وثلاثين عالماً

نحو نصفهم من أعضاء الجمع وخبرائه المختصين . وكانت تعمل جاهدة لتنفيذ قرار المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي عقد في بغداد سنة ست وستين وتسمائة وألف .

ولم تكن حماسة فقيدنا للغة العربية ، واستعمالها لغة للتدريس في الجامعات ، والنهوض بها لتكون لغة العلم الحديث في مختلف فروعها ، لم يكن حماسة الفائق المتقد لينسيه أهمية التعمق في دراسة اللغات الأجنبية ، لمتابعة المسائل العلمية بلغاتها الأصلية ووضع لذلك أربع وسائل لا بد من اتباعها ، للنهوض باللغة العربية ، وجعلها مسيرة لكل تقدم علمي ، وهذه الوسائل الأربع هي :
أولاً — إتقان تدريس لغة أجنبية حية كالفرنسية أو الانجليزية في المدارس الثانوية .

ثانياً — تدريس تلك اللغة في الكليات الجامعية .

ثالثاً — جلب أساتذة أجانب ، يلقون دروساً ومحاضرات باللغة الأجنبية .

رابعاً — ذكر الألفاظ العلمية في أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الألفاظ مشتركة بين اللغات الحية .

ويقول انه يعتقد أن بهذه الوسائل الأربع أو هذه التكافلات — على حد تعبيره — يستطيع الطالب الذي يدرس بالعربية في كليات الجامعة ، أن يوسع بعدئذ معلوماته ويختص في معاهد الاختصاص في البلاد العربية ، ويتابع البحوث العلمية في المجالات الأجنبية المتخصصة .

ويقول اننا نحن العرب ، لانستطيع التخلي عن لغتنا ، ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير ، ونحن جادون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، فتمكن بذلك من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية وهو موقن بأننا سنبلغ بإذن الله ما نريد .

لقد كان الأمير الشهابي حجة أولى العلم ، ينهلون من مورد المذهب ،
 ويمجدون لديه ما طاب من حديث في دقائق العلم ، ممزوجاً بالفكاهة الحلوة ،
 والسر المذهب ، وكان حفيماً باللغة العربية حفيظاً عليها ، وكانت عصبية
 اللغة العربية ، عصبية كريهة قادرة ، لأنه ذو دراية واسعة بأسرار اللغة
 العربية ، ويقول أمين الملوغ عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية ،
 « ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام » .

ولا ينسى له المجمعيون عامة ، والمستغلون بعلوم الحياة خاصة ، تلك
 القواعد التي وضعها الفقيه لترجمة أسماء الأجناس والأنواع المواليد والأعيان
 والتي أقرها المجمع منذ سنين وشاعت وزادت بين المشتغلين بالصناعة ، وغدوا
 يترسمونها في أعمالهم العلمية ومؤلفاتهم ودراساتهم المختلفة ، بالإضافة إلى ما وضعه
 من أسماء لحقات التصنيف المليا والدنيا من نحو العالم والأمة والطائفة والرتبة
 والقبيلة والفصيلة والجنس والنوع والصنف أو الضرب والسلالة وما اتخذ
 من قاعدة للتصغير في الحلقات الوسطى ، بين كل حلقة وأخرى . ومن
 تعريب لاسم الجنس ، وترجمة لاسم النوع إن دل على صفة معينة ، أو تعريبه
 إن دل على اسم علم . ولا مرأى في أن الأمير مصطفى الشهابي من أعظم
 علماء الزراعة في العصر الحاضر ، ولا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة
 العربية الأواحد في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده ، كان الباحث
 المدقق ، يتحرى أصلح الألفاظ في المفاجم العربية ، وفي كتب النبات
 والحيوان القديمة ، قام بهذا العمل المضي خير قيام ، وحقق فيه عدداً كبيراً
 من المصطلحات العربية وضعها أمام المصطلحات الأجنبية ووضع لأسماء النباتات
 الأجنبية أسماء عربية أو عربية بطريقته الخاصة . وهي الرجوع إلى أصول
 الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات . وترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية
 أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام . وغدا الشهابي معروفاً في البلاد العربية

كافة بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم اطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات ، واعترف له كثير من أعضاء الجامعات العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات بأن كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، هو أنصع دليل وأوفى مرجع يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي تتبع في وضع المصطلحات العلمية بلقنتنا العربية .

نسبه ونشأته وما تولى من وظائف وتقلد من أعمال :

وهو الأمير مصطفى بن الأمير محمد سعيد ، بن الأمير جهجاه بن الأمير حسين الشهابي ، من أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا الشام في الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، وحكموا في حوران سنة ٥٦٨ هـ ، أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، ثم حكموا وادي التيم ببلبنان حتى سنة ١٨٧٠ م وقد ولد في أول نوفمبر سنة ١٨٩٣ في حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم ، ودرس في المدارس السورية ثم في الآستانة ، ثم في فرنسا حيث تخرج سنة ١٩١٤ حاصلاً على درجة عالية في العلوم الزراعية ، وكان يتقن العربية والفرنسية والتركية ويلم بالانجليزية ويعده عارفوه من أكثر الناس جلدأ على المطالعة والتأليف والمحاضرة .

وقد تقلد عدة مناصب عالية في الدولة ، كما تقلد الوزارة أربع مرات

على النحو الآتي :

١ — مدير الزراعة والحراج سنة ١٩١٨ — سنة ١٩٢٣ .

٢ — مدير الأملاك ١٩٢٣ — ١٩٣٤ .

٣ — مدير الاقتصاد الوطني ١٩٣٥ .

٤ — وزير المعارف ١٩٣٦ .

٥ — محافظ حلب ١٩٣٧ — ١٩٣٩ .

- ٦ - وزير المالية ووزير دولة ١٩٤٢ .
- ٧ - محافظ اللاذقية ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- ٨ - أمين رئاسة الوزراء ١٩٤٥ .
- ٩ - محافظ حلب مرة أخرى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .
- ١٠ - محافظ اللاذقية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .
- ١١ - وزير المدل ١٩٤٩ .
- ١٢ - وزير مفوض ثم سفير سورية في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٤ .

وله في مناصب الدولة أعمال عمرانية كثيرة ، منها توزيع أملاك الدولة على الفلاحين لايجاد ملكيات صغيرة ، وتشيد دار الكتب الوطنية في حلب ، ودار الكتب الوطنية في اللاذقية، وهو من الرعيل الأول من العاملين في القضية العربية، وكان عضواً في جمعية العربية الفتاة وجمعية المهد ، وكان أحد أعضاء وفد المائدة بين سورية وفرنسا سنة ١٩٣٦ ، وكان عندئذ وزيراً للمعارف .

وقد انتخب سنة ١٩٣٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وفي سنة ١٩٤٨ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً ، وانتخب عدة مرات عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وفي مجلس إدارة المتاحف والآثار ، وفي جمعيات علمية وأدبية مختلفة ، وعين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، ومثل جامعة الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الاجتماعية .

وفي سنة ١٩٥٣ انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنة الواصلات الدائمة وفي سنة ١٩٥٦ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق بالإجماع نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات ، وفي سنة ١٩٥٩ انتخب

بالإجماع رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق خلفاً للمرحوم خليل مردم بك ، فكان الرئيس الثالث لذلك المجمع ووجد انتخابه لرئاسة مجمع دمشق سنة ١٩٦٣ ، ومنح جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥ وهي أول جائزة تقديرية تمنحها الدولة السورية .

وفي سنة ١٩٦٤ انتخبته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية بلندن عضواً مشاركاً لمجلس هذه الدائرة .

وقد منحته الدولة السورية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، كما منحته الحكومة المصرية الوسام الأكبر من وسام النيل ، عندما كان سفير الحكومة السورية في مصر .

وقد عكف الأمير الشهابي على دراسة قواعد اللغة العربية ، وكتب اللغة وآدابها وأخذ يكتب في أم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً ، يمدّها بالمعارف من خالص الأدب الرفيع ، على أن الناحية العلمية واللغوية طفت فيه على الناحية الأدبية ، ولذلك فإنه يمدّ بحق في عداد العلماء وكبار المفكرين وقد أمضى سنين عديدة في دراسة نابات سورية وحشراتهما واقتصادياتهما واستطاع أن يطبق العلوم الزراعية الحديثة في أعماله الحكومية أو في مؤلفاته الزراعية ، وقد اشتهر بتعريبه لأصالح الألفاظ في المساجم العربية ونشر كثيراً من إنتاجه في مجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة المجمع اللغوي بالقاهرة وفي مجلات المقتطف والهلال وغيرها .

مؤلفاته :

ليس من اليسير التعريف بما كتب الأمير الشهابي من مؤلفات ومقالات ووسائل ، فذلك في الواقع يحتاج إلى دراسة خاصة ، وكم أود بهذه المناسبة أن أعرض على القاصدين أن يعملوا على دراسة أعمال الأعضاء والتعريف

بها . وإني لأشير هنا إلى أم تآليف قدينا ، تاركاً الدراسة المتخصصة إلى فرصة أوسع ووقت أرحب .

كتاب الزراعة العلمية الحديثة ويبحث في الأربة والأعمال الزراعية والري والصرف والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب والقطاني وبعض البقول ونباتات الكلاً والنباتات اللبية والدهنية والصبغية .

وكتاب الأشجار والأنجم الثمرة ، يتناول دراسة ثلاثين نوعاً من أشجار الفواكه وجنبتها وأنجمها كالزيتون والكرم والبرتقال .

وكتاب البقول ، ويبحث زراعة أم الخضروات وعددها خمسون .

وله كتاب في الدواجن وكتاب الدفاتر الزراعية .

ويعتبر معجم الألفاظ الزراعية ، وهو معجم فرنسي عربي لألفاظ العلوم الزراعية الحديثة كالزراعة العامة وزراعة البساتين وعلم الحراج وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطيور الأهلية وماله صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات وصناعات واقتصاديات . ويعتبر هذا المعجم من أعظم مؤلفاته يضم نحو عشرة آلاف مصطلح ، وضع المؤلف أمام المصطلح الأجنبي أصلح الكلم العربية وعرف كثيراً منها تعريفاً علمياً موجزاً ، ثم كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ومعجم المصطلحات الحراجية بالانجليزية والفرنسية والعربية وكتاب أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية يشتمل على تصويب نحو مائتي خطأ من الأخطاء الشائعة ، في هذا المجال ، وكتاب الشذرات ويشتمل على جانب مختار من بحوثه ومحاضراته ومقالاته العلمية والأدبية والفلسفية والقومية .

كما شارك الأمير الشهابي في وضع وتحقيق ألفاظ المعجم السكري الذي أصدره الجيش بدمشق وكان رئيس اللجنة التي نقلت ألفاظ المعجم إلى العربية

كما أشرف على ترجمة كتاب تطور الزراعة في الشرق الأوسط لمؤلفه الدكتور « كين » إلى اللغة العربية .

أما بحوثه ودراساته ومقالاته فهي أكثر من أن يشار إليها ؛ منها نظرة في كتاب البلاغة الأندلسية لابن العوام ، وأسماء نباتات مشجرة ومصطلحات جيولوجية وأسماء الفصائل النباتية ، وجملة المصطلحات النباتية ومدى التريب في ألفاظ تصنيف المواليد ، وتأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوربية . وقد نشر الكثير من هذه البحوث في مجلة المقتطف ، وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجلد والرسالة والثقافة وغيرها .

حياته وأراؤه العامة :

وقد عاش الأمير الشهابي حياته عيشة هادئة منتظمة ، وكانت أعماله الحكومية مرهقة أغلب الأمر ومع ذلك فقد كان يجد متسعاً من الوقت للمطالعة والتأليف وإلقاء المحاضرات ومتابعة الحركة القومية والاستقلالية في سورية والبلاد العربية ، وكان يقول إنه إذا عاش المرء عيشة منتظمة ، استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم على الأقل ، وذلك مما تكن مهته العاشية شاقة : وكذلك استطاع الأمير الشهابي أن يشارك مشاركة فعالة في أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق وأن ينشر في مجلته بحوثاً علمية وأدبية ، وأن يضيف إلى لغة الضاد مئات من المصطلحات العلمية ، وأن يؤلف كتباً زراعية فيها دراسات خاصة كثيرة ، وممجماً فرنسياً عربياً هو نسيج وحده في مصطلحات العلوم الزراعية والاحيائية والمواليد الثلاثة واستطاع كذلك أن يشارك مشاركة فعالة خصبية في أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد جاء إلى القاهرة عدة مرات ، وفي كل سيرة تكون محاضراته في النوادي ومقالاته في المجلات والجرائد زينة لهذه

وتلك وكان في مقالاته العامة متاباً للحركات العلمية والأدبية وداعية إلى القومية العربية وتضامن الدول العربية واتحادها وقد قال بذلك شهرة في مصر تعدل شهرته في سورية . كذلك رحل إلى بغداد عدة مرات بدعوة من وزارة المعارف العراقية حيث ألقى عدداً من المحاضرات العامة فيما هو بسبيله من نشر للمعرفة في أرفع صورها ثم صرفه أبهاء القاهرة مرة أخرى منذ انتخب عضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً في مجلسها . وإذا بصوته الجمهوري يجلجل في ردهاته ومجالسه مدافعاً لا يلين عن قضية يرى فيها الحق أو الصواب فلا يجانبه أبداً ويعتبر الأمير الشهابي من أقدم الدعاة إلى إنشاء جامعة الدول العربية . وأن تسير الدول العربية تدريجياً نحو الاتحاد فالوحدة وقد كتب في ذلك قبل إنشاء الجامعة العربية بضع عشرة سنة .

وكان يقول ان نهضتنا الحديثة يجب أن تؤسس على القومية العربية ، وان تشمل العرب والمستعمرين ، وأن العربي في رأيه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً .

وكان من رأيه أن الحكم البرلماني مظهر من مظاهر الاستقلال وعنوان لسيادة الأمة ومن الخير أن تقبل الحكم الديمقراطي والحياة النيابية ، بشرط أن نضمن انتخاب شيوخ ونواب مثقفين عارفين بواجباتهم يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وكان عدواً للاستعمار والمستعمرين ، ويرى أن معظم الحروب الحديثة من جنائياتهم ، وألف كتباً الاستعمار ، لدحض نظرياتهم ، وبيان أضرارهم في المجتمع البشري .

وكذلك كان الأمير الشهابي من الداعين إلى القومية الوثيقة ، ووجوب حصر جهودنا في نطاقنا العربي خدمة للإنسانية كلها ، وليس من رأيه تفكيك عرى القومية عندنا بفكرة الدعوة إلى الإنسانية الشاملة مادام الغربيون الأقوياء يربون أبناءهم ويسرون في معاملتهم للشعوب النامية على مبادئ

القومية المتطرفة ، بل والخصرية أحياناً ، وعلى قواعد الاثرة والاستعمار وعلى ذلك فمن رأيه أن مثالية النظرة الإنسانية لا تناسب شعوبنا التي قصارها الدافع عن كيانها واستقلالها . وقد تلخص رأيه في كتابة القومية العربية بقوله « ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً ، قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو إلى محبة الإنسانية وخير البشرية ، وحق كل شعب في تقرير مصيره . وقد دعا الأمير الشهابي وعمل جاهداً على نشر التعليم العام والتعليم الفني خاصة ، وتعليم المرأة ، ورفع الحجاب ، مع الاحتفاظ بعاداتنا العربية والتعصب للفتا وعاداتنا وثقافتنا ، واقتباس العلوم والمخترعات الحديثة والسير في جميع أعمالنا على الأسلوب العلمي القويم ، وكان يسف في مقالاته ومحاضراته الذين لا يأخذون من المدينة الأوربية إلا قشورها دون لبها .

ولامراء في أن الأمير الشهابي من أعظم المثقفين العرب في هذا العصر ، ومن أغزرم اطلاعاً على العلوم قديمها وحديثها ومن أكثر رجالات العصر الحاضر تجارب في الحكم والوزارة والسياسة وتدل كتاباته على أنه مطبوع على الأدب ، قرأ أمهات الكتب الأدبية قراءة دراسة وتدبر ، كما قرأ في إيمان كتب أكبر الأدباء الفرنسيين ، ولذلك فانه يعد مثال المثقف بالثقافتين العربية والاوربية وقد اتسمت كتاباته بالأدب الرفيع ، وعد من الكتاب البرزين كما اشتهر بأنه من أفصح الكتاب وأقدرم على معالجة الموضوعات العلمية بالأسلوب العلمي السهل الواضح فهو بلا شك أحد علمائنا الأدباء أو أدبائنا العلماء فقد جمع بين العلم والأدب ، ولذلك سماه شاعر القطرين المالم الأديب ، وقالت عنه الآنسة « مي » ، إنها ما استمت مرة إلى بحوثه

ودراسته العلمية والأدبية والفلسفية إلا وتمثلت لها «وحدة الوجود» ، ولا شك أن الذي يطلع على كتابه الشذرات يمجب لبراعته في تناول موضوعات فلسفية علمية دقيقة وقال فيه خليل مطران بمناسبة إصدار الأمير معجمه :

يا أميراً أهدي إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حقيقته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا بجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في نفع هذا الحمى وفي رفع شأنه
ويقول عنه شبيب ارسلان « انه لأمر العلماء حقاً ، وعالم الأمراء
فعلاً ، واني مع شيخوختي هذه لراض أن أنضوي تحت لوائه ، كما انضوى
شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة .

أما جلسات مجتمعا ومؤتمراته . فانها حافلة بعبارات التقدير والثناء والشكر
للأمير الشهابي على ما يقدمه من بحوث ودراسات ، وفي ذلك يقول السيد
رئيس الجمع في إحدى الجلسات « إني لأعترف بأن كل ما قدمه الأمير
للجمع وشارك فيه كان خصباً دائماً ونافعا دائماً ، واني لأكرر له الشكر
مع أني أعلم ان السيد الأمير لا يجب الشكر والثناء .

وأجمل القول إن ققيدنا العظيم عالم زراعي ألف في العلوم الزراعية كتباً
ثمينة قيمة تعد من أصلح الكتب من نوعها وباحث أضاف إلى لغة الضاد عدداً
كبيراً من المصطلحات العلمية وكاتب مفكر له أثره العظيم في النهضة العلمية
والأدبية ، ورجل دولة ، خدام سورية ، خدمات عظيمة في الوزارات
والمناصب الكبرى التي وليها ، ووطني عظيم في القضية المريسة ، وشر
فكرة القومية المرية ومن الرواد الذين عملوا للاستقلال والوحدة ، ومن

الذين أثروا اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، وعملوا على غوها والحفاظ على سلامتها وجعلها للغة العلم . ظل يعمل في هذا المجال زهاء نصف قرن من الزمان ، يزيد في إراثها لتواكب ركب الحضارة ، حتى قضى وهو يحمل لواء العلم في الرابع عشر من مايو ١٩٦٨ بعد أيام من كتابة مقال لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وآخر لمجلة بجمنا عن رأيه في النسبة للكيمياء ، ومن رئاسة آخر جلسة للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فقدنا فيه عالماً غزير المعرفة ، مترفعاً عن الدنايا ، وسفاسف الأمور ، فيه تواضع العظماء ، وعظمة العلماء ومع وداعته قوي الشكيمة لا يعرف هواده إزاء من يزيغ الحق أو يجافي الاستقامة .

أيها السادة الكرام _ أيها الزملاء الخالدون :

لست في حاجة إلى أن أحدثكم عن خلود العلماء في أعمالهم ، وبقيدنا العظيم مثال فريد في الخالدين ، الذين عبروا جسر الحياة في ثقة وإخلاص ، في جد وأدب ، وصبر ومصابرة ، مما يعد مثلاً بمنذى وكأنما أراد لشدة إيمانه ، بحقيقة الموت ، أن يضيء طريق الخلود لخلفائه حتى لا يضلوا من بعده أبداً . فكانت هذه الحياة الجادة الخصبية النافعة ، وكذلك هم العلماء يشترون خلودهم ، بما يقدمون من أعمال ، وما يتركون من نتاج قرائحهم وثمرات أفكارهم . . . وهم أشد الناس إيماناً بأن الموت غاية كل حي ، وإن كل نفس ذائقة الموت ، وأنه « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

ولكأنني بفقيدنا العظيم ، بعيد سيرة نقر كريم من العلماء العرب القدامى من أمثال ابن الهيثم والبيروني والبغداديين الذين كانوا يستملون بعلمهم ، ويترهبون

في الترف والسلطان ، ويعزفون عن الدنيا والصنائ . . . فقال ابن الهيثم قوله المشهورة عندما رد لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجراً لتعليمه ، قائلاً : « خذ أموالك بأسرها فلا حاجة بي إليها ، ولعلك أحوج إليها مني عندما تعود إلى ملكك ومسقط رأسك ، يكفيني قوت يوم ، ورد البيروني للسلطان ما أرسله من جمال تنوء بأحمالها من تقود الفضة قائلاً : إنه إنما يخدم العلم للمعلم ، كذلك فعل البغدادى أيام صلاح الدين الأيوبي حين قال إن العالم الحق يُسمى إليه وإذا اشتهر المرء بعلمه وخلقه سُعي إليه ، وأتمه الدنيا صاغرة وعرضه ودينه مصون .

ذلك هو قعيدنا العظيم واحد من هذه العصبة الكريمة الخالدة من العلماء أترف بعجزى عن إيفائه حقه من التأين الكريم ، وإن هذه الدراسة العجلى قاصرة عن الإحاطة بأعماله والتعريف بإنتاجه الفكري والعلمي والأدبي وإني لأستشعر ضآلة ما قدمت بالنسبة لما كان مقررأ أن يقدمه أستاذنا الزميل الكبير المرحوم الأستاذ الزيات ، الذي كان قد اختاره الجمع لإلقاء كلمة التأين ، ولكن يد القدر كانت أسرع إليه ففقد بجمنا عالين من أعلامه في أقل من شهر من الزمان . فواها للجمعين مما يرزأهم به القدر حيناً بمد آخر ، وإذا كانت قلوب الأصدقاء قبوراً حية لأصدقائهم الذين يختارهم الله فوالهني على قلوب الجمعيين من احتمال فقد هذه العصبة الكريمة من أولي العزم من الأصدقاء العلماء الخالدين .

نسأل الله أن يلهمنا جميعاً الصبر ، وأن يموض أمة العرب خيراً .
والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور عبد الحليم منتصر



فقيد المجمعين : الأمير مصطفى الشهابي

كلمة الدكتور حسني سبيع رئيس مجمع اللغة العربية

إني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أقدم بالشكر الجزيل إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة لإقامة هذا الحفل التأييني ، إحياء لذكرى فقيد العروبة ولنة الضاد المرحوم الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وأحسن عزاءنا به جميعاً .

وبعد ، فانه لما يحز في النفس ويدعو إلى بالغ الأمل ، أن يقف المرء هذا الموقف الحزين ليرثي صديقاً وفياً له وزميلاً كريماً عليه ، أبلى أحسن البلاء في إعلاء شأن أمته وتوطيد دعائم وحدتها . وبذل أقصى الجهد في خدمة لغة القرآن الكريم وإغنائها ، وأنفق العمر كله يعمل على إمدادها بالكثير من المصطلحات العلمية حتى تكون هذه اللغة مواكبة للمصر الحضاري الذي نميش فيه ، غير مقصرة عنه ومتيابة لتواكب المصور الحضارية التي يستقبلها العالم .

لقد ربطتني بهذا الصديق الوفي والزميل الكريم أوثق الروابط منذ عهد بعيد ، فكان لزاماً عليّ أن أقوم هذا المقام في أداء الواجب نحوه وإيفاء ذكراه حقها من التمجيد والتقدير فأتحدث إليكم عن أطراف من معرفتي به طيلة هذه السنين المتصلات التي زاملته فيها وآخيته بحكم ما كان من عملي في الجامعة والمجمع وما كان من عمله في الوزارات التي وليها والمجمع الذي آلت رياسته إليه .

ويعذرنني الزملاء المجمعون والاخوان المستمعون شهود هذا الحفل إذا أنا تجاوزت المآثر الكثيرة لفقيد المجمعين ، فقد كفاني هذه المؤونة زميلي

الدكتور عدنان الخطيب بالكتاب الذي أصدره باسم مجمع اللغة العربية في دمشق إحياء لذكرى رئيسه المرحوم . فقد ترجم له ترجمة حافلة ممدداً مقام به من جلائل الأعمال وما تركه من خلد الآثار ، وما دبحه من بارع المقالات والمؤلفات وما ألقاه من محاضرات وما أوسد إليه من مناصب رفيعة في الدولة ، فأوفى بذلك الرئيس الراحل حقه ولم يترك زيادة لمستزبد .

لقد كانت أولى معرفتي بفقيدها الراحل عن طريق ما كانت يكتبه من مقالات علمية ولغوية وأدبية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجلة المقتطف في القاهرة ، وكانت كلها تشهد له بالمكان الرفيع الذي ارتقى إليه علماً ولغة وأدباً ، ولم يتح لي أن ألتقي به وجهاً لوجه إلا سنة ١٩٣٦ عندما كان وزيراً لمعارف الدولة السورية ، فقد استدعاني إلى مكتبه في قصر الحكومة مستفسراً عن بعض أمور الجامعة وكلية الطب خاصة ، فأكبرت فيه حسن اطلاعه مع حداثة عهد ، الكثير من الأمور الفنية الجامعية وسير التدريس فيها ، ثم كان لقائي الثاني سنة ١٩٤٣ عندما كان وزيراً للمالية وكنت رئيساً للجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) وذلك للبحث في موازنة الجامعة ، فرني أن رأيت فيه طرازاً جديداً من القيمين على بيت المال غير الذين وصفهم المرحوم فارس الخوري في كتابه (علم المالية) قلاً عن أحد علماء الغرب بقوله : على رب المال أن يكون فظاً غليظ القلب صدئاعاً . إذ أبدى تفهماً عميقاً لحاجات الجامعة وما ينبغي أن تزود به من مال كي تؤدي رسالتها على أحسن وجه . وتمدد اللقاء بمدئذ وتوثقت الصلات إلى أن كان أحد الزكين لترشيحي وانتخابي عضواً في المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ وسرعان ما أتبع ذلك باقتراح انتخابي في معجم الموقر عضواً مراسلاً سنة ١٩٦٥ .

ورافقته مرة في السفر من دمشق إلى بيروت لشهود أحد المهرجانات الأدبية فيها فلم أشعر بطول الطريق بما أمتعني به من عذب الحديث كان ينتقل فيه في فنون الأدب والشعر والعلم . . . وحين أطل علينا جبل حرمون الذي يعرف بجبل الشيخ راودته ذكريات صباه لأن بلدة حاصبيا ، وهي مسقط رأسه ، تقع في السفح الغربي من الجبل المذكور فانطلق يردد كثيراً من الشعر الفصيح والعامي الذي يصف هذه المنطقة وما حباها الله من جمال وما جيل عليه أهلها من كرم ومزايا .

وعندما أحيل إلى المعاش استقر به المقام في دمشق بعد أن تكاثرت أسفاره في الأعمال المختلفة التي وكلت إليه محافظاً في اللاذقية وسفيراً في القاهرة ، وتسلم نيابة رئيس المجمع ثم رئاسة المجمع في دمشق ، كثر ترددي عليه في منزله فكانت زياراتي له أسبوعية تقريباً لأشرف على صحته العالية وأواسيه فيما أصابه وأخفف عنه بعض ما يمانيه . وما كان لطبيب عصرنا هذا أن يقتصر في طبه على تشخيص المرض ومضاعفاته بالاستناد إلى خبرته وإلى ما أتخفه به العلم من وسائل تكامل وتطور يوماً بعد يوم ، ولا في علاجه على المقارنات من قديمة وحديثة تكاد تتجدد شهراً بعد شهر ، بل عليه أن يستقضي نفس عليه ويسبر غورها وينفذ إلى أعماقها حتى يكون طبه ناجحاً ، إذ لا بد من دعم الطب المادي بطب نفسي لا فدحة له من الركون إليه .

ولا أذيع سرأ مهنياً إذا قلت إن ما أصاب رئيسنا الراحل من داء حلو مير ، حلو اسماً ومر قولاً وفعلًا ، قد تغفل في صميم بدنه لم يوفر عضواً من أعضائه ولا نسيجاً من نسجه ، اللهم إلا تلك النفس الكبيرة والمنيعه التي لم يجد المرض إليها سبيلاً فنجت من وبلائه وظلت سليمة مصانة كأن البدن الذي يحويها ما يزال في ريمان الشباب . فلم ينعمه وقد اشتدت وطأة الداء

عليه في الأشهر الأخيرة ، من ممارسة عمله اليومي في المطالعة والمراجعة والكتابة والتأليف ، إلى جانب اهتمامه البالغ بواقع البلاد العربية وتألمه أشد الألم لما آلت إليه حالة الوطن الكبير من انقسام عرى الوحدة ، ثم من نكبة العدوان . وكان لا يفتأ يفكر ويتحدث عن السبيل إلى كشف الغمة ، والطريق إلى جمع كلمة الأمة ، هذا إلى سوانح لغوية كان يقدها وشوارد يسجلها وملاحظات على حركة المصطلحات العلمية يناقش فيها .

ولم يكن ذلك كله يفت في عضده ، وإنما كنت أسمع في زياراتي المتواصلة يردد القول الفرنسي : *Il faut prendre la vie telle qu'elle est* : علينا أن نتقبل الحياة على علاتها ، وكأنه غير متزعزع ولا متذمر ولا متململ من كل ما ألم به .

وما زرته مرة إلا وألفيته منكباً على مكتبه وأكداً الكتب عن يمينه وشماله ، وإذا ما ألح عليه طارئ جديد وألزمه الفرائض رأيت بعض كتبه ملازمة له فلا تفوته سانحة دون أن يركن فيها إلى المطالعة التي كانت سلواه المفضلة . قلت إن نفسه المظيعة لم تطاوع بدنه في التواء تحت وطأة الداء بل تمردت عليه وتمنعت فسالت مما أصابه ونجت من ويلات الداء فلم يتطرق إليها الخور ولا الإعياء ، لذا لم يتوقف عن إنتاجه الفكري بل ظل مستمراً ، مستمداً من ذاك المين الذي لا ينضب من المعرفة ، حتى النفس الأخير ، ووالى الإشراف على شؤون الجمع العلمية والإدارية ، وكان إذا ما تعذر عليه رؤس الاجتماعات الأسبوعية للجنة الإدارية في الجمع دعاها إلى الانعقاد في داره فلا يترك شاردة ولا واردة دون أن يناقشها .

ذلك هو الإنسان الكامل وذلك هو العالم العامل ، وذلك ما عرفته فيه ورأيت منه . رحم الله فقيد الجمعين زميلنا الراحل وأسكنه فسيح جناته وعرض العربية من ينهض بها مثل نهوضه . وألمعنا وآله جميل الصبر والعزاء .



قصيدة للأستاذ عزيز أباطة

نبا عنا الغزاء أبا « ليس »
 ومثلك - أين مثلك - يوم يودي
 وبات الفاقدون كأن ليلا
 وصحبك - بالصحيح - رؤيتهم
 هو الموت الذي لا تنفيه
 إذا ما كره أعجز كل فر
 فليس تنيك شاعرة الروابي
 ومن لم تطؤه اليوم المنايا
 وبين اثنين نحن فذو مضى
 ولم يرجع فينبأنا منب
 وهل لقيت لذيد الروح روح
 وهل وقعت على ألم مضيض
 وهل تلوو هل وتسوق أخرى
 سيعيا العلم عن علم ويبقى
 وحسب الخلق أن الله لاق
 غداة نعتك للشرق النواحي
 يحس الخلق بالكثرة المضاع
 تردوا في دجاء بلا شعاع
 نواك . وكل وصل لا تقطاع
 سرى فينا آذاه مع الرضاع
 وخف من البيطاء إلى التيراع
 ولا تحميك بأذخة القلاع
 فهن إليه في غده سوام
 إلى السفر البعيد وذو زماع
 أذو ضيق تراه أم اتساع
 دعاها من طوايا النيب دام
 بما نهلت من رثق المتاع
 يقطن زمام أسئلة تباع
 على زحف الدهور قصير باع
 ذنوبهم برحمت وسام

★ ★ ★

مضى شيخ الثقات وفي يديه
 سعى للضاد محتشيد الساعي
 وقارع كل ذي خفن عليها
 بقايا للطروس ولليراع
 فما أسماها . مسمى وسام
 بماضي المتن مرهوب القيراع

وزاد بمنطق العلماء عنها
وطوئها لحاجات الماني
وقربها إلى العلماء روضاً
وورداً دافق الدفئاع ذلت
معاجم صاغها فرداً فأغنى
جلاها خير ما تجلى عروس
ووصلها بماضيها وكانت
عجبت لحاقدين عدواً عليها
رموها غير مدخرين وسموا
وكانوا أمس يخفون الطوايا
فصالوا اليوم بالرأي المشاع
إذا استقووا فإن الحق أقوى
تعالى الله كالتها وواق

كنور الصبح مؤلق الشعاع
فأبدع ثم في غير ابتداء
سخي الثبت منضور المراعي
مصدره لهم بعد امتناع
بين غناء جمع واجتماع
عميق دراسة وطويل باع
إلى أن راضها ذات انقطاع
وملء نفوسهم أثر الضباع
لقد نزلوا على أمر مطاع
على وغر بموئبي الخيداع
وبالخبر المذاع بلا قناع
وأبقى والسراب إلى انقشاع
عارمها وراع أي راع

★ ★ ★

أيا ابن الكافرين بنوا فأعلوا
قرنين يقصر عن مدام
علت بكم من الميرق المصفى
وأورثكم مفاخرة عتيق
فتشاكم على خلق ودين
ومن ورث السموق وكان أهلاً
وجرة لقومه رس المال
نهضم بالمروبة مذ صباكم
وين السابقين الصيدين كنتم
ألم يقتل أخوك شهيد رأي

صروح الهد باذخة اليقاع
وباعيم المرجب كل باع
مساع لا تطاولها مساع
من الأبيات مقصود الرباع
وإسداء الجيد والاصطناع
له ضم ارتقاعاً لارتقاع
وزاد فنال غير المستطاع
يدري التدافع والدفاع
رجال السيف منهم والبراع
فأعلت روحه روح الصراع

فهب أمة . وصحت ثغور
وكنت لعارف^(١) هارون تغشى
فأين اليوم نحن ؟ لقد زلنا
قطعنا العمر بين هوى وهوى
نبئت إذا التوازل داهمتنا
وتلينا الحياة عن الأفاعي
يداجي بمضنا بعضاً كأن لم
ويغشانا عدو الله صفا
يوأثنا بعلم عن عيان
ويطرقتنا بأفئدة جماع
إذا الهون الذي ذقناه أفضى
نسناه وقلنا رب شر
متى نجتمع على صفور ورشد

وطار لظى اليقاع إلى التلاع
تخاطر شجاعاً عن شجاع
على حكم اتبضام واتبذام
وتثمير التزاع من التزاع
تزاعيا . ونصبح لا نراعي
أعادينا . فلدغنا الأفاعي
نكن غرضاً لأنياب جيام
وبين صفوفنا عش الصراع
وتدفعه بجهد عن سمع
فتلقاه بأفئدة شماع
إلى بئر فزمر فالتفام
تخير واتقام لاندفاع
متى ؟ والحق يؤذن بالضياع

★ ★ ★

بني سوربة اعتصموا بصبر
مصائبكم بصاحيكم ملهم
لئن عاف الحفاوة وهو حي

فما رد القضاء بمسطام
بكل مثقف في العرب وام
فقد صعدت إليه مع الوداع

★ ★ ★

فبا عنا الغراء أبا « ليس »
حباك الله من حلو الدمام^(٢) بجنته ومن طيب المتاع



(١) هو الأمير عارف الشهابي شقيق القيد الذي أعدم سنة ١٩١٦ في سبيل القضية العربية .

(٢) الدمام : نهر صغير الشجر .

كلمة السيدة ثريا الحافظ

عن أسرة الفقيه الأديب مصطفى الشهابي

حضرات السادة الأكارم :

باسم كريمي الفقيه ليس ونهله الشهابي وباسم آل الشهابي عامة أحبيكم
وأوجه بخالص آيات الشكر إلى رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين
وإلى أعضاء المجمع الأفاضل وخاصة الدكتور عبد الحليم منتصر الذي أبثن
الفقيه فوفاه حقه ، وإلى الشاعر الكبير الأستاذ عزيز باشا أباطة الذي رثاه
بسحر بيانه ورقيق أشعاره وإلى كل من شارك وأسهم في هذا الحفل
الكريم بحضوره ومواساته : سائلة المولى ليمنحك الصحة والعافية وطول
العمر والبقاء وليسبح على روح الفقيه الغالي الرحمة والخلود.... ولعمري
فالخلود غدا ضوءاً لماثره القومية ومآتية المليية ، فقد وهب حياته كلها للعلم
والبحث والتأليف حتى استدارت من حوله خصائص المظلة والمفاخر وشملت
فأكرمت مشواه وخلدت ذكراه .

إيه : ياروح عمي الحبيب يامن تركت في قلوبنا لوعة لن تجف ، وفي
عيوننا دمة لن تجف ، انت مصر التي أحبتها بكل جوارحك ، مصر
التي نأجيتها بأعذب شعر وأصدق عاطفة وأسمى بيان ، لن أنسى صوتك
الداقي ببرانه القوية وكلماته البليغة الفصحى وأنت تلقي علي بعضاً من
شمرك في مصر وشدة حبك ووفائك لها ، كنت تقرني الآيات وتستيدها
حتى حفظتها . نعم مازالت نبرات ذلك الصوت الجمهوري تتجاوب في
أصداء سمعي وأعماق نفسي وأنت تقول :

ياساكني مصر لا تنسوا مودتنا
 أنتم بنو عمنا فاجفوا بساحكم
 إن الوفاء لكم أضعى لنا دينا
 حمراء بالشر تبريكم وتبرينا
 ياساكني حمى الأهرام إن لكم
 في القلب ذكرى فواجبها فتحينا
 لله نيلكم المفضل شاطئه
 حاك سوائله أخلاقكم لنا
 هلا أجبت أخاود يشكم
 من قاسيون تحيات المشوقينا

يا روح قعيدنا الغالي اطمئن في مثواك وانعم في جنان الخلد ، لأن
 مصر الوفية أكرمت اليوم ذكراك ، لا لأنك عضو من أعضاء مجمع اللغة
 العربية فحسب ، بل لأنك علم من أعلام الأمة العربية جماء - أمة العرب
 التي تفخر وتتيه بك وبأمثالك من علمائها وأدبائها العظام والسلام .



برقية كريمي الفقيه الأمير مصطفى الشهابي

مجمع اللغة العربية

اللغة الكريمة التي سجلها مجمع اللغة العربية الموقر بأحياء ذكرى قعيدنا
 المرحوم الأمير مصطفى الشهابي وطلعت في نفوسنا الاعتزاز والوفاء وتلك
 مآثر العلماء تتقدم بأوفر الشكر ونأسف لعدم تمكننا من حضور
 الاحتفال أدامكم الله وأبقاكم ذخراً لأبناء أمتنا .

كريمات الفقيه

ليس ونزهة الشهابي



كلمة الدكتور حسني سبيح^(١)

حضرات الزملاء الأفاضل والسادة الكرام

يطيب لي أن أقدم في حفل الاستقبال هذا وجهاً علمياً كريماً من وجوه سورية العربية ، وأستاذاً من أساتذة العلم الحديث الذين يسمون أن يكون أمثالهم من الأساتذة بين ظهرانيها . نحن الذين نميش في عصر الذرة وغزو الفضاء .

إن لفتنا الضادية التي نذرنا النفس لخدمتها والارتقاء بها لتواكب حضارة هذا العصر ، ولتكون في مستوى حضارة العصر المقبل ، بأشد الحاجة إلى عالم مختص في هذا الفرع الجديد من علوم الطبيعة ليتحمل معنا عبء هذا الواجب الكبير ، ولنفيد من معرفته الواسعة في اختصاصه ومشاركته الطيبة في الاختصاصات الأخرى ، وليسهم معنا إسهاماً فعالاً في إغناء لغة القرآن الكريم بما استجد ويستجد من مصطلحات ، وما أكثرها ؟ أفلا يكون حرياً بنا أن نحتفل إذن هذا المساء باستقبال هذا العامل العالم ؟

ولد السيد وجيه السمان في دمشق سنة ١٩١٣ وقابع دراسته الثانوية فيها ، وكان واحداً من أظهر شبابتنا ، لم يميز باتجاهه العلمي فحسب ، وإنما امتاز كذلك بمشاركته في فروع المعرفة الأخرى الأدبية والاجتماعية .

وقد أتم دراسته العالية في فرنسا ، وكان أول سوري استطاع الالتحاق بالمدرسة المركزية Ecole Centrale وتخرج منها سنة ١٩٣٧ مختصاً بالليكانيك

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور حسني سبيح ورئيس المجمع في الجلسة التي عقدت مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ لاستقبال الحضر العامل الجديد الأستاذ وجيه السمان .

والكهرباء ، وحينما عاد إلى وطنه لم تجد له سلطات الانتداب عملاً يتكافأ واختصاصه ويلتقي مع مؤهلاته فكلف بالتعليم في المدارس الثانوية ، وقبل ذلك مضطراً ودرّس مادة الفيزياء في حلب ثم في دمشق تسعة أعوام ، ألف خلالها ثلاثة كتب في هذه المادة ظل أحدها معتمداً لطلاب الشهادة الثانوية (البكالوريا) مدة اثني عشر عاماً حتى كانت البرامج الجديدة سنة ١٩٥٨

ولما تأسست كلية الهندسة في حلب سنة ١٩٤٦ عين أستاذاً مساعداً فيها ، ثم أصبح عميداً لها حتى سنة ١٩٥٩ ، ولا أزال أذكر زيارتي له مرة في حلب ، عندما كنت رئيساً للجامعة السورية وكلية الهندسة في حلب جزء منها ، الأثر الطيب الذي خلفه في نفسي كعامل عالم وإداري منظم وإنسان يحرم على مثاليته أشد الحرص ، وتبدي لك غيرته على القيام بعمله بأحسن قيام ، فقد أبلى بلاء طيباً في تأسيس الكلية مع الصعاب الشديدة التي لقيها سواء في إيجاد المدرسين أو في تكوين المخابر واستيفاء تجهيزاتها بالأدوات اللازمة .

ولم يقتصر عمله في تلك السنوات على الاضطلاع بأعباء التدريس والإدارة وإنما أسهم في الأعمال الفنية لمشروعين كبيرين : مشروع مرفأ اللاذقية ومشروع جر مياه الفرات إلى حلب .

ودعي إلى الإشراف على شركة الجر والتنوير في دمشق والتي أتمت سنة ١٩٥١ وآلت مؤسسة مستقلة فعتن مديراً لها ، ونهض بأعبائها وأحالتها من مؤسسة ابتدائية لحماً ودماً إلى مؤسسة عربية الوجه واليد واللسان .

وعين في أواخر عام ١٩٥٧ عضواً في مؤسسة الانشاء ، ثم نائباً لرئيسها (وهي مؤسسة تعنى بتصميم مشاريع التنمية وتنفيذها) ثم أسندت

إليه وزارة الصناعة المحدثه عام ١٩٥٨ ققام بتأسيس هذه الوزارة أحسن قيام ، واستمر وزيراً لها ثلاث سنوات حتى أواخر ١٩٦١

وأحيل بعد ذلك إلى التقاعد ، وحرصت كلية الهندسة في جامعة دمشق على الاستفادة من عمله فمهدت إليه بالتدريس بصفة أستاذ محاضر وهو اليوم يتابع جهود العملية العربية في المؤسسات المختلفة التي يشرف عليها أو يشارك فيها : فهو عضو في المجلس الأعلى للعلوم منذ تأسيسه عام ١٩٥٩ ، ومقرر لجنة النشر العلمي فيه ، وسبق له أن كلف بالإشراف على إدارته خلال السنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ورأس جمعية الفيزيائيين السورية والاتحاد العلمي السوري ويدير مجلة العلوم التي تصدر في دمشق .

وإذا تجاوزنا إلى مؤلفاته التي أشرت إليها للدارس الثانوية ، فإننا نجد السلسلة من الكتب العلمية القيمة التي انطوت على لغة طيبة سليمة ، وأداء عربي صحيح ، ومصطلحات علمية جديدة في مثل :

كتاب الصواريخ والأقمار الصناعية وقد طبع عام ١٩٦٢ .

وقصة الذرة وقد طبع ١٩٦٤ .

وكتاب الطاقة الذي ترجمه عن الانكليزية .

وكتاب في مجلدين كبيرين في الكهرباء ترجمه بالاشتراك مع زملائه من

جامعة دمشق عام ١٩٦٣ .

هذا عدا عن عديد من البحوث والمقالات العلمية التي نشرت في مجلة المعرفة والعلوم ، وأماله التي تضم محاضراته في كلية الهندسة والتي لمّا تطبع بعد .

هذا هو تعريف موجز بالهندس الأستاذ وجيه السنان الذي نستقبله في هذا الحفل ، ونذكر أن انضمامه إلى حلقتنا يسد ثغرة اشتد شعورنا بها ، تتمثل في العناية باللغة العلمية بعلوم هذا العصر ، آمليين أن يشتد به أزرنا ، ومقتنعين أنه سيخصص لهذا المجمع الذي يحتضنه بفخر بعضاً من وقته ليسهم معنا في تحقيق غاياته في اقتراح المصطلح العلمي .

إنني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أرحب بك أيها الأستاذ الكبير عضواً جديداً وزميلاً كريماً في مجتمعا ترويحاً لجهودك في التعريب واستكمالاً لهذه الجهود ومتابعة لها .

وفقنا الله إلى ما فيه خير الرب والعربية في ثقافتها وعلومها .

الدكتور حسني سبيع



كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان

عن سلفه المرحوم فارس الخوري^(١)

سيدي الرئيس ، سادتي

سلام الله عليكم ورحمته ، وتحية عطرة إلى بجمعكم الكريم مسقل اللغة العربية وملاذها ، وقد شارف الحسين من عمره الحافل بخدمة هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم ، لغة المدنية العربية ذات التاريخ المجيد الطويل والحكمة الواسعة والمجد التليد ، ذات الأدب الرفيع في ثمره وشمرة ، لغة حضارة لمعت دهرأ بأسطع بريق ، وسادت وسيطرت وانقردت بمكاتها السامية أمداً مديداً .

لقد وكل إليكم ياسادتي أمر الذود عن تراث هذه اللغة وتقاليدها وقواعدها وإحياء علومها وجمع مانفرك منها في بطون المكتبات في مختلف أنحاء العالم ونشر كنوزها الدفينة واستيلادها بكل جديد تحتأجه على مر الأيام وتجدد المصور ، وإعادة نضارتها وبهائتها كلما اغبر ثوبها أو ضاق عن استيعاب مولدات الحضارة الحديثة . فبالها من مهمة كبرى ورسالة عظيمة تقومون بها على قلة في العدد والمعد .

إن أبناء الأمة ينظرون إليكم بنظر الإكبار والإجلال والتقدير . فخليق بمن أوليتموه مثلي شرف الضم إلى ناديكم والانتساب إلى بجمعكم أن يكبر لكم هذه اليد وأن يعمل جاهداً بقسطه من الواجب لتحقيق ماوضع في هذا المجمع من أمان وآمال . فاسمحوا لي أن أثبت لكم هنا شكري الخالص الذي لا أجد برهاناً عليه سوى صدق العزيمة في خدمة هذا المجمع ، والعمل على تحقيق أهدافه السامية بما أستطيع من قوة وعزم .

(١) الكلمة التي ألقاها المهندس الأستاذ وجيه السمان مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ في حفلة استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق .

ويقضي واجب الإخلاص أن أرسل من موقعي هذا تحية الخلف المعترف بالفضل إلى أعضاء المجمع الراحلين الذين سبقوا بإداء الرسالة ، وكان لهم شرف وضع أسس هذه المؤسسة والنهوض بها ، وأخص منهم الرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي صاحب الأيدي البيضاء ، تغمده الله وإخوانه برحمته وأحسن لهم الجزاء على ما أسدّوه من خير وحسن صنيع ، وجعل لنا في خلفهم الرئيس الحالي وإخوانه الأعضاء أفضل الميوز .

مهني اليوم أيها السادة جد شاقة . يدعوني الواجب إلى الكلام عن العلامة المرحوم فارس الخوري ، المصو الراحل الذي تفضلتم بدعوتي لشغل المقعد الذي خلا بوفاته . وفارسنا من النوابغ الذين لا يجود الدهر بأمثالهم على أمة من الأمم إلا في الندر . وإن من يتأمل في حياته الحافلة الطويلة المريضة وفي أعماله ومآثره العديدة الكبيرة ، يدهش من غناها ولزدهارها .

كان رحمه الله متعدد الشخصيات ، كأنما تجمعت في شخصه عدة رجال نابهن عبقرين . متنوع النشاط رفيعة ، زاخر المرفة جيدها ، كأنما يغرف من بحر ، موهوباً موقفاً . فهو الطالب النجيب المصامي الذي لا يعول إلا على نفسه في كسب القوت وتدير وسائله ، ثم هو الأستاذ المجيد والخطيب الفصيح البليغ والكاتب والشاعر المطبوع والسياسي الحاذق ورجل المجالس النيابية ورجل الدولة ، ثم هو فارس مندييات السياسة ، المدافع عن حقوق أمته وبلاده أمام جهاذة القانون الدولي ونوابسغ الساسة . وهو أستاذ القانون القدير المعجب والمستشار الحقوق الماهر والاقتصادي الناجح والمفاوض البارع ورجل الأزمات يلجأ إليه عند كل ملمة وخطب ، ثم السياسي العالمي فتحت أمامه ميادين الأمم المتحدة ومجلس الأمن واللجنة القانونية

فبرز وجلى ، وكان في كل ذلك موضع الإعجاب والإعجاب . والتقدير من كل من عرفوه أو سمعوه .

إن حياة كحياته مديدة في الزمن ، حافلة بالأعمال الحميدة ، ودعت في ثلثها الأول القرن الماضي وعاصرت بل عايشة في ثلثها الأخيرين هذا القرن ، وشهدت كثيراً من الأحداث الجسام ، فلم تقف منها موقف المتفرج ، بل كان لها دورها الجلل في خدمة بلادها وخدمة العروبة ، وكان لها القدر الممل في ميدان السياسة العالمية . . . إن هذه الحياة الطافحة بجسيم الأعمال لأعظم من أن توفى حقها في مثل هذا الموقف وفي أمد محدود حدود هذه الأمسية . لقد ألفت في سيرة فارسنا الكتب وحبرت المقالات ، وأعتقد أنه لا يزال ثمة ما يكتب عنه .

كان رحمه الله موهوباً في اللغات ، يتعلم اللغات الأجنبية بلا معلم فيتنها ويصبح فيها خطيباً . تعلم اللغة التركية في شبابه ليتسلح بها في نضاله السياسي أيام الحكم العثماني . فانتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي ، ثم رشح نفسه للنيابة في مجلس المبعوثان ولما فاز بالنيابة وأقام في القسطنطينية انكب على تحسين لغته التركية حتى صار يخاطب بها بذلاقة لسان وفصاحة بيان وثبت جنان . وكانت له مواقف جراءة مشرقة مع زعماء الأتراك دافع فيها عن القضايا العربية خير دفاع ، ولا سيما عن جماعة الأحرار الذين سجنوا أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الثورة على الحكم التركي والعمل على التخلص منه ثم سيقوا إلى المشانق .

وفي إبان تعلمه التركية أخذ يهتم بالفرنسية لتكون له لغة المجتمعات الراقية ، ثم استفاد من إتقانه لها في عهد الانتداب الفرنسي فصار يخاطب الحكام الفرنسيين ويناقشهم ويخطبهم بالفرنسية في المناسبات السياسية ، وفي سورية أو في فرنسا مدافعاً عن حقوق بلاده .

وتعلم الإنكليزية في صباه وفي شبابه في مدارس الإرساليات وفي الجامعة الأميركية ، وظل طول حياته يزيد ما تعلمه منها عمقاً وإتقاناً . فمكته هذا الإتقان ، مع ما فيه من صفات الخطيب الكبير ، من البروز في محافل السياسة العالمية . وأعائته طلاقة لسانه بالإنكليزية ، مع حضور بديته وتوقد ذهنه وعلمه الغزير وحفظه الكثير ، فارتقى إلى مراتب كبار الساسة والخطباء العالمين . فكان له في قاعات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن والمؤتمرات السياسية مواقف بيان مشهورة أكسبته تقدير أكبر الساسة في العالم ولفتت إليه الأنظار فأدنى أجل الخدمات لسورية ولبنان ومصر وفلسطين . وقد كان بيانه القوي قيناً بأن يجمله يفوز في ترجيح جانب الحق في جميع القضايا التي دافع عنها ، لو أن حسن البيان وقوة الحججة واللباقة ، كانت تكفي وحدها لإحقاق الحق دون أن تدعمها قوة السلاح الفاشمة . ولكن قوى الشر كانت أحياناً أكبر من أن ينلها جلاء الحق وسحر البيان .

إزاء إتقانه لهذه اللغات الثلاث ، كان نصيب اللغة العربية ، لغة آبائه وأجداده ، لغة قومه وإخوانه ، من العناية والتهديب والطلاعة والمراجعة والحفظ النصيب الأسمى وحظها الحظ الأوفر . فأثقها أيما إتقان ، وظل طول حياته يتمدها بالمراجعة والحفظ . فبدأ بالقرآن الكريم ودرسه بتفسيره حتى صار حجة في التفسير ، ودرس الحديث النبوي الشريف في أمهات كتب الحديث ، وحفظ منها الشيء الكثير ، فكان يستشهد به في أحاديثه ودروسه وخطبه ، ودرس التاريخ العربي والأدب العربي والشعر العربي ونوادر العرب وديوانهم وماثرهم ، حتى قال عنه الأستاذ محمد علي الطاهر أنه « الأصمعي وابن الأثير وابن خلدون في آن واحد ... » وأنه « سعيان زمانه ولقمان دهره » . فإذا دار البحث حول اللغة العربية فهو إمامها والذائد عن حرمها وحياتها . وإذا كان الكلام على الشعر فهو الشاعر والحافظ والراوي ...

راض فارسنا الشعر كما راض الخطابة والكتابة والتأليف ، وكما راض في حياته كثيراً من الأمور بمقدرته الفائقة على معالجة الأشياء باتقان وروية وعلم وحسن بصيرة . فسلمت له قيادته وافتقاده له طوعاً . وأسعفته في النظم قريحة فياضة غزيرة الدر ، فجاء بقصائد مطولة من أحسن ما يمكن أن يصدر عن شاعر موهوب تحيى نفسه بالشعر ولا يتعاطى شيئاً سوى قرضه . ولو أنه أراد لأصبح من كبار الشعراء فما كانت تعوزه صفة ولا وسيلة ليكون كذلك ولكن عبقريته المتحفزة الطامحة لا تقنع بلون واحد من ألوان النشاط والفعالية مها علت مكانته فيها ، ولا تكتفي بقطف ثمرة أو ثمرتين من نتاج حقلها الخصب المزدهم بمختلف أنواع الثمار . فلم يشأ أن يكون الشعر وسيلته الوحيدة في التعبير عما يمتلج في صدره ويزدحم في خاطره ، بل تركه للإفصاح عن مشاعره وأحاسيسه الوجدانية أمام المناسبات الكبيرة والحوادث الجسام كما يليق بالشعر أن يكون وبقدرة ليكرم . فنظم في مناسبات الأحداث القومية والدولية والاحتفالات السياسية والأدبية قصائد مطولات ... في حرب الروس واليابان وإعدام شهداء أيار ١٩١٦ وللسلام على الجموع التي خرجت لاستقباله وإخوانه عند عودتهم من المنفى عام ١٩٢٨ . وألقى قصائد بدعية في مناسبات التكريم والتأيين ، وأذكر له في قصيدته التي قالمها في مهرجان تكريم شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩ ، وأقيم في هذه الدار العاصرة وصفه لنفسه :

وإني إذا قارعت خصماً قرعته وخصمي من أسد البيان هصورها

فلي من جنائي جرأة لا تخوتي ولي من يائس حجة لا أعيرها

أطاعن حسادي بسن يراعة يز صليل الرهفات صريرها

ومن محاسنه الشعرية مرثيته لشهداء أيار . قال فيها :

كان التجلد في البلوى يؤاتيني فما له حين أدعو لا يليني
ضاق القواد بالأم تبرحني وفاجعات بنار الوجد تكويني
وطارد الهم عن عيني الرقاد وهل تمام مقلة موقور ومقبون

.

أبكى على أمة لج الشقاء بها تجري إلى طالع بالبؤس مقرون
ولى الزمان عليها كل معسف من طينة البغي والطفيان مسجون
من مشر جعلوا جلتي مفاخرهم منهاج جنكيز أو أنماط نيرون
لاحت لهم فرصة في العرب سائحة فنكلوا واستباحوا كل قانون
دسوا لنا كل مفتر يميث بنا نهياً ويرجع في أموال قارون

ومما أضاف إليها في حفلة ذكرى الشهداء عام ١٩٢٥ ، وذكر حاله في

السجن إبتان محاكمة الشهداء وإعدامهم :

بكيثهم وجدار السجن يحدق بي وعين حافظه بالشزر ترميني
وصاحب الحكم عليه لكاتبه وناصب الجبل في الميدان يدعوني
الحظ قدمهم عني وأخرني حتى أرى دول التاميز والسين
تسدى الوعود بتحقيق العهد لنا عن كل حق بالاستقلال مضمون

حفظ فارسنا كثيراً من شعر العرب ، ولا سيما شعر المتنبي . وكان لا يرضيه من الشعر إلا ما هو عالي الطبقة رفيعا . والشعر ابن المراتبة والمثابرة . وقد حالت الحياة بينه وبين أن يشار على ما أحب منه .

كان ميدان الخطابة من أهم الليادين التي برز فيها فارسنا وجل . بل يكاد يكون أهمها جميعاً . لم تقتصر عبقريته على الخطابة باللغة العربية وحدها ،

بل أجاد في كل لغة خطب بها من تركية أو فرنسية أو انكليزية ... وقد أدرك ذروة الإجادة في خطبه باللغة الانكليزية حينما انفسحت أمامه منصات الخطابة في قاعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن النجاح الذي لقيته كلماته البليغة التي ألقاها هنالك في المناسبات الكبرى كالرداف عن مطالب سورية ولبنان في جلاء الجيشين الانكليزي والفرنسي عنها ، والرداف عن مطلب مصر في جلاء الانكليز عن وادي النيل ، ثم دقاعه الطويل عن عروبة فلسطين ، كان منقطع النظير وأثار في حينه عطف العالم أجمع ما خلا الأعداء ، وكان له أطيب الأثر في نفوس السامعين من مثلي مختلف الدول . وأعجب المصريون أيما إعجاب ببيان الساهر وحججه الدامغة التي أوردها في دقاعه عن قضيتهم ، فقدموا له شكرهم بمختلف الوسائل من تصريحات رسمية وكتب شكر وإهداء أوسمة تقديرية . وامتألت الصحف العربية بذكر فارسنا وفارسهم وامتداح عبقرية البيانية ، فقال عنه الكاتب العربي الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد :

« إنه من أصحاب عبقرية البيان في أرفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان . فاختياد أعنة الكلام ، ولو في لسان غير لسانه العربي ، سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته وشيخوخته . »

لعبقرية البيان هذه عند فارسنا عناصر عديدة يجدر بنا أن نقف عندها قليلاً : لم يكن 'عبد' خطباً مكتوبة ليتها تلاوة كما يفعل الكثير ، بل كان يهيء موضوعه ويتمثله ويكتب له خلاصة بسيطة يضمها بين يديه . وكان عند الإلقاء يوسع هذه الخلاصة بما حفظ وهياً من الموضوع ، ويطورها ويكسوها الكساء المناسب الذي يتفق مع ظرف الساعة وجو السامعين والروح المرفرف على القاعة . وربما بدل ما كان ينوي أن يقول واستبدل به قولاً آخر . لذلك فإن عبقرية البيانية تستمد كثيراً من روحها من نفوس

سامعها في عالم الميان . فهو يستنبط ما يريد أن يقول حين تتلاقى الحياة بالحياة ولا يولد ييانه للاتصال به في عالم الفكر المجرد أو من وراء حجاب . أعانه على قوته الخطائية ذاكرة قوية وبديهة حاضرة وهندوء وحلم يمكنانه من رباطة الجأش عند حاجته إلى التفكير ، فلا يطيش سهمه ولا يتال المي منه عند الأزمات . ولا ريب في أن خبرته الطويلة في تدريس الحقوق وفي إدارة جلسات المجلس النيابي قد ساعدت على تقوية هذه الصفات في نفسه .

وإذا ذكرنا محاضراته في معهد الحقوق ، ذكرنا ذلك العدد الكبير من المحققين الذين كانوا تلامذته فنبغ منهم كبار القضاة ورجال السياسة والإدارة والأعمال . وكلهم يجمع على أنه الأستاذ القوي المثالي في إتقان الموضوع الذي يدرسه وفي جودة إلقائه له وحسن أدائه . وقد رافق معهد الحقوق منذ نشأته حتى أقصته السلطة المتدبة عنه عام ١٩٣٦ عقاباً له على زعته الوطنية . شغلت السياسة حياة فارسنا من شبابه إلى كهولته وشيخوخته ، فدام نشاطه السياسي قرابة أربعين عاماً : انتخب للنيابة خمس مرات خلال المدة التي عرفت فيها سورية الحياة النيابية ، ولولا التضييق عليه وإغلاق السلطة المتدبة الباب في وجه نيابته لظل فيها مادامت هنالك نيابة . وشغل كرسي رئاسة المجلس النيابي أربع مرات . وصار وزيراً ثلاث مرات ورأس الوزارة ثلاث مرات وكان نضاله عنيفاً مع السلطات التركية أولاً ثم مع السلطات الفرنسية ثانياً . وقاسى في نضاله هذا أشد أنواع السنف والاضطهاد وهددت حياته بالخطر . تقاه الأتراك من سورية إبان الحرب ثم تقاه الفرنسيون مع إخوانه في الجهاد إلى سجن أرواد وبعثوا به إلى الجيزة ثم إلى لبنان وفرضوا عليه الإقامة الاجبارية فلم يشن ذلك من عزيمته ولا من جهاده .

كان عضواً مبرزاً في أم الوفود السياسية التي بعثت بها سورية إلى فرنسا عام ١٩٣٦ للمفاوضة على معاهدة الاستقلال ، وإلى المؤتمر البرلماني بالقاهرة عام ١٩٣٨ وإلى مفاوضات تأسيس الجامعة العربية . ثم رأس الوفود السورية التي ذهبت إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ .

كان له الدور الفعال المثمر في النضال المرير الذي خاضته بلادنا في عهد الانتداب الفرنسي ، كما وفي نضال الدول العربية الأخرى . وكان لأخلاقه الشخصية من هدوء واتزان ورصانة وفطنة ولمواهبه من ذكاء وبديهة وتوقد ذهن ، ومن علمه وأدبه وحفظه الكثير وذاكرته العجيبة أثرها البالغ في نجاحه في مجال السياسة . كان ينتخب للنيابة بالتزكية ويكلف رئاسة الوزارة عندما تشتد الأزمات ، فلا يجد السياسيون سواء كهفاً وملاذاً ، فلا يكاد يتسلم الزمام حتى تنفجر بشخصه الأزمة وتزول المشكلات .

لمت شخصيته لمعانها الباهر لما ظهر في المحافل الدولية فبز كثيراً من أقرانه الذين جاءوا من مختلف الأمم ، وكان إذ ذاك بين السبعين والسابعة والسبعين من عمره ، أي في السن التي بضول فيها عادة نشاط الإنسان ومهالك قواه العقلية وتضعف ذاكرته ويفقد حيويته (١) . أما هو ، فإنه ما كادت تفتح له أبواب الأمم المتحدة ولجانها حتى وجد نفسه في الجوال الذي خلق له حقاً ، ليقوم بالمهمة التي هدفت حياته كلها إليها . فما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد وأعمل الدرس والمطالعة والتفكير وسهر الليالي في إعداد كلماته وخطبه ودفاعه وهجومه . فأبلى أحسن بلاء وظهر للملا تفوقه وعبقريته واعتز العرب به أيما اعتزاز .

(١) وكيف يخف فارسنا في السبعين وهو القاتل عن نفسه :

يشد إلى السبعين وهو مزيرها

كانت أول خطبة ألقاها في المحافل الدولية تلك التي خطبها في الثاني من أيار ١٩٤٥ في مؤتمر سان فرانسيسكو بحضور ممثلي ٥١ دولة . تكلم في آخرها عن خطورة المهمة الموكلة إلى المؤتمر ثم أبدى تفاؤله في إمكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف إليها المنظمة العالمية بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويمدّد الطمع ، وبمعالجة القضايا والمشاكل بروح العقل ، ولولا ذلك لبقيت شوكة في جانب الجسم الدولي .

ثم اقترح أن تقوم محكمة العدل الدولية بمهمة حل المشكلات الناجمة والتي ستنتج ، وأن تعمل بالتعاون مع المنظمة العالمية وهيئاتها . وأعلن في نهاية خطبته بأ تشكيل جامعة الدول العربية التي اتفقت ولائها مع ولادة هذه المنظمة العالمية ، والتي ستساعد في إقرار العدل والسلم . وختم خطبته ببعض حكم عربية حول الحق والعدل ، واستشهد بقول أبي بكر رضي الله عنه فرجى أن تعتبر المنظمة القوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه الحق والضعيف قوياً حتى يرد حقه إليه .

كان لخطابه هذا أحسن الأثر في نفوس السامعين من مختلف الدول ، وبرهن على ذلك ما أنهال عليه من المديح والثناء من قبل رؤساء الوفود . وذاع صيته في المحافل السياسية . ودعته جامعة جنوب كاليفورنيا بعد انتهاء المؤتمر لمنحته دكتوراه الشرف في الشؤون الخارجية في ٢٩ حزيران ١٩٤٥ وذلك بالاستناد إلى توصية لجنة مشتركة من أمناء الجامعة وأساتذتها اعترافاً بأعماله الممتازة في حقل العلاقات الدولية .

وزاره بقوم في مجلس الأمن في يومي الخامس عشر والسادس عشر من شباط ١٩٤٦ مرات عديدة ليدافع دفاعاً مطولاً عن حرية بلاده ويطالب بانسحاب الجيشين الانكليزي والفرنسي من سورية ولبنان . يستمد دفاعه

من عدالة القضية ومن علمه التزير بالحقوق ومن ذكائه ولباقته وبديته ، ولا يحجم عن إيراد الشواهد والأمثلة التي تصور وضع بلاده في أذهان الحاضرين بصور بسيطة بليغة . حتى فاز هو وزميله اللبناني باكساب القضية عطف مندوبي الدول ، واستجابات فرنسا وانكلترة إلى الرغبة العامة في الجلاء .

في أواخر عام ١٩٤٦ انتخبت سورية عضواً في مجلس الأمن . فكلفت الحكومة فارسنا بأن يمثلها في هذا المجلس . وكان إذ ذاك في الرابعة والسبعين من عمره ، فظل يقوم بأعباء هذه المهمة الخطيرة طوال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ورأس مجلس الأمن مرتين أولاهما في آب ١٩٤٧ وثانيها في حزيران ١٩٤٨ . كانت تلك الفترة من الزمن من الفترات الحاسمة في تاريخ الشرق العربي ، إذ عرضت على المجلس ، في جملة قضايا الأمن الدولي ومشكلات الدول ومنازعاتها ، قضية جلاء الانكليز عن مصر وقضية تقسيم فلسطين . هذا بالإضافة إلى انعقاد جلسات منظمة الأمم المتحدة ولجانها . وكان فارسنا يتكلم فيها جليماً . فدافع عن قضية مصر وجلاء الجيوش الأجنبية عنها في صيف عام ١٩٤٧ حتى في أثناء رئاسته لمجلس الأمن . ولم يقتصر دفاعه على البلاد العربية وحدها بل تناول جميع القضايا التي لها علاقة بالسلم . وشمل دفاعه جميع الشعوب التي كانت على حق في مطالبتها .

استمر النقاش في مجلس الأمن حول قضية مصر أياماً طويلاً تضافرت فيها جهود فارسنا مع جهود مندوب مصر . وألقى في ٢٦ آب ١٩٤٧ خطاباً باسم الوفد السوري ، لايصفته رئيساً لمجلس الأمن ، ناقش فيه حجج الخصم الانكليزي وقد مزاعمه تقنياداً قانونياً . وانهت رئاسته للمجلس باتهام آب ولكن الجدل في قضية مصر ظل قائماً يشغل جلسات عديدة

استمرت حتى العاشر من أيلول فتكلم فارسنا مرة ثانية في هذا اليوم مفتداً ما جاء به المندوب الانكليزي من حجج جديدة . ولكن للنقاش في المسألة المصرية أجل بدون أن يت فيه .

أعقب دفاع فارس الخوري آثاراً بليغة في مصر وسورية . وأوردت الصحف ووكالات الأنباء عنه كثيراً من التفاصيل ، وكلها ثناء وشكر واعتراف بالجميل . مثال ذلك مقالته جريدة الزمان المصرية :

« لن ينسى المصريون أبداً ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره إلى الأبد بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال . كان صوت كادوجان المندوب البريطاني للجاف يرتفع في مجلس الأمن الدولي وتبعه أصوات أخرى توجه ضرباتها مباشرة أو مداورة إلى حقوق مصر المقدسة ، ويشير المصريون وهم يسمعون تلك الأصوات النكراء باتقباض في الصدر يستندون لحظات طويلة أو قصيرة . ثم يخرج الأمل في الصدر ويحل محل الاتقباض عندما يدوي في ذلك المكان الصوت الذي نقشت نبراته على صفحات الأذهان : وهو صوت فارس الخوري مندوب سورية ورئيس مجلس الأمن الدولي في ليك سكسيس في هذه الدورة التاريخية . فكان يلقي في ذلك الجو رهيب بضع كلمات نيرة واضحة تعبر عن آراء واضحة نيرة مثلها ، فيهدم حجة الخصم من الأساس . ولكن القضية في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة . ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافقته المتينة الرائعة . »

وتعاقبت الأحداث سراعاً فظهرت على بساط البحث قضية فلسطين ، تلك المسألة التي يندى لها جبين التاريخ ، ليمثل منها فصل محزن جديد هو من أشد فصولها أسيئاً . وهو التقسيم . شهد فارس الخوري المؤتمر الذي عقد في لندن في مطلع عام ١٩٤٧ - للدراسة هذه القضية . ولتلقى هنالك ردنا الوفود

على بيان وزير الخارجية الانكليزي وحذر من التقسيم وعواقبه ، ثم عاد إلى نيويورك ليمضي قدماً في تمثيل بلاده في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن فرضت قضية فلسطين على الجمعية العامة لهيئة الأمم وطال بحثها في اللجنة السياسية وما تفرع عنها ، ثم في الجمعية العامة من أيار إلى تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، حتى انتهى بقرار التقسيم المشؤوم ، بالرغم من جميع الجهود التي بذلها مندوبو الدول العربية ومن بينهم فارسنا خاصة . إذ ألقى عدة خطب من أبلغ خطبه مملوءة بالحجج والبراهين الساطعة التي كانت تكفي لإحقاق الحق لو كانت الدول الكبرى تريد إحقاق الحق . وبعد نجاح التصويت على قرار التقسيم ، أبان فارسنا أن ثلثي سكان العالم أبوا الموافقة عليه إما برفضه صراحة أو بالاستنكاف عنه ، وأن الذين وافقوا عليه لا يمثلون إلا الثلث فقط من سكان العالم ، وينتمي معظمهم إلى دول فائقة ليس لها صلة بفلسطين أو بالشرق الأدنى ولا بشؤون القارة الآسيوية . لم يشن الفشل من عزيمته ولم يدخل اليأس على قلبه ، بل ظل يناضل ويكافح فجهد في منع تنفيذ قرار التقسيم أو في عرقلته . ولكن إرادات تفوقه قوة أضفاف أضفاف ، أثبت أن تستمع للحجج والأدلة بل كانت تريد أن تخلق دولة اسرائيل مها كلف الأمر .

سادتي : لفقيدنا الخالد مزاياجمة غت كلها وازدهرت ولم يضمط بعضها حق بعض . فكأنما هو من نفسه في نفوس ومن عقله في عقول ومن فهمه في أفهام . تتسع ذاكرته للأمور المتباينة والثقافات المتضاربة ولا يصير على إدراكه شيء . ومن الدهش أن تكون شخصيته وثقافته عصاميتين . فهو لم ينل في الجامعة الأمريكية سوى شهادة البكالوريوس في الثقافة العامة . ولكنه درس الحقوق بلا أستاذ ولا مدرسة ، فبنع فيها حتى غدا في

منه الحقوق أستاذاً ممتازاً له مؤلفات قيمة وطلاب كثيرون معجبون به
أيضاً إعجاب . درس العلوم المالية وأصول المحاكمات وصار تقيب المحامين
وأصبح مرجعاً من مراجع القانون والتشريع . ولم تقتصر معرفته بالقوانين
على نطاق بلاده بل تعدتها إلى الصعيد الدولي . فبرهن في الميادين الدولية
على معرفته الواسعة للتينة إذ ابتليها الأيام وامتحنتها الظروف القاسية التي
مرت بها البلاد العربية ، فكانت قوة صامدة راسخة الأسس . تمكن من
أن يقارع هنالك ألد الخصوم وأقواهم وهم من زهرة رجال الدول الكبيرة
في السياسة والقانون . إن انتخابه عام ١٩٤٧ لرئاسة اللجنة القانونية ،
وهي إحدى اللجان الست في الأمم المتحدة ، دليل ساطع على التقدير الذي
كان له في نفوس كبار رجالات الأمم ، ونظير ذلك انتخابه عضواً في
لجنة القانون الدولي ، وقد غدا في محيط الأمم المتحدة شخصية خيالية
ولقب بطل العالم الثالث .

نخلص الأستاذ محمد علي الطاهر شخصيته ، وكان جيد المعرفة به فقال :
« مناقش مداور مناور مجادل من طراز عال رفيع ، لا يقاطعك إن
خدمته ولا يصادمك ولا يصول عليك في جوابه ، لأنه لقوته وتواضعه
وسمو أدبه وتقته بنفسه يعتمد في مجادلته على الحجّة والنص والشاهد بدون
أن يحاول إفهامك أنه أقوى منك أو أعلم أو أحكم أو أوسع إحاطة .
ذلك أنه قد دفع ثمن ما وصل إليه من مقام جليل غالياً ونقيساً : دفعه
سهرأ ودرساً ومتاعب مدة سبعين عاماً من الأعوام التي عاشها وطواها
بجزية ... وكم نام لداته وأنداده وهو ساهر لا ينام . »

هذا هو فارس الخوري ، الذي فقد به المجمع عضواً ممتازاً ، وخسرت
سورية والبلاد العربية ، بل خسرت بموته الإنسانية جماء شخصية فذة
قلنا يخلفها الدهر

سابق : أستثنيكم الآن في الانتقال إلى موضوع آخر ذي صلة هامة بأهداف الجمع ، تهتم به جميع البلاد العربية وهو من موضوعات الساعة ألا وهو موضوع المصطلحات العلمية ، وجعل اللغة العربية من جديد لغة علمية قادرة على التعبير عن جميع فروع العلم وتطبيقاته بمثل السهولة والبساطة اللذين تميز بها اللغة الانكليزية أو الفرنسية مثلاً .

تطور المدنية في أيامنا هذه تطوراً سريعاً ، ويزداد هذا التطور سرعة في كل يوم . ذلك لأن العلم والصناعة اللذين هما عماد هذه المدنية يتقدمان بخطى حثيثة يسوقان فيها ركب الحضارة في سير منبذ ، هو في كل يوم أعجل منه بالأمس . تتسع العلوم ويمتد غورها بفضل البحث والاستكشاف اللذين تنفق عليهما آلاف الملايين ، وتضخم ويكثر شمولها وتعدد فروعها ، فينقسم الواحد منها إلى عدد من العلوم الجديدة يصبح كل منها علماً قائماً بذاته له أتباعه ومريدوه ، فيأخذ بدوره بالاتساع والتعمق ثم بالانقسام من جديد وتظهر له فروع تطبيقية . وعندما يعمد الإنسان إلى الاستفادة من هذه العلوم في حاجاته اليومية تولد ألوان جديدة من التكنولوجيا والهندسة . وليس لهذا الكاثر من حد .

نسوق على هذا أمثلة ثلاثة : لقد ولدت حاجات الحرب العالمية الثانية ، في جملة ما ولدت : الطاقة الذرية والصواريخ والالكترونيات . وأخذت هذه المواليد تنمو وتضخم ويعظم شمولها . إذا نحن حققنا قليلاً في أصل هذه المواليد رأينا أن اكتشاف تفكك الذرة ، الذي هو سبب انتشار الطاقة الذرية قد وقع قبل ختام القرن الماضي بأربعة أعوام فقط ، وظلت بحوث الذرة في دور الاستكشاف حبيسة المختبرات حتى اندلعت نار الحرب الأخيرة فأريد لهذا المارد أن يخرج من قمعه الذي هو نواة الذرة . جندوا لذلك جيوشاً من العلماء والمهندسين ورجال الصناعة وجنلوا لهم الأموال بسخاء ، فما كاد علم ١٩٤٥ ينتصف حتى كانت كل شيء قد تم ، فالتطائر للشعلة صارت تستعمل في الطب ، واستخدمت الطاقة الذرية للأغراض الحربية والسياسية .

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى عمت التطبيقات وتنوعت وإنسجت . فانتشرت اليوم المحطات الكهربائية الذرية في سائر أنحاء العالم واستخدمت الطاقة الذرية في تحريك السفن والتواصلات وفي تحويل ماء البحر المالح إلى ماء عذب ، واستخدمت النظائر المشعة في الطب للكشف والمعالجة وفي الزراعة لتعين على دراسة التربة والنبات وتحسين غوه وعلى إبادة الحشرات الضارة وفي الجيولوجيا والآثار لأغراض شتى ، وفي الصناعة لكثير من التطبيقات كما استخدمت القنابل الذرية والحربية النووية للحرب والسلام ، فتستعمل الآن لحفر الكهوف والاتفاق والترع . وبطلع علينا كل يوم شيء جديد في هذا الباب .

أما الصواريخ ، فهي وإن عرفت قدماً في الصين وعند العرب وفي الغرب ، فإن إنتاجها الضخم بشكلها الحديث قد حصل في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية على يد الألمان . وسرعان ما تسلمت الدول الكبيرة المنتصرة زركة ألمانيا النازية فوضعت اليد على العلماء والمهندسين وعلى ما استطاعت أن تظفر به من مصانع وصواريخ وقطع في الأرض المفتوحة . وفي خريف ١٩٥٧ قذف الروس بأول قمر صناعي إلى الفضاء ليدور حول الأرض . وما زالت الأموال الضخمة تنفق في هذا الباب بالمليارات العديدة كل عام ، وأصبح عدد العاملين في مملكة الفضاء يقدر بمئات الألوف . حتى دار الإنسان حول القمر وأرسل رسله الآلية لتجوس أرجاء الزهرة والمريخ وأصبح دوران مركبات الفضاء حول الأرض وسباحة الإنسان في الفضاء من الأمور العادية التي نسمع بها كل يوم فلا نجد فيها غرابة . واستعملت الأقمار الصناعية لدراسة الأرض والفضاء والكواكب ولدراسة الأحوال الجوية والأنواء وتسهيل سبل المواصلات اللاسلكية والملاحة البحرية والجوية ونقل برامج التلفزة ، كما صارت تستعمل للمراقبة والتجسس .

م . (١٦) :

وأما الإلكترونيات فوُلدت مع الحرب العالمية الأولى وانتشرت تطبيقاتها فيما بين الحربين في مصابيح الراديو والخلية الكهربائية الضوئية وبدء تجارب التلفزة . ثم جاءت الحرب الثانية فدفعتها إلى الأمام دفعا قويا أظهر أجهزة الرادار والتوجيه اللاسلكي . وظهرت لها بعد الحرب تطبيقات واسعة عديدة منها الانتشار المدهش للتلفزة والترازستور واستعمال الأمواج الهرتزية المتناهية القصر في الاتصالات اللاسلكية . وأهم تطبيق للإلكترونيات هو بحق في الآلات الحاسبة الإلكترونية .

ظهرت هذه الآلات في نشأتها الأولى قبل الحرب الثانية وتحسنت في أثنائها ، ثم أخذت بعد الحرب تتطور وتحسن حتى غدت اليوم على درجة عالية من الكمال لا يفوقها إلا ما يرتقب لها في الغد من تحسين وتطوير جديدين كانت تستعمل في الأصل في المختبرات العلمية الكبيرة لتقوم بالمعاملات الحساسة المنقدة الطويلة التي يحتاج إنجازها إلى جهود عدد كبير من العلماء والحاسبين وإلى زمن طويل جداً يقضونه في حسابات مضيئة . صارت الحاسبات الإلكترونية تنجز هذه الأعمال في دقائق . ثم أخذ نطاق استعمالها يتسع وأدخل عليها التعديل والتحسين لكي تتمكن من القيام بأعباء مهمات متنوعة وظهرت منها زمر وأصناف كل زمرة لها وظيفة وتخصص ، واستمر التحسين والتطوير إلى اليوم . وكلما تقدم علم الإلكترونيات استفيد من مكتشفاته الجديدة في استيلاء جيل جديد من الآلات الحاسبة .

تستعمل هذه الآلات الآن في شتى الميادين ، وذلك حسب أنواعها . لقد أصبحت ، بالإضافة إلى قدرتها الفائقة على الحساب آلات مفكرة ذات ذاكرة واسعة جداً يرجع إليها عند كل عقبة . تلقى عليها الأسئلة المربكة فتجيب عنها بمنتهى الضبط والإحاطة .

تستعمل في تسيير المعامل الكبيرة التي طبق فيها نظام العمل الآلي ، وتستعمل في إدارة المؤسسات وتوجيهها في الطريق الصحيح من حيث العمل وحسن التصرف بالأموال ، وفي تنظيم سير القطارات على شبكات السكك الحديدية الكبرى ، وفي تنظيم السير في المدن المزدهرة . وتقوم في دور البيع الكبيرة بتدوين الحسابات وفرزها وإعداد الفواتير وبيانات الأرباح والخسائر ، وتستعمل في أعمال التصميم الهندسي للمشروعات الكبيرة والصعبة وتعتمد عليها مراكز إطلاق الصواريخ وتسيير مراكب الفضاء ومحطات توليد الطاقة . وتعتمد عليها الدوائر العسكرية في إعداد خطط الدفاع والهجوم وتحريك أسراب الطائرات وإعداد عمليات السوق . ويتسع نطاق تطبيقها في كل يوم . وقد بلغ من اتساع ذاكرتها الضمنية أنها غدت قادرة على استيعاب وحفظ علم كامل كالفيزياء أو الكيمياء ، فلا يلقى عليها سؤال في أحدهما إلا أجابت عنه بدقة ، بقدر ما تتسع له المعلومات التي أودعت ذاكرتها . وأصبحت تقوم مقام مكتبة كاملة بكتبها ومجلاتها وجزائرها . وهذه المناسبة أذكر أنه قد ولد بفضلها علم جديد يسمى Informatique وهو في الواقع فن معالجة المعلومات والمعرفة بواسطة العقول الالكترونية . كما ولد علم آخر يسمى Cybernétique وبالمجالات وسائط الاتصال والإفصاح والسيطرة والتحكم لدى الإنسان وفي الآلات ، كما يبحث في أوجه الشبه بين العقل البشري والعقل الالكتروني .

من أمثلة الاستعمالات القرية للدماغ الالكتروني ، ما يراه الأطباء من الفائدة في إقامة مركز الكتروني تودع لديه الاستمارات الصحية والطبية لجميع المواطنين في القطر ، ويكون لكل مواطن رقم خاص به ، فإذا قصد هذا المواطن طبيباً لمرض ألم به ، يتصل معاون الطبيب فوراً بهذا المركز بواسطة جهاز اتصال خاص كالهاتف ، فيحصل في مدة دقيقة على

صورة كاملة للاستشارة الصحية لهذا المريض ، فيقدمها المريض إلى الطبيب عندما يستقبله .

تجري تجارب كثيرة للاستعانة بالعقول الالكترونية في التعليم . ونذكر أن بعض أنواع هذه الآلات قد صنع لترجمة النصوص من لغة إلى أخرى ، ويشترط أن يكون النص الذي يترجم قد كتب بأسلوب لا تعقيد فيه ، واختيرت كلماته ومصطلحاته بدون أن يكون لها تعداد في المعاني .

يقدر الآن أن العقول الالكترونية ستحل في المستقبل القريب محل العديد من الجماعات الفكرية . وتبارى الشركات التي تصنعها ، وهي من كبار الشركات في العالم ، في تحسينها . واستنباط أصناف جديدة منها تكون فتحاً جديداً في عالم التطبيق . مثال ذلك أن شركة I. B. M. قد وظفت مؤخراً مبلغ خمسة مليارات دولار لإنتاج صنف جديد من الآلات الحاسبة تعد صنعها الآن ليكون النموذج التقدمي لهذه الآلات في المستقبل القريب .

اقتصرت أيها السادة على التنويه بهذه الأصناف الثلاثة من المكتشفات الحديثة لأعطي فكرة تقريبية عن مدى التقدم العلمي والصناعي . وإن وسائل الإعلام تنبئنا كل يوم عن مكتشفات ومخترعات جديدة .

سادتي : إن لغتنا العربية التي حوت أوسع كنوز الأدب وانسمت للفلسفة والعلوم فقامت بأدائها خير قيام أصبحت بحق لغة المدنية والحضارة خلال قرون طويلة . ثم اعتراها ركود ، واتفق لسوء الحظ أن وقع هذا الركود في إبان النهضة الأوربية وما تبعها من رقي إلى الآن . فبثت الآداب والفنون ونشأت العلوم الحديثة وارتقت الصناعة وازدهرت المدنية . ونشأت اللغات الأوربية الحية فسارت هذا الرقي واستطاعت أن تضع الكلمات والمصطلحات لجميع ما أبدعه الرقي من مخترعات جديدة . فبلغ عدد المصطلحات العلمية عشرات الألوف . وهناك معجمات مستقلة لكل علم أو فن بمفرده .

لا تستقيم لأمة حضارة ولا قوة إلا إذا كانت لقتها على المستوى الرفيع الذي يمكنها من البحث والتدريس والتميز والتأليف في جميع مقومات هذه الحضارة .

ونحن نشعر جميعاً باستحكام أزمة المصطلحات العلمية وتزايد خطورتها كل يوم . وأن أخطر ما فيها هو هذه الفوضى النازلة بها . فلكل قطر عربي مصطلحاته الخاصة ، وتتبع في القطر الواحد مصطلحات تختلف من مؤسسة إلى مؤسسة ومن جامعة إلى جامعة ، بل من كلية إلى كلية وأستاذ إلى أستاذ . وقد بذلت جهود حميدة تقصد إدخال شيء من النظام على هذه الفوضى القائمة . فقامت المجامع اللغوية بقسط من هذا العمل وظهرت بعض المعجمات في مصطلحات الطب والعلوم الحيوية والطبيعية ، وألفت الجامعة العربية مكتب التعريب في الرباط ليقوم بجمع المصطلحات من مختلف الأقطار العربية ودفنها إلى مؤتمرات تعقد بين الفينة والفينة لتنظر فيها وتقرها ، ولا يزال نرقب انعقاد هذه المؤتمرات لنستفيد من ثمراتها .

إن الواجب المفروض علينا في هذا النطاق جد كبير ، ولا مندوحة لنا عن النهوض ولو بقسم من أعبائه . فلنشمر عن ساعد الجد مستعينين بالله وهو ولي العون والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وجيه السمان



الغلطات المطبعية

الواردة في مقالة « فوات الوفيات في طبته الجديدة »

في القسم الأول من نقد الجزء الثاني

« مجلة المجمع : المجلد ٤٣ ج ٤ ص ٧٤٩ رجب سنة ١٣٨٨ »

الصفحة	السطر	الوارد	الصواب
٧٥٠	٦	الطبقة الأولى	الطبقة الأولى
٧٥٢	١	بجاية	بجاية
٧٥٣	٢	حواشيه	حواشيه
٧٦٤	٧	هو أنها	هو أنه



تصحيح بعض الأخطاء

الواردة في الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٧	قسم	قيم
١١٤	٨	القائيه	القائيه
١١٤	١٣	أي الفكر	الى الفكر
١١٦	٤	ضبطت	خبطت
١١٩	١٩	القائيه	القائيه
١٢٠	١٠	المتعلم	المتكلم
١٢٠	١١	فالمتعلم	فالمتكلم
١٢٠	١٥	التفهم	التفهم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	١٦	وصرفت	وصدقت
١٢١	٢٣	قلما يدل	فكما يدل
١٢٤	٢٣	المقتدل	المقول
١٢٧	٨	وبهذا	ولهذا
١٢٨	٥	في الأصل مبنية	لأن العادة في الأصل مبنية
١٢٨	١٢	بالجمال	للجمال
١٣١	١٨	ليقاس	يقاس
١٣٣	٣	للفظ	اللفظ
١٣٣	٨	العرض	العرض
١٣٣	٩	الجمع بينها	الجمع بينها
١٣٤	١	جاؤا	جاؤوا
١٣٤	٩	أدعى توجيه	أدعى إلى توجيه
١٣٥	١٣	التقديس	النقد ليس

المكتوب: جميل صليبا



غلط وصوابه

ورد في الصفحة ٢٤٥ من الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

وجدت في ما ذكر الأستاذ الكبير السيد عدنان الخطيب من ترجمة
المرحوم عيسى اسكندر الملو ف، وذلك في المدد الأخير من مجلة المجمع قطعة
من قصيدة لي في رثاء الملو ف . وقد جاء في القطعة من غلط الطبع .

ظفر المسلم بملو فية من براع (كالرياض) وضاء

وصوابه : من براع كالرياضين .

وجاء في القطعة أيضاً :

يا (أبي) التاريخ بُلِّغْتَ ذِيَّ لَمْ تَحْ عَلَيَاؤُهَا لِلنَّظَرِ
وصوابه : يا أبا التاريخ .

وجاء أيضاً :

أَمْ قَوْلُهُ (يَد) طَاغِيَةٌ سَخَّرَ الْعِلْمَ لِشَرِّ وَشَقَاءٍ
وصوابه : أَمْ قَوْلُهُ يَدَا طَاغِيَةٍ .

ثمَّ انِّي وجدت الألف الممدودة ، في كلِّ مواضعها من القطعة ، لم يجعل عليها ترتيب الحروف المدَّة . في حين أنَّ المدَّة تُرسم على الألف الممدودة لانتهاها تمثلاً باللفظ أيضاً . بمعنى أنَّ ألف « السماء » تكون أطول من ألف « السماء » ، مثلاً . وقد اختلفوا في تقديرها بين ألفين إلى ستِّ ألفات (انظر [البيان] للإمام البيهقي ، و [الإقتات] للإمام الشيوطي) .

ذلك ، وإن قيل في الرَّدِّ على ما هنا ، إن علامة المدَّة من فوق الألف في مثل كلمة السماء ، تمحذف في الرسم ، لأنَّ المدَّة على الألف تعويض عن همزة مفتوحة قد حذفت ، وأصل كتابتها هكذا « أ ا » ، مثل مآرب ، فلا يجوز وضعها على مثل « الرجاء » ، و « السماء » ، لأنَّها لا تلفظان « الرِّجاء » ، و « السَّماء » .

ولقد أخذ الإمام البيهقي في هذه الكتابة بالرأي الأول ، وجرى عليه في « الجنان » ، و « الطيب » ، و « البيان » ، و « الضياء » ، وفي كلِّ كتاب وضعه ، أو وقف على طبعه . وأنا من الذين يحبُّون أن يأخذوا إحداه في كلِّ نكته لغوية . (ميوت) أصبَحْ نَحْلًا



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِبَيْتِ مَشْقٍ

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩٦٩ م رجب سنة ١٣٨٩ هـ

تطور اللغة في العصر العباسي^(١)

أرى قبل الشروع في الكلام على تطوّر اللغة في عصر بني العباس أن تتفق على معنى التطور وهذه اللفظة من الألفاظ التي أحدثها عصرنا ، ومنها على ما أعتقد تنابع الصيغ أو الأشكال التي انتقلت الألفاظ بموجبها من وجه إلى وجه ، فإذا كان هذا هو معنى تطور اللغة فاللغة قد انتقلت على ترادف السنين من شكل إلى شكل ، ولا يزال هذا الانتقال مستمرّ في عصرنا ، وإذا كنّا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد يكون عجيباً أشدّ من دلالة هذه المظاهر على غوّة اللغة ، على استمدادها للحياة

(١) ألقى الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق خمس محاضرات في جامعة الكويت في شهر آذار الماضي ، وهذا هو القسم الأول من المحاضرة الأولى : تطور اللغة في العصر العباسي .

مها يباعثها من الأمور ، لقد جاءت يبراهين قاطمة على أنها أهل للحياة ، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصرٍ من عصورها ، في الجاهلية والإسلام ، في زمن بني أمية وبني العباس ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وهذا موطن من مواطن افتخارنا بلغة العرب .

وإني لأرجو أن لا تكون دراستنا لتطور اللغة في زمن بني العباس أو في أيّ زمنٍ مجرد دراسة لا تتقال الألفاظ من وجهٍ إلى وجهٍ ، أو لإحياء ألفاظ وموت ألفاظ ، أو لغير ذلك من الأساليب التي تدلّ على تطور اللغة ، فما الذي يمنعنا من أن نرى وراء هذا التطور تطور أمةٍ بأكملها ، إني لا أستطيع أن أقرأ مثلاً فصول الموسيقى في كتاب مفاتيح العلوم الذي سأسير إليه ، ولا أن أطلع على ما احتوته هذه الفصول من آلات الموسيقى عند العرب كالصنّج والظنبور والربّاب والمِعْزفة والعود وغير ذلك من الآلات ، ولا أستطيع أن أقف على ما عرفه العرب من ألفاظ النغمات والألحان والإيقاعات والنقرات ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله وعلى أمثاله من الأمور الداخلة في الموسيقى إلاّ تصورت الأمة التي مالت إلى هذا الفن وتصورّت بعدها قصور الخلفاء الذين شغفوا بهذا الفن شغفاً لا تحضرني عبارة لوصفه أو لوصف ما أدّى إليه هذا الشغف من الإفراط في إكرام المنّين والقيان بما جاء ذكره في كتاب الأغاني ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله إلاّ تصورت حضارة العصر الذي استفاضت فيه الموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم ، فليست أدرس تطور اللغة للاطلاع على تغيّرات صيغها وأشكالها وأكتفي بهذا الاطلاع ، وإنما أدرس هذا التطور لأن وراء حضارة أفصحتنا عنها اللغة وتطورها .

فلنشرح بعد هذه المقدمة في موضوعنا .

في رأي «دوزي» صاحب المعجم المشهور أن لغة العرب ، وهو يعني بذلك لغة الشعر القديم والقرآن والسنة لم يطل عهدها أكثر من قرنين على التقريب ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ، لقد طرأ على اللغة من آخر القرن الأول الهجري تنوير عظيم ، إلى أي شيء أدى هذا التنوير ، لقد أدى إلى غناها وغنوها ، وهذه نتيجة لامندوحة عنها ، إنها نتيجة الانتصارات السريعة الخارقة التي انتصرها العرب بعد الرسول ﷺ ، لقد خالط العرب بعد تلك الانتصارات شعوباً شتى غلبوا عليها ، فتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين وإن كانت تلحن في كلامها ، لقد كان لتلك المخالطة أثر في العرب أنفسهم فاختلّ النحو على ألسنتهم واستعملوا ألفاظاً قبلوا وجوه معانيها واقتبسوا كثيراً من التعابير من لغات الأمم المغلوبة ، أهل الشام والفرس والقيط والبربر والإسبان والترك .

على أن مخالطة الأعاجم لم تكن السبب الأوحد ولا كانت السبب الأعظم في فساد اللغة ، فقد وجد الفاتحون أنفسهم في حالة حديثة لا عهد لهم بتلها ، فسوّاء أكانوا أهل بدو أم كانوا أهل حضر يقيمون بمدن صغيرة ويعيشون عيشة بسيطة ، إنهم نقلوا فجأة من عالم إلى عالم ، نقلوا إلى عالم كل شيء فيه كان جديداً بالنسبة إليهم ، نقلوا إلى مدن كبيرة يشيع فيها البدخ والترف وتستفيض فيها حضارات قديمة ، حضارات الرومان والفرس ، ومما زاد في شرفهم أنهم نشطوا للدراسة الفنون والعلوم التي لم يكن لهم عهد بها ، فحدث بعد هذا أن انقلبت أفكارهم وأخلاقهم كل منقلب ، فأصاب اللغة ما أصابهم ، فقد انتقلت من بيئة البداوة إلى بيئة الحضارة المعقولة ، افتقرت من جهة وغنيت من جهة ثانية ، كيف افتقرت ، لقد سقط كثير من فيض الألفاظ التي كانت تضايق لغة الأدب ، سقط ما يقرب من ثلث اللغة ، سقطت الألفاظ التي كانت تعبّر عن حالات بدوية ، ولم يكن كثير

منها يستعمل استعمالاً عاماً في أي عصرٍ من العصور ، ولئن سقطت تلك الألفاظ لقد اعتاضت عنها اللغة ألفاظاً جديدة تعبر عن أشياء وعن أفكار كانت مجهولة ، فقلب العرب بفضل عبقرية لغتهم معاني الألفاظ من وجه إلى وجه .

لقد حدث هذا الانقلاب في كل الأقاليم التي غلب عليها العرب ، ولكن الانقلاب كان على درجات متفاوتة ، ومما أعان على التمجيد في خلق اللغات المختلفة ترامي أطراف الدولة ، فكل ناحية من هذه الأطراف كان لها لغة خاصة .

ولم يسمع المحافظين من رجال اللغة أن يشهدوا مثل هذا الأمر دون الاعتراض ، لم يسمع المحافظين على صفاء اللغة من رجال النحو والشرع والفقه أن يثمنوا على مثل هذا الأمر ، فكأنهم لم يحيطوا بطبيعة الأشياء ، ولا أدركوا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغير ، ولا سيما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار ، إنها مرتبطة بالجماعات التي تنطق بها وبالكتّاب الذين يستخدمونها ، وفي رأي «دوزي» ان أوثق الرجال ، رجال اللغة كانوا يريدون أن يجعلوا لغتهم جامدة لا تتحرك ، فهم أعداء كل توليد ، على أن «دوزي» قد اعترف بأن مجهودات علماء اللغة لم تكن باطلة ، ففضلهم وبفضل دراسة القرآن لم تتشعب العربية ، فلم تتولد عنها لغات ثانية كما تولدت عن اللغة اللاتينية ، إلا أنهم مع هذا كله لم يستطيعوا أن يسدوا طبيعة مجرى الأمور ، فقد كان من الكتّاب من يستعمل اللغة العامة ، وقد ضرب «دوزي» مثلاً لذلك الرحالة المقدسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، فقد اضطر من أجل المحافظة على ما يسمونه : اللون المحلي إلى أن يستخدم في وصف كل إقليم من الأقاليم التي زارها لغة ذلك الإقليم .

قائدي يهمننا من كل ما جاء في هذه المقدمة الصادقة في أكثر محتوياتها
إنما هو قول صاحبها : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيما
اللغات التي تتغير بتغير الأفكار .

فلننظر في هذه التغيرات ، مظاهر تطوّر لغتنا مختلفة ، فإمّا أن تتغير
معاني ألفاظها القديمة ، فتنتقل هذه المعاني من أفق إلى أفق وإمّا أن تحدث
ألفاظ جديدة بأسلوب من الأساليب ، بالتعريب والتوليد مثلاً ، وإمّا أن
تموت ألفاظ لم تبق حاجة إليها .

نبدأ بالمظهر الأول ، بالتغير الخطير ، وأعني به مجيء الإسلام وما أفضى
إليه هذا المجيء من تطور اللغة ، فلنستمن بإمام من أئمة اللغة ، فلنسمع
ما قاله ابن فارس في فقه اللغة :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم
ونسائكهم وقرايينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت
ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى
بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فمفّسى الآخر الأول ،
فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وإن
العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت
الشريعة شرائط وأوصافاً بها سميّ المؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام
والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء ،
وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلاّ النبطاء والستر ، فأما المنافق فلم
جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا ، وكان الأصل من نفاقاء اليربوع ،
ولم يعرفوا في الفسق إلاّ قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ،
وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ،

ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لقمهم اللباء ، وكذلك الصيام وأصله عندم الإمساك ، ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والباشرة وغيرها من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندم غير القصد ، ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره ، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها ما زاد ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي . ما الذي نستنتجه من كلام ابن فارس ، إننا نستنتج من هذا الكلام أن الإسلام لما جاء جاء بأفكار جديدة لا عهد للعرب بها ، ولا بدء لهذه الأفكار من ألفاظ تعرب عنها ، فإذا لم تكن الألفاظ بقيت الأفكار مطوية في ذهن صاحبها ، إلا أن هذه الأفكار لم تكن مطوية في الذهن ، فقد وجدت لها ألفاظاً تفصح عنها وتثبتها في الأذهان ، كيف وجدت هذه الألفاظ ، إنها لم تخترع اختراعاً ، فلم تعرب ولم تولد ، وإنما نقلت معاني ألفاظ قديمة من وجه قديم إلى وجه حديث ، فعبّرت عن الدين الجديد هذه الألفاظ المنقولة ، عبّرت عن كل ما يشتمل عليه هذا الدين من صلاة وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من الأفكار الإسلامية .

ولم تتغير معاني الألفاظ الإسلامية وحدها وإنما تغيرت أيضاً معاني أسماء الأيام ، فالسبت في الجاهلية : شيار ، والأحد : أول ، والاثنين : أهون وأوهد ، والثلاثاء : جبار ، والأربعاء : دبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عروبة .

وكما تغيرت معاني الأيتام فقد تغيرت معاني أسماء الشهور ، فالحرّم في الجاهلية : المؤمير ، وصفر : ناجر ، وربيع الأول : خوان ، وربيع

الآخر : وبصان ، ومجادي الأولى : الحنين ، ومجادي الآخرة : ربّي ،
ورجب : الأصم ، وشميلان : العاذل ، ورمضان : فاتق ، وشوّال : وعمل ،
وذو القعدة : ورثة ، وذو الحجة : برك .

وهذا باب طويل لم ندخل منه إلاّ للدلالة على تطوّر اللغة ، فالهم
أن نعرف أن اللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فإذا عرضت أفكار
جديدة تستلزم أسماء جديدة وجب على اللغة أن تضع لما يستحدث من المسميات
أسماء مستحدثة ، على نحو ما هو معروف في الألفاظ الإسلامية ، وإذا عجزت
اللغة عن إحداث أسماء لمسميات بقيت المسميات في أذهان أصحابها ميتة
لا يجدون سبيلاً إلى التعبير عنها ، وتعرف مرونة اللغة بهذا التصرف الذي
يتصرفه علماءها في الاهتمام إلى التعبير عن الأفكار الحديثة .

وإذا كنّا نشير إلى تطور اللغة بنقل معاني ألفاظ عن مواضع إلى مواضع ،
فلا بأس بأن نذكر في هذا المقام أن من الألفاظ ما وضع في الأصل خاصاً
ثم استعمل عاماً ، أي من الألفاظ ما ينقل من معناه الخاص إلى معنى عام
من ذلك مثلاً : الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورّداً ، والقرب :
طلب الماء ثم صار يقال قرب لكل طلب والتشجعة أصلها : طلب النيث
ثم صار كل طلب انتجاعاً ، والأمثلة كثيرة .

وعلى خلاف الأمر فقد يوضع اللفظ عاماً ويستعمل خاصاً ، فالبغض عام
والفيرك فيما بين الزوجين خاص والتشهي عام والوَحَم للحبلى خاص .
غير أن هذا الباب يدخل في أبواب اللغة وقد مررنا به مروراً ،
فلنستمر في موضوعنا .

ولم يكن تطور اللغة في الألفاظ الإسلامية وحدها ، وإنما كان هذا شأنها في العلوم التي حدثت بعد الإسلام كالنحو والعروض والشعر ، فإذا رجعنا إلى النحو مثلاً وجدنا فيه ألفاظاً نقلت معانيها من مواضع إلى مواضع ، لترجع مرة ثانية إلى ابن فارس ، قال : وزعم قوم أن العرب العاربة لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ، والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب ، قيل له : أتهمز إسرائيل ، فقال : إني إذن لرجل سَوٍّ : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضنط والمصر ، وقيل لآخر : أتهمز فلسطين ، فقال : إني إذن لقوي !

على أي شيء يدلنا كلام ابن فارس ، انه يدلنا على أن بعض الألفاظ كانت لها معانٍ محدّدة فلما استحدثت العرب علم النحو اضطروا إلى استحداث ألفاظ لكل باب من أبوابه كالهمز والجر والرفع والنصب وغيرها ، فنقلوا معاني ألفاظ من مواضع إلى مواضع ، واصطلحوا على المعاني المنقولة ، وبالحلّة ان كثيراً من الألفاظ نقلت من أصلها اللغوي إلى أصل جديد طبقاً لتطور ، مثل الألفاظ الإسلامية أو ألفاظ النحو والعروض كالمديد والطويل وغيرها .

وقد نجد مثل هذا التصرف في فنون الحضارة وعلومها التي حدثت بعد الإسلام ، وما أظن أننا نستطيع أن ندرك ما عملته اللغة بعد ظهور الإسلام ولا سيما في عصر بني العباس إلا إذا أطلعنا على الألفاظ التي وضعها العلماء لعلومهم ، فإذا تمدّينا صدر الإسلام ووصلنا إلى عصر بني العباس وقفنا على ألفاظ في الفنون والعلوم لا يحصيها الإحصاء ، وإذا دلّتنا هذه

الألفاظ على شيء فإنها تدلنا قبل كل شيء على مرونة اللغة كما قلت فضلاً عن استمدادها للإفصاح عما يفاجئنا من الأفكار والمذاهب ، إلا أن الكلام المجرد لا يوضح الفكرة التي نعنيها ، فلا بد من الاستشهاد حتى نرى بأعيننا قوة لنتنا ، وإني أعتقد أنه كتاب : مفاتيح العلوم للخوارزمي يوضح لنا أكل توضيح ما نريد ، وأرى أن الإشارة إلى فقرة مما ورد في مقدمة الكتاب تعلمنا بمحتويات هذا الكتاب الجامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، المتضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة .

فهذه الإشارة تبين لنا الأفق المديد الذي اشتمل عليه كتات مفاتيح العلوم ، وأريد بهذا الأفق الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء في علومهم . وقد أحب المؤلف أن يستشهد في مقدمته بثلاثة ألفاظ من باب ضرب المثل فقال :

ومثال هذه المواضع لفظة الرجعة فإنها عند أصحاب اللغة المرأة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها ، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن ، وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، إلى غير معاني هذه اللفظة عند الكتاب والمنجمين .

ولفظة الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فك الأسير أو الرهن أو الرقبة ، وأحد الفكين وهما اللثحيان ، وعند أصحاب العروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعها دائرة ، وعند الكتاب تصحيح اسم المرتزق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها .

ولفظة الوند عند اللغويين والمفسرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى : «والجبال أوتادا» ، وعند أصحاب العروض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن ، وعند المنجمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع والفارب ووسط السماء ووند الأرض .

إلا أن هذا الاستشهاد المختصر لا يشفي القليل ، فهو لا شيء إذا قيس بالألفاظ المستحدثة التي تضمنتها كتاب مفاتيح العلوم ، على أنه لا سبيل إلى الإتيان على ذكر كل هذه الألفاظ ، وحسبنا أن نعرف أن المؤلف جعل كتابه مقالين : إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم الشرعية ، والثانية لعلوم المعجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم .

وإذا رجعنا إلى فهرست أبواب الكتاب وفصوله وجدناه طويلاً ، ولذلك فإننا نكتفي بذكر بعض العلوم التي أشار إليها المؤلف وذكر ألفاظها المستحدثة التي لكل واحد منها معنيان : معنى لغوي في الأصل ، ومعنى اصطلاح عليه علماء كل علم .

لقد أشار الخوارزمي في كتابه إلى أبواب كثيرة ، إلى الفقه ، وعلم الأصول ، وعلم الكلام ، كما أشار إلى النحو والعروض والفلسفة والمنطق والابيضاح والخطابة والشعر والطب والتشريح والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والموسيقى وجرّ الأثقال والكيمياء ، وإلى أبواب كثيرة غير التي ذكرتها .

فكيف تكون حالة العلوم في زمن بني العبّاس لولا اجتهد العلماء في التصرف في اللغة ومفرداتها ، كيف تكون حالة هذه العلوم لو عجزت اللغة عن

وضع ألفاظ لها تدرك بها أسرارها ، كيف تستفيض هذه العلوم في عصر ظهورها وكيف نصل إلينا بعد ظهورها لولا هذه الألفاظ المستحدثة التي وضعتها وفصلتها ، ولماذا لا أقول صورتها للمقول تصويراً .

إنني لا أرى سبيلاً إلى ذكر ألفاظ كل علم على حدة ، فهذا أمر لا يستوعبه إلاّ معجم ، لقد ألفنا ألفاظ النحو والعروض والشرع والفقه فلا حاجة بنا إلى تكرارها ، ولكن ما عسانا أن نقول في ألفاظ الجبر والهندسة مثلاً ، فالهندسة كلمة فارسية وأصلها : اندازه ، أي المقادير ، قال الخليل ! المهندس الذي يقدر مجاري القني ومواضعها حيث تحقر ، وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية ، فصيّرت الزاي سيناً في الإعراب ، لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب ، فلما دخلت الهندسة في علوم العرب وأصلها باليونانية : جومطريا ، لم تألف أذواق العرب هذه اللفظة فوضعوا لها اسماً وسمّوها : هندسة ، فلم يقفوا عند عقبة تعترضهم ، ثم دخلوا في تفاصيل هذا العلم فوضعوا ألفاظ الخطوط والبسائط والمجسمات ، وقسموا كل خط أقساماً فقالوا : مستقيم ومقوّس ومنحنٍ وقالوا : خطوط متوازية وخطوط متلاقية ثم قالوا : زوايا مسطّحة ومجسّمة ، ثم قالوا : زاوية قائمة ومنفرجة وحادة ، ثم قالوا : المحيط والقوس والأضلاع ثم قالوا : القاعدة والقطر والعمود والقوس والسهم .

وهذا باب لا نهاية له إذا تبسّطنا فيه ، ولكننا لم نجد لنا مندوحة عن ذكر بعض الألفاظ المستحدثة حتى نعرف تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، وإذا قابلنا بين هذا العصر الذي ظهرت فيه العلوم ووضعت لهذه العلوم الألفاظ التي تحتاج إليها وبين عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام استطعنا

أن ندرك تطور اللغة الإدراك كله ، واستطعنا أن نحيط بمظمة هذه اللغة ، فاللغة الفنية ، اللغة العظيمة هي التي لا تعجز عن استيعاب ما يدخلها من العلوم والمذاهب والأفكار ، هي التي تستطيع أن تضع لهذه العلوم وهذه المذاهب وهذه الأفكار ما يلزمها من الألفاظ وهذا ما فعلته اللغة في زمن بني العباس ، وهذا الدليل الواضح على تطورها .

وإذا كنا نغني بتطور اللغة على أيتام بني العباس فأننا لا نستغني عن الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي وردت فيه ألفاظ كثيرة تدل على المراكب والملابس والمآكل وغير ذلك مما أحدمه حضارة العصر ، فقد استفادوا من ألفاظ موضوعية وتصرفوا فيها بمحض التصرف فأطلقوها على مسميات بما اقتضته الحاجة ، وإني لا أتوسع في الاستشهاد ، وإنما أقصر على أمثلة بسيطة ، من هذا القبيل مثلاً لفظة الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإثاء الذي يسع رطلاً من التبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم اشتقوا من لفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هذا الرطل وهي أدق من الإثاء أو الوعاء ، فالإثاء عام والرطلية خاصة ، والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

ومن هذا الشكل لفظة العرسيات ، وهم يريدون بذلك الطعام الذي يصنع في الأعراس ، فكما استفحلت عندهم مذاهب الحضارة واتسعت الحياة الاجتماعية امتطاعوا أن يخلقوا لهذه الحياة ما يناسبها من الألفاظ الدالة عليها .

وقد استشهد المرحوم الأستاذ أحمد أمين بلفظة : ندّر الرجل وتندر إذا جاء بالنادرة وتندر بفلان وتندر عليه إذا جعله موضع نادرته . وهذه المادة من مستحدثات اللغة في العصر الباسي ، وردت في كتاب الأغاني .

وقد ذهبوا مذاهب أبعد فاشتقوا من الأسماء صيغاً تدلّ على التشبه بأصحاب هذه الأسماء ، سواء أكانت أعلاماً أم كانت أسماء مدنٍ أو حيوان ، من قبائل العرب قبيلة اسمها اللهازم وردت في شعر الفرزدق ، فقالوا : تلهم فلان إذا دخل في هذه القبيلة أو تشبه بأهلها وكذلك اشتقوا من اسم معبد المني فملاً فقالوا : هذا صوت تمعبد فيه ابن سريج ، أي تشبه بمعبد في القناء ، ووضعوا لفظة البرمكة المشتقة من برمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي .

أمّا البلدان فقالوا : تبعد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها .
وأمّا الحيوان فقد نجد في الأغاني فعل : تقنفذ ، إذا تشبه بالقنفذ في مشيته .

(للبحث تمة)

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٣ -

العرف

Coutume في الفرنسية

Custom في الانكليزية

العرف العادة ، وهو قسماً : العرف العام ، والعرف الخاص .
أما العرف العام فهو مجموع العوائد والتقاليد العامة المنتشرة في المجتمع ،
وأما العرف الخاص فهو مجموع ما يتموده الفرد من أنماط السلوك .
والفرق بين العرف والعادة عند القدماء أن استعمال العادة في الأفعال ،
والعرف في الأقوال . إلا أن المحدثين يفرقون بينها بطريق آخر فيقولون :
العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معاً . لذلك قال بعضهم : العرف
لا يثبت إلا بالتكرار ، على حين أن العادة قد تثبت بمرة .

العرفان

Gnose في الفرنسية

Gnosis في الانكليزية

Gnosis في اللاتينية

العرفان هو العلم بأسرار الحقائق الدينية ، وهو أرقى من العلم الذي يحص
لعامة المؤمنين ، أو لأهل الظاهر من رجال الدين .

والمارف (Gnostique) هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل يغوص على معناها لمعرفة سرها . كالمارفين من اليهود والأفلاطونيين والمسيحيين وغيرهم وهم خمس فرق : (١) الفلسطينيين (٢) والسريانيون (٣) والمصريون (٤) والاسيويون (٥) وأنصار الأفلاطونية الحديثة الذين أخذوا بنظرية التوفيق بين العقائد المختلفة .

ويطلق اسم العرفانية او التنوسية (Gnosticism) على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد وامتد بطريق الافلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام ، وخلاصته أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية وإن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها ، وإن الموجودات فاضت عن الواحد ولها مراتب مختلفة أعلاها مرتبة العقول المفارقة ، وأدناها مرتبة المادة ، وهي مقر الشر والدم . أما النفس التي هبطت إلى هذا العالم فانه لا خلاص لها إلا بالمعرفة ، بل الخلاص بالمعرفة أفضل من الخلاص بالإيمان والأعمال الصالحة . ومع أن بعض المرفانيين يقولون بالاثينية ويمزجون تعليمهم بشيء من الوم والخيال ، فإن العرفانية المسيحية تقول إن الخلاص لا يتم إلا بطريق الحكمة . وللناس في نظرها ثلاث مراتب : أولاها مرتبة المارفين وخلاصهم بالحكمة ، وثانيها مرتبة المؤمنين وخلاصهم بالإيمان ، وثالثها مرتبة الجهال وهم هالكون لا محالة . وكل مذهب يزعم أنه يمكن تفسير حقائق الوجود تفسيراً عقلانياً ، فهو مذهب عرفاني وضده المذهب اللاعرفاني (Agnosticism) وهو القول بأن العقل البشري عاجز عن إدراك الحقائق الإلهية .

ويطلق اصطلاح علم العرفان (Gnoséologie) على نظرية المعرفة (Théorie de la connaissance) ويرادفه لفظ الاستمولوجيا (Epistémologie) ومعناه فلسفة العلوم . والفرق بين اللفظين أن الأول يبحث في منشأ المعرفة

وطبيعتها وقيمتها وحدودها بحثاً نظرياً محضاً ، على حين أن الثاني يبحث في موضوعات العلوم وطرقها وقوانينها ومبادئها بحثاً انتقادياً وتحليلياً مبنياً على الواقع والتجربة .

المشق

(راجع لفظ الحب)

المشق إفراط المحبة ، وله في اصطلاح الحكماء معنيان .

الأول هو المشق الغريزي أو الجذب الطبيعي المحرك لجميع الموجودات ، فإن في كل واحد منها عشقاً غريزياً لكأله كعشق الأجسام الكيماوية بعضها لبعض ، أو عشق الحيوان للغذاء ، أو عشق الفتيان للوجوه الحسان . قال ابن سينا : « من أدرك خيراً فإنه بطباعه يمشقه ، وكل واحد من الموجودات يمشق الخير المطلق عشقاً غريزياً » (رساله المشق) .

والثاني هو المشق الإلهي أو المحبة الخالصة التي يدعو إليها الصوفية ويصفونها بقولهم : ان الجوهر الإلهي في الإنسان إذا صفا من كدورة المادة اشتاق إلى شبيهه ، ورأى بين عقله الخير الأول المحض فأسرع إليه ، وحينئذ يفيض عليه نور ذلك الخير فيتحد به ويشمر بلذة لاتشبهها لذة ، وهذه المرتبة أعلى مراتب الوصول وهي لاتقبل الزيادة والنقصان ، فيها ينكر العارف معروفه والماشق معشوقه ، فلا يبقى هنالك عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ، بل عشق واحد مطلق هو الذات الحق الذي لايدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف .

وعشق الذات هو الإفراط في حب الذات ويسمى في اصطلاحنا بالترجسية (Narcissisme) . راجع هذا اللفظ .

العصاب

Névrose	في الفرنسية
Neurosis	في الانكليزية

يطلق لفظ العصاب على الخلل العقلي الناشيء عن اضطراب الوظائف النفسية كالفكرة المتسلطة (Idée fixe) ، ومرض الشك ، وفقدان الذاكرة والخوف ، والتحذير ، واضطراب الكلام ، أو اضطراب الغريزة . وليس لهذا العصاب سبب عضوي معروف وان كان متصلاً بحياة المريض النفسية والاجتماعية ، وهو مصحوب بألم شديد وبخلل في التوازن العقلي ، إلا أنه لا يغير شخصية صاحبه ولا يفقده هويته ووحدته .

وقد بين بعض العلماء أن هذا العصاب ينشأ عن صراع داخلي بين القوى النفسية ، وبين بعضهم الآخر أنه ينشأ عن اضطراب أو توقف في تطور الوظائف (راجع كتاب بير جانه Les névroses : Pierre Janet) ويطلق اصطلاح عصاب القلق (Névrose d'angoisse) عند (فرويد) على شعور المرء بالضيق النفسي المحض الذي ليس له سبب واضح . وقد سمي هذا العصاب بالحصر النفسي أو الجزع أو الكرب ، وهو وإن كان مصحوباً بالخوف من الوقوع في المكاره إلا أنه ليس نتيجة هذا الخوف .

المضلي (الحس)

Sens musculaire	في الفرنسية
Muscle sens, Muscular sens	في الانكليزية

الحس المضلي هو الحاسة التي تدرك الاحساسات الناشئة عن تقلص

المعيلات أو ارتخائها . وهو مختلف عن الحس المفصلي (Sens articulaire) الذي ينشأ عن أطراف الأعصاب المتصلة بحركات المفاصل .
(راجع الحس الحركي Sens Kinésiaèsique) .

العضو

Organe	في الفرنسية
Organ	في الانكليزية
Organum	في اللاتينية

العضو جزء من الجسم الحي كالقلب والدماغ والمعدة والكبد .. الخ .
ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة معينة يقوم بها ، تقول : أعضاء الحس وأعضاء الحركة ، ويرادفه لفظ الجهاز ، وهو قسم من جسم الإنسان يعمل لغاية معلومة كجهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، وكل جهاز يؤدي عملاً يسمى آلة .

ويطلق لفظ العضو أيضاً على الرجل المشترك في هيئة أو شركة أو جماعة ونحو ذلك ، تقول : عضو المجمع العلمي ، وعضو المجلس البلدي الخ ..

العضوي

Organique	في الفرنسية
Organic	في الانكليزية

العضوي هو المنسوب إلى العضو ، ويطلق على كل جسم مركب من أجزاء ذات وظائف متميزة ومتناسقة تقول : الكل العضوي ، أي الكل المعقني وتقول أيضاً : الوظائف العضوية والكيميائية العضوية .

والعضوي ضد الميكانيكي أو الآلي ويطلق على كل نمو فائيه عن تأثير قوة مركزية داخلية تعمل لغاية معينة فإذا كان نمو الجسم ناشئاً عن اجتماع الأسباب الداخلية والخارجية الفاعلة ولم تكن هذه الأسباب خاضعة لقوة مركزية توجهها إلى غاية معينة لم يكن ذلك النمو عضوياً .

والكائن العضوي (Organisme) هو الكائن الحي .

والمذهب العضوي (Organicisme) ضد المذهب الحيوي (Vitalisme) وهو القول أن الحياة تنشأ عن التنظيم والتمضية ، أي عن تكون الأعضاء واتصافها ببعض الصفات الحيوية الخاصة . ذلك هو المعنى الذي أخذ به (سيسيه - Saisset) في قوله إن لبعض الأجسام خواص زائدة على الخواص الفيزيائية والكيميائية وهي اتصافها بالتفلس والتفليس والإحساس ، وإن الحياة تنشأ عن تكون الأعضاء المتصفة بهذه الصفات ، والمذهب العضوي في علم الاجتماع هو القول إن المجتمع كائن حي وإن علم الاجتماع قسم من علم الحياة .

العِظَم والعَظَمَة

Grandeur

في الفرنسية

Greatness

في الانكليزية

Grandis

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني

العظمة صفة العظيم وهي مادية أو معنوية . أما المادية فهي من الجسم ما ضخم منه ويرادفها العظام ، تقول : عظم الجبل ، وعظم البحر ، وأما المعنوية فهي الكبرياء والجبروت والنخوة والزهو ، تقول : عظمة الملك ، وعظمة الفكر وحب العظمة .

والعظم في الرياضيات يسمى مقداراً وهو كل مايزيد وينقص ، ويرادفه الكم وهو متصل أو منفصل .

والفرق بين العظمة والجلال أن العظمة تستعمل في الأجسام وغيرها على حين أن الجلال لا يستعمل إلا في غير الأجسام .

وعظمة الله وجوبه الذاتي أي استقلاله واستغناؤه عن غيره ، أما كبريائه فهي ألوهيته أي استغناؤه عما سواه واحتياج ما سواه إليه .

والعظيم تقيض الحقير كما أن الكبير تقيض الصغير . فقد يكون الشيء كبيراً ولا يكون عظيماً ، أو يكون صغيراً ولا يكون حقيراً ، لأن العظيم هو العظيم بصفاته المنوية لا بصفاته المادية .

والفرق بين العظيم والكثير أن العظيم يستعمل في الأجزاء المتصلة والأجزاء المنفصلة ، على حين الكثير لا يستعمل إلا في الأجزاء المنفصلة . والدليل على ذلك أن الجبل وهو متصل الأجزاء ينمت بالعظيم ولا ينمت بالكثير ، وإن المال وهو منفصل الأجزاء ينمت بالعظيم والكثير معاً .

وقد يستعمل العظيم في الخير والشر تقول إن الله ذو فضل عظيم وإن الشرك لظلم عظيم .

والأعظام عند الرياضيين أقسام الكم المتصل كالخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، وإذا نسبت بعضها إلى بعض يقال لها مقادير .

وجنون العظمة (Folie des grandeurs , Mégalomanie) حالة نفسية شاذة مصحوبة بفقدان الجهد المادي والمعنوي تدفع صاحبها إلى المبالغة في طموحه ومطامعه ، حتى يتوهم أنه ملك أو نبي أو إله ، أو أنه أعظم الناس ثروة أو قوة أو مرتبة .

(راجع لفظ التقدير) .

العفة

في الفرنسية Tempérance

في الانكليزية Temperance

في اللاتينية Temperantia

العفة هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الشره الذي هو إفراط هذه القوة والجمود الذي هو تفريطها . قال مسكويه : « وأعني بالشره الانهاك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي ، وأعني بجمود الشهوة السكون عن الحركة نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته ، وهي ما ترخص فيه الشريعة والعقل ، (تهذيب الأخلاق ، ص : ٢٧ من طبعة بيروت ١٩٦٦ ، تحقيق قسطنطين زريق) والعفة إحدى الفضائل الأربع الرئيسية التي ذكرها أفلاطون ، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة .

والفضائل التي تحت العفة كثيرة ، منها الحياء ، والدعة والصبر ، والسخاء ، والحرية ، والقناعة ، والدمائة ، والانتظام ، والمسألة ، والوقار ، والورع . وكل فضيلة من هذه الفضائل فهي وسط بين رزيلتين ، فالحياء وسط بين الوقاحة والخرق ، والسخاء وسط بين التبذير والبخل والقناعة هي الاعتدال في الأكل والشرب والزينة الخ . . . وكل من جاوز حد الاعتدال في مأكله ومشربه أو في فعله وسلوكه ، أو في إرضاء رغباته وشهواته لم يكن عذيقاً .

العقاب

Peine , chatiment . في الفرنسية

Pain في الانكليزية

Pœna في اللاتينية

العقاب مايلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن ذنب ارتكبه استحق العقاب .

والمقوبة مايلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا ، ولها في قانون العقوبات درجات متفاوتة أشدها عقوبة الإعدام وأخفها عقوبة الحبس أو الغرامة .

والفرق بين العقاب والعذاب أن العقاب جزاء الشر ، على حين أن العذاب هو الألم الشديد جزاءً كان أو لا . تقول : السفر قطعة من العذاب وكل ما شق على النفس فهو عذاب أي شعور بالألم . وهو مادي أو معنوي . (راجع لفظ الألم) .

العقد

Contrat . في الفرنسية

Contract في الانكليزية

Contractus في اللاتينية

العقد العهد ، إلا أن العهد إلزام مطلق والعقد إلزام على سبيل الاحكام . وهو اتفاق بين طرفين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه تنفيذ ما اتفقوا عليه .

وعقد العمل (Contrat du travail) عقد يلتزم شخص بموجبه أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر .

والمقد الاجتماعي (Contrat social) اتفاق اقتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يمهّد إلى حكم « الإدارة العامة » في جميع مآلديه من قدرات خاصة تنظم بها حياة الكل . قال روسو : « إن الإنسان يربح بالمقد الاجتماعي حريته المدنية، وإن خسر به حريته الطبيعية . » (J. J. Rousseau , Contrat social , I. VIII) .

العقدة

في الفرنسية	Complexe
في الانكليزية	Complex
في اللاتينية	Complexus

العقدة مشكلة تعترض حياة الشخص فينشأ عنها اضطراب في النفس . وهي جملة من التصورات المشحونة بالانفعالات الشديدة تنمو على هامش الشعور الواضح حتى تبلغ درجة السيطرة عليه .

والعقد في علم التحليل النفسي كثيرة منها عقدة النقص أو الصفة ، وتسمّى مركب النقص (Complexe d'infériorité) وعقدة اوديب (Complexe d'Oedipe) وعقدة الكترا (Complexe d'Electre) . وغيرها . أما عقدة النقص فهي موقف عاطفي يسيطر على المرء من جراء شعوره بضعفه المضري أو الجفني ، فيحمله ذلك في كثير من الأحيان على كبت عواطفه ، ويولد فيه حالة عصبية تختلف شتتها باختلاف الظروف الغيطة به والوسائل المتوافرة لديه .

وأما عقدة (اوديب) فهي ميل جنسي مظهره عشق الولد لأمه ، وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (اوديب) الملك الذي قتل أباه وتزوج أمه . وتتألف هذه العقدة من جملة من التصورات والمواقف المتضاربة شعورية كانت أو غير شعورية تتجلى في ميل الولد إلى أمه وبغضه عنها من والده .

وأما عقدة (الكترا) فهي ضد عقدة (اوديب) وتتميز بميل جنسي مظهره عشق الفتاة لأبيها . وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (الكترا) التي أرادت أن تنتقم من أمها لتبسط أسباب قتل أبيها (آغاممنون) ومن صفات هذه العقدة أنها مصحوبة بتعلق الفتاة عن وعي أو غير وعي بوالدها ، وبكرهها لأمها ، وباضطراب تصوراتها وعواطفها من جراء شعورها بالإثم .

وعقدة (الكترا) عند البنات نظير عقدة (اوديب) عند البنين (راجع فرويد 7-30 S. Freud , über Psychoanalyse) ويونغ Yung . L'homme à la découverte .

العقل

Raison , intelligence , intellect في الفرنسية

Reason, understanding intelligence في الانكليزية

intellectual powers

Ratio, intelligentia intellectus في اللاتينية

العقل في اللغة هو الحبر والنهي ، وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من المدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود . والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه (راجع معيار العلم للفراي من ١٦٢ .)

الأول يرجع إلى وقار الإنسان وهيبته ويكون حده أنه هيئة محدودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته .

والثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض من المصالح .

والثالث يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكلها ونقصانها .

أما الكندي (رسالة في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسالة في حدود الأشياء ورسومها) والفارابي (مقالة في معاني العقل) وابن سينا (رسالة الحدود) وغيرهم من الفلاسفة فانهم يطلقون العقل على المعاني التالية ، وهي :

١ — أول هذه المعاني هو القول إن العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها » (الكندي ، رسالة في حدود الأشياء ورسومها) وهذا الجوهر « ليس مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، الإشارات ص ١٧٨) وإنما هو « مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله » (تعريفات الجرجاني) وهذا القول بجوهرية العقل مع نفي المرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة ، فالفارابي عندما يتحدث عن القوة التي تدرك العقولات يقول إنها « جوهر بسيط مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أحدي ، وهو الإنسان على الحقيقة » (عيون المسائل ، ص ٦٤) . وابن سينا لا يتحدث عن القوة العاقلة إلا ليطلق عليها اسم الجوهر ، وهو يسمى الجوهر المتبرئ من المواد من كل جهة عقلاً ، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله : أنا .

٢ — والمعنى الثاني للعقل هو القول إنه قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة . والفرق بينهما وبين الحس أن

الحس لا يستطيع أن يجرد الصورة من المادة على حين أن العقل يستطيع أن يأخذ الصورة مجردة عن المادة ولواحقها من كل وجه . وله عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب : أولها مرتبة العقل الهولاني (Intelligence matérielle) وهو الاستعداد المحض لإدراك المقولات ، وثانيها العقل بالملكة (Intelligence · Habitude) وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات ، وثالثها العقل بالفعل (Intelligence en acte) وهو القدرة على امتثال النظريات من الضروريات ورابعها العقل المستفاد (Intelligence acquise) ، وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لاتنيب عنه ، وفوق العقل الإنساني عقل مفارق وهو العقل الفعال (Intelligence active) الذي تفيض منه الصور على عالم الكون والفساد ، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لاتوجد إلا من جهة الانفعال . وهذا الفرق بين الفعل والانفعال يذكرنا بقول (أرسطو) ان العقل الفاعل (Intellect agent) هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية على حين العقل النفعال (Intellect passif) هو الذي ترسم فيه هذه الصور المجردة .

٣ - والمعنى الثالث للعقل هو القول إنه « قوة الإصابة في الحكم » أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح (ديكارت ، مقالة الطريقة القسم الأول ص ١ من ترجمتنا) وهذا التمييز لا يحصل عن قياس وفكر بل يحصل مباشرة بالفطرة والطبع . فكأن العقل كما قال (الرازي) غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية والبدئية . وقد أشار (ديكارت) إلى هذا المعنى بقوله : ان القاعدة الأولى لطريقته هي أن لايتلقى على الإطلاقات شيئاً على أنه حق مالم يتبين بدهاة العقل أنه كذلك .

فالعقل بهذا المعنى مضاد للحمق ، لأن الحق قلة العقل وفساده ووضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه وهو مضاد أيضاً للهوى لأن الهوى يمنع المرء من الإصابة في الحكم على حين أن العقل يمنع النفس من العدول عن سواء السبيل وينهاها عن اتباع هواها .

٤ - والمعنى الرابع للعقل هو القول إنه قوة طبيعية للنفس مهيئة لتحصيل المعرفة العلمية ، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان . قال ابن خلدون : « ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف ثقلي يأخذه عن وضعه . والأول هو العلوم الحكيمة والفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر ، والثاني هو العلوم الثقيلة الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، (المقدمة ، ص ٤٣٥) ومعنى ذلك أن موضوع الدين معرفة الحقائق التي أوحى بها الله ، أما موضوع العلم فهو معرفة الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يحصلها بعقله الطبيعي دون معونة خارجية . ولهذا العقل الطبيعي في نظر ابن خلدون ثلاث درجات أولاها درجة العقل التمييزي وثانيها درجة العقل التجريبي ، وثالثها درجة العقل النظري .

٥ - والمعنى الخامس للعقل هو القول إنه مجموع المبادئ القبلية (A priori) المنظمة للمعرفة كبداً عدم التناقض ، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية . وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكليتها وعدم تعلقها بالتجربة . قال لينز : « يتميز الإنسان عن الحيوان بأدراكه للحقائق الضرورية والأبدية ،

فهي التي تولد فيه العقل والعلم وتسمو به إلى معرفة ذاته ومعرفة الله ، (Monodologie . 29) . وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة بتأثير (كانت) حتى أصبح الفلاسفة يقولون إن إدراك العقل للعالم لا يتم بما يحصل له من مدركات تجريبية فحسب ، بل يتم بما لديه من معاني فطرية . فاذا قال الفلاسفة التجريبيون : لا يوجد في العقل شيء لم يوجد قبل في الحس والتجربة صحح الفلاسفة العقليون هذا القول بإضافة قيد واحد عليه وهو قولهم : إلا العقل نفسه . ومعنى ذلك أن جملة المبادئ والمعاني الأولية التي يكشف عنها الفكر موجودة في العقل قبل الحس ، وأن العقل الفرزي ليس صفحة بيضاء لم تنتقش بنقش ، وإنما هو ذو رسوم فطرية تنظم معطيات التجربة . وبعض المعاني الكلية كمعنى الكامل والمطلق والانهائي ملازمة للعقل لاتفارقه ، وبعضها الآخر كمعنى الزمان والمكان والعلة والغاية والوحدة حاصلة للعقل بواسطة الفكر . والفرق بين العقل والفكر أن العقل هو مجموع المبادئ الضرورية والمعاني الكلية التي تنظم المعرفة على حين أن الفكر هو حركة النفس في المعقولات من المطالب إلى المبادئ تارة ، ومن المبادئ إلى المطالب أخرى . أما الفرق بين العقل والاستدلال فهو أن العقل نور يدرك المبادئ الضرورية بذاته إدراكاً حسيماً مباشراً على حين أن الاستدلال هو النظر في شروط انطباق هذه المبادئ على موضوعات الفكر لاستخراج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة .

٦ — والمعنى السادس للعقل هو القول أنه الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة . وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه دل العقل حيثئذ على المطلق نفسه . فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا ، ونحن نتلقاه من الخارج كما نستنشق الهواء المحيط بنا ، وكل واحد منا كما يقول

(بوسويه) يشعر بأن في داخله عتلاً محدوداً ، لا يصحح أحكامه إلا باستلزام عقن كلي ثابت لا يتغير ، فأين يوجد هذا العقل انكلي ، انه الله الذي أتطلع إليه ، إنه الموجود ، للانهائي الكامل الذي يتجلى لنفسي مباشرة . فكان هذا العقل الذي أشار إليه (بوسويه) شبيه بالعقل الفعال الذي تكلم عليه الفارابي وابن سينا ، فالله عقل ، وليس عقل الإنسان سوى عقل مستفاد تفيض عليه المقولات من العقل الإلهي . ومع أن (كانت) قد أعلن أن معرفة هذا العقل المطلق ممتعة فإن خلفاءه ولا سيما (شلينغ) يقولون بإمكان معرفته ، وهكذا يتدرجون إلى القول بعقل مستقل عن الفكر أي بحدس شبيه بالهام الشاعر ، يكافح الشك أو الباطل أو الضلال الذي يظهر على مسرح الفكر كأن هنالك فوق الفكر منطقة نورانية أو منطقة سلام دائم يقبض فيها العقل على الحقائق المطلقة دون الاستعانة بالفكر . وقد خلق الله هذا العقل لإدراك هذه الحقائق ، كما خلق العين لإدراك الألوان والأشكال والأذن لإدراك الأصوات . (راجع كتاب فكتور كوزان (Victor Cousin Du vrai , du beau , et du bien , 3^e leçon, 161.

٧ — ويطلق لفظ العقل أيضاً على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك الحسي ، والتداعي ، والذاكرة والتخيل ، والحكم والشعور والاستنراك ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Intelligence) وهو ملكة الفهم وضده الحدس والغريزة . أما ملكة الفهم السريع فتسمى ذكاء .

٨ — العقل المحض والعقل العملي (Raison pure et raison pratique) يطلق (كانت) هذين الاصطلاحين على كل ماهو قبلي في الفكر أي على اللغة المتعالية التي تتضمن مبادئ المعرفة القبلية المستقلة عن التجربة . فاذا نظرت إلى العقل من جهة اشتماله على المبادئ القبلية للمدركات العلمية كان

نظرياً أو تأملياً ، وإذا نظرت اليه من جهة اشتماله على المبادئ القبلية لقواعد الأخلاق كان عملياً . وإذا كان العقل النظري محضاً قارة ومبنياً على التجربة أخرى فإن العقل العلمي لا يمكن أن يكون إلا محضاً . وللعقل عند (كانت) معنى أخص وهو إطلاقه على ملكة الفكر المتعالية التي بها تدرك المعاني المثالية كمعاني النفس والله والعالم ، وهو بهذا المعنى ليس مضاداً للتجربة وإنما هو مضاد للملكة الفهم ، وله ناحية عملية خاصة وهي أن موضوعات الأخلاق (Postulats de la morale) . كالقول بالحرية وخلود النفس ووجود الله متعلقه به .

٩ - العقل المؤلف والعقل المؤلف (Raison constituante et raison

(constituée

العقل المؤلف عند (لالاند) هو الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يؤلف من إدراك العلاقات مبادئ كلية وضرورية ، وهي واحدة عند جميع الناس . أما العقل المؤلف عنده فهو مجموع المبادئ والقواعد التي يعتمد عليها في الاستدلال ، وهي تتغير بتغير الزمان والأفراد ، إلا أنها تتجه مع ذلك إلى الوحدة ، فكان العقل المؤلف هو المساقل ، وكان العقل المؤلف هو المقول .

١٠ - والعقلي (Rationnel) هو المنسوب إلى العقل ، تقول : المبادئ

العقلية والعلوم العقلية . قال (هيجل) كل عقلي فهو موجود بالفعل ، وكل موجود بالفعل فهو عقلي .

والعقلي أيضاً هو المنطقي ، تقول : يجب أن يصبح العلم الرياضي نقطة الابتداء في كل تزية عقلية (أي منطقية) ، وتقول علم الميكانيك العقلي أي

النظري ، وهو العلم الذي يستنبط جميع مسائله من معاني القوة والكتلة والقصور الذاتي وغيرها .

والحياة العقلية (Vie intellectuelle) في علم النفس مقابلة للحياة الانفعالية (Vie affective) والحياة الفاعلة (Vie active) والقيم العقلية مقابلة للقيم الأخلاقية أو الفنية .

١١ - والماقل (Raisonnable) هو الناطق أي المتصف بالعقل وكل من قال في الانسان انه عاقل غنى بذلك أن عقله يميزه من الحيوان . والماقل أيضاً هو الذي يفكر تفكيراً صحيحاً ويحكم على الأشياء حكماً صادقاً ويعمل عملاً صالحاً ، فلا يسمى عاقلاً حتى يكون خيراً ، بخلاف الجاهل الذي يستعمل فكره في فعل الشر ، فلا يسمى عاقلاً وإنما يسمى داهياً أو ماکراً .

والماقل أيضاً هو الذي يعرف كيف يكبح جماح نفسه ويعرض عن كل ما يجاوز نطاق قدرته ويوقعه في المهالك ، ولذلك قيل : دولة الجاهل من الممكنات ، ودولة الماقل من الواجبات .

والماقل أخيراً هو الذي يتقيد بالذوق والعرف العام ، أو بأحكام القيم المقبولة في زمانه ، ويرادفه المعتدل والمتزن .

١٢ - والمقول (Intelligible) ضد المحسوس ، وهو المعنى الكلّي ، والمقولية (Rationalité ou intelligibilité) صفة المقول كمقولية بعض النبادي التي نستخرجها من الارتباط الضروري بين التطورات . ولما كانت المحسوسات منبع الكثير من الخطأ والضلال وكان حاكم العقل يكذب حاكم الحس كانت المعرفة اليقينية مؤلفة من المقولات لامن المحسوسات ، والمقول في بعض المذاهب الفلسفية مرادف للموجود الحقيقي ، تقول : عالم المقولات وعالم المثل ، وتقول أيضاً : معقول الحيوانية ، ومعقول الانسانية ومعقول الحرية ، وهي معان

كلية لها في نظر بعض الفلاسفة ثلاثة أنماط من الوجود : وجودها متكررة في المحسوسات ، ووجودها في العقل البشري بعد الكثرة ، ووجودها في عالم المقولات قبل الكثرة .

١٣- ومبدأ المقولية الكلية (Principe de l'universelle intelligibilité) اصطلاح أطلقه (فويه) في كتابه « فلسفه افلاطون » على الايمان بمقولية الأشياء وهو القول إن كل موجود فهو مؤلف من قوانين العقل الأساسية . فاذا شك المرء في شيء لم يشك فيه لذاته بل شك في قدرته هو على معرفة ذلك الشيء . وإذا قلت إن كل شيء معقول أردت بهذه المقولية ان لكل شيء صورة عقلية تفسره .

١٤ - العقلانية أو المذهب العقلي (Rationalisme) .

المذهب العقلي هو القول بأولية العقل ويطلق على عدة معان :

أ - الأول هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول .

ب - والثاني هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ، لأن هذه التجارب لا تفيد علماً كلياً والمذهب العقلي بهذا المعنى ضد المذهب التجريبي (Empirisme) الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الإحساس والتجربة .

ج - والثالث هو القول إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هنالك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس . مثال ذلك ان المثل عند (افلاطون) والمعاني النظرية عند (ديكارت) والصور القبلية (Formes a priori) عند (كانت) متقدمة على التجربة . فاذا عدت هذه المثل وتلك المعاني والصور شرطاً ضرورياً وكافياً لحصول

المعرفة كانت العقلانية مطلقة ، وإذا عدتها شرطاً ضرورياً فقط كانت العقلانية نسبية .

د - والرابع هو الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة وسبب ذلك في نظر العقليين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول ، وكل معقول موجود . فإذا صح عندهم أن العقل قادر على الاحاطة بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين كان مذهبهم مضاداً لمذهب الايمانين (Fidéistes) ومذهب المتصوفين .

هـ - والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول ان العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل . ولهذه العقلانية ثلاثة أوجه : الأول هو القول ان العقل شرط ضروري كاف لمعرفة الحقائق الدينية ، والثاني هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادئ العقلية ، والثالث هو الدفاع عن العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، (مقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٦)

العقيدة

Dogme	في الفرنسية
Dogma	في الانكليزية
Dogma	في اللاتينية

العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد . وتطلق في الفلسفة على الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية والعقيدة المركسية . وتطلق في الدين على

ما يؤمن به الانسان ويمتقده كعقيدة وجود الله وبمئة الرسل والعقاب والثواب وغيرها .

والاعتقادية أو الوثوقية أو التوكيدية (Dogmatisme) مذهب الذين يؤمنون بقدرة العقل على الوصول إلى اليقين وهي ضد الريية (Scepticisme) وضد الانتقادية (Criticisme) .

وقد يطلق لفظ الوثوقي أو التوكيدي تهكماً على من يتعصب لرأي يسلم به دون تمحيص ، ويحاول فرضه على غيره دون برهان .

العكس

Conversion في الفرنسية

Conversion في الانكليزية

Conversio في اللاتينية

العكس استدلال مباشر يقوم على تصوير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والإيجاب بحاله ، والصدق والكذب بحاله ، وله قسمان : الأول هو العكس المستوي أو التام كما في الكلية السالبة والجزئية الموجبة فإن كل واحدة منها تنعكس مثل نفسها . فإذا قلت : لا شيء من (آ) (ب) صدق : لا شيء من (ب) (آ) ، وكذلك إذا قلت بعض (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) .

والثاني هو العكس الجزئي أو العكس بالعرض كما في الكلية الموجبة التي تنعكس جزئية موجبة . فإذا قلت كل (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) . أما الجزئية السالبة فلا تنعكس ، فليس إذا صدق قولنا ليس كل إنسان كاتباً يجب أن يصدق ليس بعض الكاتب بإنسان .

واللفظ (Conversion) في الفرنسية والانكليزية معنيان آخران الأول هو الرجعة وهي الحركة المضادة لحركة الصدور في الفلسفة الاقلاطونية الحديثة ، لأن الصدور هو فيض العقل والنفس والعالم تنالاً ، ثم فيض الموجودات الفردية عن الواحد أو الخير أما الرجعة فهي عودة هذه الأشياء إلى مبدئها الأصلي . والثاني هو تحول الانسان من مبدأ سياسي أو خلقي إلى آخر أو اعتناقه ديانة غير ديانته .

العلاقة

Rapport , relation	في الفرنسية
Relation	في الانكليزية
Relatio	في اللاتينية

العلاقة بالفتح الارتباط ، وبالكسر ما يعلق به السيف ونحوه . فالفتوح يستعمل في الأمور الذهنية ، والمكسور في الأمور الخارجية المحسوسة . وتطلق العلاقة في اصطلاح المنطقين على ما بسببه يستضجب شيء شيئاً آخر . كملاقة القدم بالتالي في القضايا الشرطية المتصلة ، مثل قولنا في اللزوميات إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود .

وللعلاقة في الفلسفة الحديثة معنيان ، أحدهما عام ، والآخر خاص . فالعلاقة بالمعنى العام تطلق على كل ارتباط بين موضوعين أو أكثر من موضوعات الفكر بحيث يدرك العقل علاقة أحدهما بالآخر بفعل واحد

لا ينقسم ، كملاقة التشابه أو التباين أو المية أو التماثل أو العلية أو النائية أو التضاد .

والملاقة بالمعنى الخاص هي تناسب بين كيتين أو أكثر . مثال ذلك أن علاقة (ب : ج) أو $\frac{ب}{ج}$ هي قياس كمية (ب) بنسبتها إلى كمية (ج) أو هي خارج قسمة (ب) على (ج) ، ولذلك قيل إن الملاقة هي تناسب بين الأشياء أو المقياس المشترك بينها .

والملاقة في علم البيان اثناسية بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكناية والملائق ما يتعلق به الإنسان من أسباب الدنيا وشواغلها . قال القرطبي : « وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمح في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور ، والالابة إلى دار الخلود ، والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى ، وإن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال ، والحرب من الشواغل والملائق . ثم لاحظت نفسي فإذا أنا متغمس في الملائق ، وقد أحدثت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة » (النقد من الضلال ص ١٠٣ من طبعتنا ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٦٧) .

وقد تكون علاقة الإنسان بالإنسان علاقة صداقة أو عداوة أو علاقة مشترك في مسكن أو مهنة أو طائفة أو ديانة أو وطن الخ .. وأعلى هذه الملائق كلها الملائق الانسانية المجردة .

(راجع : النسبة ، والإضافة)

العلّة

Cause في الفرنسية

Cause في الانكليزية

Causa في اللاتينية

العلّة في اللغة معنى يحلّ بالحلّ فيتغير به حال ذلك المحلّ بلا اختيار .
ومنه سمي المرض علّة لآنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف .
وكل وصف حلّ بحلّ وتغير به حاله ممّا فهو علّة ، وصار المحلّ معلولاً
له كالجرح مع المجرّوح وغير ذلك ، وبعبارة أخرى كل أمر يصدر عنه
أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علّة لذلك الأمر ، والأمر
معلول له ، فيتعلّق كل واحد منها بالقياس إلى تعلّق الآخر ، (كليات
أبي البقاء) .

والعلّة عند الأصوليين ما يجب به الحكم .

والعلّة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً
فيه (تعريفات الجرجاني) فعلّة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء إما في
ماهيته كالمادة والصورة أو في وجوده كالنّابة والفاعل .

والعلّة ترادف السبب إلا أنّها قد تغاير فيراد بالعلّة المؤثر والسبب
ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه . وقد قال بعضهم : السبب
ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به ، أما العلّة فهي ما يثبت به
الحكم . ومعظم الفلاسفة الإسلاميين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد
يفضلون استعمال لفظ العلّة على لفظ السبب إلا القرطبي وعلماء الكلام فاتهم
يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلّة .

والملل عند (أرسطو) أربعة أقسام : (١) الملة المادية (Cause materielle) وهي ما لا يلزم عن وجودها بالفعل حصول الشيء بالفعل ، بل ربما كان بالقوة كالخشب والحديد بالنسبة إلى السرير ، (٢) والملة الصورية (Cause formelle) وهي ما يجب عن وجودها بالفعل وجود الشيء بالفعل كالشكل والتأليف للسرير . (٣) والملة الفاعلة (Cause efficiente) وهي ما تكون مؤثرة في الملول موجدة له كالنجار الذي يصنع السرير . (٤) والملة النائية (Cause finale) وهي ما يكون الشيء لأجلها كالجلوس على السرير ، فهو الناية التي من أجلها وجد .

وقد أخذ فلاسفة الاسلام وفلاسفة القرون الوسطى في أوربة بهذه النظرية الأرسطية وقدموا الملة النائية على سائر الملل . مثال ذلك قول ابن سينا : والناية تتأخر في حصول الوجود عن الملول إلا أنها تتقدم سائر الملل في الشيئية ، ومن اليبين أن الشيئية غير الوجود في الأعيان، فإن المعنى له وجود في الأعيان ووجود في النفس وأمر مشترك ، فذلك المشترك هو الشيئية ، والناية بما هي شيء ، فلها تتقدم سائر الملل ، وهي علة الملل في أنها علة .. وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر .. وذلك لأن الملل إنما تصير عللاً بالفعل لأجل الناية ، وليست هي لأجل شيء آخر ، وهي توجد أولاً نوعاً من الوجود فتصير الملل عللاً بالفعل ، ويشبه أن يكون الحاصل عن الخير هو أن الفاعل الأول والمحرك الأول في كل شيء هو الناية ، (النجاة ص ٣٤٥) .

والملة الأولى (Prima causa) هي الملة التي لا علة لها ، او علة الملل ، أو الملة النهائية ، وتطلق عند الحكماء على الله وحده .

والملة الثانية (Cause seconde) هي الملة التي لا فعل لها إلا بتأثير الملة الأولى وهي قريبة (Prochaine) أو بعيدة (Eloignée) .

وفرقوا بين العلة الأساسية (Cause principale) والعلة الادائية (Cause instrumentale) والعلة المباشرة (Cause directe) والعلة غير المباشرة (Cause indirecte) ، والعلة التامة والعلة الناقصة والعلة المدة . أما العلة الأساسية فهي العلة التي تنفرد بالتأثير في الشيء ، وأما العلة الادائية فهي الآلة التي سيتم بها وجود الشيء ، وأما العلة المباشرة فهي التي تحدث الشيء بلا وسط ، وأما العلة غير المباشرة فهي التي تحدث الشيء بوسط ، وأما العلة التامة وتسمى بالمستقلة فهي تمام ما يتوقف عليه الشيء في ماهيته ووجوده أو في وجوده فقط ، وأما العلة الناقصة فهي بخلاف ذلك . وأما العلة المدة فهي التي يتوقف عليها وجود الملول من غير أن يجب وجودها مع وجوده .

وقد وسع (ديكارت) معنى العلة الأرسطى فأطلقه على العلاقات الطبيعية والعلاقات المنطقية معاً . وهذا متفق مع روح مذهبه الذي يمد العلاقات المنطقية أساساً للعلاقات الطبيعية . فإذا قلت إن (A) علة (B) أردت بذلك أن وجود (A) يستلزم وجود (B) اضطراراً . ومعنى ذلك أن العلاقات السببية شبيهة بالقياسات الاقترانية التي يكون فيها وجود المقدم شرطاً لوجود التالي .

أما مايرانش فانه يطلق معنى العلة التامة على الشيء الذي يؤثر في غيره من دون أن يفقد شيئاً من طبيعته أو من قدرته على التأثير ، وهذه العلة التامة مختلفة عن العلة الظرفية (Cause occasionnelle) التي لا تفرض بين الأشياء أي ارتباط ضروري بل تقول بالحصول عنده لا بالحصول به ، على النحو الذي ذهب إليه (الغزالي) .

وأما (كانت) فإن الملة عنده تدل على تركيب خاص قوامه أن شيئاً مثل (T) يوجب أن يصدر عنه وفقاً لقاعدة معينة شيء آخر ، مثل (ب) يختلف عنه تماماً ، ومعنى ذلك أن علاقة الملة بالمول ليست تركيباً تجريبياً ، وإنما هي تركيب عقلي ، وهي لا تكني بملاحظة حدوث المول بعد الملة ، بل تتضمن وجوب هذا الحدث وضرورته .

وأما (استوارت ميل) فإنه يطلق لفظ الملة على الظاهرة أو الظواهر المتقدمة التي تكون الظاهرة المسماة بالمول قالية لها دائماً . وهذا المعنى وإن كان حالة خاصة من مفهوم الملة عند (كانت) إلا أنه يختلف عنه بإهمال ما في تعاقب الظواهر من ارتباط منطقي أو ضروري . وهو بهذا المعنى قريب بعض الشيء من مفهوم الملة الظرفية المتضمن معنى الحدث عنده .

والملة مطلقاً متقدمة على المول تقدماً ذاتياً . إلا أنها من جهة ما هي موجودة بالفعل مقارنة للمول في الزمان .

العلم

Science	في الفرنسية
Science	في الانكليزية
Scientia	في اللاتينية

العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينياً كان أو غير يقيني وقد يطلق على التعقل ، أو على المعرفة إطلاقاً ، أو على إدراك الكل مفهوم ما كان أو حكماً ، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، أو على إدراك الشيء على ما هو به ، أو على إدراك حقائق الأشياء وعلاها ، أو على إدراك المسائل عن دليل ، أو على الملكة الحاصلة من إدراك تلك المسائل .

والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم يقال على إدراك الكلّي والمركب على حين أن المعرفة تقال على إدراك الجزئي أو البسيط . وقد يقال إن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة لأن المعرفة قسماً معرفة عامية (Connaissance vulgaire) مشتملة على آراء وأحكام عفوية تكسبنا إياها التجربة ، ومعرفة علمية (Connaissance scientifique) تبحث عن علل الأشياء وتكشف عن قوانينها الطبيعية الثابتة وإذا علمنا أنه لا علم إلا بالكلّيات أدركنا أن غاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وهي غاية نظرية ، بخلاف المعرفة العامية التي تنقيد بالتأثير العملية ولا يبلغ العلم نهايته إلا بتأليف المعاني وتنسيقها ونظمها وتنظيمها في قوانين جامعة .

ومعنى ذلك كله أن من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتميم ، وأن يكون بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسأله لا بالاستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الضرورية ، بل بالاستناد إلى ما بين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدريج ويحققونها ويثبتونها بطرق محدودة .

ولكل علم موضوع ومنهج يميزانه من غيره ، إلا أن الفلاسفة يصنفون العلوم المختلفة ويرتبونها صنفاً صنفاً ، ليسينوا ما بين موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدانية .

ولنذكر الآن بعض هذه التصنيفات على سبيل المثال .

١ — من تصنيفات العلوم في الفلسفة القديمة تصنيف أرسطو الذي زعم أن عقولنا تطلب العلم الاطلاع أو الإبداع أو الانتفاع ، وأن العلوم تنقسم بحسب هذه الغايات الثلاث إلى علوم نظرية (كالرياضيات والطبيعات) وعلوم شعرية (كالبلغة والشعر والجدل) وعلوم عملية [كالأخلاق والاقتصاد والسياسة] . ومنها تصنيف ابن سينا الذي زعم أن العلوم

نظرية وعملية ، وكل قسم من هذين القسمين يتقسم عنده إلى ثلاثة أقسام ، فأقسام العلوم النظرية هي العلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي ، وأقسام العلوم العملية هي علم الأخلاق ، وتدير المنزل ، وتدير المدينة . ومنها تصنيف ابن خلدون الذي زعم أن العلوم صنفان الأول هو العلوم العقلية وهي طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر ، وتسمى بالعلوم الحكيمة وتشتمل على أربعة علوم المنطق ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي ، والثاني هو العلوم النقلية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، وتشمل التفسير والقراءات والحديث وعلم الفقه وعلم الفرائض وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها .

٢ - ومن تصنيفات العلوم في الفلسفة الحديثة تصنيف (يكون) وتصنيف (آمبر) وتصنيف (أوغوست كومت) .

الأول مبني على الملكات العقلية الضرورية لتحصيل العلم ، وهي ثلاث ملكات : العقل وهو أساس العلوم الفلسفية ، والخيال وهو أساس العلوم الشعرية ، والذاكرة وهي أساس العلوم التاريخية .

والثاني تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها وهي قسمان ، العلوم الكونية وموضوعها المادة ، والعلوم المعنوية وموضوعها الفكر ، ولكل من هذين القسمين الكبيرين فروع مختلفة .

والثالث تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها ، وهي ستة علوم أساسية : علم الرياضيات ، وعلم الفلك ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، وقد رتب العلوم على هذا النحو عملاً بالمبادئ التالية : وهي مبدأ ازدياد التعقيد وتناقص التعميم ، ومبدأ التعلق والاستقلال النسبيين ، ومبدأ النشوء التاريخي ، ومبدأ التعليم . (راجع كتابنا في المنطق ص ١٣٦ - ١٤٠) .

العلوم التطبيقية (Sciences appliquées) — هي العلوم التي تطبق قوانين العلم النظري لبلوغ غايات معينة كعلم الطب وعلم الكهرباء الصناعية وعلم الاقتصاد الزراعي فهي علوم تطبيقية تستمد مبادئها من العلوم النظرية المقابلة لها ، فعلم الطب فرع من علم الحياة ، وعلم الكهرباء الصناعية فرع من علم الفيزياء .

العلوم الإنسانية (Sciences humaines) اصطلاح حديث يطلق على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية أو الأخلاقية ، وهي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم أفراداً وجماعات . وليس كل علم يت إلى حياة الإنسان بسبب ، علماً إنسانياً ، لأن علم تشريح بدن الإنسان مثلاً ليس قسماً من العلوم الإنسانية وإنما هو قسم من العلوم الحيوية أو الطبيعية .

العلم الأوسط (Science moyenne) — للعلم الإلهي في نظر مولينا (Molina) ثلاثة أقسام وهي العلم بالممكنات ، والعلم بالحوادث الحاضرة ، والعلم بالحوادث الشرطية . أما العلم بالممكنات فهو علم العقولات ، وأما العلم بالحوادث الحاضرة فهو العلم بالمحسوسات ، وبين هذين العلمين علم شرطي يبحث فيما يمكن أن يحدث من الأشياء عند تحقق بعض الشروط ، ويسمى هذا العلم الشرطي بالعلم الأوسط .

والعلوم القاعدية (Sciences normatives) هي العلوم المؤلفة من أحكام انشائية أي أحكام قيم خاضعة للنقد كعلم الجمال ، وعلم الأخلاق ، وعلم المنطق وغيرها .

والعلوم الخفية (Sciences occultes) هي علم السحر ، والطلسمات ، والنجوم والكيمياء والسيمياء ، وعلم أسرار الحروف ، وعلم استحضار الأرواح وغيرها .

والعلمي (Scientifique) هو المنسوب إلى العلم تقول المعرفة العلمية والروح العلمية (Esprit scientifique) ويطلق هذا الاصطلاح الأخير على العقل المنظم الواضح الذي لا يقبل بصدق حكم إلا بعد تحقيقه ، والتدقيق فيه ، وإقامة البرهان عليه .

وفي وسعك إطلاق اسم العلم على علم بعينه أو على مجموع العلوم ، فإذا قلت إن تقدم المجتمع الإنساني رهن بتقدم العلم عنيت بذلك مجموع العلوم ، وإذا قلت إن العلم قد برهن على أن كل نجم ثابت فهو شمس دل لفظ العلم هنا على علم معين وهو علم الفلك .

والعلم في الاصطلاح الحديث ضد الأدب ويطلق على العلوم الصحيحة (Sciences exactes) كالرياضيات والفلك وعلى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وهذا الاصطلاح الذي ثبتته أنظمة الجامعات بانقسامها إلى كليات علمية وكليات أدبية لا يخلو من الاضطراب ، لأن بعض الدراسات الإنسانية التي تتم في كليات الآداب كعلم النفس وعلم الاجتماع تريد أن تتصف بصفات العلم الصحيح . وإذا كانت لم تبلغ هذه الغاية حتى الآن ، فمرد ذلك إلى حداثة نشأتها . . وقد فرق حكماءنا في الماضي بين العلم الحسولي والعلم الحضورى . فالحسولي هو حصول صورة الشيء عند المدرك ويسمى انطباعاً والحضورى هو حضور الأشياء أنفسها عند العالم كعلمنا بذواتنا وبالأمور القائمة بها . ومن هذا القبيل علمه تعالى بذاته وبسائر الموجودات .

وفرقوا أيضاً بين العلم العقلي الذي لا يؤخذ عن الغير ، والعلم الانفعالي الذي يؤخذ عن الغير .

وفرقوا أخيراً بين العلم الضرورى وهو ما يحصل من غير فكر وكسب ، والعلم الاكتسابى وهو عقلى وعملي ، فالعقلي هو ما يحصل بالتأمل والنظر ويسمى بالعلم النظرى ، والعملى هو ما يحصل بالعمل والتجربة .

العمل

Action في الفرنسية

Action في الانكليزية

Actio في اللاتينية

العمل هو الفعل والمهنة والصنعة تقول عمل عملاً فعل فعلاً عن قصد . والفرق بين العمل والفعل (Acte) أن العمل أخص والفعل أعم ، لأن الفعل قد ينسب إلى الجمادات كما في قولنا فعل الطبيعة أو فعل الحرارة ، أما العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر وروية وقصد . وهو يحتاج إلى امتداد الزمان أما الفعل فقد يتم دفعة من غير بقاء . ولهذا قرن العمل بالعلم حتى قال بعضهم إنه مقلوب عنه تنبيهاً إلى أنه من مقتضاه .

وقد يطلق العمل على كل فعل حادث على الفاعل نفسه دون تأثير خارجي فيعم بهذا المعنى أفعال القلوب والجوارح ، أو يطلق على التأثير الذي يحدثه الفاعل في غيره ، فإذا نسب العمل إلى الفاعل كان فعلاً ، وإذا نسب إلى القابل كان انفعالاً . ومعنى ذلك أن الفعل والانفعال اسمان لملاقة واحدة وإن اختلفت معانيهما باختلاف نسبتها .

وقد يراد بالعمل الفعل المهني أو الصناعي كقول ابن خلدون : « الأعمال أصل المكاسب » (المقدمة ص ١٥٠) وقوله : « والمران ووفوره وتمام أسواقه إنما هو بالأعمال وسمي الناس في المصالح والمكاسب » (المقدمة ص ٢٨٧) ، وقوله : « المكاسب إنما هي قيم الأعمال ، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها » (المقدمة ص ٣٦٠) وقوله : « فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتناؤه من وجوهه » (المقدمة ص ٣٨١) .

وإذا أطلق العمل على النشاط الإنساني دل على الجهد المعنوي أو الأدبي الذي يبذله الفاعل للتغلب على أثاره .

والفرق بين العمل والفكر أن العمل يدل على النشاط المعنوي من جهة ما هو مجموعة من الملكات ، أو على كل ما يحيط بالفكر من عناصر قاعة تقدمه أو تهبطه أو تصعبه أو تجاوزه ، إلا أن العمل متصل بالفكر وإن اختلف عنه . قال ابن خلدون : « أول العمل آخر الفكرة ، وأول الفكرة آخر العمل ، فلا يتم فعل للإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع في فعلها ، وأول هذا الفكر هو السبب الآخر ، وهو آخرها في العمل ، وأولها في العمل هو السبب الأول ، وهو آخرها في الفكر ، ولأجل العثر على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأعمال البشرية ، (المقدمة ، ص ٨٣٩ من طبعة بيروت) ويطلق العمل في علم الميكانيك على حاصل ضرب الطاقة في الزمان ، وفي علم النفس على كل نشاط تلقائي أو مكتسب ذهني أو جسمي ، وفي علم الأخلاق على كل فعل يهدف إلى غاية ويصدر عن إرادة ، وفي علم الاقتصاد على كل مجهود يبذله الإنسان لتحصيل منفعة ، وفي الفن المسرحي على الحادثة التي تدور عليها القصة . والأعمال الأربعة في علم الحساب هي الجمع والطرح والضرب والقسمة .

ومن المبادئ المتعارفة بين العلماء مبدأ الاقتصاد في العمل وهو أن الطبيعة لا تتبع في أفعالها إلا أقصر الطرق وأقربها ، وهي لا تفعل شيئاً عبثاً بل تريد أن تحصل على أكبر النتائج بأقل جهد . قال ابن خلدون : « إن الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأعوص والأبعد ، (المقدمة ص ٥٢٩) .

والعملي هو للنسوب إلى العمل وهو ضد النظري . مثال ذلك قول ابن سينا : إن العلم قسمان نظري وعملي ، وقد سمي النظري نظرياً لأن غايته القصوى هي النظر وسمي العملي عملياً لأن غايته هي العمل (ابن سينا) .

وجملة القول إن معنى العمل قريب من معنى الفعل والتأثير والشغل والجهد ، وله فاحيتان إحداهما نسبه إلى الفاعل من جهة شعوره الداخلي بالجهد ، والثانية نسبه إلى الحركات الخارجية من جهة ما هي مظاهر لذلك الجهد . وإذا نسبته مجازاً إلى أفعال الطبيعة كعمل الماء في النار أو عمل الحرارة في الأجسام ، تخيلت أنه أشبه شيء يجهد بذله الشيء للتأثير في غيره . ذلك معنى قولهم : إن لكل شيء في الطبيعة عملاً ، وإن ما لا يعمل لا بقاء له . وذلك أيضاً معنى قول (فاوست) في البدء كان العمل . وفي هذا القول الأخير إشارة إلى أزلية الصيرورة من جهة ما هي حالة للأشياء ناشئة عن أسباب كامنة فيها ، كما أن فيه تنبيهاً إلى تقدم اللاعقلي على العقلي وإلى اتصاف جميع الكائنات بأحوال تتضمن بذل جهد شبيه بالجهد الذي تشعر به في داخلنا .

وفلسفة العمل (Philosophie de l'action) مقابلة لفلسفة النظر . والمقصود بالعمل في هذه الفلسفة ، كل نشاط انساني مشتمل على الفكر والإرادة والتحقيق الفعلي وكل فلسفة تقدم العمل على النظر ، أو تربط أحدهما بالآخر كالبرغماتية والادائية أو النرائمية فهي فلسفة عملية .

وتطلق فلسفة العمل أيضاً على فلسفة (موريس بلوندل) المشتملة على توضيح علاقتين إحداهما علاقة النظر بالعمل ، والأخرى علاقة العلم بالإيمان والفلسفة بالدين .

(راجع كتاب موريس بلوندل . Maurice Blondel : L'action 1893) .

العموم

Généralité في الفرنسية

Generality في الانكليزية

العموم ضد الخصوص ، وهو صفة المعنى العام من حيث شموله لجميع الأفراد . قال ابن سينا : « لو كانت الحيوانية توجب أن لا يقال عليها عموم أو خصوص لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام » (الشفاء ، ص ٤٨٧ — ٤٨٨) .

والعموم عندنا معنيان أحدهما مجرد والآخر مشخص .
فالعموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستقرة فيه ، وهو مساوق لمعنى الضرورة ، لأن ضرورة المفهوم ملازمة لمعومه ، كما أن عمومه ملازم لضرورته . ولا يختلفان إلا في أن معنى الضرورة يتضمن معنى العموم على حين أن معنى العموم يقتضي وجود الضرورة ولا يتضمنها .

والعموم بالمعنى المشخص أو اليني يشمل جميع الأفراد في صف معين أو أكبر عدد منهم كقولنا عموم التلاميذ أو عموم السكان .

العمى

Cécité في الفرنسية

Blindness في الانكليزية

العمى في اللغة عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً ، فالحجر مثلاً لا يتصف بالعمى لأنه ليس من شأنه أن يبصر . وقد يطلق العمى على غير البصرات فيقال عمى العقل وعمى القلب .

فالمصاب بمعنى العقل (Cécité mentale) لا يفقد بصره بل يفقد معرفة الأشياء المدركة بالحوس ، وإن كانت مألوقة لديه .

والمصاب بالمعنى اللفظي (Cécité verbale) يرى الكلمات المكتوبة ويقرأها ولكنه لا يفهم معانيها .

والمصاب بالمعنى الخلقي (Cécité morale) لا يفرق بين الخير والشر .
وعمى الألوان (Achromatopsie) قسمان كلي وجزئي . فالكلي (Cécité chromatique) هو المعجز عن إدراك لون بعينه أو عن تمييز ذلك اللون من غيره .

ويطلق على المعجز عن إدراك الفرق بين الأحمر والأخضر اسم الدلتونية (Daltonisme) نسبة إلى ج . دلتون (J. Dalton) الذي كان أول من أشار إلى هذه الظاهرة .

العناية

Providence	في الفرنسية
Providence	في الانكليزية
Providentia	في اللاتينية

العناية هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمله . وهي عند الحكماء مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها . قال ابن سينا : « العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير . وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان وراضياً به على النحو المذكور فيمقل نظام الخير على

الوجه الأبلغ في الامكان فيفيض ما يعقله نظاماً ما وخيراً على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضاً على أتم تأدية إلى النظام بحسب الامكان ، (النجاة ، ص ٤٦٦) .

والفرق بين العناية والقضاء والقدر أن القضاء هو وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة وبجملة على سبيل الإبداع ، على حين أن القدر هو وجودها الخارجي في الأعيان مفصلة واحداً بعد واحد ، أما العناية فهي علم الله بالموجودات على أحسن النظام والترتيب ، وعلى كل ما يجب أن يكون لكل موجود من الآلات بحيث ترتب عليها جميع الكالات المطلوبة منه . ومعنى ذلك أن في مفهوم العناية تفصيلاً ، إذ هي تعلق العلم بالوجه الأصح والنظام الأكمل بخلاف القضاء فإنه العلم بالموجودات جملة . والخلاصة أن العناية هي إحاطة علم الله بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايته . فإذا كان العالم خاضعاً لنظام ثابت ، وكان لهذا النظام قوانين أرادها الله لخبرته نتائجها كانت العناية عامة . وإذا كان الله يتدخل في شؤون العالم تدخلاً شبيهاً بتدخل الإنسان في مجرى الحوادث كانت العناية خاصة . قال مالبرانش : إن عناية الله قسماً ، أحدها أن الله لما خلق العالم وبدأ بتحريك المادة أجرى إرادته بأن لا يكون في الطبيعة وفي تعلقها بنعمته أقل خلل ممكن . والآخر أنه كلما شاهد في نظام الطبيعة خللاً أصلحه بمعجزاته شريطة أن يؤدي ذلك إلى تحقيق النظام المطلوب . لأن النظام عند الله قانون كلي لا يتخلل عنه أبداً .

العنصر

Elément في الفرنسية

Element في الانكليزية

Elementum في اللاتينية

العنصر في اللغة الأصل والجنس ، يقال فلان كريم العنصر ، وفلان من الآري والسامي . وجمعه عناصر ، وتسمى أيضاً بالأمهات والمواد والأركان والاسطقسات . قال ابن سينا : « العنصر اسم للأصل الأول في الموضوعات فيقال عنصر للحمل الأول الذي باستحالته يقبل صوراً تتنوع به الكائنات ، (رسالة الحدود) ، وعنصرا الجسم عندهما المادة والصورة . وقال الخوارزمي : « الأسطقس هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب كالخجارة والقراميد والجذوع التي يتركب منها القصر ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، وكالواحد الذي يتركب منه العدد ، (مفاتيح العلوم ص ٨٢) . ومعنى ذلك كله أن عناصر الأشياء أجزاءها البسيطة ، وعناصر اللغة ألفاظها ، وعناصر المعرفة مبادئها ، وعناصر المثلث خطوطه وزواياه ، وعناصر المجتمع أفراده .

ويطلق العنصر في الكيمياء على المادة الأولية التي لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط منها ، إما نسبياً وإما مطلقاً . فالذرة في الكيمياء عنصر بسيط ولكنها في الفيزياء الذرية شيء مركب ، وكل ما يدخل في تركيب الشيء فهو عنصر له كالهيدروجين والأكسجين في تكوين الماء ، والأفكار في إنشاء المقال ، والأجزاء في تركيب الآلة ، والكتائب في تأليف الجيش .

والعناصر عند القدماء أربعة وهي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .
وعنصر القضية عند المنطقيين هو الكيفية الثابتة للنسبة بين طرفيها
وتسمى مادة القضية .

العين والعيني

Concret	في الفرنسية
Concrete	في الانكليزية
Concretus	في اللاتينية

العين ما يدرك بأحدى الحواس الظاهرة أو بالخيال ويسمى بالصورة
أيضاً ، ويطلق على مقام نفسه جوهرأ كان أو جسماً ، ويقابله المعنى
وهو مقام بالغير كالأعراض والوجود العيني هو الوجود الخارجي المقابل
للوجود الذهني ، والأعيان الثابتة هي صور العالم .

واسم العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد ، واسم المعنى
هو الاسم الدال على معنى لا يقوم بنفسه وجودياً كان كالعلم أو عدمياً
كالجهل . وقد يراد باسم المعنى مادل على شيء باعتبار معنى صفته سواء كان
قائماً بنفسه أو بغيره كالملكتوب والمضمحل . والعيني هو الشخص الذي يدل
على الظواهر الجزئية مرئية كانت أو مسموعة ، والعيني أيضاً هو الذي
يصور المعاني العامة بأمثلة محسوسة . فإذا صورت الفضائل بالأمثلة الحسية
كان تعليمك للأخلاق عينياً مشخفاً ، وإذا استخرجت الفضائل من المبادئ
العامة كان تعليمك مجرداً .

والعيني مادل على الشاخص ، أي على الوجود بالفعل لاعلى كيفية من
كيفية قط ، وهو ضد المجرد ، وفيما يلي أمثلة من أسماء العين
والأسماء المجردة .

أسماء العين	الأسماء المجردة
الوجود	الوجود
الإنسان	الإنسانية
الحكيم	الحكمة
الأيض	البياض

والوجود في الأعيان مقابل للوجود في الأذهان .

(يتبع)

جميل صليبا



الثقافة الإسلامية بالمغرب

بين المرابطين والموحدين

كان الشرق الإسلامي في عنفوان ازدهاره ، وريمان إشراقه ، بالحكمة الدينية الطيبة الثرى ، الراسخة الأعراق ، الملتفة الأغصان ، التي أثمر في روضتها اليانعة : المنطق ، والكلام ، وأصول الفقه ، والجهد ، والفقه ، والتصوف .

وكان العقل الإسلامي قد اقتدى بالإمام الغزالي وسار على محجة التطور البعيدة المراحل ، وراء تلك الشعلة الوضاعة من المعرفة والرشاد .

لما كانت بلاد المغرب العربي ، من أقصى الأندلس إلى افريقية ، قد وقعت في أزمة خائقة من أزمات العقل والمعرفة ، بظهور قوة ناشئة خرجت من وسط افريقية ، مندفعة بحرارة إيمانها ، تقطع رمال الصحراء الكبرى إلى ضفة وادي درعة ، وواحات سجلماسة ، فاذا وهاد المغرب ونجاده تقبل بأعناق المباري الصهب ، قد تمكنت من غواربها أجسام بشرية ملتحفة الأثواب الزرق ، ومثلثة بها ، يلين الحديد ولا تلين ، وتخبو النار ولا تنطفىء حرارة تلك النظرات المتقدة بين أطباق اللثام .

أولئك هم المرابطون الذين انبعثوا ينشئون عاصمة المغرب الجديدة : مدينة مراکش ، ويمدون رواق سلطاتها على طول المدوة الافريقية ببلاد المغرب ، ثم يرمون بحبل النجاة إلى المدوة الأندلسية ، في يوم الزلاقة العظيم ، لتقوم الشوكة وتحمي الدولة تحت ظل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كانت هذه الحركة رشيدة في الحكم ، سديدة في السياسة ، منقذة للإسلام من الخطر الذي داهمه في بلاد الأندلس ، ولكنها كانت سلطة قوية ، وإيماناً تقياً ، يشد السواعد ، ويقوي النفوس ، من قوم بعداء عن الحضارة والعلم ، متجافين عن النظر الحكيم العميق ، متمسكين بالفطر الأولى ، مقتنعين بنتائج الأنظار الساذجة .

فكان من أثر ذلك انهم لما وجدوا في أقطار المغرب العربي التي انتظمت في سلطانهم ، وجدوا تبايناً في الأنظار ، وتخالفاً في المذاهب بين الجانبين إلى شواهد الحكمة النظرية ، والمخيلين إلى بسائط الظاهر المأثور ، ووجدوا آثار ذلك الاختلاف بادية في طرائق الدرس والتأليف ، ومناهج التربية والتعلم . فكان من الضروري أن ميلهم يتجه إلى مساندة أبسط المناهج وأقربها من متناول إدراكهم ، وانهم إذا وجدوا الاختلاف راجعاً إلى الدين وطرائق فهمه ، بادروا بيساطتهم إلى الإسراع بالحكم بأن الذي انشرفت إليه صدورهم من ذلك هو الدين فقط ، وبادروا - بما هم عليه من حرارة الإيمان - بأن ما خالف ذلك جدير بالدحض والمقاومة ، وان ينزل بمن يقول به ما هو أهله من مقت وعذاب .

وعلى ذلك وجد الرابطون في مدينة قرطبة نزعة تقليدية التزامية ضيقة ، طالما فاءت بكلها على أهل البحث والنظر ، وأحرقت مواهب العلم الحق ، والفقه الصحيح ، إذ سارت على طريقة التقليد ، بحيث أصبح عمل المقلدين حجة لا يلتفت بعدها إلى كلام أئمتهم الأولين ، وهذه هي النزعة التي شكها منها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب العواصم بثته وحزنه مما لقي بقاء العلم بالأندلس من عنت أهل قرطبة ، قال : « صار التقليد ديدنهم والافتداء بغيرهم فكثرت أقدامهم بغير حقروا أمره ودفنوا في صدره إلا أن يستتر عنهم بالمالكية ، ويجعل ما عندهم من علوم على رسم التبعية ، فان

جاءم بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين وسرد لهم الإبراهيم عرفوا جوانبه وتَجَوُّوا عجائبه ، وعبّوا حقه استكباراً وعتواً ، وجحدوا علمه وقد استيقنته أنفسهم ظلاماً وعلواً ، وقد زاد في تأصيل هذه الحالة وإحكامها العملية الكبرى التي كان قام بها ، منذ القرن السابع ، الحاجب المنصور ابن أبي عامر بقرطبة عند موت الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمان الأموي وولاية ابنه هشام المؤيد ، فانه عمد إلى خزائن المستنصر وأخرج منها كل ما كان استجلبه من الشرق من عيون التأليف في العلوم الحكيمة ، قديمة وحديثة ، فأمر بإحراقها وإهلاكها ، وقد وصف صورة ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم وقال : إن المنصور إنما فعل ذلك تحيياً إلى عوام الأندلس وتقييحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم .

وقد استمرت هذه النزعة التريبية المستولية على مدينة قرطبة زداد ضيقاً وحدة وعنفاً ، وتمصففتها على التوالي بأعلام بارزين في غزارة العلم ومثانة الدين ، حتى دخل يوسف بن تاشفين إلى قرطبة ، فتجانت زعته الشخصية مع تلك النزعة ، واشتد تأثيره بها ، وعظمت ثقته على الذين لا يتولونها ، ولا يسلكون سبيلها ، فأصبح سلطانه ناراً مسعرة على أهل البحث والاجتهاد في الفقه ، وسيفاً قاطعاً للمشتغلين بالكلام والحكمة ، فهجر بذلك النظر في الأصول ، وتمسك الناس بظواهر العقيدة السلفية ، والتزموا في الفقه النصوص الفرعية ، وتجاؤوا عن طرق التخريج في الفقه والتأويل في العقيدة .

وتفاقم أمر هذا التضيق بعد وفاة يوسف بن تاشفين في عهد ابنه علي الذي ولي عرش مراکش في نهاية القرن الخامس فكان في عهده الضغط الذي تعدى إلى درجة النقي ، والاعتدال ، ونهب المنازل ، وإثارة المظاهرات الصاخبة ، ومصادرة الكتب ، وإحراقها ، وتمزيقها .

ولقد أحس علي بن يوسف والذين تظاهروا معه على ما كان يضطلع به من قتل للنبوغ العلمي : ان تلك الحركة التي ظهرت بالشرق فألفت بين الحكمة والدين حتى أخرجت شطأها في كتب حجة الإسلام الغزالي هي التي تمرد روح التحرر الفكري بالآندلس بمادة امتعاشه ، وترش من ماء العلم على تلك القلوب الميتة ، كما قال ابن العربي ، فعرفوا أن في كتب الغزالي حجة لا تدحض على ما كانوا يناكبون في سبيل دحضه من الجمع بين الحكمة والشريعة والحقيقة لمن أخذ بمعاهد العلوم من أعلاها ، فتآمروا على أن يحولوا بين كتب الغزالي وبين الناس ، إذ لا يمكن أن يدفع تأثيرها غير ذلك كما قال البحري :

شجوا حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع حتى بلغ الأمر إلى أن أقيم مجمع بقرطبة لإحراق كتاب الإحياء للغزالي ، وصدرت الأوامر إلى أطراف السلطنة المرابطية بإحراقه ، واعتقل في مراکش من كان يتوسم فيه إنكار تلك الفعلة من أنصار العقيدة الأشعرية ، وأتباع الطريقة الغزالية القشيرية : مثل ابن العريف الذي مات أسيراً في مراکش ، كان هذا الضغط البالغ القاسي يجد في وجهه إسكاراً أبلغ ، وتحدياً أقسى ، إذ كانت المدارك العلمية الواسعة والأفكار النيرة قد تشربت عقيدة الأشعري ودرجت على نهجها ، واتخذت كتب الغزالي دليلاً على ذلك المنهج ، وطار صيت الغزالي إلى المغرب ، فارتفع وعشش ووجد نابعة البلاد التونسية ومجتهد المذهب المالكي ومجدده الإمام أباعبد الله محمداً المازري يحميه مقامه تحت الحكم الصنهاجي بتونس ، من طائفة المرابطين وغائلتهم فوجدوا فيه أخاً معاوناً على خدمة الأشعرية ، ومشاركاً في الارتواء من منهل إمام الحرمين ، فقد أقبل المازري على كتب إمام الحرمين والغزالي في أصول الفقه ، يقررها ويمتق عليها بما هي أهله ، وكتب على كتاب البرهان لإمام الحرمين شرحين

أحدهما يتبع النص والآخر بمسيرة المعنى ، يذكر فيها الغزالي ذكرًا مرددًا مع ذكر القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني ، ويكثر من قرن الغزالي بإمام الحرمين معبراً عنه بكنيته «أبو حامد» ومخصصاً إمام الحرمين بلقب «الإمام» ومتصلاً لتعزيز كلام الغزالي وتوجيهه ، كاتصابه لتقرير كلام إمام الحرمين في ما يختلف فيه إمام الحرمين عن الغزالي من تفاريق المسالك ، وبهذه الدراسة الأصولية تمكّن المازري من تحرر واسع في تقرير الأحكام الفقهية على منهج اجتهادي هو منهج الاختيار والترجيح الذي جعل أعلام طريقته فيه شيوخه : أبا الحسن اللخمي ، وعبد الحميد الصائغ ، فكان هذا التجاوب بين الغزالي والمازري من أقوى العوامل في الخروج بمقام الغزالي عن الدائرة المذهبية الضيقة ، إلى دائرة الحكمة الإسلامية المشاعة ، وكان هذا الصيت الذي طار له بالمغرب على لسان الإمام المازري ، قد طار نحو الغزالي بقلوب الشبان النابغين من أبناء المغرب الكبير التطلعين إلى أرواح الحكمة السامية المنبثة من بين أوردانه فهجروا أوطانهم وشدوا الرحلة للقاء حجة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء النوابغ الإمام الشهير الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي الذي كانت رحلته مبدأ فتح فكري ، والإمام المهدي محمد بن قورمات التي كانت رحلته مبدأ فتح سياسي .

كان أبو بكر ابن العربي برماً بالوضع الذي عليه العلوم الدينية في الأندلس ، متطلماً إلى منبع الحكمة الأشعرية ، مشوقاً إلى لقاء الغزالي ، فسافر مع والده سنة ٤٨٥ هـ . في مستقبل شبابه وقصد المدرسة النظامية ببغداد ، إلا أنه وجد الغزالي قد انقطع عن الدرس والعلم وأقبل على طريقة الرياضة الصوفية والخلوة والسياسة ، وخرج من بغداد إلى الحج ، ثم إلى الشام ومصر ، فأقام ابن العربي في بغداد خمس سنين متحرراً على أنه لم يظفر

بطلبه في لقاء النزالي ، مستوحشاً من ذلك الفراغ الذي خلفه وراءه في بغداد ، والحسرة التي سادت بسبب ذلك ساحات المدرسة النظامية وعامة أوساط العلم في بغداد حتى كان من عجائب الأقدار أن النزالي دخل إلى بغداد في سنة ٤٩٠ هـ . في طريق عودته من الشام إلى إيران ، فأقبل عليه ابن العربي إقبال المشوق اللفنان ، وتلقاه النزالي بقبول طيب ، وتفرغ له بصفة خاصة ، فقرأ عليه محاوره ومناقشة ، وتمكّنت منزلته العلمية من نفسه ، واطمأن إلى طريقته الحكيمة الدينية ، وكان يلقبه تودداً وتحمياً بلقب تعظيم فارسي هو لقب « دانشمند » .

وعاد ابن العربي إلى الأندلس يهاجم وينظر وبفيض غيوث الأنظار العالمية محاضرة ، وتدرّسا ، وتحريراً ، وينقح الفقه المالكي بتحقيقه لمناط الأحكام ، ونظره في أدلتها ، وتقضه على الفقهاء ما كان يفتون به تقليداً أو عن ضعف دليل ، فملا كتبه النفيسة العجيبة بذكر النزالي ، والتعلق بمتين عجزته ، وجليل إعظامه ، والتلذذ بإعادة محاوراته ، وتجديد مطارحاته ، ومقابساته ، مع أن ما تشربه من حرية البحث وكرامة المعرفة ، كان يدفع به إلى مناقشة أستاذه وحبيه دانشمند في كثير من أقواله وآرائه ، مثل بحوثه المستفيضة معه في كتاب « العواصم من القواصم » حول مسألة إدراك النفوس بذاتها للحقائق بطريق الانكشاف وتأثيرها في النير عند التجرد ، ولم يسلم ابن العربي ممّا أصاب أسلافه من فحول العلماء من الحن ، فقد استهدف فتناً كثيرة ، وثورات عليه هوجاء ، نهب فيها منزله ، وأحرق كتبه ، حتى انتهى أمر المرابطين بظهور الدعوة الموحدية التي أسسها المهدي ابن تومرت ثاني الاثنين الذين جعلناها على رأس الراحلين من المغرب للقاء النزالي ، وكأن الأقدار أرجعت المهدي إلى المغرب ليثار للنزالي من الذين أرادوا إنكار فضله ، وغمط حقه ، بإحراق كتاب الإحياء ، وهم المرابطون ،

فكانت دعوة المهدي بن تومرت عاملاً في إقامة دولة الموحدين التي أسقطت دولة المرابطين وورثت عاصمتها ، فأقامت على مبادي* الأشعري وطرائق الغزالي ، أقوى دولة عرفها تاريخ الإسلام في المغرب على يد عبد المؤمن بن علي ، ولم تنته حياة ابن العربي حتى اشترك في إقامة تلك الدعوة ، وقصد من إشبيلية إلى مراکش ليقف بين يدي عبد المؤمن خطيباً بلسان أهل إشبيلية ، وكأنه قنع من الدنيا بلوغ ذلك الموقف فكانت وفاته في طريق عودته من مراکش قرب مدينة فاس التي دفن أمام سورها .

كان المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي قد أحس بوطأة الضغط الشديد الذي ضيق عليه الأنفاس في ما أحاطت به من هيكلي جسمه قبضة حكم المرابطين .

وكانت الأعضاء التي خرجت عن تلك القبضة الحديدية الخائقة وهي البلاد الشرقية في الشمال الإفريقي تنداعى ألماً وغماً من ألم الضغط النازل على سائر الأعضاء التي كانت يد المرابطين تعصبها عصب السلة وكان هذا الألم يقوى ويشتد عندما تشر المناطق الغربية من هذا الشمال الإفريقي بأن حكم أهل الشام قد أقام بينهم وبين بقية بلاد المغرب العربي سدوداً حاجزة ، فكسكت الأوصال ، وقطعت الأرحام ، وجعلت الفرقة سارية في روح الوحدة القومية الكبرى ، لما تجاوزت بها حدود القواصل السياسية وأوضاع الدول ، إلى مفاوز الفروق الاعتقادية والنازعات الدينية .

على أن ما كان للمرابطين من عمل سياسي مجيد في إقناذ الأندلس وتوحيدها وضمها إلى مملكة الإسلام في المغرب الإفريقي ، وإن أكسب تلك الدولة قوة نفوذ وحسن قبول ، فقد زاد في الحسرة التي امتلكت القلوب من جراء الفتنة الاعتقادية التي أبعدت المجتمع عن تحقيق مثله العليا على نسيه ما قربت آماله في تحقيق تلك المثل بانضمام الأندلس .

فالحركة الفكرية الناشطة في البلاد التونسية ، بتواصلها مع مراكز الثقافة الإسلامية في الشرق ، وبعد صيت محورها الإمام المازري وخصب نتاجه العلمي المتناهي لاتجاهات الحكم المرابطي ، كانت بذلك كلاً ممدداً مغذياً لروح الصلابة في التجاني عن طرائق العقائد المرابطية وجسراً مذكياً لروح التمرد عليهم والثورة في وجوههم ، فكانت خلق العلم منابع فياضة بالتوجيه إلى العمل الإيجابي في سبيل حماية الحرية الدينية والحفاظ على شعلة الحكمة الكلامية العالية التي كادت حركة المرابطين أن تطفئ فورها ، عمّ ذلك جميع البلاد التي انتظمت في حكم المرابطين بالأندلس والمغرب الأقصى والبلاد الجزائرية ، فكان الناس يشدون الرحلة من تلك الأقطار مترامين على مجالس دروس الإمام المازري بالمهدية ، مثل ما جاء أبو بكر ابن العربي ، وعبد المنعم ابن الفرس ، وأعلام من نبغاء الفكر والأدب ، علاوة على الذين لم يتمكنوا من الرحلة فقمعوا بالاتصال بالإمام المازري . بطريق المراسلة ، يستجيزونه ، ويطلبون كتبه ، ويستمطرون من فوائده ، ويطارحونه المسائل ، كما فعل ذلك القاضي عياض وابن رشد الحفيد ، وبمثل ذلك علا نجم المازري في أفق المغرب كله بين عدوتيه الأفريقية والأوربية حتى عرف « الإمام » لقباً غالباً عليه فكان اسمه واسم النّزالي اسمين مقترنين تتعلق بهما أنظار المستهدين على طريق الحكمة الإسلامية ، كما يهتدى بالفرقدين .

وكان من عجيب القرائن إن إشراق هذين الكوكبين في سماء الفكر يقابله أقول طامس اعترى نجم الحكم المرابطي بدخول الدولة في دور الوجود الأجذب ، لما فارقت نشأتها الساذجة ، وطلعتها الحادة ، وأخذت إلى النعمة والترف ، واليذخ واللذة ، فأضاعت شبابها لما أضاعت عصبيتها الدينية الصلبة الطاهرة ، وأقبلت على الهرم المضني ، والشيخوخة الفانية ، وتجرأت عن محاسنها ، وتمحضت لمساوئها ، وتشرب منها المجتمع روح الانحلال فانتشرت فيه المفاسد وسادت الشهوات وسيطرت الأثانية .

وكان هذا القرآن العجيب ، بين نجم صاعد ونجم آفل ، قرأنا لا يدرك بالتهجيم والحزاء ، بل يدرك بالذكاء والدهاء ، والفطرة السليمة ، والسياسة القويمة ، وذلك هو ما أعطيه شاب من قبائل المصامدة ، سكّان الأطلس الكبير ، كان يشرف من صياحي الجبال الثم على مدينة مراکش فيتوسم فيها ما حدثته به النفس التواقّة من أن يوماً قريباً سيأتي على المدينة الحمراء تبكي فيه من بناها ذلك هو محمد بن تومرت ، نشأ في بيت بربري من بيوت الرباط والنسك ، فشبّ قارئاً ، محباً للعلم ، متشرباً بروح الثقافة العربية الإسلامية ، وكان هذا المنصر البربري الجبلي الذي ينتسب إليه ابن تومرت يشمر بمكاته المظيمة من الأرض التي استقرت فيها دولة المرابطين ، ويدرك شأنه العظيم في إسناد تلك الدولة بمسالتها وتأمينها ، ويعلم ، إلى جنب ذلك ، أن دولة الملتمين لا تؤتي إلاّ من جهة ذلك التيار الديني القوي الذي تريد أن تدافع سيوله ، تيار العقيدة السنيّة التي عليها الخلف من أجيال المسلمين الصالحين ، وحيك في نفسه هذا التوقع لقرب مصرع الدولة الممتونية ، فأصبح مرتبطاً بذانته حتّى اقترن بها وهمّها ، وأصبح محمد ابن تومرت في نظر نفسه هو روح الفناء المنبعثة على دولة المرابطين ، وأحسّ بأن كل عمل في سبيل تكوين شخصيته وإغاثتها ، وتربية كيائها الأدبي ، هو سلوك لطريق القضاء على الملتمين ، واستشرف بنظره إلى الجهة التي كان يتنسم منها أنفاس المقاومة المستمدة من توجيه الحكمة الإسلامية الجديدة ، فخرج من وطنه وليس أمام عينيه إلاّ المازري والغزالي ، ودخل البلاد التونسية ، ثمّ قصد مصر ، والحرمين الشريفين ، والعراق ، وكانت العراق يومئذٍ مركز الحركة الحكيمة التي اتجه بها الإسلام وجهته الجديدة ويذكر الكثيرون ممّن ترجعوا ابن تومرت : أنه لقي الإمام المازري بالمهدية ، ولقي الإمام الغزالي في بغداد ، وقد ذهب الزاعمون في اجتماعه بالغزالي إلى أبعد

من ذلك ، إغراقاً في الوم ، فجعلوا الغزالي يخبره من مستقبل أمره بعلم خفي ، ويخبره بالدولة التي سيقمها ، وكل هذه أخبار واهية لا دليل عليها ، بل الذي يقتضيه ما ذكره المؤرخون ، من تأريخ دخول ابن تومرت إلى العراق : أنه لم يلق الغزالي أبداً ، لأن الغزالي لم يكن يومئذ بالعراق بل إن أكثر مدّة إقامة ابن تومرت بالشرق كانت بعد وفاة الغزالي .

ولكن الأمر الثابت : أن هذا المبقرى البربري قد تشرب في رحلته الشرقية الحكمة الأشعرية ، وتعلّق بها ، لما كان لها من الانسجام مع تطلعه إلى قوّة تؤثر في تقويض ملك المرابطين ، فجعل التعلّق بالأشعرية والالتصّار لها درعاً استلّام فيها لمهاجمة قرنه وجعل المهدوية السيف الذي يحمل به ، وسواء أصبح لقاء ابن تومرت للغزالي أم لم يصبح لها من شك في أن ابن تومرت كان على منهج الغزالي وأنه قد وجه دعوته وعمله على ذلك المنهج .

إلا أن الذي يرجّح في نظرنا أن الأشعرية والغزالية لم يكونا عنده غاية مقصودة بالخدمة والنصرة وإنما كانتا وسيلة لتحقيق مقصد سياسي ، إنه قد اتّحل ، إلى جنب أشعريته ، عقيدة ينكرها الأشاعرة ويدحضونها ، كما ينكرها أهل السنة قاطبة وهي عقيدة الإمام المعصوم ، التي يقول بها الشيعة الإمامية ، وتلك هي التي قال فيها ابن خلدون : إنه لم تحفظ عنه فلتة في البدعة غيرها .

ومن هنا نستطيع أن نتبع مراحل الحرب الفكرية الاعتقادية التي شنها محمد بن تومرت على دولة المرابطين ، حتى انتهت إلى حرب دامية ، قضت على المرابطين ، وعفت آثارهم في ميداني الحكم والعلم .

فقد ابتداء ابن تومرت ظهوره في البلاد المغربية من ليبيا، وكان ظهوره ذلك في صورة عالم سني أشعري ينتصر للعقائد السلفية بالحجج العقلية، ويأخذ بطريقة تأويل التشابه، ويمتني بإبراز هذه الطريقة وإظهار النكير على الذين عدلوا عنها، ويمجنح مع ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقدم على تغيير المنكرات التي كانت متفشية يومئذ في المجتمع المغربي، فكان بهذا العمل يثير الثارات ويتعرض للأذى. وتقل على هذا المسلك من طرابلس إلى المهديّة، إلى بجاية إلى جبال الوشريس، إلى تلمسان، إلى فاس، إلى مكناس، إلى مراكش، عاصمة الدولة، وكان ملكها يومئذ علي بن يوسف، وفي هذه الرحلة لقي ببجاية أول أتباعه عبد المؤمن بن علي الكومي، فلابزمه في بقيتها إلى مراكش، وفي مراكش ابتدأت مقارعات ابن تومرت ومناظراته، وفيها تهجم لأول مرة على الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين بوعظ في جامع الرابطين، يوم الجمعة، أغلظ له فيه القول، ثم خرج إلى أغمات وجرت له فيها مناظرات خرج بعدها مختفياً في خفارة القبائل البربرية في جبال الأطلس، ثم قصد بلاد السوس قزّل في قبيلته هرغة سنة ٥١٥ هـ وبني هنالك رباطاً للعبادة والتعليم، وألف مختصراً في العقيدة سماه «المرشدة» جملة باللسانين العربي والبربري، وأخذ يعلّمه الناس عامة وخاصة: من طلبة رباطه، وعامة القبائل في أرض السوس، ولقب أتباعه الموحدين، وتلقّب بينهم بـ «الإمام» وسار في تأليف تلك الجماعة وتوجيهها على التدرج في الدعوة والتعليم للوصول إلى الناية المقصودة، على نحو ما هو مسلوک عند دعاة الشيعة الباطنية من ترتيب الدعوة ومنازلها.

ولما لاحظ ابن تومرت أن الدعوة المرابطة السلفية قد أقنعت الناس بوجوب اتباع السنة وتحصيل الأحكام الفقهية منها، فقد بنى ترتيب دعوته على بيان طريق تحصيل الفقه في السنة فبسط في ذلك كلاماً أوله «أعزّ

ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مفتحه وهو قوله « أعز » ما يطلب ، فصار لقباً عليه ، وقد بني هذا الكتاب على مباحث : ترجع إلى الأخبار ، وطرق النقل ، والفرق بين التواتر وأخبار الآحاد ، بصورة عليها سمى من طرائق الأصوليين من الأشاعرة ، في الفكرة والمرض والمصطلح ، ثم عقد كتاباً خاصاً للصلاة والطهارة جعل مداره على استخراج الفقه من الأحاديث وتنزيل نصوص القرآن ، ثم كتاباً في الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالمقل يثن فيه معنى القياس باعتباره راجعاً إلى دلالة اللفظ ، ثم يأتي كتاب آخر للكلام على مباحث الألفاظ ، من الموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والحقيقة والمجاز ، وغيرها ، على طريقة علماء الأصول ، فمتدا يطمئن أنه قد ربط التلقين بتوجيهات علم أصول الفقه ، يتدى كتاباً للكلام على العلم وطرق تحصيله ، ثم آخر للكلام على المعلومات وأقسامها ، وآخر للكلام على الوجود وتقسيمه ، لإثبات واجب الوجود على طريقة علماء الكلام حيث يتخرج من السنة الأثرية إلى الكلام المنطقي بصورة غير مشعور بها ، ثم يحتم بيان معنى العبادة وشروطها وكيفية ربط التكليف العملية بالأصول الاعتقادية ، وتعليم من هم مظنة السؤال عن ذلك طرق الإرشاد واختلاف أحوال المسترشدين ، ومن هذا كله ينتظم كتاب الدعوة الموحّدية المشهور باسم « أعز » ما يطلب ، وإن كان مفصلاً على كتب مفتحة ومختوم كل كتاب منها بما يؤهم أنه تأليف مستقل ، على طريقة المتقدمين في تقسيم التأليف الواحد إلى كتب مستقل بعضها عن بعض ، ويعتبر هذا التأليف وهو « أعز » ما يطلب ، ثاني تأليف ابن تومرت بعد « المرشدة » .

وله كتاب ثالث هو كتاب العقيدة وهو سالك مسلك كتب العقائد الأشعرية المتأثرة نهج كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني ، مع اختصار وجنوح إلى الرواية ، ويتبع كتاب العقيدة تساييح للتذكير بقواعد التوحيد والتزيه ، وبعد ذلك يأتي كتاب رابع هو بيت القصيد ، وهو كتاب الإمامة ، فيتدته بتقرير عقيدة لزوم الإمام المعصوم وسوق علاماته ، التي يشير بها إلى نفسه ، ثم ينتقل إلى بيان ما عليه طوائف أهل الباطل الذين يسميهم بالمشمين ويطبق عليهم أخباراً نبوية عن سوء مصيرهم في الآخرة ، ويصف ما أحدثوه من المناكر حتى ينتهي إلى وجوب مخالفتهم وتحريم معونتهم ، ثم إلى وجوب جهادهم وفضل الصبر على ذلك الجهاد ، وتبشير الذين يجاهدونهم بأنهم الموعودون بما وعد به القائمون على الحق ، وبيان أركان الإيمان التي يجب أن يمسك بها أتباع تلك الطائفة الموعودة بالنصر ، حتى ينتهي إلى تقرير أحكام الجهاد ، شاملاً الجهاد بالنفس والجهاد بالمال .

وقد جمع هذه المقالات وأملأها تليذه الأول ومؤسس دولته عبد المؤمن ابن علي فأملأها ونسجت من إملأاته وأسند سماعها إلى مجالس سنة ٥١٥ في رباط هرغة ، فكانت دستور دولة الموحدين والدول التي قامت على أسسها في شمالي إفريقيا والأندلس ، وكانت إلى جنب ذلك مكونة لحاصل عظيم الأهمية في تاريخ الفكر هو إعداد الجوة الفكري في المغرب العربي لحياة الحكمة الأشعرية وبعث حركتها ناشطة من عقالها ، لإبراز النتائج البنية على المواخاة بين فروع الثقافة الإسلامية : مواخاة تغذي الدين بالحكمة ، فلقد كانت الصدمة المنيفة التي اصطدم بها تيار النظر الحر ، الجامع بين الدين والحكمة ، من طرف النصور بن أبي عامر ، ثم من طرف المرابطين ، صدمة ذات أثر بعيد في وقف حركة التقدم الفكري ، وقطع ما بين الدين والحكمة من عوامل التلاقح ، التي ازدهرت بها الحكمة الدينية في المشرق .

وكما حكى ابن العربي أن أصحاب الحكمة الدينية العليا كانوا يستترون بالتقليد المذهبي في الفقه ، ويجهلون نظرتهم في علم الكلام تاباً خفياً ، فكذلك كان الحكماء المتفلسفون يتظاهرون بالاعتصار على علم الطب والعلوم الحسائية ، ويكتُمون ما عندهم من الحكمة ، مستترين بما يظهرونه مما تجوز عليهم فيه مثل الحساب والفرائض والطب ، كما حكى ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم .

ولقد كادت الحكمة أن تعاود عهد ازدهارها بالأندلس ، عند سقوط قرطبة وقيام ملوك الطوائف ، لولا أن الخطر الإسباني ، ثم الحكم المرابطي ، قد قطعا دونها ذلك الأمل ، فانكسرت الحكمة إلى يوتهم عاكفين على كتبهم منطوقين على أنفسهم وما منهم إلا متمثل باليتين القديين لابن عبد ربه الحفيد :

لما عدمت مؤانسا وجليسا نأدمت بقراطا وجالينوسا

وجعلت كتبها شفاء تفردي وهما الشفاء لكل جرح يوسى

فلما انتصرت الحكمة الدينية متمثلة في المهدي ابن تومرت على المرابطين ، وأدالت دولتهم ، كان ذلك الانتصار رافعا لحاجز كان قائما في طريق تقدم الحكمتين ، وحائلا دون تواصلها ، فاندفعت بارتفاع الحاجز القوة المكبوتة واستأنفت سيرها من حيث وقفت ، بما بقي مكنونا فيها من فاعلية تيار السير المقطوع .

هنالك أبرز العلماء ما كانوا يضمنون بآرازه : من كتب الحكمة والكلام وأصول الفقه والجدل والتصوف ، وأظهروا نظرم فيها ، وتدارسهم لها ، وصدعوا بالتتويه بها وتمجيدها ، وصرحوا بما بين ما كانوا يظهرون ، وما كانوا يخفون ، من وحدة لا ترضى بتفكك أوسالها .

وبهذا الاندفاع الجديد أصبحت طائفة العلماء ، من أهل الحكمة الدينية ، وأهل الحكمة الفلسفية ، ظهيرا للدولة القائمة دولة الموحدين ، لا في سلبية

التوارد على كراهية الحكم الرابطي فحسب ، بل في إيجابية المثل الأعلى من توجيه الدين بالحكمة ، وتحليله بالمنطق ، وهو المثل الذي بدا في مذهب الإمام المهدي ، وما يقوم عليه ذلك المذهب من قواعد الحكمة الإسلامية ، التي أسسها الأشعري ، وأسندها الغزالي .

وبذلك أصبحت لابن تومرت منزلة مشاعة بين عصبيتين متظاهرتين : عصبية سياسية تمثلها دولة عبد المؤمن بن علي وأشياعها ، وعصبية مذهبية تمثلها المتطلمون إلى نصرة الحكمة الدينية المحجوزون طويلاً في ما مضى من دولة الرابطين على مواصلة سبيلهم نحو ما تحرّقوا عليه من إعلاء شأن الحكمة ، وارتبطت ثانية العصبيتين بأولاهما حين بادر التمسكون بالأشعرية والمازرية ، في الكلام المدلل والفقهاء المطلل ، إلى الانصال بسدد الدولة الموحدية ، كما سافر القاضي أبو بكر ابن العربي إلى لقاء عبد المؤمن بمراكش .

ومن جهة أخرى بادر التمسكون بالتعاليم الفلسفية والأنظار الحكيمة إلى هذه الدولة يؤازرون التكلمين والفقهاء في تأييدها ونصرها ، والدخول تحت طاعتها ، كما فعل ذلك الفيلسوف الكبير أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ، والحكيم الاشراقي الأعظم القاضي أبو بكر بن الطيفيل صاحب القصة الفلسفية الخالدة «حي بن يقظان» .

وكان هذان الحكيمان الجليلان : ابن باجة ، وابن الطيفيل ، متعاضدين في القطر والعصر ، متقاربين في المذاهب والأنظار ، على ما بينها من فروق دقيقة في آراء ترجع إلى كليات أصول الحكمة ، وجزئيات من مسائلها ، زيادة على أن واحداً منها لم يلق الآخر ، وكان أم ما يتلاقيان فيه شعورها بأن الحكمة التي أقامت نهضة العلوم الدينية وألفت فيما بينها ، وهي حكمة الغزالي ، قد كان يبدو عليها شيء من التضارب ، باختلاف الباني ، وتفاوت المقامات ، وتباعد النيات ، إذ يمتنع تارة إلى الوقف بمراحل الحكمة عند

حدّ البرهان ، ويسمى تارة أخرى إلى التجاوز بها إلى غاية الاشراق ، وذلك عين ما كان أخذه أبو بكر ابن العربي على الغزالي من الناحية الكلامية ، وشجبه عليه ، في كتاب المواسم من القواصم .

وكان ابن باجّه متصلياً في نقد الغزالي متمسكاً بطريقة التعاليم الأرسطوطاليسية ، واثقاً بأن إدراك أهل النظر لما بعد الطبيعة إنّما يكون بالبحث الفكري ، فجاء ابن الطفيل ، على إعجابه بابن باجّه وطريقته ، يكشف أن مذاهب الحكمة ، على ما بينها من اختلاف الأساليب والطرائق ، هي متلاقية متكاملة وليست بمتباينة ، ولا متنافرة ، وإن الحكمة النظرية تنتهي بمشعبها إلى موقف مبتدئ من ورائه مراحل الحكمة الإشراقية ، وبذلك يأخذ على الغزالي أنه قرّر المذاهب متخالفة ، ولم يسلم من الوقوع في أحدها بعد الآخر ، على طول البحث ويمثل لذلك بكتاب « تهافت الفلاسفة » ، مع اعترافه بأن الغزالي قد سعد السعادة القصوى ، وأنه رجل أدبته المعارف ، وحذقته العلوم ، ثمّ ينتقد فلسفة ابن باجّه بأنها قصرت عن غاية الحكمة ، ولم بفضل إلى حقيقة الكمال ، ثمّ يصعد إلى الفارابي وابن سينا ، فيأخذ على الفارابي تنطّعه في الاغترار بالفلسفة ، اغتراراً بنا به عن حكمة الدين ، وبأخذ على ابن سينا أنه جرى على مذهب أرسطوطاليس فلم يستطع أن يصل به إلى الكمال ، فمدل إلى الحكمة الشرقية .

وكذلك كانت الحكمة في نظر ابن الطفيل ملتزمة من المبادئ المشائية والغايات الإشراقية ، وانيست كاملة ، لا بالفلسفة التعليمية ولا الأفلاطونية الحديثة ، وإنّما هي متكاملة لاجتماعها كلّها على صورة يحقق بها كلّ مذهب ناحية من نواحي الكمال هي النواحي التي لا تتلاقى جهاتها إلاّ باجتماع الدين والحكمة ومعرفة ما بينها من ارتباط .

وذلك هو الذي كانت الحكمة الأندلسية في تيه عنه ، وكانت الحكمة الإسلامية الرائجة بالشرق ، بعد ابن سينا ، قد أدركته أو قربت فيه ، بما ظهر من خلاصة الأسرار الحكيمة التي صرّح بها الشيخ الرئيس في كتاب الإشارات ، وكشّى عنها بضرب المثل في قصة حي بن يقظان ، وما ظهر في كتب ابن مسكويه « الفوز الأصغر » ، والفوز الأكبر ، من استناد يساعد العقيدة بالعلل الفلسفية . وعلى هذا الاطمئنان العجيب إلى اتصال حقيقة الحكمة العقلية بحقيقة الحكمة الدينية أقبل ابن طفيل على الدولة التي جعلت شعارها إمامة المهدي في الجمع بين الحقيقتين ، فانتقل من المدوة الأندلسية إلى المدوة المغربية ، حتى اتصل بالسلطان يوسف بن عبد المؤمن ، فطارحه حكمته وحجّب إليه مبادئه وربط سلطة الموحّدين بخطّ مذهبه الفلسفي ، ولم يزل نصب عين ابن الطفيل ، منذ استقرّ بمراكش في قصر الموحّدين ، ذلك الشاب الناشئ تحت دوحتي الحكمة ، المتضلع من درسي الشريعة والفلسفة : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المعروف بابن رشد الحفيد .

نشأ هذا الشاب في بيت الفقه وانقضاء ، وتطلع إلى أسمى مراقي النظر العلمي ، فاتصل في حداثة أمره بالإمام أبي عبد الله المازري : شدّ الرحلة إليه في إفريقية ، وتخرّج به في تحقيق النظر الفقهي على مدارك الشريعة وأصولها ، وتلافئ منه أصول الطريقة الكلامية الأشعرية التي كان المازري يخوض لججها مع إمام الحرمين التزالي .

وفتح ابن رشد عينيه على روض العلوم الحكيمة بالأندلس ، وقد زكا نبته ، وأينع زهره ، بتقلّص سلطان المرابطين ، فأقبل على قلعة القدماء وأقن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية ، واستخرج كنوز الحكمة المجهولة ،

فتماطف على رأسه غصنان من علوم الإسلام وعلوم الأوائل ، فلم يجد خريفاً يهديه سبيل الحكمة المأمون ، غير القاضي ابن الطفيل ، فكان هو الذي أوقفه على ما يزكي الحكمة من الدين ، ويزكي الدين من الحكمة ، على النحو الذي عرضه في قصة حي بن يقظان .

وكان ابن رشد في الوسط السنّي الفقهي ، الذي نشأ فيه بقرطبة ، متصلاً اتصالاً محكماً بآثار أبي بكر ابن العربي وأخباره ، فقد أخذ عن تلاميذه : مثل الحافظ ابن بشكوال ، ووقف بذلك على ما كان للغزالي من أثر في ابن العربي ووقفه ، ووقف على آثار الخلافات الفقهية والاعتقادية التي تارت بين مالكية الأندلس وابن حزم ، وما تركت من دوي متجاوب الأصدا في قرطبة ، ووقف على كتب ابن حزم ، واعتمد عليها في تأليفه ، فحقق ما يهد به النصفون لابن حزم ، وإن خالفوه ، من سعة العلم ، وحياة الذهن ، وقوة المعارضة ، حتى أنه على ظاهره اعتنى بالحكمة العقلية وألف كتاب التقريب لحدود المنطق الذي قال القاضي صاعد « أنه بسط فيه القول على تبين ريق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقية ، وجوامع شرعية ، وخالف أرسطوطاليس في بعض أصوله » . فكانت هذه المثل من اسمها الحكمة العقلية لتقر الفقه موجّهة لابن رشد إلى مجازاة أربابها ، باستعمال الحكمة التي كان يشعر ، تبعاً لأستاذه ابن الطفيل ، بأن الناس من قبل لم توصّلوا إلى صحيحها .

على هذا التأثير الذي بطرت به روح الحكمة المجددة على نفس الحفيد ، ترك ابن الطفيل صاحبه ابن رشد بقرطبة لما استقر هو في مراکش .

فلم تزل بوارق الأمل في تلك البقعة تلمع بين عينيه حتى لحق ابن رشد بمراكش سنة ٥٤٨ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ولقي الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن بواسطة أستاذه ابن الطفيل ، وحاوره

حواراً فلسفياً راقياً ، أثبت له رسوخ قدم الخليفة الموحد في الحكمة بصورة يندر وجودها عند أمثاله ، وبسبب ذلك رغب ابن الطفيل من ابن رشد ، بما له من التمكن في اللغة اليونانية ، أن يتولّى دراسة كتب أرسطوطاليس وترحها وتلخيصها حتى يخرج بها عن دائرة الغموض التي كانت تحيط بها .

اتدب إلى ذلك ابن رشد وبذل نفيس عمره في خدمة الفلسفة وتحقيقها وبسطها واعتمد على مذهب أرسطو فجعله قطب النظر ، وقارنه وناظره بالمذاهب ، وعلّق عليه بالنقد والتصويب ، ويثّن منزلة بعض المواضيع من بعض ، ونسبة بعض المذاهب من بعض ، واحتفل خاصة بقسم ما بعد الطبيعة وهو مجال مترك الأنظار ، فحقّق نواحي التفارق والتلاقي بين سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقين ، مناقشاً ابن سينا آراءه الخاصة أو تخاريجها لكلام أرسطو ، كما يناقش تخاريج المتقدمين من شراح أرسطو اليونانيين ، ومن المشهور أن ابن رشد بهذا العمل قد كان مؤسساً للفلسفة تأسيساً جديداً ، ومشيعاً لها إشاعة أضاعت ظلمات القرون الوسطى ، في أوروبا ، بفجر عصر النهضة ، ولكن الأهم وراء ذلك هو ما كان لابن رشد من أثر مباشر في العلوم الدينية ، فقد تأثر ابن رشد خطي الغزالي في الحكمة وأصول الفقه والفقه ، فتناول كتاب تهافت الفلاسفة ، وكتاب المستصفى ، وكتاب الوجيز ، فجعل تتبعه لكتاب التهافت تتبعاً تحليلياً حرفياً يتناول تحقيق مذاهب الفلاسفة بطريقته العميقة في شرح الحكمة ، وقد ردود الغزالي بأنها ليست واردة مورد البرهان الناقض على محل النزاع ، حتى انتهى بذلك إلى المقدمة التي جعلها ابن طفيل أقوى مأخذ على فلسفة الغزالي ، فجعلها مقطع الحق ومنقطع المناقشة وطوى بذلك كتاب تهافت التهافت ،

ثم نلخص تلك المناقشة في صورة منهجية في كتاب «فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» .

أما كتاب المستصفى فقد تلخيصاً ، ذكره في ترجمته الشيخ أحمد بابا في ذيل الديباج ، وتعرض إلى الإمام بأراء الغزالي الأصولية في كتاب مناهج الأدلة بما دل على أنه لا خلاف يذكر بينها في مسائل أصول الفقه . وأما كتاب الوجيز فهو الكتاب الذي اختصر فيه الإمام الغزالي مذهب الشافعي ، ملخصاً فيه كتابيه الوسيط والبسيط ، وقد جمل اختصار الفقه مبنياً على الاختصار على قول الشافعي والإشارة إلى خلاف المذهبين المالكي والحنفي إشارة رد واستبعاد ، وكذلك فعل بالأقول التي تخالف قول الشافعي داخل المذهب ، وخاصة أقوال المزني ، فجاء هذا الصنيع متأثراً بالأصول الجدلية التي تنظر في مدارك الأحكام لقصد الانتصار إلى مذهب معين ، لا لقصد استيلاء الحقيقة لذاتها ، وكان ذلك تضيقاً لدائرة التقليد ، فجاء القاضي ابن رشد يسار صنيع الغزالي في الاختصار وإيراد الأقوال المخالفة ، ولكنه ينجح إلى الاقتداء بابن العربي في التخفيف من التزام التقليد ، فيتوسع في الخلاف ، ويشير إلى الأدلة التي كانت منشأ ولا يلتزم الانتصار لتقليد مذهب معين ، ولكنه يفتح باب النظر في الأدلة حتى لا يغلط باب الاجتهاد أصلاً ، ويبقى ولو في حدود النظر المذهبي ، فكان إيراد المذاهب عنده لتربية ملكة الاجتهاد عليها ، لا لدحضها ، ونصر مذهب معين وبذلك استطاع ابن رشد أن يفتح في المذهب المالكي طريقاً سده الغزالي في المذهب الشافعي ، هو الطريق الوسط بين الاجتهاد والتقليد ، الذي يشير إليه اسم الكتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وقد ذكر فيه أنه عازم على وضع كتاب آخر في المذهب المالكي ، يتجنب فيه إحصاء الروايات لأن ذلك شيء ينقطع العمر دونه ، ولكنه رتبته ترتيباً

صناعياً حتى يكون القارئ مجتهداً في مذهب مالك ، ويظهر أنه لم يتمكن من إنجاز عزمه هذا فلم يكن له ، في ما عده من جريدة كتبه الكثيرة ، كتاب في الفروع المذهبية ، وقد وهم صاحب معجم المطبوعات ، فنسب إلى الحفيد ابن رشد كتاب المقدمات للمهدات ، والصواب أنه لجده الحافظ ابن رشد الجده صاحب البيان والتحصيل ، وحافظ المذهب .

وكفى حفيده يداً على الفقه المالكي أنه بوضعه كتاب بداية المجتهد قد لقيح حياة الاجتهاد ، بما بحث في المذهب المالكي حركة التفقه التي ظهر بها الإمام ابن عرفة في القرن الثامن ، ثم التصرف الاجتهادي في جريان العمل الذي شاع من عهد تلاميذ ابن عرفة : البرزلي ، وابن ناجي ، فأصبح أصلاً للتطور الفقهي في ما بعد القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، فكان كتاب بداية المجتهد لمحة من لمحات الحكمة العقلية التي امتاز بها ابن رشد الحفيد تركت أثراً في تطور الفقه المالكي بالتفقه والعمل ، وأثراً في الإبقاء على رفق من روح الاجتهاد مردد بين المذاهب .

كان هذا العمل الذي قام به ابن رشد الحفيد في القرن السادس بكتاب بداية المجتهد ، عملاً تصرفياً في الفقه . نافض به العمل الالتزامي الذي قام به الغزالي في كتاب الوجيز ، فبقدر ما كان الغزالي يضيق الدائرة ويحصر الأقوال كان ابن رشد يوسع دائرة النظر ويكثر من إيراد المذاهب والأقوال ومقابلتها وإيراد حججها وأدلتها بحيث يمنح الغزالي إلى إبراز المذهب الفقهي الذي يتقلده في صورة الأمر الضروري ، كما هو عند المقلد ، في حال أن ابن رشد يمنح إلى إبرازه في صورته النظرية التي هي محل بحث ومجال اجتهاد ، كما هو عند الفقيه ، وإنه لمن المتظر أن طريقة ابن رشد يكون لها أثر في المذهب المالكي ، وإن طريقة الغزالي يكون لها أثر في المذهب الشافعي ، حتى يبدو كل من المذهبين مابيناً لظهور الآخر ، ولكن ما بين المذهبين من

تواصل في المجال الأصولي ، وما بينها من تفاعل في البلاد الشرقية بصفة خاصة ، حيث يعيشان متجاورين في الحجاز والمراق والشام ومصر ، كان قاضياً بأن كل أثر يبدو في أحد المذهبين تحدث له صورة في المذهب الآخر ، فلمّا برز كتاب الوجيز للغزالي ولقي ما لقي عند الشافعية من احتفال وإقبال ، واحتلّ منزلة الإعجاب بحسن تنسيقه ، وجميل تبويبه ، وعحكم ربطه بين المسائل ، وإتقان تفريغها ، أحسن الفقهاء من أتباع المذهب المالكي في الشرق بأن هذا المظهر الذي بدا به المذهب الشافعي قد أناله امتيازاً في حسن الضبط وسهولة المراجعة يجعله أيسر إلى تناول المقلدين ، فاعتبطوا بذلك واستشعروا خلو التآليف الفقهية في المذهب المالكي من تلك الميزة ، فحرصوا على تكميله باقتباس تلك الطريقة التي سهلت تناول المذهب من طالبه ، وهم حين نظروا إلى الميزة الصناعية في التآليف لم يلتفتوا إلى ناحية التضييق والاقتصار ، التي انحاز إليها مذهب الشافعي بتأليف الغزالي ، لأن تشابه الأوضاع واستقرارها لم يكن من شأنه أن يبرز الاحتياج إلى ما اعتبر مهجوراً من الأقوال الفقهية ، حيث إن جريان الفتوى على الأقوال المشهورة المدونة ، وما لتلك الأقوال التي جرت عليها الفتوى من تطابق مع مقتضيات الأحوال كان مزيلاً لاعتبار الأهمية من تلك الأقوال ، قاضياً عليها بالجدارة للهجر والإهمال . بمثل هذه العوامل تأثر المالكية بمصر أثناء القرن السادس لما طار كتاب الغزالي إلى إخوانهم وأجوارهم الشافعية ، فأقبلوا عليه بما تقدّم وصفه من إعجاب ، وأحسن المالكية بأن مذهبهم في حاجة إلى مثل ذلك التهذيب والترتيب ، ولم يلاحظوا ما لاحظ أحد أئمتهم العظام وهو قاضي قرطبة أبو الوليد ابن رشد من أنه يشتمل على تضييق دائرة النظر الاجتهادي ويلزّ المذهب في حيز التقليد ، وإن امتاز بما زانه من حسن الترتيب ، فكان تطلع هؤلاء الفقهاء إلى أن يسلكوا بالمذهب المالكي المسلك الذي اتبعه الغزالي بالمذهب الشافعي موافقاً للوقت الذي كان فيه

فقيه قرطبة وحكيمها يحاول أن يبرز أثراً مرتباً مهذباً يصد به تيار المذهب المالكي عن الاندفاع في ذلك الميل . ففي العصر الذي كان فيه ابن رشد منكباً على تصنيف بداية المجتهد ، كان الفقيه المصري أبو محمد بن شاش منكباً على تصنيف مختصر جامع لفروع المذهب المالكي ، على ترتيب يسير صنيع الإمام الفزالي في الوجيز ، وهو مختصره البديع الذي سماءه الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، وقد قال في خطبته : لما رأيت كتاب الوجيز لأبي حامد الفزالي رحمه الله من أحسن ما حرّر فيما حرّره غيره من متقدمي الأئمة ومتأخريهم ، فكان غاية منتهى التحرير ، تلخصت المذهب في هذا الموضوع على القرب من محاذاته .

وسرعان ما ظهر هذا الكتاب حتى عكف عليه المالكية بمصر واستحسنوه وأعجبوا به ، كما ذكر ذلك ابن خليكان في وفيات الأعيان ، وسارت طريقة دراسة الفقه على منهج كتاب ابن شاش : في الحرص على التفريع والجمع والإيجاز ، والإعراض عن الخلاف والمدارك ، وبقي كتاب ابن رشد ضاملاً الذكر محدود الانتشار إذ لم يشاركه في نظره الحكمي البعيد إلا " اقلانل " : فلم ينتبه الأكثرون إلى أن ما خيل لهم الاستغناء عنه من الأقوال سيحتاجون إليه في قلب الأقطار عند اختلاف الأحوال .

ومضى القرن السابع على هذه الطريقة الالتزامية التي التحق فيها المذهب المالكي بالمذهب الشافعي ، متكباً محاولة ابن رشد في الحفاظ على اتساع النظر الاجتهادي ، وازدان ذلك القرن السابع بظهور علم من أعلام الثقافة الإسلامية ، الجامعين بين مختلف فنونها في معرض الصناعة التعليمية ، التي تفرّعت من مناهج أصول الفقه ، فجمعت بين أسلوب تعليمي واحد علوم اللغة العربية والدين والحكمة من علم القراءات إلى علم العروض ، ذلك العلم الذي ظهرت عظمتة في القرن السابع ، هو الإمام جمال الدين ابن الحاجب ،

صاحب المختصرات المتبعة في النحو والصرف والمروض والمنطق والأصول والفقهاء والقراءات ، فأنصرف إلى تأليف مختصره العظيم في الفقه المالكي الذي سمي « جامع الأمهات » ، وأفرط فيه في اتباع طريقة الجمع مع الاختصار ، حتى كان وهو جزء صغير جامعاً لمضمون ستين ديواناً من دواوين الفقه المالكي ، ومشملاً على صفر حجمه على ست وستين ألف مسألة ، فمظم الإعجاب به ، وعم الإقبال عليه ، وملأت سمته وسط القرن السابع ، وحلقت في آفاق المشرق والمغرب مع أن ابن خلدون يعرض بنقده بقوله : إنّه جاء كالبرنامج للمذهب .

وبانتشار مختصر ابن الحاجب وعكوف الناس عليه هجر دارسو الفقه طريقة المدونة وتهاذبها وشروها ، بما عليها من مسحة النظر والاستدلال ، وتوجهوا إلى دراسة ابن الحاجب بالاستنكار على طريقته من المسائل والفروع .

وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعي ببلاد المغرب العربي أن الشيخ ناصر الدين الزواوي ، من فقهاء بجاية ، ارتحل إلى المشرق في أواخر القرن السابع ، فلقى تلاميذ ابن الحاجب بمصر ، وتخرج عليهم ، فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره في تلاميذه ببجاية ، ومن هناك انتقل إلى عامة أقطار المغرب العربي ، فمكف الفقهاء على دراسته وشرحه واعتنى به كبار فقهاء تونس : مثل ابن عبد السلام ، وابن هارون ، وابن راشد ، وفقهاء تلمسان : مثل ابني الإمام .

ولكن نزعة ابن رشد إلى الطريقة المخالفة للمنهج الالتزامي الاقتصادي ، الذي درج عليه ابن الحاجب ، لم تزل تغذي حركة رد فعل تنديلي تمنع اتباعها إلى طريقة اتساع النظر الاجتهادي بين المذاهب الفقهية ، وقد تجلّت تلك النزعة واضحة في كتاب القوانين الفقهية للإمام أبي القاسم ابن جزي القرطبي ، شهيد واقعة طريف سنة ٧٤١ ، قال ذلك الكتاب النفيس ،

على إحكامه ودقة ترتيبه ، لم يقتصر على المذهب المالكي ، بل أورد المذاهب الأربعة ومذاهب كثير من أهل الاجتهاد النقطة التي اتبع ، فجمع ، كما قال هو عن نفسه ، بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالمي .

على أن منهجاً جديداً في الدراسة العلمية قد ظهر بالبلاد التونسية في رحاب الجامعة الزيتونية أثناء القرن السابع كان قاضياً أيضاً بتعديل القواعد في الطريقة الفقهية الالتزامية ، وذلك هو منهج القاضي أبي القاسم ابن زبتون ، الذي تخرج في المشرق على تلامذة الإمام فخر الدين الرازي ، ودرج على طريقته في الجمع بين المقلات والنقلات على الأسلوب التعليمي الراجح ، وقد تأيدت هذه الطريقة واستحكمت أساسها في القرن الثامن ، ينبوع الحكم الكبير إمام العالم والرياضيات أبي عبد الله الأبي ، المتكون في حكمته التجريبية على طريقة ابن رشد ، فتواصلت طرق التخرج على منهج النظر الحكمي في التكاليف الدينية بين أقطار المغرب في شمالي إفريقيا والأندلس ، فظهر من أعلام تلك الطريقة أعلام درسوا الفقه بالتعميد والمقارنة وربط الفروع بالأصول مثل الإمام أبي عبد الله المقرئ التلمساني ثم القاضي ، والإمام أبي إسحاق الشاطبي القرطبي ، والإمام العلامة أبي عبد الله العلوي الشهير بالشريف التلمساني ، الذي عد من أهل الاجتهاد ، وقد أنجبت الجامعة الزيتونية بتونس في هذا القرن الثامن فداءً من الأفاضل الجامعين بين الحكمة والفقه تخرج بطريقة الأبي وبرز في العلوم الحكيمة أولاً ، ثم اشتغل بالفقه فأتى فيه بالعجب العجيب ، ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن عرفة .

ابتدأ ابن عرفة تخرجه العلمي بالاختصاص في الكلام والحكمة والمنطق وأصول الفقه ، ثم انصرف إلى الفقه متأثراً بتكوينه الحكمي ، فأنجزه إلى الضبط والجمع والتنظير ، واهتم بصفة خاصة بالتحديد ، وشرح مواهي الأبواب الفقهية ، بتميز بعضها عن بعض ، وأكثر من البحث والنظر والاستشكال ،

فنقد كثيراً من الأقوال واستبعد ما ، مينا وجه ذلك بتصوير الوقائع ، وملاحظة ما يتحقق فيها من المصالح المقصورة للشرع ، وما لا يتحقق ، ففتح بذلك في الفقه المالكي طريقة البحث النظري المبرر عنه ، بالتفقه ، الذي هو منهج الدراسات القانونية الجامعية اليوم .

وبهذه الدراسات النظرية المخصصة للأقوال الفقهية : نقداً ، وتحريراً ، ومشاركة في المباني والمدارك ، اقترنت أحداث خارجية في حياة البلاد المغربية عامة والقطر التونسي خاصة ، ختم بها القرن الثامن : من دخول سلطنة الإسلام بالأندلس في الدور الأخير ، وإيواء اللاجئين من المناطق المفتكة إلى الرقعة الباقية والعدوة الأفريقية ، وتضارب الدول المرينية والزبانية والحفصية في سبيل توحيد المغرب ، ودخول قبائل الأعراب في دور الاستقرار والتحضّر ، واستفحال الأزمة الاقتصادية بسبب سقوط منزلة البلاد في التجارة العالمية بفتح طريق الهند البحري ، زيادة على ما مرّ بلاد المغرب من الأحداث الإسلامية التي توالى بعد سقوط الخلافة العباسية بغداد : من تجديد هجمة المغول بقيادة تيمورلنك ، وإشراق نجم السهانيين ، فكان من أثر هذا المجموع من الأحداث أن ما كان يسود الدراسات الفقهية من الاطمئنان إلى الاختيارات والترجيحات التي استقرّ عليها الفقه المذهبي ، قد بدأ يتزعزع بما أنفرت عنه الأحداث الهائلة من انقلاب الأوضاع الاجتماعية انقلاباً فتح مبدأ الشعور بمشكلة قصور كثير من الأقوال الفقهية عن تحقيق المصلحة التي نظر بها إليها من قبل بسبب اختلاف الوضع عن الوضع ، فكان هذا الشعور أقوى سنداً للأقطار الفقهية التي ابتدأ الإمام ابن عرفة أثناء القرن الثامن يعلّق بها تعاليق النقد والبحث على بعض الأقوال الفقهية ، واتخذ تلاميذه عن ذلك مياراً للاختبار التجريبي لنفاذ الرأي الاجتهادي الذي يحلّل به ابن عرفة الأحكام .

وبذلك كان القرن التاسع قرناً وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل ، فإن طبقة من تلامذة ابن عرفة أخذت على عاتقها تطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة ما فرضت فيه تلك الأحكام من الظروف الزمانية والمكانية ، فلذا رأوا أن بعض تلك الظروف تبدل ، مالوا إلى المدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهداً منهم ، واستحساناً ، واعتباراً للمصالح الشرعية ، بحسب الوقائع والنوازل والأشخاص ، بمراعاة الأعراف والموائد ، فأصبحت الفتاوى في كثير من الوقائع مختلفة عما اشتهر في أمثالها بسبب اختلاف جزئي في صور الوقائع ناشئ من اختلاف الأوضاع ، وكان البروز في هذا المجال الفقهي التجديدي لثلة من تلاميذ ابن عرفة ، فيهم من التونسيين : البرزلي ، وابن ناجي ، ومن الجزائريين : الحفيد ابن مرزوق ، وأبو الفضل المقباني ، حتى تقرر بصنيعهم هذا منهج العمل الذي أصبح تعديلاً ضرورياً لما سبق من الرجحان واشتهر ، وكان الذين تولوا القضاء من هؤلاء أتمّ تمكناً من ملاحظة تلك الدواعي فساروا على منهج التصرف الاجتهادي في التأويل ، وأسسوا الجريان العمل مادة جديدة للفقه ، فأظهر القاضي ابن ناجي في كتبه من حسن التحقيق لمناط الفتاوى والأحكام ، والبراعة في تنزيل القواعد والمقاصد على الصور الحادثة ، ما جعل صورة الفقه المالكي من بعده مصطبغة بآرائه صبغة خاصة . كما أبدى البرزالي في مجموع فتاويه المسمى « جامع مسائل الأحكام » ما ينزل بالمفتين والحكّام ، نظراً بعيداً سديداً ، في التصور والتطبيق والتنزيل ، تناول أكثر مسائل الفقه بصورة كشفت في تطبيق الأحكام ، عن أوجه لم يكشف عنها من قبله لثام . ومثل ذلك المسالك سلك المقباني في أجوبته التي ضمن الكثير منها تلميذه الشيخ يحيى المغيلي المازوني في كتابه « الدرر

المكتونة في فوازل مازونة ، أما العلامة ابن مرزوق الحفيد فقد سما في ققه إلى أفق تحرير الأفكار وابتكار الأنظار ، حتى شهد له يلوغ درجة الاجتهاد المطلق ، ولقد كان حريصاً على تعرف المذاهب وحسن دراستها لتوسيع نظره الاجتهادي ، فدرس الفقه الشافعي في تلمسان بكتاب التنبية لأبي اسحاق الشيرازي والوجيز للزالي ، مع أنه لم يكن هو ولا واحد من طلبته ولا من أهل مدينته شافعيًا .

وبهذه النزعة التفقيه التطبيقية انتهج الفقه نحو التطور منهجاً جديداً سلك من القيروان إلى الأندلس ثم رجع واستقر بفاس فأبرز اختلافاً واضحاً بين ما تقرّر من الأحكام في الدواوين والمختصرات ، وما طبق في مجاميع الفتاوى والنوازل ، على نحو ما نبجده في لامية الزقاق من القواعد والمثل ، وما نبجده في ماضنه الشيخ أبو العباس الواشيري في مجموعته العجيب « المعيار المغرب والجامع المقرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب » وهو كتاب في أسفار ضخمة يتيسر لتصفحه عندما يقابله بجواهر ابن شاش أو بمختصر ابن الحاجب كم استطاع النظر الفقهي في هذا المغرب أن ينتج من تطور ويظهر من حيوية ، لما عدل عن المنهج الالتزامي وسار على المنهج التصرفي الذي فتحه ابن رشد ، ومهده ابن عرفة وتلاميذه ، وأقام أعلامه الواشيري في المعيار .

محمد الفاضل ابن عاشور



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والإنكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

- ٨ -

(٢١٥) البَطْن

Abdomen, ventre (m.)

ف

Abdomen ; belly

ز

في الأصل . - ليس له تعريف .

في (ق) . - البطن خلاف الظهر مذكر . ج أبطن ، وبطن ، وبطنان ... ودون القيلة ... وجوف كل شيء .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - هو الناحية السفلى والأمامية من الجذع (يرادف Ventre) . البطن منفصل عن الزور بالحاجز وتحمده من الأسفل الحوض . يحتوي البطن على الأنبوب الهضمي وملاحقه ، والجهاز البولي ، وغدد شتى وعلى جزء هام من الجهاز الودي .
أم ما أضفته :

١ - بطن ذو برزخين

Ventre à double saillie

ف

Abdomen presenting tow inguinal prominences

ز

٢ - بطن بشكل الخُرْج

Ventre en besace	ف
Pot belly	ز

٣ - بطن مدلى

Ventre pendant	ف
Pendulous belly	ز

٤ - بطن كالتر كَب

Ventre en bateau	ف
Scaphoid abdomen; boat scaphed, carinate, navicular abdomen	ز

٥ - بطن مستدق

Ventre en pointe	ف
Pointed belly	ز

٦ - بطني

Abdominal, ventral	ف ، ز
	قلت :

و (البطين) على التصغير وبالإضافة إلى القلب يُطلق خصوصاً على الجوف الذي يدفع الدم إلى الشرايين . وبالإضافة إلى الدماغ يُطلق على كل من الجوفات الأربعة المحتوية على المائع الدماغى الشوكي .
وأضفت :

١ - بطين القلب

Ventricule du cœur	ف
Ventricle of the heart	ز

٢ - بطين الدماغ

Ventricule cérébral	ف
Cerebral ventricle	ز

٣ - بطين الحنجرة

Ventricule du larynx	ف
Ventricle of the larynx	ز

٤ - بطين الدماغ الجاني

Ventricule latéral (du cerveau)	ف
Lateral ventricle of the brain	ز

٥ - بطين الدماغ المتوسط

Ventricule moyen (du cerveau)	ف
Third ventricle of the brain	ز

٦ - بطين رابع

Quatrième ventricule	ف
Fourth ventricle	ز

٧ - بطين انتهائي

Ventricule terminal	ف
Terminal ventricle	ز

٨ - بُطيني

Ventriculaire	ف
Ventricular	ز

٩ - رسم البطين

Ventriculographie	ف
Ventriculography	ز

٢١٥ مكرر) الشاكِلَتان

Flanc , côté (m.)

ف

Flank ; side

ز

في الأصل . — هما الطففتان .

في (ق) . — الطفطة الخاصرة ، أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .
والشاكلة ، في (ق) : ما بين الحرقفة والقُصَيَّري وهي الخاصرة .
في (ل) . — القسم من جسم الإنسان والحيوان من الأضلاع حتى
الورك . وعلى التوسع الجنب من الجسم .
(انظر أيضاً الرقم — ٢٠٧) .

★ ★ ★

٢١٦ الثفنة

Hypogastre ; bas - ventre

ف

Hypogastrium

ز

في الأصل . — الثفنة : ما بين السرة إلى المانة .
قلت : قوله (ما بين السرة إلى المانة) ينطبق على الخثلة ، والمُربَّطَاء
لا الثفنة ، بالفاء ، وهما ما يقابل الكلمتين الأفرنجيتين ، كالثفنة تماماً
— بدون فاء — كما سيأتيك في ملاحظتي .
في (ق) . — الثفنة من البعير ، الركبة . ومنك الركبة ومجتمع
الساق والفخذ .

في معجم المتن . — من البعير الركبة . الخ ومن الخيل موصل الفخذين
في الساقين من باطنها . ومن الناس الجماعة منهم ، ومن الجلَّة حافتا أسفلها
من التمر (مجازاً) . ومن النوق ، التي تضرب بثفنتها عند الحلب . ومن
الإنسان : الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ ،

في (ل) . - القسم الأسفل من البطن .
 ملاحظتي . - في المعجم التي بين يدي لم أجد للثفنة من المعاني ما يصح إطلاقه . ولو مجازاً - على الشرح المذكور في الأصل المطبوع : (ما بين السرة إلى العانة) . فالثفنة إذن خطأ عن النسخ من المخطوط . فما الصحيح ؟ رحت أقلب وجوه التصحيف أو أخطاء الخط وبمواصلة البحث وجدت - بعد جهد - الصحيح وهو (الثفنة) فوضعتها مصححة في الرقم (٢١٦) . فالثفنة ، بالضم وبدون الفاء ، مشددة النون : (العانة ، أو مريطاء ما بينها وبين السرة) وهو شرح ينطبق تمام الانطباق على ما جاء في شرح الأصل . ولم يتب به إليه المحقق .

★ ★ ★

(٢١٧) الشرة

Ombilic (m.)

ف

Navel

ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .
 قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثفنة بما أفادني لتحديد لها ووضع الكلمتين الاقربيتين مقابلاً لها .

في (ق) . - ما تقطعه القابلة من الصبي .
 في معجم متن اللغة . - الشر مير الكف والوجه . وما تقطعه القابلة من سرة الصبي ج أسيرة (نادر) . والشرر (*) : ما تقطعه القابلة من الشرة (ويكسر) . الشرة موضع الشر الذي تقطعه القابلة وهو الوقبة في وسط البطن ج شرر ، ومُرات .

(*) قلت : هو ما يسي بالجل الهُري :

Cordon ombilical : tige funiculaire

ف

Umbilical cord or funicle

ز

قلت : لاحظت في شرح (ق) والتن قولها (من الصبي) ولا شك عندي أن هذا عن ذهول فالصحيح أن يقال (من الولد) ليشمل الأنثى (الصبية) والصبي دون حصر في (الصبي) فالقابلة تقطع سرر الصبي والصبية (الولد ذكر أو أنثى) [لأن الصبي : الطفل من لدن أن يولد إلى أن يفطم ، والذي لم يفطم بعد ، والمؤنث صبيّة ، انقار ما جاء في المتن مادة (ص ب ي) ج ٣ صفحة ٤٢٠] .

في (ل) . — ثقبه البطن في الجنين يمر منها الحبل السري .

قلت : من مرادفات الافرنجيتين :

نقير ، سرّة

Hile (m.)

ف

Hilus ; hilum

ز

(وهي ناحية منبسطة ، بوساطتها تنفذ المروق الدموية والجاري الأخرى

في أحد الأحشاء) .

ما أضفته :

١ — سرّة داخلية

Chalaze

ف

Chalaza

ز

٢ — سرّة الرئة (نقير لرئة)

Hile du poumon

ف

Hilus of the lung

ز

٣ — سرّة الطحال (نقير الطحال)

Hile de la rate

ف

Hilus of the spleen

ز

٤ - سرّة الكبد (قعر الكبد)

Hile du foie	ف
Hilus , s. porta hepatis	ز

٥ - سرّة الكلية (قعر الكلية)

Hile du rein	ف
Hilus of the kidney	ز

٦ - استسرار

Ombilication	ف
Ombilication ; navel - like depression	ز

٧ - استسرار الأسحيم (حمة الثدي)

Ombilication du mamelon	ف
Retracted , inverted nipple	ز

٨ - استسرار الجلد (في السرطان)

Ombilication de la peau (dans le cancer)	ف
Ombilication of skin (in cancer)	ز

٩ - أسرّ

Ombiliqué	ف
Ombilicate(d.) ; navel - shaped	ز

١٠ - سُرمي

Ombilical	ف ، ز
-----------	-------

١١ - حَبْل سُرمي

Cordon ombilical	ف
Ombilical cord	ز

يرادفها : ساق سرّرية

Tige funiculaire	ف
Umbilical funicle	ز

١٢ - تقيري

Hilaire	ف
Pertaining to the hilus	ز

★ ★ ★

(٢١٨) العانة

Pubis (m.); penil; mont de Venus	ف
Pubic eminence; mons veneris	ز

في الأصل . - ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .
قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثنية قرأيت ذكرها في رقم
خاص معاً يقابلها في اللغتين والشرح اللازم ، لملاقها بالموضوع .
في (ق) . - العانة ، الأتان والقطيع من محمّر الوحش . ج عون
بالضم . وشعر الركب (والركب محرّكة العانة أو منبتها أو الفرج أو
ظاهره . أو الركبان أصلاً الفخذين عليها لحم الفرج أو خاص بهن
ج أركاب وأراكيب) .
في معجم المتن . - ... ومنبت الشعر في قبّل المرأة والرجل . ويقال
للشعر هذا إسب ، وشيعة [انظر الرقم - ٢ الشعر ومنه (١٧)] .
في لاروس ذي المجلدين . - برزة مثلثة الشكل في النهاية السفلى من
البطن ؛ والقسم الأمامي من عظمي الحرقفة .
ما أضفته :

(T) - الطيّق (*)

Pénil	ف
Pubic eminence	ز

(*) في (ق) : الطبق ، عظم رقيق يفصل بين كل قارن ؛ وظهر فرج المرأة .

ب) — قنّة الزهرة (*) (جبل الزهرة)	
Mont de Venus	ف
Mons veneris	ز
١ — عاني	
Pubien	ف
Pubic	ز
٢ — عظم العانة	
Os du pubis	ف
Pubic bone	ز
٣ — خزم العانة	
Pubiotomie ; hébotomie ; hébostéotomie	ف
Pubiotomy ; hebotomy ; hebosteotomy	ز
٤ — قمل العانة (قمل)	
Morpion ; pou du pubis	ف
Pubic crab louse	ز

★ ★ ★

٢١٩) الأعفاج (= المصارين)

Intestins (m.)	ف
Intestine ; gut	ز

في الأصل . — الأعفاج والمصارين ، الأمعاء .
 في (ق) . — العفج محرّكة ، ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .
 ج أعفاج ... والمصير كأمير ، الماء ج أمصيرة ومُصْتران جج مصارين .
 في متن اللغة . — العفج ج أعفاج وعِفْجَة ، المعى ' أو ما سفل منه .
 أو مكان الكرّش لما لا كرش له ، وما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة وهو
 من الإنسان كالمصارين لذوات الخُفِّ والظِلْف التي تؤدي إليها الكرش ما دفعته .

(*) في (ق) : القنّة الجبل الصغير ، وقنّة الجبل .

قلت : لقد أطلق المؤلف الأعفاج (وهي جمع عفج) توسعاً على الأمعاء عامة مع أن شرح (ق) و (التن) فيه تخصيص ولذا فقد أطلقت لجنة المصطلحات الطبية كلمة العفج على ما كان يسمى قبلاً (اثنا عشر) لطوله قدر اثنتي عشرة اصبعاً ترجمة للكلمة اللاتينية (Duodenum) ومعناها (قدر اثنتي عشرة اصبعاً) المستعملة بالفرنسية لذلك القسم من الأمعاء الذي يلي المعدة وينصب فيه ما تنجيه به قناة المشككة والقناة الصفراوية من المفرزات الخاصة بكل من للمشككة والصفراء .

أما الأمعاء وواحدها معي ' كإلى ' فهي (الرئبض = الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب والرئة) .

في (ل) . — الأمعاء ، أحشاء بطنية تبدأ من لدن المعدة حتى الشرج . وبحسب قطرها جمعت قسمين : الأول (معي دقيق ، بطول ٦ — ٨ أمتار في الإنسان وهي على أجزاء : عفج ، وسائم ، ولفائني . الثاني) معي غليظ ، بطول ١٥٤٠ — ١٥٧٠ متراً يلي المعى الدقيق وهو أيضاً على أجزاء : ممرغة أو أعور ، وقولون ، ومستقيم .

وفيما يلي ما يقابل كل هذه المصطلحات العربية ، باللغتين الفرنسية والانكليزية معها أضفته ، زيادةً .

ما أضفته ، على وجه خاص ، في المضافة :

١ — معي ابتدائي = مُعَيِّدَة

Intestin primitif ; gastrula

ف

Primitive gut ; gastrula

ز

أقسام المعيدة :

(آ) جوف فوهي

Cavité gastruléenne ; archenteron

ف

Archenteron ; coelenteron

ز

ب (سدادة مُحَيِّنَة

Bouchon vitellin	ف
Ecker's plug	ز

ج (مَنْتِج الجرثومة ، فم ابتدائي

Blastopore ; bouche primitive	ف
Blastopore ; protostoma	ز

د — عقدة هَنَسِن

Nœud de Hensen	ف
Hensen's knot	ز

٢ — مَعَى أَمَام الفم

Intestin préoral	ف
Fore - gut ; head - gut	ز

٣ — مَعَى خَلْفِي

Intestin postérieur	و
Hind - gut	ز

٤ — مَعَى مُتَوَسِّط

Intestin moyen	ف
Midgut	ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

١ (مَعَى دَقِيق

Intestin grêle	ف
Small intestine	ز

٢ (مَعَى غَلِيظ

Intestin (gros)	ف
Large intestine	ز

(٣) عَفْج (= اثنا عشر)

Duodénum	ف
Duodenum ; dodecadactylon	ز

(٤) صائم

Jejunum	ف ، ز
---------	-------

(٥) لفائفي

Iléon	ف
Ileum	ز

(٦) مَمْرَغَة = أَعْوَر

Cœcum	ف
Cœcum ; blind - gut ; cecum	ز

(٧) قَوْلُون

Côlon	ف
(Intestinum) colon	ز

(٨) مستقيم

Rectum	ف ، ز
--------	-------

وأقسام القولون :

أ — قولون صاعد

Côlon ascendant	ف
Ascending colon	ز

ب — قولون نازل

Côlon descendant	ف
Descending colon	ز

ج - قولون حُرْقَتِي حَوْضِي

Côlon ilio - pelvien	ف
Sigmoid colon	ز

د - قولون معترض

Côlon transverse	ف
Transverse colon	ز

هـ (مِيمَوِي)

Intestinal ; entérique	ف
Intestinal ; enteric	ز

★ ★ ★

٢٢٠ (المعدة)

Estomac (m.)	ف
Stomach	د

في الأصل . - موضع الطعام للإنسان .
 في (ق) . - المعدة ككلمة ، وبالكسر ، موضع الطعام قبل انحداره
 إلى الأمعاء ، وهو لنا ، بمنزلة الكرش للأظلاف . ج مِعْدَة ومِعْد كعنب .
 في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - المعدة ، قسم من الأنبوب الهضمي
 وهي جيب واسع متبر (متفخ) تحت الحاجز بين المريء والمفج . تجتمع
 فيه الأطعمة وتتكتل بعد الانهضام . شكلها يحاكي الزمار ذي القيربة (*) .
 يوصف لها وجهان : أمامي ، وخلفي (أي حافتين) . أحد الوجهين في
 الأيمن والأعلى ويسمى (انحناء صغير) ، والآخر في الأيسر والأسفل ويسمى
 (انحناء كبير) . الفتحة العليا التي تصل المعدة بالمريء ، هي (سُدفة المعدة) ؛
 والفتحة السفلى التي تصل بالمفج هي (بواب المعدة) . تتألف المعدة من

أربع طبقات (مصلية ، عضلية ، خلوية ، مخاطية) . الطبقة المخاطية منهن مؤلفة من اثنتا عشرة عديدة جداً تحتوي على غدد تفرز الحميرة (هضمين*) ، والمخاطية (**) ، والمصاراة المعدة .

ففي المعدة تمتاز الأطعمة وتترك عدة ساعات حتى تصبح كحزيرة مشلول (***). فتدفع إلى الأمعاء . [المصاراة المعدة تختل الحليب ، وتحتل (****) (= تحلل) الميوليات] .

أم ما أضفت :

١ - انحناء صغير

Petite courbure

ف

Lesser curvature

ز

٢ - انحناء كبير

Grande courbure

ف

Greater curvature

ز

٣ - بواب (المعدة)

Pyloric

ف

Pylorus

ز

٤ - جسم (المعدة)

Corpus

ف

Body

ز

Pepsine (*)

Mucus (**) (**) (**) (****)

Assimilabile (****)

Hydrolyse حَلْمَة (****)

٥ - حُدْبَة كَبِيرَة (قَمَر)

Grosse tubérosité ; fond ; fundus

ف

Fundus

ز

٦ - حُدْبَة (غَارِ الْبَوَابِ)

Petite tubérosité ; antre du pylore

ف

Pyloric antrum

ز

٧ - سُدْفَة

Cardia

ف

Cardia ; œsophageal orifice

ز

وعن نسيج المعدة ، أضفت :

٨ - خَلَايا مُحِيطَة ، ظَاهِرَة الشَّكْلِ

Cellules bordantes , délomorphes

ف

Border , delomorphous cells

ز

٩ - خَلَايا رَئِيسَة ، مَرَكْزِيَة ، غَيْر ظَاهِرَة الشَّكْلِ

Cellules principales , adélomorphes

ف

Principal , adelomorphous cells

ز

وعلى وجه عام ، أضفت :

(١) مَعْدَة حَاجِئَاء (أَشْعَة)

Estomac crochet (rad.)

ف

Fish - hook , hook shaped

ز

(٢) مَعْدَة كَالسَّاعَةِ الرَّمْلِيَّة (أَشْعَة)

Estomac biloculaire , en sablier

ف

Bilocular , hour - glass stomach

ز

(٣) معدة متعدّنة		
Estomac dilaté	ف	
Dilated stomach	ز	
(٤) معدة هابطة		
Estomac ptosique	ف	
Ptoic stomach ; dropped stomach	ز	
(٥) معدي		
Stomacal ; gastrique	ف	
Stomacal ; gastric ; gastro -	ز	
(٦) معدي ثربي		
Gastro - épiploïque	ف	
Gastro - epiploic	ز	
(٧) معدي عفجي		
Gastro - duodénal	ف ، ز	
(٨) معدي معوي		
Gastro - intestinal	ف ، ز	
(٩) معديّات ، مهضّيات ، هاضومات		
Stomachiques ; stomacaux	ف	
Stomachics	ز	
(١٠) تشنج المعدة		
Gastropasme	ف	
Gastropasme ; cramp ; spasm in the stomach	ز	
(١١) تنظير المعدة		
GastroscoPie	ف	
GastroscoPy	ز	
م (٧)		

(١٢) منظار المعدة

Gastroscope

ف، ز

(١٣) هبوط المعدة

Gastroptose

ف

Gastroptosis

ز

★ ★ ★

(٢٢١) المثانة

Vessie (f.)

ف

Urinary bladder

ز

في الأصل . — مجتمع البول .

في (ق) . — موضع الولد ، أو موضع البول . (قلت : ما أعجب هذا ،

من تناقض) !

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — المثانة كيس غشائي مجتمع فيه البول
آتياً عن طريق الحالبين . توجد في القسم الأمامي العلوي من جوف الحوض
وأمام المستقيم في الرجل ، وأمام الرحم في المرأة . شكلها فارغة ، شكل
مثلث . من الخلف يتصل بها (الحالبان) (١) ومن الأمام والأسفل تفتح
إلى (الإحليل) (٢) بقسم دقيق هو (العنق) (٣) الذي تحيط به المثانة (٤)
(بروستات) في الرجل .

١) Urétère

٢) Urètre

٣) Col

٤) Prostate

ما أضفته :

١ — مثانة مخرومة كالعمد

Vessie en colonnes ou columnaire

ف

Fasciculated , trabeculated bladder

ز

٢ - مثانة مستثارة

Vessie irritable	ف
Irritable bladder	ز

٣ - مثاني

Cystique , vésical	ف
Cystic , vesical	ز

٤ - التهاب المثانة

Cystite	ف
Cystitis	ز

٥ - خَزَعُ المثانة ؛ نَحْت

Cystotomie ; taille ; lithotomie	ف
Cystotomy ; lithotomy	ز

٦ - منظار المثانة

Cystoscope	ف ، ز
------------	-------

وعلى وجه عام :

(آ) إحليل

Urètre	ف
Urethra	ز

(ب) مَوْتَة

Prostate	ف
Prostate , prostata	ز

(ج) مَوْتِي

Prostatique	ف
Prostatic	ز

(د) التهاب المَوْتَة

Prostatite	ف
Prostatitis	ز

(هـ) خَرَتِ المَوْتَة

Forage	ف
• Forage • of prostata	ز

★ ★ ★

(٢٢٢) المَطَا

Dos (m.)	ف
Back ; dorsum	ز

في الأصل . - المطا ، الظهر .

في (ق) . - مطا : جدّ في السير وأسرع وأكثّر الرطب من الكياسة . وتمطى النهار وغيره امتد وطال . والمطى : التَّمَطَّى والظهر ج أمطاء والظهر خلاف البطن .

في معجم متن اللغة . - مطا مَطَوًّا وأكل الرطب من المطو وهي الكياسة (*) . والمطا ، الظهر أو جبل اثنان من عصب أو عقب أو لحم ج أمطاء .

في (ل) . - الظهر ، في الفقرات : الجزء الخلفي في الجسم من لدن الكتفين حتى الحوض .

(*) قلت : الكياسة بالكسر هي اليَدَق .

ما أضفته :

١ - ظهر الشرج التركي

Dos de la selle turcique

ف

Dorsum sellæ

ز

٢ - ظهر مدور

Dos rond

ف

Round back

ز

٣ - ظهري

Dorsal

ف

Dorsal ; posterium

ز

٤ - سها م ظهري تشنجي

Tabès dorsal spasmodique

ف

Spasmodic tabes

ز

★ ★ ★

٢٢٣ (الصلْب)

Colonne vertébrale

ف

Vertebral column

ز

في الأصل . - الصلب ، هو عَظْمٌ في وسط الظهر وهي ٢٤ فقرة .
 في (ق) . - الصلب بالضم وبالتحريك عَظْمٌ من لدن الكاهل إلى
 المعجب كالصالب . ج أصلب وأصلاب وصليبة .
 قلت : هذا التعريف ينطبق على (العمود الفقري) فوضعت ما يقابله
 بالفرنحيتين (في الرقم ٢٢٣ هذا) .

في (ل) ٠ — الممود الفقاري ، ساق عظمية تمتد من لدن قاعدة الجمجمة حتى مبدأ الفخذين في الحيوانات العقرية . أما في الإنسان فيتألف الممود الفقري من تراكب ٣٣ ققرة وهو ذو أربع انحناءات (٧ فقرات عنقية (١) — ١٢ ققرة ظهرية (٢) — ٥ فقرات قطنية (٣) — فالعجز (٤) — فالمصعص (٥) .

- | | |
|------------------------|---------------------|
| ١) Vert . cervricales | ٢) Vert . dorsales |
| ٣) Vert . lombaires | ٤) Sacrum |
| ٥) Coccyx | |

هذا وبالفرنسية يرادف الممود الفقاري كلمة Rachis أي السيساء . وكلمة Échine الشوك الظهرى . و Épine dorsale السنسنة . وفيما يلي (في الرقم ٢٢٤ — الفقرة) ذكر بعض أقسام الفقرة وما يقابلها .

★ ★ ★

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(يتبع)



صفحات من تاريخ الاستشراق

-٦-

(ويليام موير) :

كان السير (ويليام موير William Muir) [١٨١٩ - ١٩٠٥] من كبار الموظفين الإنكليز في الهند . وقد نشر اعتباراً من سنة ١٨٥٣ سلسلة من المقالات في (مجلة كلكتوتا Calcutta Review) ، جميعها آخر الأمر في كتاب ضخيم من أربع مجلدات بعنوان (حياة محمد)^(١) .

والكتاب في فصوله المتعلقة بالحوادث التاريخية لا يتضمن شيئاً جديداً ، ولذلك كان من الأفضل اختصاره . وأكثر المعلومات في المجلد الأول الذي يبحث في تاريخ العرب قبل الإسلام مقتبس من كتاب (دوبرسفال) . إلا أن هناك بعض الفصول على جانب كبير من الأهمية مثل : الفصل الأول من المقدمة الذي يبحث في مصادر السيرة ودرجاتها المختلفة من الصحة ثم الفصل الثالث من السيرة الذي يتكلم فيه على « إيمان محمد بإلهامه » ثم الفصل السابع عن علاقة الإسلام بالمسيحية ، والفصل السابع والثلاثين عن « شخصية الرسول وأخلاقه » ..

(١) William Muir. Life of Mahomet . London 1858 — 1861.

إن طريقة العرض واضحة ، رزينة ، ولكنها تم عن تعصب ديني متطرف ، يعد المؤلف عن الروح العلمية والنظرة الموضوعية في كثير من أحكامه ...

(شبرنجر) :

كذلك نلاحظ سمة الإطلاع وقوة النقد مع التحيز والتهجم في كتاب المستشرق النمساوي (ألويس شبرنجر Alois Sprenger) [١٨١٣ - ١٨٩٣] عن حياة محمد وتعاليمه ، (١) .

كان (شبرنجر) طبيباً ، رحل إلى لندن ودخل في خدمة الإنكليز الذين أرسلوه إلى الهند وعهدوا إليه بإدارة مدرسة (دلهي) ومطبعة (كلكتوتا) .

ثم انتقل إلى ألمانيا ، وقول تدرّس العربية في برلين ، وانقطع بعد ذلك إلى التأليف .

يبدأ (شبرنجر) دراسته باستمرار النظريات المختلفة التي أبدأها قبله المستشرقون في شخصية الرسول (ﷺ) . وهو يقول : « إن الباحثين في ألمانيا قد جردوا كلمة (نبي) من كل معنى ودلالة ، ثم ادعوا أن محمداً كان نبياً . » وقد اعتقد (موير) أن الرسول كان آلة في يد الشيطان بينما رأى فيه (كارلايل) شخصية خارقة للعادة وبطلاً فذاً . أما نتائج دراسات (شبرنجر) فقد أدت به إلى اليقين بأن الإسلام لم ينبثق عن إرادة رجل بل عن حاجات العصر . وإذا كان (كارلايل) قد تطوع ليقول كل شيء حسن عن الرسول فإن (شبرنجر) يريد اتباع الطريق الماكس . إنه تطوع

(١) Alois Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammed, Berlin 1861.

للقيام بدور (محامي الشيطان) الذي يستبطن من مدائح أنصار الرسول الجوانب التي يراها مظلمة في شخصية الرسول كما أنه يلفت الانتباه في كل مناسبة إلى النقاط التي يعتقد أنها دليل على الضعف البشري .

ويجب الاعتراف بأن (شبرنجر) أقر التمثيل في دور (محامي الشيطان) . وليس المسلمون وحدهم ، بل إن أكثر المستشرقين أيضاً لم يقبلوا حكم (شبرنجر) الذي أراد أن ينسب إلى الرسول (ﷺ) مرض المستريا . وقد لاحظ المستشرق الهوللاندي الشهير (سنوك هورغرونيه) أنه ليس هناك أي دليل أو شاهد يؤيد هذا التشخيص . وعدا ذلك فإن (شبرنجر) لا يقدم لنا سوى كلمة مجردة ولا يفسر لنا شيئاً من شخصية الرسول وسر عظمته .

ولكن على الرغم من رفض الفكرة الأساسية في كتاب (شبرنجر) ورغم الإسهاب في مناقشة الموضوعات وكثرة الاستطرادات ، فإن المستشرقين عامة يعتبرونه من أم الدراسات عن حياة الرسول لأنه اتخذ القرآن مصدراً أساسياً لهذه الدراسة ، واستشهد بما يقارب الثلاثين من سور القرآن التي تولى (شبرنجر) ترجمتها بنفسه . يقول (ولهاوزن) « إن كتاب (شبرنجر) كنز ثمين من المعلومات والأفكار .. فإن المؤلف لم ينظر إلى الآداب العربية على أنها مجموعة من الشواهد لتوضيح قواعد التحويل أهم بمحتواها ، وما تضمنته من أفكار وتيارات .. » . ولا شك في أن (شبرنجر) قد تقدم خطوات هامة في دراسة المصادر عن حياة الرسول ، واستطاع أن يبرهن على أن الكتب العربية التي ألقت بعد القرن الخامس الهجري لا يمكن الاعتماد عليها لأنها منسوخة بصورة غير انتقادية عن المؤلفين السابقين الذين يجب الرجوع إليهم والأخذ عنهم مباشرة ...

(نولدكة) :

أما المستشرق الألماني (تيودور نولدكة Theodor Noeldeke) [١٨٣٦ - ١٩٣٠] فالآراء متفقة على أنه من أكبر المستشرقين وأوسعهم علماً ، وأكثرهم تحقيقاً ، وأقربهم إلى الإنصاف والعدل والحقيقة . وهو على الرغم من ميله الطبيعي إلى الآداب اليونانية قد دفنته الأقدار إلى الاستشراق ، كما أن جهوده في الدراسات الشرقية قد تركزت حول المسائل اللغوية ، رغم أن اهتمامه كان متجهاً في الأصل إلى الناحية التاريخية .

وعلى كل حال فإن كتابه « تاريخ القرآن » قد أصبح دعامة لا يستغني عنها كل من يريد دراسة الإسلام وشخصية الرسول . وهو قد استند إلى هذه الدراسة في تأليف كتاب مختصر عن « حياة محمد » موجه إلى جمهور كبير . وزمراه يشير في المقدمة إلى أن الدراسات التاريخية — الانتقادية التي بدأها أمثال (وابل) و (موير) و (شبرنجر) لم تبلغ مداها بعد . إلا أنه كانت هناك ، كما يقول ، حاجة إلى نظرة إجمالية تلخص نتائج البحوث العلمية الحديثة . ويصرح (نولدكة) بأنه قد استفاد من دراسات المستشرقين المتأخرين الذين مر ذكرهم ، ولكنه اعتمد أيضاً على بحوثه الذاتية . وهو يخالف (شبرنجر) في أحكامه وينتقد اندفاعه وطريقته الشخصية ؛ وفي الحقيقة يمتاز كتاب (نولدكة) بالنظرة الموضوعية . وقد اعتقد المؤلف أنه ، لأجل إصدار حكم عادل على محمد (ﷺ) ، لا يكفي أن نستعرض حياته كني وواعظ وحاكم ، بل ينبغي أن ننظر أيضاً إلى سلوكه مع أتباعه وأصدقائه وفي شؤونه اليومية . فإن صفاته التي نعرفها بالتأكيد تكشف عن سمو الخلق وكرم النفس . أما أخطاؤه فإنها ترجع ، في رأي (نولدكة) ،

إلى عادات عصره وطبائع شعبه . ويتهي (نولدكه) إلى القول « بأن ليس هناك أدنى شك في أن محمداً كان مؤمناً برسائله التي تلخص في هداية قومه إلى العقيدة الصحيحة ، وإتقادهم من العقاب الأبدي ... »

نظرية (جريمي) في رسالة محمد ﷺ :

مضت فترة طويلة بعد مؤلفات (وابل) و (مور) و (شبرنجر) و (نولدكه) قبل أن يظهر كتاب جديد عن الرسول ، له قيمة خاصة ، يتصف بالاستقلال في الرأي ويكشف عن نواح غير معروفة ، وتقصد بذلك كتاب محمد ، (١) للمستشرق الألماني (هوبرت جريمي Hubert Grimme) الذي يتضمن المجلد الأول منه حياة الرسول ، والمجلد الثاني المدخل إلى القرآن . إن المصادر التي يستند إليها (جريمي) قد سبق نشرها جميعاً ، ولكنه يتبع طريقة جديدة في استخدامها تختلف عن المؤلفين الذين سبقوه . فهو ، قبل كل شيء ، يلتزم الحذر الشديد تجاه روايات رجال الحديث والسيرة ، ويقول : « رغم الاعتراف بأن مجموعات الحديث القديمة تشتمل على كثير من الأخبار الصحيحة إلا أنه من المؤكد أيضاً أن التزوير المقصود قد شاع في هذا الموضوع أكثر من غيره ، ولم يتوصل الباحثون بعد إلى وسيلة مضمونة للتمييز بين الصحيح والزيف . ثم إن مجموعات الحديث تعبر ، في نظر (جريمي) ، عن الروح التي كانت سائدة في المدينة ، ولكنها لا تعطينا صورة دقيقة عن الحالة في مكة . إنما لدينا ، لحسن الحظ ، مصدر غني تدفق منه الحقائق التاريخية هو القرآن . وقد سعى (جريمي) إلى الاستفادة من هذا النبع إلى أقصى حد ممكن . والصعوبة الكبيرة هنا إنما ترجع

(١) Hubert Grimme : Mohammed .

Muenster 1892 — 1895.

إلى الاختلاف في تحديد الوقت الذي نزلت فيه بعض الآيات . لذلك حاول (جريمي) أن يبالغ هذا الموضوع في الجزء الثاني من كتابه .

على أن الطرافة في كتاب (جريمي) هي دعواه بأن محمداً (ﷺ) لم يكن ، في بادئ الأمر ، يشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . يقول (جريمي) : « إن الإسلام ، في صورته الأولى الأصلية ، لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه . ذلك لأننا ، إذا نظرنا إليه عن كثب ، زاه لم يظهر إلى الوجود كمقيدة دينية ، بل إنما كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك زاه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين . وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته . . . »

ويترف (جريمي) بأن فكرة الإصلاح الاجتماعي — الاشتراكي قد اصطدمت بعقبات لا يمكن اجتيازها ، وتحطمت على صخرة العصبية القبلية والمصالح الطبقية ، وتطورت الدعوة الإسلامية فاقبلت إلى ديانة ذات أهداف ما وراء الطبيعة .

وقد رد المستشرق الهوللاندي (سنوك هورجرونيه) على هذه النظرية في بحث طويل نشره في «مجلة تاريخ الأديان» (المجلد ٣٠ لسنة ١٨٩٤) ، ويشن أن الفكرة الأساسية في الدعوة المحمدية هي فكرة يوم الحساب . أمّا الخوض على الإحسان ومساعدة المحتاجين فتلك فضيلة شائعة في الشرق ، ويتفق فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية ، ولا يجوز أن نبني عليها فرضية كالتى وضعها (جريمي) والتي تجعل من الرسول داعية اشتراكياً . . .

موقف الاستشراق من سيرة الرسول في العصر الحاضر :

تابع المستشرقون في أوائل القرن العشرين نشر المصادر العربية عن تاريخ العرب والإسلام ، وتوسموا في دراسة هذه المصادر وتقدها . فقد تم في سنة ١٨٩٨ طبع تاريخ الطبري في (١٣) مجلداً ، وهو يجمع معظم الروايات القديمة عن حياة الرسول . وكان من أهم المصادر القديمة التي نشرت أيضاً كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد . وقد عهد المجمع العلمي في (بروسيا) بتحقيق الكتاب إلى لجنة من كبار المستشرقين تحت إشراف الأستاذ (أدوار ساخو Eduard Sachau) فصدر في (١٥) مجلداً في (ليدن) بين سنة ١٩٠٤ و ١٩٢٨ . والمجلد الأول يروي سيرة الرسول في مكة ، والمجلد الثاني أخباره في المدينة ، والمجلد الثالث يصف غزواته ، بينما تشمل المجلدات الأخرى تراجم أحوال الصحابة والتابعين .

وقد نشر المستشرق الطلياني الأمير (ليون قايتاني Leone Caetani) بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٢٦ عشر مجلدات من مؤلفه الضخم (حوليات الإسلام Annali dell' Islam) الذي جمع فيه كل الأخبار والروايات عن الحوادث التاريخية منذ الهجرة مرتبة حسب الزمن سنة بعد أخرى ، وقد اشتملت المجلدات العشر على حوادث الفترة من السنة الأولى إلى السنة الأربعين للهجرة . وقول (قايتاني) مناقشة كل الروايات وتقدها والتعليق عليها ... ولكن على الرغم من كثرة المصادر وتراكم الوثائق لا يمكن القول بأنه قد ظهرت مؤلفات جديدة للمستشرقين ترسم شخصية الرسول (ﷺ) بصورة واضحة ، وتكشف عن سر عظمته وحقيقة تعاليمه وأهميتها في تاريخ البشرية . وقد ازداد الموضوع تشعباً واتسع نطاقه بعد أن صار المستشرقون لا يكتفون بالبحث في سيرة الرسول كما كانت في الواقع ، بل يحاولون أيضاً

معرفة الصورة التي تكونت عنه لدى المسلمين ، وكيف تطورت هذه الصورة مع تعاقب العصور . ولعل وفرة المواد هي التي أدت إلى تشتت الدراسات ، وتوقف الباحثين عند بعض المسائل الجزئية . أضف إلى ذلك أن بعض الباحثين في هذا العصر لم يستطيعوا التجرد عن التعصب الديني ، فأخذوا يثيرون الشكوك ويشوهون الحقائق .

يتجلى لنا ذلك في كتاب المستشرق الانكليزي (مارجليوث D. S. Margoliouth) عن « محمد وقيام الإسلام » (١) . وقد استفاد المؤلف من عدة مصادر جديدة لم يستخدمها الذين سبقوه ، وأظهر مهارة في الوصف ، ولكنه اندفع مع أهوائه ! ونسب إلى الرسول (ﷺ) الخداع والتضليل . كذلك نلاحظ تأثير التعصب الديني عند الأمير (قابتاني) الذي يبالغ في نقد الروايات الإسلامية ، ويتحامل في حكمه على الرسول في كتابه « دراسات عن التاريخ الشرقي Studi di storia orientale » الذي خصص المجلد الثالث منه لترجمة « حياة محمد الرسول ورجل الدولة » .

وليس غريباً أن يلجأ مبشر يسوعي مثل الأب (هنري لامنس) إلى تحريف النصوص وتشويهها والتلاعب بال عبارات للطن في الرب والمسلمين ، فهو لم يقصد الكشف عن الحقيقة بل الدس والتضليل والتشنيع في جميع مؤلفاته التي يحوم بعضها حول سيرة الرسول ، مثل مقاله عن (عمر محمد) في المجلة الآسيوية سنة ١٩١١ حيث يرجع تاريخ ولادة الرسول إلى سنة ٥٨٠ خلافاً لجميع الآراء التي تتفق على أن ذلك كان حوالي سنة (٥٧٠) ؛ ومثل كتابه « فاطمة وبنات الرسول » (٢) الذي حاول فيه أن يرسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء دون أي مستند تاريخي موثوق ؛ ثم كتبه الأخرى عن (مكة) و (الطائف) و (مهد الإسلام) وغيرها .

(١) D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam . London 1905.

(٢) Henri Lammens : Fatima et les Filles de Mahomet. Rome 1912

وأكثر المستشرقين ، رغم إعجابهم بكثرة معلومات (لامنس) وسعة اطلاعه وطلاوة أسلوبه لم يستطيعوا إلا انتقاده وفضح مغالطاته ، والتحذير من الاعتماد عليه .

يتمتع جمهور المستشرقين كتاب « حياة محمد »^(١) للمستشرق الدانماركي (فرانتس بول Frants Buhl) الذي صدر في (كوبنهاجن) سنة ١٩٠٣ ثم ترجم إلى الألمانية في سنة ١٩٣٠ بعد تنقيحه وتوسيعه بالاتفاق بين المؤلف والمترجم المستشرق المروف (شيدر H. H. Schaefer) والكتاب يتحاشى الفرضيات البراقة ، ويمتاز بالدقة في دراسة كل التفاصيل ، ويقتصر على الأخبار الموثوقة ، ويعترف بوجود ثغرات في معلوماتنا . وقد رجع المؤلف إلى جميع المصادر المروفة ، فدرسها دراسة انتقادية ، مستقلة ، وأضاف إليها قصائد الشعراء المعاصرين للرسول التي أهملها الكتاب الذين سبقوه .

ومع الاعتراف بأن المؤلف قد حاول التزام الحياد والتمسك بالنظرة الموضوعية المجردة ، فإنه لم يتحرر من الأحكام السابقة المأدية بالنسبة إلى شخصية الرسول وصفاته الأخلاقية .

ولعل المؤلف الوحيد بين الباحثين الحديثين الذي بذل جهوداً صادقة لفهم شخصية محمد (ﷺ) وإدراك حقيقة رسالته هو المستشرق السويدي (تور آندريه Tor Andrae) .

نشر (تور آندريه) في سنة ١٩١٨ كتابه عن « شخصية محمد في تعاليم جماعته وعقيدتهم »^(٢) الذي استطاع أن يصف لنا فيه شخصية الرسول

(١) Frants Buhl, Das Leben Muhammeds. Leipzig 1930

(٢) Tor Andrae, Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde. Stockholm 1918

كما تصورهما المسلمون في مختلف المصور ، وأن يستعرض ما نشأ لديهم من أساطير حوله ، وأن يشرح آراء التكلمين والمتصوفين في معجزات الرسول وعصمته وتمجيده .

ثم أصدر (تور آندرية) في سنة ١٩٣٠ كتاباً ثانياً عن محمد : حياته وعقيدته ، ترجم إلى الألمانية والانكليزية واليطالية والفرنسية . وهذا الكتاب صغير الحجم لا يتجاوز (١٥٠) صفحة ولكنه يمتاز بالطرافة والاستقلال في الرأي والرزانة في الأسلوب ، والمؤلف لا يريد التوسع في ذكر الحوادث المروفة ، ومناقشة الروايات المختلفة ، كما اعتاد غيره من المستشرقين ، ولكنه يسمي إلى إيضاح مفهوم الوحي عند الرسول وشرح مضمون الرسالة التي كان يشر بها ، والبرهان على صدق عقيدته ، ووصف ما كان يتحلى به من مكارم الأخلاق كالإخلاص والتواضع والبساطة والوداعة والتقوى .

ومثال (تور آندرية) يثبت لنا أن إخلاص المسيحي لعقيدته الدينية ، لا يمنعه من أن يحاول النفوذ إلى روح ديانة أخرى ، وأن يقوم بالمقارنة بين مختلف العقائد في سبيل إدراك جوهر الفكرة الدينية .

وأخيراً نستطيع القول بأن أكثرية المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن محمد (ﷺ) بسبب تمسكهم الديني . أما القلائد الذين تحرروا من هذه النزعة فيرجع فشلهم في فهم شخصية الرسول إلى مبالغتهم في النظرة التاريخية . فقد انصرفت جهود الباحثين منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى هذه الأيام إلى الكشف عن المنابع والأصول التي اقتبست منها الديانة الإسلامية . ألم يبلغ الأمر ببعض المستشرقين إلى محاولة إرجاع كل شيء في القرآن - سواء أكان فكرة دينية أو حكمة أخلاقية أو نصاً قانونياً ،

أو قصة أدبية - إلى نموذج قديم في كتب اليهود أو المسيحيين أو الفرس أو في تقاليد العرب الجاهليين ؟ وقد عارض (تور آنديره) هذه الطريقة في البحث ، وأشار إلى أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية . ومهمة الباحث ، في رأيه ، هي أن يدرك كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة ، أصيلة تنبض بالحياة . فالإسلام لا ينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقائد الحنيفية ، وتقاليده العرب القدماء ، ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر ...

الدكتور محمد كامل عباد



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

- ٥ -

٣٨ - وجاء في الصفحة ٣٩٣ « محمد بن الحسن بن عبد الله بن الشبلي أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ، صوابه « ابن الشبل ، لا ابن الشبلي » ، بذلك اشتهر وفي الكتب ذكر ، فمن الكتب التي ذكرته المتداولة المطبوعة معجم الأدباء لياقوت وقد سماه الحسين قال : « الحسين بن عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي ، ولد في بغداد وبها نشأ وبها توفي سنة ٤٧٤ كان متميزاً بالحكمة والفلسفة » (١) ، « وتاريخ أبي الفرج ابن الجوزي الكبير قال في وفيات سنة ٤٧٤ : « محمد بن الحسين بن عبد الله ابن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي ، من أهل شارع دار الرقيق ، سمع الحديث (٢) ... » . وعن الدين بن الأثير في تاريخه انكامل في وفيات سنة ٤٧٣ قال : « وفيها توفي أبو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد ... » وذكر له أحياناً . وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ، قال مؤلفه : « ابن الشبل البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف ، مولده ومنشؤه بغداد وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً ... » (٣) ، « ودمية

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٣٨ » طبعة مرغوليوث .

(٢) للتنظيم « ٨ : ٣٢٨ » .

(٣) ج ١ ص ٢٤٧ طبعة ملر « اسرى القيس بن الطحان » .

القصر وعصرة أهل مصر قال الباخري مؤلفها : « أبو علي بن شبل البغدادي ، رأيته ببغداد فوجدته وقد شدة على الأدب الجزل أضرار ثيابه وجمع أقسام الفضل ملء إهابه ... » (١) ، والنجوم الزاهرة ، قال ابن قري بردي في وفيات سنة ٤٧٣ ، « وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبلي (كذا) أبو علي الشاعر البغدادي ، كان شاعراً مجيداً » (٢) وقد وقع فيه اليوم الذي وقع في فوات الوفيات ، وذكره قبله الصفدي في تاريخه للرجال قال : « محمد بن الحسين ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ، توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة » (٣)

٢٩ - وجاء في الصفحة ٤٠٠ في ترجمة أبي اليمن محمد بن الخضر بن أبي الهزول التنوخي المعروف بالسابق « دخل بغداد وجالس ابن باقيا والأبيوردي والخطيب التبريزي » ، وصوابه « ابن نايقا ، بالنون » ، وقد مرَّ الشيخ بضبطه إلا أنه لم يضبطه بالحفظ ، قال ابن خلكان في ترجمته : « وناقيا بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف » (٤) .

٤٠ - وورد في الصفحة ٤٠٢ « محمد بن خليفة بن حسين أبو عبد الله الثميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبستي ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ... » . قلت : الذي علمناه وحفظناه « السنبستي » على وزن « الزبرجي » . قال الصفدي : « محمد بن خليفة ابن حسين أبو عبد الله الثميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبستي » (اسم

(١) دمية القصر « ص ٨٣ طبعة المطبعة العلمية بجلب » .

(٢) النجوم الزاهرة « ١١١ : ٥ » .

(٣) الوافي بالوفيات « ١١ : ٣ » .

(٤) وفيات الأعيان « ٢٨٨ : ١ » طبعة إيران ، قلت ذلك لأنه أعاد طبع الوفيات

قبل فوات الوفيات وأحال عليه في الحواشي مرات .

أمه (نسبة) أصله من هيت أقام بالحلّة (١) عند سيف الدولة . . . وهو شاعر مشهور ، ترجم له العماد الاصفهاني الكاتب في الخريدة وابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في الملقين بالقائد (٢) ، واستطرد إلى ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل وياقوت في معجم البلدان غير مرة . وترجم له القفطي في كتابه «المحمدون» من الشعراء .

كانت دموعي محمراً قبل بينهم فمذ نأوا قصرتها لوعة الحرق
و «حمرأ» جمع أحمر هنا وهي منصوبة بكونها خبر كانت ، ولكن الشيخ الفاضل ضبطها «حمرأ» بالفتح والقصر ، والصواب ما ذكرنا لأنه القاعدة المربة المطردة ، قال تعالى في سورة طه : «يوم يُنفخ في الصور ونحمر الجرمين يومئذ زُرْقاً» . فهذا للعامل ، وقال تعالى في سورة الكهف : «ويلبسون ثياباً خضراً من سُندس واستبرق» . وهذا لغير العامل كالدموع .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٤٤٤ «محمد بن عبد الرحمن بن عمر الباجري الجزري» وجاء في الحاشية من تعليق الشيخ «الباجري» نقلاً من الشنرات «٦ : ٦٤» كما قال الشيخ الفاضل في تليقة (٣) ، وفي الصفحة ٤٤٥ «فطلب الباجري» . والذي علمناه وحفظناه «الباجري» بالباء بعد الراء نسبة إلى «باجري» (٤) ، قال الصفي : «محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجري الجزري الشيخ الزاهد محمد ابن المفتي الكبير جمال الدين الشافعي» (٥) . . .

(١) كذا ورد في الوافي بالوفيات «٤ : ٤٨» طبعة س . ديرينغ المستغرق والصواب «الحلة» كما في فوات الوفيات .

(٢) تلخيص معجم الآداب «ج ٤ القسم ٢ ص ٥٦٥» نشر وزارة الثقافة والإرشاد السورية بتحقيقي .

(٣) الذي في الشنرات «الباجري» لا الباجري .

(٤) قال ياقوت : «باجري» بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وقاف : قرية من قرى بين النهرين : كورة بين البقاء ونصيبين .

(٥) الوافي بالوفيات «٣ : ٢٤٩» .

وقال ابن حجر المقلاني : « محمد بن عبد الرحيم بن عمير الجزري جمال الدين (١) الباجري... » (٢).

٤٣ — وجاء في الصفحة ٤٤٦ : « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي المدل شمس الدين المحدث » . والذي علمناه وحفظناه « ابن عبد الرزاق » بتقديم الألف على الراء ، قال الذهبي في وفيات سنة (٦٩٠) من العبر : « وابن المحدث ، المدل شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي الحنبلي تزيل دمشق ... » (٣) . وقد وم الصفدي قبل ابن شاكر الكتي وذكره باسم « عبد الرزاق » قال : « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر المدل العالم شمس الدين الرسغي (٤) » . وليس ذلك من الغلط المطبعي لأنه ذكره بين « محمد بن عبد الرزاق الساوي » و « محمد بن عبد الرشيد الاصباني » . فإن شاكر الكتي نقل ترجمة الرجل من الوافي واحتمل عهدة الغلط ، ووقع في الغلط نفسه ابن العماد في وفيات سنة ٦٨٩ قال : « وفيها شمس الدين أبو الفضائل محمد بن عبد الرزاق الرسغي - نسبة إلى رأس عين بلد - الحنبلي (٥) ... » . وكذلك ورد في ذيل طبقات الحنابلة المطبوع باعتناء الشيخ محمد حامد الفقي فقد جاء فيه « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسغي وقد سبق ذكر أبيه (٦) ... » . ووقع الغلط في اسم أبيه هناك أيضاً (٧) .

(١) في نسخة « كمال الدين » .

(٢) الدرر الكامنة « ١٢ : ٣ » .

(٣) العبر في خبر من كعب « ٣٦٤ : ٥ » .

(٤) الوافي بالوفيات « ٢٥١ : ٣ » .

(٥) الثذرات « ٤١٠ : ٥ » .

(٦) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٣٢٤ طبع مطبعة الستة المحمدية »

(٧) المرجع المذكور « ص ٢٧٤ » .

٤٤ - وورد في الصفحة ٥٧ : في ترجمة تاج الدين ابن شقير الممشقي « وكان تاج الدين يلقب بالهدهد ، فأعطاه الملك الناصر ضيعة على نهر ثورا ، فحسده جماعة ... » . ولم يُسأَل الشيخ نفسه أين نهر ثورا هذا ؟ قال صواب « نهر ثورا » قال ياقوت بالفتح والقصر اسم نهر عظيم بدمشق وقد وُصفَ في بردى وقد جاء في شعر بعضهم (ثورة) بالهاء وهو ضرورة .

٤٥ - وورد في الصفحة ٥٨ : « محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي الأنصاري البمني الأصل المصري الدار » . فملق الشيخ محقق الكتاب في الحاشية باسمه ما نصه « له ترجمة في شذرات الذهب لابن المهدي وقال : « ابن الخيمي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فعمل كلة بن الواقعة بين محمد وشهاب الدين زائدة في أصول الكتاب » . قلت : إنه لم يرجع إلى المرجع الأصلي لابن شاكر الكتي وهو الوافي بالوفيات فقد جاء فيه « محمد بن عبد المنعم بن محمد شهاب الدين ابن الخيمي الأنصاري الأصل المصري الدار (١) » . فإن المذكورة زائدة بالتحقيق .

٤٦ - وجاء في ترجمة أبي سعد محمد بن علي ابن المطلب الكرمانى الكاتب الشاعر « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان قليله كثير الهجاء دقيق الفكر فيه ... » . والجملة مطردة التركيب واضحة المعنى إلا أن مقابلتها بالأصول التاريخية الأدبية تظهر تصحيحاً فيها ، ففي الوافي بالوفيات ٤ : ١٥٠ « وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان ثلثةً كثير الهجاء دقيق الفكر فيه » . ومن المعلوم أن القول المقبول للصفدي لأن كتابه مرجع ابن شاكر الكتي ولولا وجود الوافي بالوفيات ما استطاع ابن شاكر أن يؤلف فوات الوفيات . ويؤيد كلة « ثلثة » ما ورد في منهاها ومن

(١) الوافي بالوفيات ٤ : ٥٠ .

أصلها في كتب أخرى ، قال العماد الأصفهاني الكاتب : « وكان محتجاً على المهجاء وثلب الكبراء » (١) .

٤٧ — وورد في الصفحة ٤٧٧ قول أبي سعد ابن المطبب المذكور :

فهذا يدل على أنه من توثي ويمنزل لا يعقل
وفي الخريدة المذكورة « يولي ويمنزل » وهو انصواب .

٤٨ — وجاء في الصفحة ٤٨٢ قول الشيخ عبي الدين ابن عربي :

حتى إذا صاح القراب بينهم فضح الفراق صبابة الحزون (٢)
وقد وضع الشيخ علامة الاستفهام في آخر البيت ، ولو علق عليه أن
فيه إقواء لكان ذلك أحسن فالتافية مضمومة .

٤٩ — وجاء في الصفحة ٥٠٢ في ترجمة صدر الدين محمد بن عمر ابن

المرحل ، ابن التوكيل « وعمل مجلدة في السؤال الذي حضر من عند
استدمر نائب ضرابلس » . هكذا ورد « استدمر » بالثاء والذي علمناه وحفظناه
« أسندمر » بالنون . قال ابن قري بردي في حوادث سنة ٦٩٤ : « ثم في
يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيدته وحجبه
بالقلعة (٣) » . فقال محقق الكتاب في الحاشية : « هو أسندمر بن عبد الله
الكرجي سيف الدين ، توفي سنة ٧٢١ كما في الدرر الكامنة وفي هامشها
والنهل الصافي أنه توفي سنة ٧١١ » ، وكرروا أكثر هذه الحاشية عند
تكرار اسمه في حوادث سنة ٦٩٨ وفي ذكره ما يدل على أنه كان إذ ذاك

(١) خريدة القصر « قسم العراق ١ : ١٨٣ نشر المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأستاذ
الأديب الشير محمد بهجة الأثري » .

(٢) النجوم الزاهرة ٨ : ٦٢ ،

نائب طرابلس (١) ثم كرر اسمه مرات في الكتاب ، وفي الذي ذكرناه
جزأة عن الإطالة .

٥٠ - وورد في الصفحة ٣١٤ في ترجمة محمد الأمين « ثم جهز
عبد الرحمن بن جيلة الأنياري في أربعين ألف فارس » . والذي علمناه وحفظناه
« الأبناءوي » بتقديم الباء على التون نسبة إلى أبناء فارس الذين ولدوا في
البلاد العربية في الجاهلية أو الإسلام ، قال تاج الإسلام في « الأبناء » من
الأنساب : « يقال في التعريف : فلان من الأبناء والنسبة إليه أنباوي »
وكل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس من العرب يسمونه الأبناءوي ،
هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي ، وقال أبو علي النسائي : الأبناءوي
منسوب إلى الأبناء وهم قوم يكونون باليمن من ولد الفرس وجهم كسرى
مع سيف بن ذي يزن إلى ملك الحبشة باليمن فطلبوا الحبشة وأقاموا باليمن ،
فلولدهم يقال الأبناء ... » .

وقال ابن خلكان في ترجمة وهب بن منبه اليافعي : « وهو معدود في
جملة الأبناء » ، ومعنى قولهم : فلان من الأبناء أن أبا امرأة سيف بن ذي يزن
الحيري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه إلى كسرى أنوشروان
ملك الفرس يستنجد به عليهم ... وخلاصة الأمر أنه سائر معه سبعة آلاف
فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز وهكذا قال ابن قتيبة ، إلى أن قال :
« والمقصود من كل هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا
ورزقوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون (الأبناء) لأنهم من
أبناء أولئك الفرس ... » .

قلت : الصواب ما ذكره السمعاني أولاً قال أحمد بن أبي طاهر عن المأمون
أنه قال : « ما في الدنيا أشجع من عجم أهل خراسان ولا أشد شوكة

ولا أثقل وطأة على عدو ... فقال القائد : ما في الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان للولدين ولا أثك منهم ... وقال نصر بن سبث ... وأما الأبناء فلم أر مثلم لا يكلتون ولا يملون ولا ينهزمون (١) ... فالصواب « الأبنوي » .

٥٠ - وورد في الصفحة ٥٧٦ « شمس الدين محمود الكوفي الحنفي الواعظ » وأورد له شعراً ، وقد وهم مؤلف فوات الوفيات في اسمه فان اسمه « محمد » لا محمود ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٣٩٠) هـ : « وفيها توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ، ولي التدريس بالدرسة التثنية وخطب في جامع السلطان ووعظ في باب بدر وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة وكان له شعر حسن (٢) ... » وأورد له شعراً ، وقد كان ذكره مرات ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب مرات كذلك ، وذكره غيرهما وهو في كل ذلك « محمد » لا محمود .

٥١ - وورد في الصفحة ٥٩١ « التاج الصرخدي رحمه الله تعالى » . ولم يذكر المحقق اسمه ولم يجد مرجعاً يرجع إليه في ذلك ، وهو على ما ذكره جمال الدين ابن الصابوني « الفقيه العلامة أبو الثناء محمود بن عابدين الحسن بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي » قال : « أحد الفضلاء المتميزين والعلماء الصالحين ، جمع بين الفقر والأدب (٣) ... » وأطنب في مدحه ونمته ، وذكره محيي الدين القرشي وذكر أن لقبه « تاج الدين » وأنه ولد سنة

(١) تاريخ بغداد « ص ١٤٣ ، ١٤٤ » طبعة أوربة .

(٢) المسمى الحوادث الجامعة ومما « ص ٣٩٠ » .

(٣) تسكئة إكمال الإكمال « ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي .

٥٨٢ وتوفي سنة ٦٧٤ وذكر مقطوعة من شعره (١). وله ترجمة في النجوم الزاهرة (٧: ٢٤٩، ٢٥٠، والسلوك (١: ٦٢٤، والشترات (٥: ٣٤٤).
 ٥٢ - ووردت في الصفحة ٥٩٧ ترجمة « فخر القضاة ابن بصاقة » .
 وقد تركه الشيخ الفاضل على هذه التسمية المجردة من غير تطبيق ، وهو « نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي النفازي أبو الفتح » ٥٧٧ - ٦٥٠ ، وقد ترجم له محيي الدين القرني وذكر أنه فقيه شاعر ماهر ، كان خصيصاً بالملك المعظم عيسى ابن الملك العادل الأيوبي ثم بابنه الملك الناصر داود ، وذكر له شعراً (٢) ثم ذكره في باب الأبناء بصورة « ابن بصاقة نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي فخر القضاة أبو الفتح الصفاري (كذا) » (٣) . وترجم له انقريزي في وفيات سنة (٦٥٠) قال : « وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى ابن بصاقة الكنتي الكاتب الوزير للناصر داود ، الأديب المثنى » (٤) وذكره ابن المبراد في وفيات (سنة ٦٥٠) قال : « وفيها فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بصاقة الحنفي الكاتب ، من شعره » (٥) وذكر له أحياناً .

٥٣ - وورد في الصفحة ٦١٥ ما هذا نصه « هكذا وجدت اليتيم في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الخطيري » ، هكذا بتقديم الخاء المعجمة

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢: ١٥٨) .

(٢) الجواهر المذكورة (٢: ١٩٩) وقد تصحف فيه بصاقة إلى رصاقة ، والنفازي إلى الصفاري .

(٣) المرجع المتقدم (ص ٣٩٢) .

(٤) السلوك (١: ٣٨٥) .

(٥) الشترات (٥: ٢٥٢) .

على الطاء ، والصواب « الحظيري » ، بالطاء المعجمة أخت الطاء المهملة ، وهو « أبو العالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب ، قال ابن خلكان : « كانت لديه معرفة وله نظم جيد وأثف مجاميع ما قصر فيها ، منها كتاب (زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألقاف شعر العصر) الذي ذيله على دمية القصر لأبي الحسن الباخريزي^(١) . . . » ، وذكر أنه توفي سنة ٥٦٨ هـ ، ثم قال : « والحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها راء . وهذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليها أيضاً ، وله ترجمة في كتب أخرى .

٥٤ — وجاء في الصفحة ٦١٦ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الحسين الملقب بالبدیع الأسطرلابي « وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببلدة الفالاج ودفن بمقبرة الوردية » . فعلق الشيخ على هذا التاريخ مانعه « في معجم الأدباء : أربع وثلاثين ومائة . تحريف » . ولم يذكر الطبعة التي وقع فيها التحريف من معجم الأدباء ، ففي طبعة مرغوليوث « مات بغداد ببلدة الفالاج سنة ٥٣٤ هـ^(٢) ، ولا تحريف فيها .

٥٥ — وورد في الصفحة ٦١٧ في ترجمة هارون الرشيد « وخرج عطف ابن الوليد السامري بالموصل والوليد بن طريف ، وخرج الخزر من باب الأبواب وخرج عمر الشاذي من شهرزور » . قال سامري والشاذي تصحيف « الشاري » وهو من أسماء الخوارج ويجمع على الشراة ، كما هو مشهور معلوم عند المختصين بالتاريخ والفقهاء والأدباء .

(١) الوفيات « ١ : ٢٢٠ من طبعة إيران » .

(٢) معجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٤٢ من الطبعة النجاشية في الأعلى » .

٥٦ - وجاء في الصفحة ٦١٨ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان البغدادي الشاعر ، وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن ابن جيرون الأمين . هكذا ورد « جيرون » بالجيم ، والذي علمناه وحفظناه « خيرون » بالناء المعجمة قال الذهبي في المشته - ص ١٩٤ - « خَيْرُون : أحمد بن خَيْرُون المصري ... والحافظ أبو بكر (١) أحمد بن الحسن بن خيرون وأخوه عبد الملك ، سمع البرقاني ، وابن أخيه مرقى بغداد مع سبط الخطاط ، أبو منصور محمد بن عبد الملك . والأول هو المراد قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٨٨ : « أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل الباقلاني ، ولد ثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وأربعمائة وسمع الحديث الكبير وكتبه ، وله به معرفة حسنة ، روى عنه أبو بكر الخطيب وحدثنا عنه أشياخنا وكان من الثقات وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ثم صار أميناً (٢) ثم ولي إشراف خزانة الفلات وتوفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر رجب هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب (٣) . »

هذا آخر ما استوجب التعقيب عما اعتدته أوهاماً ، تبقى فطنة لايهام القارىء الشادي ، والباحث المبتدىء البادي ، ومع ذلك فينبغي لي أن أشكر للأستاذ الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد مجهوده الأدبي للتاريخ الحميد ، فقد أجاد وأفاد ، ولكنه لو كان أشرك معه باحثاً آخر أو باحثين لتفادى من هذه الأوهام الكثيرة المزلقة وأخرج الكتاب بهيأة (٤) مشرقة ،

(١) جاء في حاشيته المبتنة « كنا بخط المؤلف وصوابه أبو الفضل » . وقد صدق المعلق .

(٢) أي أميناً على أموال الأيتام .

(٣) للتنظم « ٩ : ٨٧ » .

(٤) هذه طريقة سلكناها في كتابة كل همزة مفتوحة في داخل الكلمة .

لأن الاختصاص اليوم شرط من شروط نشر التراث الأدبي فالعصري المحقق يعرف المصريين أكثر من غيره ممن هم ليسوا بمصريين ، والمراقى المدقق أعلم بالمراقين ممن سواه وكذلك الشامي البارح أدري بالشاميين ، وكتاب فوات الوفيات يترجم لرجال من مختلف المصور ومختلف الأصقاع والأقطار ، ومختلف صنوف الرجال . وقد وقعت في الكتاب غلطات مطبعية ومنها ما ليست بمطبعة فحشرناها معها ، وهي :

الصفحة	الغلط	الصواب
٣٨	ابن شاتيل	ابن شاتيل
١٣٤	هيات إن	هيات أن
١٣٥	أيا هجري	أيا هجري
١٧٩	هب الهوى	هب الهواء
١٨٠	ولالأزاهر	ولالأزاهر
٢٠١	رفع الظلم	دفع الظلم
٢٠٤	عسكته	عكسته
٢١٨	فقاري	(مصحف)
٢٧٤	يسمى منازل	... منازل
٣٦٠	معنى	معنى
٣٦١	تأني أهلها	تأني ...
٣٨١	حوبر	جوبر
٣٩٠	أوزاري	أزراري
٣٩٦	درفا	درفا
٤٠٤	عاش تسمة	... تسماً (لأنها سنة)
٤٣١	السكون	الكون

الصفحة	الخط	الصواب
٤٤٣	زهر	زهر
٤٧٠	كيف تلقى	(غير موزون)
٤٧٥	فهو	فهو
٤٨٣	كتب	كتبت
٥١٧	والهم	والهم (لأنه في قافية)
٥٥١	يا خليلي	يا خليلي
٥٨٠	ومات التي	ومات الذي
٥٨٠	لطيف	كطيف
٦٢٢	الحيص	الحيص يمس
٦٣٦	حملت	حملت
	(بغداد)	مصطفى جواد



شعر

الوقوف على الأطلال

مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ

- ٥ -

٥ - حال الشاعر حين الوقوف على الديار

يختلف هذا المعنى عن المعاني الأخرى في شعر الوقوف على الأطلال .
فالمعاني التي درسناها سابقاً تتعلق جميعاً بالديار وبقاياها ، على حين يدور
هذا المعنى الجديد على أنفُس الشعراء وأحوالهم حين الوقوف على الأطلال .
وهو مع ذلك نتيجة لتأثير المعاني السابقة في أنفُس الشعراء ، فهو لذلك
يتعلق بهذه المعاني ، ويرتبط بها بهذا الرباط الوثيق .

والشعراء مشغوفون بأطلال الديار ، وقلوبهم متعلقة بها . وهذا الشغف
هو الذي يشدهم إلى الأطلال ، ويحبسهم للوقوف عليها . وهو بذلك يده
أحوالهم النفسية ومشاعرهم ، ومنطقها الأول حين وقوفهم على الأطلال .
قال امرؤ القيس (١) :

لَمَنْ طَلَلْتُ دَرَسْتُ آيَهُ وَغَيْرُهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ (٢)
تَنَسَّكْرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَبِعَرَفَةٍ شَغَفُ الْأَنْفُسِ

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) آية : أي علاماته وآثاره ، واحداً آية . والأحرس : جمع أحرس ،
وهو الدهر والزمن .

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي (١) :

تستخبر السنّ القفارَ ، ولم تكن لتردّ أخباراً على مستخبرٍ
ظلمتَ تحكّم بين قلبٍ عارفٍ معنى أحيته وطرفٍ منكرٍ
والحالات النفسية التي كانت تعترى الشعراء جميعاً ، والشاعر التي كانوا
يحسون بها حين وقوفهم على أطلال الديار كثيرة متعددة . وهي على كثرتها
وتعددتها تتصف دائماً بالحزن والكآبة . والسر في ذلك أن هذه الأحوال
النفسية تنشأ عن الذكرى ، ذكرى الأيام الماضية السعيدة التي قضاهما
الشاعر قاعماً سعيداً مع أحبائه . ومن طبيعة الذكرى أن تثير الحزن
والأسى . وقد ذكر الشعراء هذه الأحوال والمتاعر ، ووصفوها في شعر
الوقوف على الأطلال وصفاً حزيناً كثيراً ، يشجي النفوس ، ويشير في أعماقها
تعطفاً وتحناناً على هؤلاء الشعراء .

وكأنتا بالشاعر حين يقف بالديار ، وبجمل نظراته في أنحائها ، ويرى
بقاياها البالية الهجورة تغالب الفناء ، وتظل قائمة ، تشور في نفسه الذكرى ،
فيعود بخياله إلى أيام حياته السعيدة التي قضاهما في هذه الربوع على وصال
مع أحبته . فتثير هذه الذكرى في نفس الشاعر الألم والحزن ، « ولا
يمت الأحزان مثل التذكر » كما قالت ليلي الأخيلية (٢) ، وتهبج فيها الشوق
والصباة . وقد تذهله الذكرى عن نفسه ، فيذهب به الخيال بعيداً ، ويبلغ
به الحزن مبلغاً ، فيكي ويذرف الدموع كالأطفال . وبعد فراغ شحنة الحزن
والصباة التي تذهب وتنقضي مع سيلان الدموع يفيق الشاعر من ذهوله ،
وتتوب إليه نفسه ، ويرى أن لا طائل في الوقوف والبكاء ، فيتسلى عن

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .

(٢) الأغني ٧٢/١٠ - ٧٣ .

حزنه وهمه وذكرى أيامه الماضية بتأبى طريقه في السفر ، وبحث مطيته
على السير في مجاهل الصحراء .

وهكذا فانبعاث ذكرى الأيام الماضية أولاً ، ثم ثورة الحزن والألم في
نفس الشاعر ثانياً ، وهياج الشوق والصبابة ثالثاً ، وذهول الشاعر عن
نفسه رابعاً ، والبكاء وذرف الدموع خامساً ، ثم التسلي والتعزي سادساً ،
هي أهم الحالات النفسية التي كانت تمرى الشعراء حين وقوفهم على أطلال الديار .

وهذه الحالات النفسية التي ذكرناها زارها تتردد كثيراً في شعر الوقوف
على الأطلال . على أن أشهر هذه الحالات التي تمرى الشعراء ، وأكثرها
دوراناً في الشعر هي حالة البكاء وذرف الدموع . وقلما يخلو شعر في
الوقوف على الأطلال من البكاء والدموع . فقد بكى الشعراء طويلاً على
ديار أحبائهم ، وتعلموا بوصف الديار ، وتسألوا بنت الأطلال ، ولا سيما
الغزلون البداة منهم . والشعراء يتصفون برقة الطباع ، ورهافة الإحساس ،
فلا نمجب منهم إذا ما بكوا في ديار الأحبة ، وأطالوا في هذا البكاء . على
أن بعضهم قد بالغوا في البكاء ، وأوغلوا في سفح الدموع حتى سالت
على خدودهم ، وبلت ثيابهم . وأبيات امرئ القيس في مملته معروفة
مشهورة في هذا الميدان . قال (١) .

كأنى غداة الين يوم تحمّلوا	لدى سمّرات الحي ناقفُ حنظلٍ (٢)
وقوفاً بها صبحي على مطيئهم	يقولون : لانتلك أسمى ، وتجمّل (٣)
ففاضت دموع العين مني صبابةً	تلى النحر حتى بلّ دمعِي يحملي (٤)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) السرة : شجرة الصمغ العربي . وناقف الحنظل : الذي يستخرج حبه ، والحنظل
له حرارة تدفع منها العين .

(٣) المطي : الإبل ، واحدها مطية .

(٤) الحمل : أي يحمل إنثى .

وكان هذا البكاء يشفي هموم الشعراء ، وبطفيء غلة صدورهم ، ويمسح
عن نفوسهم آلام الذكرى ، ويفسل عنها آثار الحرمان ، ويريحهم من
حرقة الوجد . قال ذو الرمة (١) :

خليلي ، عوجاً من صدور الرواحل بريقة حزوي ، قابكيا في المنازل
لعل انحداراً اندمع بمقب راحلة من الوجد ، أو يشفي نجيء البلبال (٢)

* * *

وقد عمد الشعراء في وصف بكائهم وانحدار الدموع من عيونهم إلى
التصوير . فصوروا ذلك في صور طريفة ، تستوقف نظرنا منها صورتان
اثنتان شهيرتان ، تردان كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال . الصورة
الأولى هي تشبيه انبجاس الدموع من العينين وانحداره بتسرب الماء من
شقوف القربة البالية وانحداره إلى الأرض . قال امرؤ القيس (٣) :

ذكرت بها الحلي الجميع ، فبيجت عقايل سقم من ضمير وأشجان (٤)
فسحّت دموعي في الرداء كأنها كلّي من شبيب ذات سح وتّهتان (٥)

فنحن نرى امرأ القيس قد تذكر حين وقف بالديار أحباءه ، وهم
مجمعون في الماضي ، فبيجت هذا الذكرى داء القديم . فبكى لذلك بكاء
غزيراً ، وسحّت دموعه ، حتى بلل الدمع رداءه . ثم ذكر في تصوير

(١) ديوانه ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٢) النجي : ما يحدث به الإنسان نفسه . والبلبال : الهموم التي تتردد في الصدور .

(٣) ديوانه ٨٩ - ٩٠ .

(٤) الجميع : المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعقايلز السقم : بقاءه . ويريد
بالسقم هواء وجبه .

(٥) الشبيب : مرادة الماء البالية . والكلّي : جمع كلية ، وهي رفقة تكون في

أصل عروة الزادة ، وأكثر ما يسيل الماء منها .

انحدار دموعه أنها تشبه قطر الماء وسيلانه من خرز قربة الماء . وقد اعتاد الشعراء أن يذكروا قربة الماء البالية في هذا المجال . والر في ذكر القربة البالية خاصة في أمثال هذه الصورة هو المبالغة في الوصف ، وذلك أن خرز هذه القربة تكون أوسع من خرز القربة الجديدة ، وشقوقها أكثر ، وهذا أدعى لتسرب الماء وسيلانه .

والصورة بعد مأخوذة من صميم حياة الأعراب في البادية ، فاستقاء الماء من الآبار والندران ، ونقله في الروايا والقرب شيء مألوف في حياة الأعراب اليومية ، وهو منظر يكثر وقوع أعين الناس عليه . فلهذا أكثر الشعراء من إيراد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال في موضوع وصف بكائهم وسفحان دموعهم .

* * *

والصورة الثانية هي تشبيه انحدار الدموع من العينين أثناء البكاء بسيلان الماء من جوانب الدلو حين تنزع من البئر مليئة ، والماء يفيض من جوانبها ، ويتحدر رشاشاً أبيض نحو الأرض . قال الخطيئة في ذلك (١) :

أمن رسم دارٍ مربعٌ ومصيفٌ لسيفيكَ من ماء الشؤون وكيف (٢)
رشاشٌ كغريِّ هاجريٍّ ، كلاهما له داجنٌ بالكركرتين عليف (٣)
تذكرتُ فيها الجهلَ حتى تبادرتُ دموعي ، وأصحابي عليَّ وقوف (٤)

(١) ديوانه ٢٥٣ .

(٢) معنى البيت : أمن رسم المربع والمصيف هذه الدار تبكي عينك .

(٣) القرب : الدلو العظيمة من جلد ثور ، يجرها بعير . والهاجري : الدقي الماهر . والداجن : البعير الذي ألف السقي . والكركتان : كرة بالذهب حين تنزع الدلو من البئر ، وكرة بالعودة لا يزال الدلو في البئر .

(٤) الجهل : جهل الشباب وطيشه .

لقد وقف الحطيثة على دار أحبته ، فرأى أن مرور الربيع والصيف قد غيرا آثارها ودرسائها ، فبكى لذلك ، وذرف الدمع من عينيه غزيراً سخياً ، حتى كانت عيناه كدلوين ترشان بأناء رشاً !

وهذه الصورة شبيهة بالصورة الأولى في الأصل ، قريبة منها في الشكل والناصر الأخرى . وهي أيضاً مثلها مستمدة من حياة الأعراب في البادية ، لأن استقاء الماء بالدلاء من الآبار للشرب وسقي الأغنام والأنعام ضرورة لازمة لهذه الحياة ، وعمل أساسي من أعمال الأعراب اليومية .

* * *

وللشعراء صور أخرى جيدة طريفة في وصف سيلان دموعهم من عيونهم حين وقوفهم على ديار الأحبة . منها تشبيه الدموع الجارية بالجمان المتثر من النظام . قال ذو الرمة في ذلك (١) :

قف العيس في أطلال مية ، واسأل رسوماً كأخلاق الرداء السلسل (٢)
أظن الذي يجدي عليك سؤائبها دموعاً كتبديد الجمان المفصل
رمها تشبيه ذرف الدموع بسقوط قطرات ماء المطر من أغصان الشجر .
قال جرير المود في ذلك (٣) :

فيمت كأن العين أفنان سيدةٍ عليها سقيطٌ من ندى الليل ينعلف (٤)

(١) ديوانه ٥٠١ .

(٢) العيس : الثيل البيض . وأخلاق الرداء : قطعه البالية .

(٣) ديوانه ١٣ .

(٤) أفنان السرة : أغصانها . والسقيط : الثلج .

وقد أتى إبراهيم بن كرمته بالصورتين مما في شعر له ، قال (١) :

كَأَن عَيْسَى إِذْ وَلَّتْ حَمُولَهُمْ مَنِي جُنَاحَا حَمَامٍ صَادَفَ مَطَرَا
أَوْ لَوْلُو سَلِيسٌ فِي عَقْدٍ جَارِيَةٍ وَرَهَاءَ نَازِعِيهَا الْوَلْدَانُ فَاتَثَرَا (٢)
وَوَصَفَ امْرَأَ الْقَيْسِ بَكَاءَ فِي الدَّيَارِ مَرَّةً ، وَصَوَّرَ دُمُوعَهُ ، فَشَبَّهَا فِي
مَرَضِ التَّصَوُّرِ بِأَشْيَاءَ عَدِيدَةٍ مُخْتَلِفَةٍ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فَقَالَ (٣) :

عَيْنَاكَ دَمْعُهَا سِجَالٌ كَأَن شَأْنُهَا أَوْشَالٌ (٤)
أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سَجَالٌ

هذه عدة صور أتى بها امرؤ القيس في مبالغة وإغراق . ولكنها مبالغة شائعة مستحبة ، لأنها من صنع شاعر مجيد . والشاعر يضفي على صوره ومعانيه أشياء من عواطفه ومشاعره ، فيخفف بذلك من وقع المبالغة في نفوسنا . والشعراء بعد أصحاب أخيلة مجنحة تطير بهم بعيداً في أجواء الفن ، فتغفر لهم ، ولا نحاسبهم لذلك حساباً عسيراً .

وتابع عبيد بن الأبرص امرأ القيس في وصف بكائه وتشبيه دموعه بعدة أشياء في صور متوالية ، مبتدئاً بقربة الماء البالية ، ومنتهاً بجداول ماء

(١) التشبيهات ٨٠ .

(٢) ورهاء : أي حمقاء .

(٣) ديوانه ١٨٩ .

(٤) السجال : جمع سَجَل ، وهو الدلو . والأوشال جمع وَشَل ، وهو الماء القليل الجاري .

يجري خلال النخيل : قال عبيد (١) :

عيناك دمعها سروب^(٢) كأن شأفها شبيب^(٣)

أو قلح^(٤) ما بطن واد^(٥) للماء من تحته قسيب^(٦)

أو جدول في ظلال نخل للماء من بينه مكوب^(٧)

هذه صور طريفة ، سريعة الحركات ، متلاحقة النهايات ، نرى فيها رقة ومرحاً ، ولا نسمع رنة الحزن ولا ترجيعات البكاء ، فهي تنيب وتختفي وراء أمواج النغم التي يوقعها الشاعر .

* * *

ولقد أفصح الشعراء عن حزنهم وألمهم في شعر الوقوف على الأطلال بعمان كثيرة وعبارات مختلفة . ولكن المعنى الذي تداولوه جميعاً ، وعبروا عنه بمباراة واحدة هو معنى الشجو ، أي الحزن الدائم العميق في مسكون ، حتى إنهم كثيراً ما كانوا يبدئون أشعارهم بلفظ (الشجو) نفسه ، كما قال طرفة ابن العبد (٤) :

أشجاك الربيع^(٥) أم قديمته^(٦) أم رماد^(٧) دارس^(٨) حممته^(٩)

فهو يتساءل عن هذا الحزن أو الشجو الذي ثار في نفسه من وقوفه على الديار ، وعبر عن هذا الحزن بلفظ مأخوذ من الشجو ، فقال : أشجاك .

(١) ديوانه ١٢ .

(٢) سروب : كثير الجريان . والشبيب : قرية الماء البالية .

(٣) الفلج : الماء الجاري . والقسيب : صوت جري الماء .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

(٥) حمة : أي فحة ، واحدتها حممة .

وكذلك أكثر الشعراء من ذكر هياج الشوق والصبابة في هذا المجال ،
واعتادوا افتتاح قصائدهم بلفظ (هاج) نفسه . قال الخطيب (١) :

وهاج لك الصبابة من هواها بحثو قراقرط ظلل ' محيل ' (٢)
كما هاج الصبابة يوم مرت عوامد نحو واقصة المحول (٣)
وقال زهير بن أبي سلمى (٤) :

هاج الفؤاد معارف الرسم قفر بذى المصنات كالوشم
وقال حسان بن ثابت (٥) :

أهاجك بالبيداء رسم المنازل نعم ، قد عفاها كل أسحم هاطل (٦)

والشكوى من دأب الشعراء في وقوفهم على أطلال الديار . فهي حبيبة
إلى قلوبهم ، قرية إلى نفوسهم ، يناجونها ويشونها آلامهم وأحزانهم ،
ويشكون إليها ما يكابدون من شوق إلى أهلها الطاعنين ، ويجدون في هذه
الشكوى عزاء وسلوى . وكأن هذه الديار رفيق أمين يسعد في بلوam ،
فيأنسون بقربه ، وينعمون بلفائه ، وينسون وحدتهم ووحشتهم عنده ، ولو
إلى حين . قال ذو الرمة في الشكوى (٧) :

وقفت على ربع لمة ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأشكيه حتى كاد مما أبته تكلمني أحجاره وملاعبه (٨)

(١) ديوانه ١٩٧ .

(٢) المحيل : المتغير .

(٣) عوامد : أي قواصد . والمحول : الإبل عليها هواج النساء .

(٤) ديوانه ٣٨٢ .

(٥) ديوانه ٣١٣ .

(٦) الأسحم : السحاب الأسعم ، وهو الأسود .

(٧) ديوانه ٣٨ ، والسان (ش.كا) .

(٨) أشكيه : أشكو إليه أمرى .

وبعد فإن الاستغراق في الذكرى ، والذهول عن النفس من المعاني التي ردها الشعراء كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، لشدة حزنهم وفرط صيابتهم وشغفهم ، حتى ما يطيقون مغادرة الديار . قال امرؤ القيس في هذا المعنى (١) :

ظَلَيْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعْدَ الْحَصَى ، مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي
أَعَيْتِي عَلَى التَّهْنِئَاتِ وَالذِّكْرَاتِ يَتَنَ عَلَى ذِي الْهَمِّ مَعْتَكِرَاتِ (٢)
فهو قاعد لا يبرح الديار ، ذاهل عن نفسه وعن الدنيا من حوله ، بعد الحصى من الهم حيران آسفاً ، ويكي لهفة وشغفاً . وتأخذه الذكرى والهموم من كل جانب ، فيفر منها إلى رقيق الطريق في السفر يطلب المون والغزاء .

وقد شبه كثير من الشعراء أنفسهم في ذعولهم واستغراقهم في الذكرى والصبابة بشارب الخمر الذي باكر الشراب فانتشى . قال امرؤ القيس (٣) :

فَظَلَيْتُ فِي دَمَنِ الدِّيَارِ كَأَنِّي نَشْوَانُ بَاكِرِهِ صَبُوحُ مَدَامِ
وَقَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ (٤) :

ظَلَّتْ بِهَا كَأَنِّي شَارِبُ صَبَاءٍ مَا عَنَقْتُ بِأَبْلِ (٥)
فقد استغرق امرؤ القيس وعبيد في الذكرى ، وغابا في دنيا الذكريات عن نفسيهما وعما يدور حولهما ، كما يغيب النشوان من أثر الخمر .

(١) ديوانه ٧٨ .

(٢) معنكرات : أي دلائل متتابعات .

(٣) ديوانه ١١٥ .

(٤) ديوانه ٩٨ .

(٥) ظلت بها : أي ظلت بها .

على أن تشبیه الشاعر نفسه بشارب الخمر النشوان في ذهوله واستفراقه في الذكريات حين وقوفه على أطلال الديار قد انقطع في الإسلام بعد أن كان شائناً في الجاهلية . وهذا أثر من آثار تعاليم الإسلام التي تحرم شرب الخمر على المسلمين .

وقد انتهى الشمور بالوجد والحزن والصبابة بالحطیئة الشاعر حين وقف على ديار هند ، ورأى بقاياها المافية ، وفعل الزمن والرياح في آثارها ، وبدأ يسألها عن أهلها الطاعنين ، يقول : انتهى كل ذلك بالحطیئة الشاعر إلى الارتعاش والألم الشديد الذي يعتري من تنهشه أفعى قديمة قاطعة الدم . قال الحطیئة (١) :

قد غيّر الدهر من بعدي معارفها والريح ، قادت فتى فيها مغانيها
جرّت عليها بأذيال لها عصفير فأصبحت مثل سحق البرد عافيا
كأنني ساورتني يوم أسألها عود من الرقش ، ماتصفي لراقيا (٢)
وشمور الحطیئة هذا وأله أمام هذه الآثار المافية من ديار هند هو أعلى درجات الانفعال والحزن في شعر الوقوف على الأطلال .

الذكرور عزة حسن



(١) ديوانه ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) العود : القدم المسن ، ويريد حبة قديمة هنا . والرقش : جمع رقشاء ، وهي الحية المنقطة .

شيء من الفعل في العربية

سأعرض في هذا البحث لشيء يتصل بالفعل العربي مما له فائدة خاصة وهي دخوله في الأساليب الخاصة . ومن ذلك المادة الفعلية التي تؤلف أسلوب التعجب وأسلوب المدح والذم .

أقول إن قولهم : « ما أحسن زيداً » و « أحسن زيد » أسلوب للتعجب ، فإنه يتوصل بهذا الأسلوب الى التعجب من « حسن زيد » .

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها أسلوب من أساليب الكلام لكانوا في غنى عن الذهاب في متاهات بعيدة عن العلم اللغوي .

فسر النحويون « ما أحسن زيداً » بـ « شيء أحسن زيداً أي جعله حسناً » ، وما أظن أن التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة ، فهي كما قالوا جملة خبرية في حين أن أسلوب التعجب لا يتأتى بهذا فهو « إنشاء » .

ولم يصلوا إلى هذا التفسير إلا ليحلوا المشكلة الإعرابية ، فإن « ما » عندهم نكرة تامة بمعنى شيء ، وهي مبتدأ . ولم أستطع أن أهتدي إلى هذه النكرة وإلى غامها وإلى تأويلها بشيء ، ثم لم أستطع أن أهتدي إلى كونها مبتدأ . ألا ترى أن « ما » هذه لا صلة إسناد لها بما بعدها من جملة التعجب إذ لا يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا .

وقد بدت حيرتهم في « ما » هذه ، فقال الأخفش : « إنها موصولة وتأويل الكلام « الذي أحسن زيداً شيء عظيم » ومعنى هذا أن الخبر محذوف . وما أظن أن أسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة .

وذهب بعضهم إلى أنها استفهامية ، والجملة التي بعدها خبر عنها ، والتقدير « أي شيء أحسن زيدا ؟ » ، وما أظن أن أسلوب الاستفهام مفيد للتعجب ، وهذا لم يقله إلا نحوي أفقده ثقل الموضوع التمييز بين أسلوبين مختلفين كل الاختلاف .

وقد ذهب بعضهم إلى أنها نكرة موصوفة ، والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيدا عظيم » . وهذا قول ضعيف غاية الضعف .

ومن هذا المرض يتبين أنهم لم يحاولوا درس هذا الأسلوب الذي يعبر به عن التعجب ، فقد شغلوا أنفسهم بالإعراب . وكان أصلح للمرية والنحو العربي أن يقولوا في هذا التركيب « إنه أسلوب للتعجب مؤلف من « ما ، التعجيبة متلوة : « فعل ، على « أفعل » ، أو « أشد ونحوها » متلوة بالمصدر في أحوال أخرى عرض لها النحاة واشتروا لها شروطاً خاصة . وإن هذا « الفعل » من الأفعال الخاصة غير المتصرفة التي بنيت على هيئة مخصوصة فأفادت التعجب .

ومثل هذا تقول في « أحب يزيد » فهو أسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخلوها ، وبذلك ليم هذا الأسلوب المشار إليه .

قلت : إن النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من أجزاء هذا الأسلوب ، فقد اختلفوا في فعلية هذه المادة أو اسميتها ولا يزيد أن نعرض لأقوال كل من الفريقين ، أما الذي زيد أن تقرر « فإن « أفعل » ، و « أقعل » ، من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة فجمدت وابتعدت عن قبول علامات الأفعال ، وذلك لانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث وترشحها لزمان ما ، وبذلك تؤدي أسلوب التعجب .

وكنا قد رأينا مثل هذه الأفعال التي تحجرت في صورة ما ، لتؤدي معنى خاصاً وهي : عسى وحرى واخلاق وكاد وكرب وغيرها .

ولا بد أن نختم هذا البحث فتير إلى قلق النحويين وعدم ثبثهم فيما ذهبوا إليه فقالوا : « ما أجمله و « أجميل » به ، ، والهاء عندم مفعول به في الجملة الأولى ، وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائد .

ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك إلى الاختلاف في اعتبار التعجب منه من الناحية النحوية . وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان إليها .

ومن هذه الأساليب أسلوب المدح والذم ويبر عنه جمادة « نعم » للمدح و « بش » للذم و « جذاء » للمدح و « لا جذاء » للذم . وهذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان ، للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص كما في « نعم الولد زيد » و « بش المرأة هند أو بثت » .

وقد كان النحويون الأقدمون في حيرة من هذه بسبب إعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين إلى أن « نعم » و « بش » فلان بدلالة دخول تاء التانيث الساكنة عليها . وذهب جماعة من الكوفيين - ومنهم الفراء - إلى أنها اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليها نحو قولهم : « والله ما هي بنعم الولد » . ورد قول الكوفيين بالتخريج النحوي المثبت في كتب النحو .

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص الفصيحة ، وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه . والفاعل في هذه الجملة إما أن يكون محلياً بالآلف واللام ، وإما أن يكون شيئاً آخر .

وقد قالوا في هذه الألف واللام : إنها للجنس حقيقة أو مجازاً ، وقالوا : إنها للمهد كما في قوله تعالى : « نعم المولى ونعم النصير » . ويكون الفاعل مضافاً إلى ما فيه « آل » كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » .

ويكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو : « نعم قوماً مشرء » ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « مشرء » مبتدأ وزعم بعضهم أن « مشرء » مرفوع بـ « نعم » وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن « قوماً » حال ، وقال آخر : إنه تمييز .

وهذا الاختلاف في إعراب « قوماً » و « مشرء » دليل على أن هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : إنهم لم يهتدوا إليها اهتداءً كافياً ، فهي إما أن تكون كذا وإما أن تكون أشياء أخرى .

وقولهم : إن في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز شيء ملفق مصطنع ، ذلك أن الضمير لا يستعمل إلا حيث كان مسبوقاً باسم ظاهراً ، والطبيعي أن يذكر الظاهر ثم يسود عليه ضميره .

وإذا قالوا : « نعم الولد زيد » فإن « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو أنه خبر الجملة قبله مبتدأ والتقدير « زيد نعم الولد » . أو أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد المدوح » .

وهكذا انصبَّ اهتمام النحويين على إعراب هذه الأجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن أسلوب المدح والذم .

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة وأكثروا من الاعتماد على الأمثلة التي اصطنعوها ثم اتقنهم نحو : « نعم الرجل زيد » و « نعم غلام القوم زيد » و « بش غلام القوم عمرو » .

ومثل هذه الأمثلة لم نعرفه في لغة التنزيل مثلاً ، وذلك أن « نعم » وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات ورد هذا الفعل مسنداً

إلى مرفوعه ولم يرد ما أسموه بالخصوص بالمدح وهو «زيد» كما في قولهم ،
«نعم الرجل زيد» .

والآيات التي وردت فيها «نعم» هي على النحو الآتي :

الآية	رقمها	السورة
ونعم أجر العاملين	١٣٦	آل عمران
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	١٧٣	آل عمران
وإن قولثوا فاعلموا أن الله مولاكم		
نعم المولى ونعم النصير	٤٠	الأنفال
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤	الرعد
ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين	٣٠	النحل
نعم الثواب وحسنت مرتقفا	٣٩	الكهف
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير	٧٨	الحج
نعم أجر العاملين	٥٨	الضكوت
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيئون	٧٥	الصافات
ووهبنا لداود سليمان نعم البد إنه أوّاب	٣٠	ص
إنا وجدناه صابراً نعم البد إنه أوّاب	٤٤	ص
فنعم أجر العاملين	٧٤	الزمر
والأرض فرشناها فنعم الماهدون	٤٨	الذاريات
فقدّرنا فنعم القادرون	٢٣	المرسلات

وقد وردت «نعمتا» في آيتين هما :

إن تبدو الصدقات فنيماً هي	٢٧١	البقرة
إن الله نعيمنا بظنكم به	٥٨	النساء

ومثل « نعم » جاءت « بئس » في لغة التنزيل العزيز ، وليس فيها إلا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة . ولنعرض للآيات التي جاءت فيها « بئس » وهي على النحو الآتي :

السورة	رقمها	الآية
البقرة	١٢٦	ولبئس ما شرّوا به أنفسهم
البقرة	٢٠٦	فحسبته جهنم ولبئس المهاد
آل عمران	١٢	مستغلبون ومخشرون إلى جهنم وبئس المهاد
آل عمران	١٥١	ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
آل عمران	١٦٢	ومأواه جهنم وبئس المصير
آل عمران	١٨٧	واشترّوا به غنا قليلاً فبئس ما يشترون
آل عمران	١٩٧	ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
المائدة	٦٢	لبئس ما كانوا يعملون
المائدة	٦٣	لبئس ما كانوا يصنعون
المائدة	٧٩	لبئس ما كانوا يفعلون
المائدة	٨٠	لبئس ما قدمت لهم أنفسهم
التوبة	٧٣	ومأواه جهنم وبئس المصير
هود	٩٨	فأوردتهم النار وبئس الورد المورود
هود	٩٩	بئس الرّقد المرفود
الرعد	١٨	ومأواهم جهنم وبئس المهاد
ابراهيم	٢٩	جهنم يصلّونها وبئس القرار
النحل	٢٩	فلبئس مثوى المتكبرين
الكهف	٢٩	بئس الشراب ومساءة مرتفقاً

الآية	رقبها	السورة
بئس للظالمين بدلا	٥٠	الكهف
لبئس المولى ولبئس العشير	١٣	الحج
وبئس المصير	٧٢	الحج
ومأواهم النار ولبئس المصير	٥٧	النور
جهنم يصلونها وبئس المهاد	٥٦	ص
فبئس القرار	٦٠	ص
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٢	الزمر
فبئس مثوى المتكبرين	٨٦	غافر
فبئس القرين	٣٨	الزخرف
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان	١١	الحجرات
مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير	١٥	الحديد
حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير	٨	المجادلة
بئس مثلى القوم الذين كذبوا بآيات الله	٥	الجمعة
أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير	١٠	التناب
ومأواهم جهنم وبئس المصير	٩	التحریم
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير	٦	الملك
وقد وردت «بئسا» في ثلاث آيات هي :		
بئسا اشتروا به أنفسهم	٩٠	البقرة
قل بئسا يأمركم به إيمانكم	٩٣	البقرة
بئسا خلقتكموني من بعدي	١٥٠	الأعراف

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » والآيات التي وردت فيها « بش » أن النحاة لم يشغلوا أنفسهم بشيء كثير في لسان العرب ، بل اهتموا بمسائل لم ترد إلا قليلاً ، وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب حتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم . غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يُعدُّ النموذج الصحيح للعربية في هذه الفترة التاريخية .

ونخلص من ذلك أن « زيداً » المذموم ، و « عمراً » المدوح لم يكونا في هذه اللغة القويمة على النحو الذي ورد في كتب النحو .

ثم جاء النحاة إلى « جذاً » و « لاحقاً » لإفادة المدح والذم فقالوا في المدح : « جذاً زيد » ، وفي الذم : « لاحقاً زيد » .

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا جذاً أهل الملا غير أنه إذا ذكرت نمي فلا جذاً هيا
وشأنهم في « جذاً » و « لاحقاً » شأنهم في « نعم » و « بش » فقد
اختلفوا في إعرابها كما اختلفوا في « نعم » و « بش » .
ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف - وزعموا أنه مذهب
سيويه - إلى أن « حبَّ » فعل ماضٍ و « ذا » فاعله ، وأما الخصوص
فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً لمبتدأ
محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي المدوح أو المذموم زيد .

وذهب البرد ، وابن السراج في « الأصول » ، وابن هشام اللخمي
- واختاره ابن عصفور - إلى أن « جذاً » اسم ، وهو مبتدأ ، والخصوص
خبره ، أو خبر مقدم والخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا »
وجعلنا اسماً واحداً .

وذهب قوم - منهم ابن درستويه - إلى أن « جذاً » فعل ماضٍ و « زيد »
فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا فعلاً .

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة «جذا» وفعليتها واسميتها ، وما ذلك إلا للفصل في كل جزء من أجزاء الجملة التي تقع فيها «جذا» وإيقاعه في موقع إعرابي خاص . واختلافهم هذا في حقيقة هذه الأفراد التي تتكون منها جملة «جذا» دليل على أنهم قلقون في اعتبار هذه الأساليب الفعلية الخاصة لإفادة غرض خاص هو المدح أو الذم .

أما القول في إسمية «جذا» و«لا جذا» فهو شيء مستبعد في جملة «جذا» ، وذلك لأن هذا التركيب جاء لإفادة أسلوب المدح ، وإفادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وإن لفظ «حب» هو الفعلية ولكن الذي أبعدنا عن الفعلية الصريحة تركيبها مع «ذا» ولا يعني هذا التركيب أنها انتقلت من فعل إلى اسم . غير أن من المناسب أن نقول : إن هذه الالفاظ أفعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة ففرعت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للإعراب عن أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح والذم ، ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك أن الأفعال قصد من تحويلها إلى الجمود ، وتركيبها مع «ذا» إفادة للمدح أو الذم وإفادة هذا الأسلوب يعني أنه من جملة الأساليب الإنشائية ، ولا تستقيم هذه الأساليب مع الزمن الماضي .

أما القول بأن «ذا» فاعل قليس بسديد أيضاً ، وذلك أن تركيب «حب» مع «ذا» جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن أن تنصرف «جذا» إلى جملة . ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره «جذا» كلمة واحدة . ثم إن «حب» لم يتضح لنا أنها أسندت إلى «ذا» فيؤدي هذا الإسناد إلى حصول فائدة ما .

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب (وصيرورة هذا المركب) كلمة واحدة مال العربون في عصرنا إلى اشتقاق فعل من هذا المركب هو «حَبَذَ» بمعنى «استحسن» أو «فضّل» واستعملوا من ذلك الأبنية المختلفة كالمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول وسائر الصيغ الأخرى .

وبعد فإنّ هذه الألفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهها خاصاً للتعبير عن فن من فنون القول . ومن المفيد ألاّ تدخل هذه في اختلاف النحويين وجعلهم فتضيع في متاهات الفاعل وضمير الظاهر ، والابتداء وخبره المحذوف أو الخبر ومبتدئه المحذوف . وإن حاولتهم في إيجاد هذه المسميات في هذه الجمل التي أفادت التعجب والتي أفادت المدح أو الذم إضاعة للغرض الذي أطلقت من أجله .

ومن المفيد أيضاً أن نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم ، فنجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن كونها حياة يحياها العربون .

وعلى هذا فإن اللغة ليست وسيلة يعبر بها عن الفكر ، بل هي في حركاته وسكناته وهي الفكر مكتوباً أو منطوقاً به .

وأعود فأقول : إن دعوات أصحاب التيسير يجب أن تكون دعوات مفيدة فتيسر وتنبذ ما ليس من طبيعة اللغة ، وأن يكون النحو الجديد مادة تصف اللغة وصفاً بعيداً عن التعليل والتأويل ، وبذلك يتم لأصحابنا القائلين بالتيسير والداعين إليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد .

وقد تقول ، إن النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من تراثنا فماذا نحن صانعون به إن أخذنا بآراء أهل التيسير التي تتكرر لكثير من العلم النحوي القديم ؟

ونحيب عن هذا السؤال فنقول : إن النحو القديم وهو من تراثنا الذي نجله وتقدره قدره ينبغي أن يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسه ونفهمه

بأصوله وفلسفته وعلمه وأحكامه ومناهجه التي أخذوا أنفسهم بها ، وأدى بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وقانونية . والذي نعرفه أن العلوم كافة تخضع للتطور والتجديد ، فالفلسفة الحديثة غير الفلسفة في القرون الوسطى وغيرها في أيام الإغريق . والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات ، فالذي كان مقبولا في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولا في أيامنا . ومثل هذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك .

ثم إن الدراسات النحوية في اللغات الأوربية الحديثة تذهب في هذا السبيل ، فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحو جديد مبني على الاستقرار والوصف للنصوص الفصيحة الموروثة دون التنكر للغات الحديثة وما جد فيها من التطور في الأصوات ، وفي تركيب الجمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة . على أن لهذه اللغات نحواً قديماً يقبل عليه الدارسون المعنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك إلى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه .

ومن الخير للعربية وأبنائها أن نجري في هذا السبيل لتأخذ بالأسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة .

(بغداد) الدكتور إبراهيم السامرائي



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحث بملل المقامات ويستشف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٥ -

٤ - الكُدَيَّة

الكُدَيَّة مظهر من مظاهر الفقر في المجتمع وعدم التكافل الاجتماعي بين الناس . وربما تكون في بعض الأحيان مظهراً من مظاهر العجز أو الكسل الفردي ، وهي قديمة في التاريخ ؛ وجدت منذ وجد العجز والفقر إلى جانب القوة والغنى بها يختلف تأويل ذلك :

متى ما ير الناس الفقير وجارء غني يقولوا عاجز وجليل !

الكُدَيَّة في التاريخ : وقد كانت الكُدَيَّة معروفة منذ القديم ، كما يبدو أنها كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى نهى عنها الإسلام وحاربها النبي ﷺ وحض على العمل والكسب ، وشاعت أقواله في ذلك ، ومنها « لأن يأتي أحدكم الجبل فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ومنها « اليد العليا خير من السفلى » ويرجع أن تكثر الكُدَيَّة وتنتشر حيث يعم الفقر ، وتقل حيث يسود الرخاء . وقد مرّ بنا الحديث عن سوء الوضع الاقتصادي أيام الهمداني ، وهو في مقاماته إنمّا يطلعنا على سبيل المكدين في حرقهم ، ويكشف لنا أساليب

خداعهم ... بل إنه يُعنى بالكديّة عنايةً خاصةً حتى كانت المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم الاقامات .

وليس مانقله إلينا الهمذاني من أخبارهم ، على كثرة وطرافته ، غريباً أو بعيداً عما عرف في ذلك العصر ؛ فلقد ذكروا أن بعض الناس كانوا يحتالون للسلب بحيل شتى ، وأن من الحيل التي يلجأ إليها بعض المكدين لجمع المال تظاهرهم بالغزو والجهاد فيجمعون المال لتجهيز أنفسهم أو فك أسراهم !! وكثير من هؤلاء كانوا يركبون الدواب ويطوفون البلاد كالغزاة ليؤمّموا الناس بصدقهم ، بل إن في أخيار التاريخ أن جيشاً من عشرين ألفاً خرج من خراسان سنة ٣٥٥ هـ بحجة الغزو ثم ظفر بأموال الدولة وانقلب إلى جيش للسلب والنهب (١) .

ولعل من أطرف ماوصف به المكدون وأساليبهم تلك القصيدة الطويلة الرائعة المعروفة بالقصيدة الساسانية والتي نظمها أبو دلف الخزرجي (٢) ومطلعها :

جفون دمعها يجري لطلول الصدّ والهجر (٣)

وقد وصف فيها الغربة والتنقل ، وذكر حيل المكدين من كتابة التعاويذ والتآمر مع القصاصين الذين يتصدّرون حلقات القصص ويأمرون المستمعين بأعطاء الفقراء ثم يقاسمونهم ماجمعوا بعد انقضاء الحلقة ، كما ذكر كثيراً من أساليب المكر والخداع كتصفير الوجه أو تجريحه ، أو إيهاام الناس بقطع اللسان ، أو ارتداء زي الرهبان أو الحجاج ، أو الاحتيال بالتنجيم

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٦٦ .

(٢) هو مسعر بن مهلب . انظر ترجمته وأخباره في ينيمة الدمر ٣ : ٣٥٦ (طحي الدين عبد الحميد) .

(٣) انظر القصيدة في ينيمة ٢ : ٣٥٨ .

أو باصطحاب عدد من الأطفال عليهم آثار الجوع والعري .. أو بترقيص القردة أو اللحية ... ، وهي قصيدة جامعة حتى إن آدم متز يقول : إنها وثيقة اجتماعية عن القرن الرابع . (١)

الكديّة في المقامات : أما الحمذاني فيحدثنا عن الكديّة حديثاً طريفاً يتكرر له الأساليب ويمدّد المذهب ، فلا يترك نوعاً من الكديّة إلا يأتيها بنموذج منه ويمثله لنا وكأنه أستاذ فيه .

ومما يجلب النظر في أساليب المكدين التي عرضها علينا أنها ليست غريبة عنا ولا عن عصرنا ، وأنها هي نفسها الأساليب المتبعة عند المكدين المعاصرين وكأنهم توارثوها جيلاً عن جيل .

فمن المكدين من كان يجول في الأسواق رافعاً صوته في الإنشاد :

ويلى على كفتين من سويق	أو شحمة تضرب بالدقيق
أو قصعة تملأ من خرديق	يفشأ عنسا سطوات الربق
يقيمنا عن منجج الطريق	يارازق الثروة بعد الضيق (٢)

أو يستجدي قائلاً :

ياقوم قد أثقل دَيني ظهري	وطالبتني طلثي (٣) بالهر
أصبحت من بعد غنى ووفر	ساكن قفر وحليف فقر
ياقوم هل بينكم من حرّ	يسيتي على صروف الدهر (٤)

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٠٧ .

(٢) المقامة الازاذية : ١٥ .

(٣) الطلّة : الزوجة .

(٤) المقامة الكفوفية : ٨٤ .

فإذا نال ما طلب من أحد المستين أتبعه بالدعاء والشكر :

يا من عنائي بجميل برّه أفضى إلى الله بحسن سرّه
واستحفظ الله جميل ستره ان كان لاطاقة لي بشكره

فأله ربي من وراء أجره (١)

ومن المكدين من يتظاهر بالمرض ويمثل دور المصاب البتلى فيضمده ساقه أو يشدّ يده إلى عنقه أو يعصب رأسه أو يعمد إلى الارتجاف كلما شعر بدنوّ أحد المارّة منه . . . ومنهم من كان يتظاهر بالعمى كالذي حدثنا عنه الحمداني في القامة المكفوفية فهو « أعمى مكفوف » ولكنه سرعان ما يعرف الدينار من لسه بما جعل ابن هشام يشك في أمره ويقول « وتبتمه فعلت أنه متعالم لسرعة ماعرف الدينار ... ثم فتح عن قوامتي لوز (٢) » . . . ومنهم من كان يكتب حاجته على أوراق يوزعها على الناس ، شأن بعضهم اليوم ، وقد رأى ابن هشام من هؤلاء في أسواق العراق وقال لأحدهم « ألم أرك بالعراق تطوف في الأسواق مكدياً بالأوراق ؟ (٣) » . . . وقد تكون للكدي طريقة أخرى في سؤاله الناس وذلك بأن يفتح الفرصة السانحة ويأتي في الوقت اللائم ، وللنفس أحوال تحب أن تصنع فيها الخير كأن يكون الإنسان مقدماً على سفر فإذا هو قبل أن تتحرك مطيئته أمام سائل يتضرع داعياً له بالأمن والسلامة على حين أنه منصرف إلى التفكير في أخطار الطريق ومشاق السفر .

(١) القامة الازادية : ١٦ .

(٢) القامة المكفوفية : ٨٦ .

(٣) القامة البلخية : ٢١ .

وكثيراً ما نشاهد اليوم أمثال هذه الفئة من المكدين يقفون في المحطات أو مراكز انطلاق القطر والسيارات يتصيّدون المسافرين حاقين بهم داعين لهم بالأمن والسلامة ، ومن هؤلاء ذلك الذي حدثنا عنه ابن هشام في المقامة البلخية حيث قال : « ولما حنى الفراق بنا قوسه أو كاد دخل عليّ شاب في زيّ ملء العين .. ولقيني من البرّ في الثناء ، ثم قال : أظننا تريد ؟ فقلت : اي والله . فقال : أخصب رائدك ولا ضلّ قائدك . فإن تريد ؟ قلت : الوطن . فقال : بلئت الوطن وقضيت الوطر .. » ، قال : إذا أرجعك الله سالماً من هذا الطريق فاستصحب لي عدوّاً في بردة صديق من نجار الصفر يدعو إلى الكفر ويرقص على الظفر ، كدارة العين يحطّ ثقل الدين وينافق بوجهين . قال ابن هشام : فعلت أنه يلتمس ديناراً فقلت : لك ذلك تقدراً ومثله وعدا ... ، (١)

ومن الأحوال التي يجب فيها الخير إلى النفوس أن يكون الإنسان في جوّ ديني تسوده روح البذل والتعاون ، أو أن يكون الإنسان منصرفاً إلى تذكّر الآخرة والزهد في الدنيا ، راغباً في الأجر والثواب ... فهو في مثل هذه الأحوال أقرب إلى الاستجابة وأسرع إلى السخاء .. وقد عرف المكدون ذلك فربطوا عند أبواب المساجد أو دخلوا على الناس في المساجد فوعظوهم وذكرهم حتى امتلأت قلوبهم بحب الآخرة ونعيمها والزهد في الدنيا ومباهجها ثم عرضوا على الناس بؤسهم وفقيرهم وطلبوا منهم عونهم ومساعدتهم ؛ لأنهم كثيراً ما بدأوا واعظين مذكّرين وانتهوا سائلين مستجدين !

والطريف أن بعض هؤلاء الماكرين لا يدعون بجلاً يسمح للمصلي بالانصراف ، فهم يخرجون الناس ويشدّونهم بأغلظ الأيمان لئلا يخرجوا من المسجد قبل

(١) المقامة البلخية : ١٨ .

سماع الشكوى ، وذلك على نحو ما حدث لابن هشام في أحد مساجد أصفهان حين فرغ الإمام من ركعتيه ، وأقبل على التشهد بلحييه ومال إلى التحية بأخذه ، وقلت : قد سهّل الله الخرج وقرب الفرج . قام رجل فقال : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة فليعزني سمه ساعة ! قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق . قد جئكم بشارة من نبيكم لكني لا أؤيدها حتى يظهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته . قال عيسى بن هشام : فربطني بالقيود وشدني بالجبال السود (١) ، وتابع خطابه حتى ملأ جرابه وانصرف .

ومن المكذّبين من يستجدي بحجة البيع ؛ يزعمون أنهم يبيعون الأحرار والأوراد وكتابات لها عمل السحرا في تحييب الأزواج بزواجهم أو إخراج الأفاعي من أوكارها ...

ومنهم من يزعم أنه اهتدى بمد ضلال ، وأن عطاء الناس له وتصدقهم عليه يعصمه من العودة إلى ضلاله ، يقول واحد من هؤلاء : ... والآن لما أسفر صبح المشيب وعلّتي أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد فلم أر طريقاً أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه . ثم يقول : ودّعت إلى مكاره نذرت معها ألا أدّخر عن المسلمين منافها ولا بدّ لي أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم وأعرض دوائي هذا في أسواقكم فليشتري مني من لا يتقرّز من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد .. (٢)

(١) القلمة الأصفهانية : ٥٨ .

(٢) القلمة البغدادية : ٢٦ .

وقد يزيد في الخداع فيزعم أنه على أهبة الجهاد والنزو وإن الجود عليه
إعانة له على الجهاد في سبيل الله فيقول :

أدعو إلى الله فهل من مجيب إلى ذرا رحب ومرعى خصيب
وجنة عالية ماتني فطوفها دانية ماتني
إن أك آمنت فكم ليلة جحدت ربي وأتيت المريب
ثم هداني الله واتأشني من ذلة الكفر اجتهد المصيب
فظلت أخفي الدين في أسرتي وأعبد الله بقلب منيب (١)
يا قوم وطئت داركم بغرم لا المشق شاقه ولا الفقر ساقه ، وقد تركت
وراء ظهري حدائق وأعنانا .. وخرجت خروج الحية من جحره (٢) والطار
من وكره مؤثراً ديني على دنيائي .. فلو دفعت النار بشرارها ورمىتم الروم
بمحجارها وأعتموني على غزوها مساعدة وإسماعدا ومرافدة وإرفادا ، ولا شطط ؛
فكل على حسب قدرته وقدر طاقته ولا أستكثر البدرة وأقبل الذرة ولا أرد
التمرة ، ولكل مني سهران : سهم أذلقه للقاء وسهم أفوقه بالدعاء ... (٣)
ولا عجب في أن يزعم الجهاد والنزو لينال المال فقد رأينا جيشاً بكامله
يزعم النزو في سبيل النهب .

ومن المكدين من يطرق عليك الباب ليلاً ليزعم أنه ابن سبيل مقطوع
قال ابن هشام « ولما اغتمض جفن الليل وطر شاربه قرع علينا الباب ،
'قلنا : من القارع المتاب ؟ فقال : وفد الليل وبريده ، وفل الجوع وطريده وحر'
قاده الضر' والزمن المر' ، وضيف وطوء خفيف وضالته رغيث ، وجار يستعدي

(١) المقامة القزوينية : ٩٢ .

(٢) الحية للمؤث والمذكر ويفرقون بينهما بالوصف .

(٣) المقامة القزوينية : ٩٤ .

على الجوع.... (١) ، ومثله أيضاً ذلك الذي ذكره ابن هشام في القامة الناجية . (٢)

ومن المكدين من يلجأ الى استدراج عطف الناس باصطحاب أطفاله معه ، وهو لا يتحدث إليك عن فقره وجوعه لأن عطف الأبوة أنساه ذلك ، وإنما يحدثك عن جوع أولاده وعريهم ، وأنت إن لم تتألم للرجولة الدليلة أو الأبوة الملوّعة في شخصه فلا بد أن تتألم للطفولة الجائعة المارية في أطفاله ، إنه يكلمك بلسانه ويكلمونك ببيونهم ، فإن لم تتأثر بلمهجته فلن تقوى على صد نظراتهم الزائفة الضارعة . ولقد عرف ذلك خبثاء المستجدين في عصرنا فراح بعضهم يستتبع أطفالاً يزعم أنهم بنوه وما هم بينه !

وقد ورد ذكر هذا النوع من المكدين غير مرة على لسان المزداني فهذا واحد قد احتضن عياله وتأبط أطفاله (٣) ، وهذا آخره يتلوه صغار في أطوار (٤) ، وربما قدّم المستجدي طفله ودفعه إلى الكلام فإن ذلك أدعى للشفقة وأنتذ في القلب ، وقد دفع بعضهم طفله إلى الكلام فقال : د ماعى أن أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لخلقه أو الصخر لفلقه ، وإن قلباً لم ينضجه ما قلت لني . وقد سمعتم يا قوم ما لم تسمعوا قبل اليوم فليشمل كل منكم بالجوود يده وليذكر غده واقياً بي ولله . واذكروني أذكركم ، واعطوني أشكركم (٥) .

(١) القامة الكوفية : ٣٠ .

(٢) القامة الناجية : ١٩٩ .

(٣) القامة الازادية : ١٤ .

(٤) القامة الجرجانية : ٥١ .

(٥) القامة النجارية : ٨٩ .

ومنهم من يزعم أنه عزيز ذلّ وغنيّ افتقر ؛ د إنكم لن تأنسوا حادثاً ولن تعدموا وارثاً . فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج وركبنا الحملاج^(١) ولبسنا الديباج واقترشنا الحشايا فمارعنا إلا هبوب الدهر بغيره واتقلاب المجن لظهره . فماد الحملاج قطوفاً واتقلب الديباج صوفاً وهلمّ جرّاً إلى مانشاهدون من حالي وزيتي^(٢) .

الكديّة الجماعية : ومن الطريف أن بعض المكديّن كانوا يؤلفون جماعات يستغنون بها عن الاطفال ويقدمون واحداً منهم يسرون وراءه ويقول الجملة فيميدونها من خلفه . . ؛ والحق أننا نكاد لانعرف هذا النوع من الكديّة الجماعية اليوم . إذ نحن نعرف تلازم مكديّين أحدهما أعمى مثلاً أو مقعد ، أو تلازم رجل وزوجته ، أو تلازم أسرة بكاملها . أما الكديّة الجماعية فقد وصفها لنا الهمداني في المقامة الساسانية فقال : « فينا أنا على باب داري إذ طلع علي من بني ساسان كتيّة قد لقوا رؤوسهم ، وطلوا بالفترة لبوسهم ، وتأبط كل واحد منهم حجراً يدق به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يرسلونه ، ويدعو ويجاوبونه .. »^(٣) .

وهكذا استعرض لنا الهمداني أنواع الكديّة وأساليب المكديّن في عصره ، وقدم لنا صوراً مختلفة عن تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تحتال للقوت ، والتي كانت في عددها متناسبة مع ماذكر من فساد الحال وسوء الوضع في تلك الفترة ، وهي فترة قيل إنه مامرٌ على الدولة أسوأ منها ، وحسبنا منها أنها يمت فيها الدور والمقارات بما يمسك الرمح من الخبز .

(١) الحملاج من البراذين الحسن الاتحاد .

(٢) المقامة التجارية : ٨٨ .

(٣) المقامة الساسانية : ٩٧ .

هـ - قلة الأمن وكثرة اللصوص

السياسة والأمن : رأينا أن الأحوال السياسية لذلك العصر كانت مضطربة وأن أوضاع الحكم فيه كانت غير مستقرة ، ولا شك أن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى فقدان الأمن وكثرة الجرائم ، ونحن لا نزال إلى اليوم نشاهد الأمثلة الكثيرة على ذلك ؛ إذ لا تلبث أن ترتبك سياسة البلاد وتزول أوضاع الحكم حتى تنشط الجريمة ويكثر الفساد ... وما يزال الأمر كذلك حتى يعود الأمر إلى نصابه وتولى زمام الحكم يد قوية تعرف كيف تضرب على يد البني والفساد ..

في التاريخ : وكان طبعياً أن تكثر الجرائم وحوادث النهب في تلك الفترة التي اضطربت فيها شؤون البلاد وأصبحت المناصب الكبرى نهباً مرزعيين الأقوياء ؛ لقد كان بين الناس لصوص يسطون على القوافل في الطرقات وعلى البيوت والمخازن في المدن ، كما كان بين السياسيين والحكام لصوص يسطون على المناصب وشبهون الوظائف ، والناس على دين ملوكهم ، وإذا كان عمران بن شاهين يتصب السلطة في أرض البطيحة ويستقل بها أيام مرز الدولة ، فقد كان مرز الدولة نفسه مقتصباً للسلطة مستأثراً بها . وبما يدل على مبلغ الاضطراب وفقدان الأمن ذلك التعرض الوقع لقوافل الحجاج والتجار حتى بات الحاج لا يأمن على حياته ، لقد كان الحج في تلك المصور بسبب ما كان في الطرق المرية من المخافات وقلة الأمن غير ممكن أحياناً أو معرضاً صاحبه للموت أحياناً أخرى (١) . وفي كتب

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٥٩ .

التاريخ أن الحج تبطل غير مرة نتيجة لما حلّ بقوافل الحجاج من قتل ونهب .

وليس خبر الجيش الذي زعم القزو وقام بالسلب يبعد عنا ، وقد ذكروا عن جنوده « المجاهدين » أنهم كانوا يخرجون ليلاً ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسيّ والسهام ويرغمون أنهم يأمرّون بالمعروف فيسلّبون العامة مناديلهم وعمائمهم وإذا تمكنوا من تنقيشهم وأخذ جميع ما معهم لم يقتصروا في ذلك (١) .

وحسبنا أن نقول إن العراق لم يتمتع بالأمن قط في أثناء القرن الرابع الهجري (٢) وهو مركز الدولة وفيه قوتها ، فما بالك بالمناطق والأقاليم النائية عنه وعن مركز السلطان ؟

في المقامات : يخصّ الحمداني هؤلاء اللصوص بنصيب من مقاماته ويذكر أنواعاً منهم متعددة ؛ فيحدثنا عن يتعرض منهم للسافرين في الطرقات كذاك الذي خرج على ابن هشام وصحبه في طريق حمص ثم اندمج بهم وخدمهم وعمد إلى قوس أحداً فأوتره وفوق سهماً فرماه في السماء وأبعده بأخر فشقّه في الهواء . وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسي ففلاه ورمى أحداً بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره . فقلت ويحك ما تصنع ؟ قال : اسكت يا لكع ، والله ليشدنّ كل منكم يد رفيقه أو لأغصنّه بريقه ... (٣) ، ثم نزع عنهم ثيابهم

(١) الحضارة الإسلامية : ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٤ .

(٣) القامة الأسدية : ٣٧ .

وكاد يذهب بها لولا أن عاجله بعضهم بطمئة قضت عليه ، ومثله الذي خرج على ابن هشام وصاحبه الاسكندري وهما عائدان من الموصل فملك عليها القافلة وأخذ منها الرحل والراحلة ... (١) .

وأما اللصوص الذين يسطون على البيوت والمحال التجارية ، والنشالون الذين يرقون من الناس في الطرقات فقد تحدث الهمذاني عنهم طويلاً في المقامة الرصافية حيث قال على لسان ابن هشام : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة وحمارة القيط تغلي بئار الفيظ ، فلما نصفت الطريق اشتد الحرّ وأعوزني الصبر ، فلت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سرّه وفيه قوم يتأملون سقوفه ويتذاكرون وقوفه ، وأدام عجز الحديث إلى ذكر اللصوص وحيلهم والطرّارين وعملهم ... (٢) ، ثم يتابع ذكر أسمائهم وتعداد أنواعهم حتى زاد على السبعين نوعاً ، مما جعل هذه المقامة مصدراً دسماً ، للصوص والنشالين أو لمن يريد أن يعرف شرّهم ويدفع عنه أذاهم ، كما جعلها ، من ناحية ثانية ، صورة من صور الأخلاق الفاسدة والبؤس المنتشر ...

(يتبع)

الدكتور مازن المبارك



(١) المقامة الموصلية : ١٠٣ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

دراسات في العربية^(١) والالسنية^(٢)

ليس بين كل البلاد التي تضاهي جزيرة العرب حجماً ، أو بين كل الشعوب التي تناهز العرب في الأهمية التاريخية والمكانة العالية بلد أو شعب ناله من إهمال الباحثين في المصور الحديثة ما نال الجزيرة العربية والشعب العربي^(٣) .

بهذه العبارة الصريحة المبررة صدر زميلنا الكبير الدكتور فيليب حتي كتابه القيم (تاريخ العرب) « مكملان » ، لندن ونيويورك ، منذ نصف وثلاثين سنة .

والواقع أن الباحثين لم يهتموا بجزيرة العرب والشعب العربي حضارة وعمراناً فحسب ، بل أهملوها لغة وأدباً أيضاً ، وربما كان لإهمال اللغة العربية سبب وجيه كصعوبة البحث فيها مثلاً من قبل بحاثين لم يقضوا في دراستها أكثر من ثلاث إلى خمس سنوات ، في معاهد أوروبية أو أمريكية . ويذكر عن لسان مستشرق أمريكي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة هارفارد أنه كان يقول : « إن صعوبة دراسة اللغة العربية لا تتجاوز سني

(١) المقصود بهذا الاصطلاح « اللغة العربية الفصحى أصواتاً وكلاماً وصرفاً ونحواً » .

(٢) أي علم اللغة التحليلي — التطبيقي ، لينجويستيكس .

(٣) فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور : (تاريخ العرب) ، « مطول » ،

بيروت ، دار الكشاف ، الجزء الأول ، الصفحة الأولى ، هذا الكتاب هو ترجمة

كتاب الدكتور فيليب كي هيتي : هيسثري أف ذي أربتر الذي نشرته

دار مكملان للمرة الأولى في عام ١٩٣٧ .

الدراسة الحسين الأولى . ، ولا يخفى أن لتصريح كهذا أثره في نفس الطالب العربي ؛ إنه ، بالرغم من فكاهته ، تصريح من النوع الذي يطلق في ذهن سامعه فيترك أثراً سلبياً هائلاً لا يلبث أن يفعل فعله في ميول الطالب العملية فيحوّله عن العربية والأدب ويدفعه إلى سواهما من الدراسات . . .

ولقد كان من نتائج إهمال البحث في اللغة العربية أن أغمط حق علماء الألسنية العرب فلم يذكر تاريخ العلوم الألسنية لهم فضلاً في تطور هذا العلم الحديث وبناء صرحه . فالطلاب العربي والأجنبي على السواء يجد أبحاثاً متعددة تتناول العرب ديناً وشرعاً ، أمةً ودولاً ، وجغرافية وقاريخاً ؛ ولكنه ، إذا ما تصدى للتحري عن مصادر رئيسية في لغة أجنبية ، تبحث في لغة العرب ومساهمة علمائها العرب والمستعربين في بناء صرح العلوم الألسنية والنهوض بها وعزلها عن الخرافات والأوهام ، وجد أن دون غرضه خراط القتاد . والقليل القليل المتوفر من هذه الدراسات اللغوية النادرة لا وجود له إلا في خزانات كبار المستشرقين (١) ، وعلى رفوف مكتبات أمهات الجامعات الغربية (٢) ، ولذلك نجد التنبه من خريجي الجامعات الغربية ، في العلوم الألسنية ، لا يزال يعتقد بأن هذه العلوم الحديثة ولدت في

(١) علماء الساميات خاصة من أمثال : دي ساسي ، قلايشير ، قرايتاغ ، فوليرس ، فيشير ، راين ، بلوخ ، يشمانوف ، قليش ، بر كلاتد ، شيتالر ، الخ .
 (٢) مكتبات جامعات هارفرد ، وكولومبيا ، وپرتسستن في الولايات المتحدة الأمريكية ، مثلاً .

پور رويال^(١) وبدأت غوها العلمي الحديث بفضل السير ويليم جوتز^(٢) ...
بينما الحقيقة العلمية تقرر بأن العرب، تسعة قرون قبل پور رويال، ونيف وألف سنة
قبل وليم جوتز، أنجوا علماء كان لهم في ميدان العلوم الألسنية شئون. ففي
القرن الثامن الميلادي - وربما قبل ذلك بقرنين أو أكثر^(٣) - كان علماء
الألسنية من العرب والمستعربين يتجادلون في ماهية الصوت وكيفية حدوثه،
وفي ذاتية الحرف، وكيفية حرفه؛ وكان منهم من يخرج إلى المناطق
المعزولة في الصحراوات العربية للاستماع إلى اللغات واللهجات المتحدث بها
هناك وللإستماع إلى لغة من هو في عروبه عريق من الذين إذا تكلموا
أجادوا وما لحنوا.

إن هذه الحقائق التاريخية المثبتة مما يقوله مستشرقو الغرب وعلماءه من
أمثال هلتجير يدرسون^(٤) الذي يقرر، بحق:

(١) پور رويال دي شان، دير بعد ثمانية أميال تقريباً عن فرساي بالقرب
من باريس، أسست فيه مدرسة دينية عام ١٦٤٣ م درس فيها لأول مرة
غراما طبق لاتيني (١٦٤٤ م) وآخر إغريقي (١٦٥٥ م) من تأليف
لانسيلو - راجي، إي سانديز؛ إي هيسثري أف كلاسكال
سكالرشيب. نيويورك ١٩٥٨، المجلد ٢ ص ٢٩٠.

(٢) السير وليم جوتز، ١٧٤٦ - ١٧٩٤، مستشرق إنكليزي زائع الصيت وأول
من لفت نظر علماء الغرب إلى صلة القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية الهندية
واللغات الأندو - أوروبية المنتشرة في أوروبا الغربية، وخاصة اللغتين الإغريقية
واللاتينية الكلاسيكيتين.

(٣) هناك من يقول بأن البشرين المسيحيين قد ترجوا التوراة والأناجيل إلى العربية
قبل نزول الوحي على الرسول العربي. فإذا صح هذا القول - وهو لا يزال
محااجة إلى إثبات - كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين قد بدأوا وأتموا
دراسة العربية في العصر الجاهلي.

« أورث العالم القديم (يعني بذلك الإغريق والرومان) أوروبا ميراثاً مثقلاً بالأوهام في تاريخ اللغة ... »

« وكان انتشار المسيحية مطلع المرحلة الأولى في تاريخ العلوم الألسنية في أوروبا . فلقد جلبت معها أولى الانبساطات في أفق العلوم الألسنية ... »

« وكذلك تدين العلوم الألسنية الحديثة للبوذية بدين كبير ... » (١) ولكنه يختم قوله بتصريح لا يمت إلى الحقيقة العلمية بصلة ، فيقول :

« ليس هنالك من سبب قط لشكر الحمديّة (يعني الإسلام) في هذا المضمار . » (٢) أو العلامة بيسيرسين الذي يتجاهل في أبحاثه مساهمة العرب والمسلمين في تصعيد العلوم الألسنية والارتقاء بها إلى مصاف العلوم الحديثة في الغرب ، فيقرر بأن هذه العلوم ولدت عندما بدأ الناس يتساءلون لماذا لا يتكلم البشر جميعاً لغة واحدة ؟ كيف خلقت الكلمة ؟ ما هي الصلة بين اسم الشيء الحقيقي وذاتيته ؟ ولماذا يسمى هذا الشيء كذا عوضاً عن كيت ؟ الخ . ثم يتابع بيسيرسن عرضه التاريخي هذا فيقول بأن اليهودم سبب الفوضى في العلوم الألسنية إذ علّم أنبياؤهم بأن اللغة هي من وضع

(١) إتش. بديرسون، سبروغثيد ثسكابي إي ديت نيتندي آر هتندريدي: ميتودر أوغ ريزيلتاتر كوبنهاغن ١٩٢٤ وقد ترجمه إلى الإنجليزية جون ويستير سبراغو ونشر في كامبريدج ، ماس ، عام ١٩٣١ بعنوان لتجنويستيك سايتس إن ذي فايتشتين سيثشيري : ميتدز إند رزلتظر ر الصيفة التاسعة حيث الإشارة إلى البوذية تهدف المدرسة اللغوية الهندية التي تبلورت أسسها العلمية وظهرت في أبحاث بانيني .

(٢) المصدر ذاته ، التعلق والهوامش ستأتي فيما بعد .

الإله ، خالق كل شيء . ويزيد فيقول بأن الاغريق القدماء أيضاً سببوا تشويشاً في هذا المضمار إذ عالجوا موضوع الألسنيات معالجة فلسفية موضوعية فقال قسم من فلاسفتهم بأن اللغة وجدت وتطورت بصورة طبيعية (فوزي) وقال آخرون بأنها وضع متوافق عليه (ثوزي) . ثم يشير هذا العالم الغربي إلى أهمية ترجمة التوراة والأنجيل إلى اللغة القوطية في القرن الرابع الميلادي (١) متجاهلاً تمام التجاهل الترجمة الروسية للكتاب المقدس التي وضعها كيريلشس وميتوديوس في القرن التاسع (٢) والتي لا تقل أهمية عن الترجمة القوطية . أما القرون الوسيطة فإن يسبرسن يؤكد بأنها لم تنتج شيئاً ما يستحق الذكر وبأن هذا الحال المغم الكالح لم يزُل إلا بفضل السر وليم جونز (٣) ...

وهكذا نجد الطالب المتخرج في العلوم الألسنية من جامعات الغرب ما زال كسلفه يظن بأن القرون الوسيطة وحتى القرون السبعة التي سبقتها كانت قروناً جرداء خالية لم ينتج خلالها في العلوم الألسنية إلا ما سجله بانيني وخلفاؤه من علماء الهنود . هذا الوم هو المسؤول الوحيد عن تصريحات علماء الغرب الذين يقولون بأن العلوم الألسنية لم تتقدم خطوة واحدة خلال الزمن الواقع بين عهد بانيني الهندي وپور رويال الفرنسي .

(١) الترجمة المعروفة باسم « ترجمة ولفيلا أو ولفيلاس » التي يتفق المؤرخون على أن تاريخها هو ٣٨٣ ميلادية .

(٢) آ. لِسْكِين : « سلافيشيه إيسرستزوتش » في سلسلة تِكْسْت اوتد ايسرستزوتش دير بيل المنشورة في لايبزيغ عام ١٨٩٧ ص ٣١١ .

(٣) انظر المقال المعنون « غرامر إند غرامر يتز » في اوكسفرْد كلاسكال ديكنتري المطبوع في أكسفورد عام ١٩٤٩ .

وإذا ، فالهدف من هذه الدراسة (وما سيليها من دراسات في العربية والألسنية) هو تعريف القسم الأكبر من المتخرجين وذوي الاختصاص في العلوم الألسنية بفضل العرب والإسلام في تطور هذه العلوم وعرض حقائقها التاريخية عرضاً يستند إلى وثائق لا مجال للشك فيها لا تاريخياً ولا نصاً ، وثائق نشرت لا في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد فحسب ، بل وأيضاً في لندن وأكسفورد وأوسلو ولايبزغ وبرلين وباريس . ولسوف نبدأ هذه الدراسات بالتجري عن فضل الإسلام والمسلمين من عرب ومستعربين في الأبحاث الصوتية (فُنَيْتِكْسْ) .

بدءُ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية

ليس من السهل تحديد تاريخ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية . إن أول دليل على هذا الاهتمام هو الدليل الكتابي المتوفر لنا من خلال الآثار والنقوش التي عثر عليها حتى تاريخ تحرير هذا البحث . وربما عثر فيما بعد على نقوش وآثار كتابية أقدم من المراجع التي اطلعنا عليها حتى هذا التاريخ ؛ في هذه الحال ، يجب إعادة كتابة هذه المقدمة الموجزة وإبدال ما نعتبره اليوم كمطلع فجر العلوم الألسنية العربية ، ورده إلى تاريخه الصحيح الذي نعتقد بأن علماء الآثار سوف يوثقون إلى اكتشافه . وإذا ، فإن هذه المقدمة ليست سوى حجرة مسافة مؤقتة نضعها على مفرق طريق طويل لا نعرف حتى الآن أين مبدأه وإن كانت لدينا فكرة واضحة عن متناه .

إن الآثار والنقوش التي اكتشفت حتى الآن هي كل ما لدينا اليوم من مصادر في دراسة الألسنية العربية القديمة . ومن أقدم وأوثق هذه الآثار آثار سيناء والنقوش المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى أولى السلالات الفرعونية ،

والتي تحتوي على ذكر وصور لأعراب عملوا في المناجم المصرية في شبه الجزيرة المذكورة (١). وليس هنالك من شك في أن تلك الصور المصرية القديمة هي لعرب البادية، إذ يؤيد هذا الرأي وجود صور مشابهة لها لأقوام دُعوا في اللغة الآشورية أربي، أي أعراب / عرب، اكتُشفت في العراق الحديث. فإذا ما اعتبرنا أولئك «الأربي» عرباً — وهذا افتراض منطقي — تمكّنا من التقرير بأن الفكر الألسني العربي بدأ في التاريخ القديم البعيد، وتبلور خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أي قبل الاغريق واليهود والهنود بقرون. فأعرابنا هؤلاء اهتموا بلقمتهم اهتماماً علمياً دفعهم إلى محاولة إبداع صور للكلام العربي، أي إلى كتابة لغتهم القومية. ومعلوم أن فن الكتابة هو الدليل الأول على نضوج الفكر الألسني.

أما إذا وجد من يعارض هذا القول مشيراً إلى أن الدلائل على اعتبار «الأربي»، المشار إليهم عرباً هي غير وافية — وهذا من حق العلماء، طبعاً — فإننا في هذه الحال نملك حق الإشارة إلى نقوش الجزيرة العربية — وهذا حق لا يمكن الاعتراض عليه. ففي جنوبي جزيرتنا الكبرى اكتشفت حتى اليوم نقوش يعود تاريخ أقدمها إلى حوالي عام ٩٥٠ قبل المسيح، نقوش تدل بوضوح على نضوج التفكير الألسني لدى العرب القدماء نضوجاً تاماً لا يقبل الريب، وصل إلى ذروته أربعة قرون قبل ولادة أرسطاططيس

(١) ر. قلاتدرزيتري : ريسرشنز إن سايناي. لندن، ١٩٠٦؛ وانظر مثلاً البحث الذي نشره غاردنر في جرنال أقيهاجيستان أركيولوجي، ٣، ١٩١٦، ص ١ — ١٦، وأيضاً المصادر المذكورة في هوامش الصفحة السادسة من كتابنا لينجوستيكس إن ذي مدل آجنز : فونتيك ستيدي إن إرلي إسلام، لايدن، ١٩٦٨.

فيلسوف الاغريق الذي ندين له بفكرة تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف....

وإن في النقوش التي اكتشفت لعرب الجنوب لآتوفى دليل على أن العرب سبقوا الغرب بقرون في العلوم الألسنية وخاصة في علوم الصوت (فونتيكس) الذي يعتبر حجر الزاوية في الدراسات الألسنية . هؤلاء العرب القدماء درسوا لغتهم أصواتاً وكلاماً فأبدعوا في أبحاثهم وارتقوا بها إلى درجة من الكمال قلماً بُلِغَتْ حتى في عصرنا الحاضر (١) فلقد ميزوا بين أصوات لغتهم بين حروف لم يتمكن علماء (٢) الغرب من معرفة وتحقيق مخارجها بالضبط حتى اليوم فمرفوها بـ (س^١، س^٢، س^٣) ، أي حروف السين والشين والصاد وحرف ربما كان بين السين والصاد (؟) والزاي والطاء .
إننا لملى حق عندما نقرر ونقول بأن العرب أسدوا أكبر الفضل وساهموا أكبر المساهمة في تطوير وتصعيد المعارف الألسنية . أين هذه الحقيقة مما يقرره علماء الغرب ويقولونه كتابة ومحاضرات بأن العرب والمسلمين لم يساهموا قط في تطوير العلوم الألسنية ؟

* * *

-
- (١) انظر كتاب « ألتسود » أرايشه غراماتيك لما ريتا هيفنر المطبوع في لايبزيغ عام ١٩٤٣ وكتاب كريستومايا أرايكا مريدوناليس إيترافيكا لكوتي روستيني المطبوع في روما عام ١٩٣١ .
(٢) هكذا عبر عن هذه الأصوات ولف لسلو في كتابه « ليكسيك » سوكونثري « باريس ١٩٣٨ » (؟) .

كان عرب الجنوب أصحاب تجارة ، وكانت قوافلهم تجوب الشرق العربي من أقصاه إلى أقصاه ، طلباً للكسب عن طريق التبادل التجاري المنتج . وكانت لهذه القوافل خانات تحط فيها طلباً للراحة بين كل مرحلة وأخرى . ونمت تلك الخانات حتى أصبحت جاليات مستقلة استوطنت طوال الطريق من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . وإن لدينا من المعلومات العلمية الصحيحة المستندة إلى وثائق صحيحة الكثير مما تضمنته كتب وأبحاث كثيرة يسرنا أن نشير إلى أهمها ألا وهو الكتاب القيم الذي ألفه السيد الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام والذي طبع ، في أجزاء لدينا منها ثمانية ، بإشراف المجمع العلمي العراقي ، فليرجع إلى هذا المصدر الوثيق .

وكان من جراء الاتصال الحضاري بين عرب الجنوب وعرب الشمال أن توحدت الكثير من العادات الماشية والحضارية بين القومين . ومن جملة ما تعلمه عرب الشمال من إخوانهم الجنوبيين فنن الكتابة مما تدلنا عليه النقوش التي عثر عليها في جنوبي الجزيرة وشمالها ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى القرن السادس قبل المسيح ، مساعداً بعد ذلك إلى حوالي القرن الرابع الميلادي (١) ! هذه

(١) انظر كتاب وئيت المطبوع في كندا عام ١٩٣٧ بعنوان (إي ستدي أف لهينايث إند ثمودك إنسكريبشنز) وكتاب كاسكيل المطبوع في كولونية بألمانية القرية عام ١٩٥٤ تحت عنوان لهيان أوئد لهيانث وكتابي لثان المطبوع أولها في برلين بعنوان تسور إنثسيفروثغ دير ثمودينشن إنشرفتين والآخر في لايبزيغ عام ١٩٤٠ بعنوان تامود أوئد صفا . وراجع أيضاً كتاب فان دير براندن المطبوع في لوفين ، بالبلجيكا تحت عنوان ليزانسكروپسيون تاموديتن . وأيضاً الباب الأول القسم الأول آ من كتابنا لنجويستيكس إن ذي ميدل آجز . فونتيك ستديز إن إرلي إسلام المطبوع في لايدن عام ١٩٦٨ ومصادره والوثائق المستند إليها فيه .

النقوش تدل على وجود الفباء عريية مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفاً تشبه شها كبيراً الألفباء التي استعمالها عرب الجنوب . وأقرب هذه النقوش الألفبائية شهاً بحروف العربية النقش النبطي . ومعلوم أن النبط أقوام عرب استعمالوا اللغة العربية في حياتهم اليومية بينما كتبوا باللغة والقلم الآرامي المؤلف من اثنين وعشرين حرفاً^(١) . وربما كانت النقوش النبطية هذه أصل الخط العربي الذي تطور فأصبح الخط الذي نستعمله اليوم . وسيكون لنا في هذا المجال شوط آخر

أما بصدد ما يظنه العلماء من أن البشرين المسيحيين القدماء قد تركوا أثراً في هذا المضمار فإن العلماء هؤلاء لا يزالون في حيرة من أمرهم اذ لم يُعثر حتى الآن على أثر كتابي مسيحي بحث تركه المبشرون القدماء خلال عملهم الديني في شبه الجزيرة العربية ، قبل مجيء الرسول برسالاته الخالدة التي كان من جملة ما أسدته للعالم من قيم ونعم لغة رفيعة معبرة خلاقة وأدباً عالياً إنسانياً نبيلاً ، مُخلِداً بخط جميل لم يعرف البشر مثيلاً لكمالهِ الصوتي حتى تطور العلوم الصوتية في الغرب ، الذي أدى إلى وجود الخط المعروف بالخط الصوتي العالمي في عصرنا الحاضر .



(١) انظر الأبواب الخامس والسادس والسابع من كتاب الدكتور فليب حتي (فليب كي هيتي) هيسثري أف ذي أرَبز ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٧ ، والباب الثاني من كتابنا المذكور في الحاشية السابقة .

كان فن الكتابة معروفاً في الجاهلية ، وقد استعمله المكثرون في معاملاتهم التجارية كما استعملوه وغيرهم من العرب في بعض الأحوال غير الاقتصادية في العصر الجاهلي (١) . وهناك على الأقل ثلاث تآيد لهذا الرأي :

أولاً : كلام الله في قرآنه العربي حيث وردت كلمات عديدة تشير إلى هذا الفن ودقائقه ومفرداته كـ : كتاب ، قلم ، صحيفة ، قرطاس ، سفر ، قط ، رق ، دواة ، سطر ، حبر ، مجلة ، نسخة ، سجل ، قمبر ، جرسيس ، ختم ، الخ .

ثانياً : إشارات عديدة إلى فن الكتابة في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله (ﷺ) ، مثلاً :

آ : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل ،

(١) انظر مثلاً مارك لـ دزبارسكي : هاندبوخ دير فوردسميتشين إيفرافيك نيبست أوسشفيلتين إتشريقتين (فاينار ، ١٨٩٨) ، خليل نامي (أصل الخط العربي وتاريخ تطوره قبل الإسلام) (القاهرة ، ١٩٣٥) . وج . كاتينو لي فابيتين (باريس ، ١٩٣٠ - ١٩٣٢) .

واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان
 ممن ترضون من الشهداء أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى ، ولا
 يَأْب الشهداء إذا مَدَعُوا ، ولا تَسْأَمُوا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى
 أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن
 تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ،
 وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق
 بكم ، واتقوا الله وبعثكم الله والله بكل شيء عليم . وأيضاً سورة النور ،
 الآية ٣٣ : « وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغفرهم الله من فضله ،
 والذين يتغنون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ،
 وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ... إلى نهاية الآية . »

ب — سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ (تحقيق ف . فوستيفيلد ،
 غوتنبيرغ ، ١٨٥٨ ، ص ٣٣٢) وسواها (١) حيث نجد الرسول يأمر كُتَبته
 بالكتابة ، مثلاً ، السيرة : « أنا سراق بن جشعم انظروني أكلمكم فوالله
 لا أريكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه قال فقال رسول الله ﷺ (لا يي بكر
 قل ما تبغني منا ، قال فقال لي ذلك أبو بكر ، قال فقلت تكتب لي كتاباً يكون
 آية بيني وبينك ، قال اكتب له يا أبا بكر ، قال فكتب لي كتاباً في عظم
 أو في رقعة أو في خزفة ثم ألقاه إلى ... »

(١) مثل السكامل للبرد ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ اليعتوبي وخيس الديار بكري ،
 حيث يجد الباحث كثيراً من الاشارات الدالة على معرفة العرب القدماء بفن الكتابة .

ثالثاً : في الشعر الجاهلي حيث نجد عدداً كبيراً من الآيات التي تحتوي على إشارة إلى فنّ الكتابة العربية ، مثل :

أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
من شعر امرئ القيس في ديوانه الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته
دار المعارف بمصر في سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٤ - ص ٨٩ (١) .

ولكن هذا الفن العقلي - العملي المهم لم يتقدم تقدماً محسوساً حتى بزوغ فجر الاسلام وشمسه على العالم في شبه الجزيرة العربية . فالاسلام هو دين سماوي أساسه « الكتاب » ، والكتاب كتاب الله أنزله على رسوله في أوانه ، معجزة ما زال البحث في ماهيتها أمراً غير مستحب ، كما هو الحال في جميع الأمور الروحانية التي هي من الله وله . وعليه فإننا في ذكرنا لكتاب الله لن نحاول أكثر من النظر فيه شكلاً ووصفاً لنفياً من حيث أنه ، علاوة على كونه وحدة روحانية تامة ، هو أيضاً ، في شكله المادي ، وحدة لغوية تامة ، كتاب في صحائف معدودة يحتوي على مادة لغوية مصينة غير قابلة للتصحيح والتغيير . ففي هذا المدد ، نجد آيات القرآن الكريم إنما كتبت أول ما كتبت بخط قريب الشبه بالخط النبطي ، متحذرن منه بلا شك . ومعلوم أن الأنباط كانوا عرباً .. وبظننا أنه لو لم يمين الله على العرب برسول منهم تلقى « الكتاب » ، وحياً أنزل عليه بلسانهم لما تطورت العربية لساناً وكتابة وأدباً وعلوم ، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من الكمال بتلك السرعة الهائلة ، التي لا نجد في تاريخ الأمم وتاريخ الألسنة ما يماثلها ويضاهيها .

(١) جمع فيدر كثرين الكثير من هذه الشواهد ونشرها في العدد العاشر من أوبسالا اونيفيرسيتيس اورسكركت عام ١٩٤٨ ، وانظر أيضاً بحثاً لنا في مجلة (ذي مسلم وولد) الأمريكية ، العدد ٣/٥٦ لعام ١٩٦٦ بعنوان « ادجوكيشن إن إسلام قديم ذي جاهلية نو ابن خلدون » ، ص ١٨٨ - ١٩٨ .

هذا ما نراه على أساس معرفتنا الشخصية التي وصلنا إليها عن طريق الدرس والتحصيص . وطبعاً ليس هنالك ما يمنع الغير من مخالفة رأينا هذا ومعارضتنا فيه معارضة علمية رصينة . والواقع أن هنالك البعض ، من عربي أديب ، ومستشرق عالم ، ممن لا يرون رأينا هذا ... والفرق بيننا ان الرأي الذي نبديه تدعمه دلائل وشواهد نظرية ومادية ، بينما لا يدعم رأي معارضينا سوى نظريات احتمالية لا قيمة علمية لها .

أما وقد قررنا بأن الدين الحنيف هو المسؤول الأول عن تطور العربية وعلومها ، فانه ليجدر بنا الآن أن نين بإيجاز كيفية ذلك ونتائجها .

في القرآن الكريم ، سورة الزمل ، الآية الرابعة ، نجد الأمر بترتيل القرآن ترتيلاً . برأينا أن هذا الأمر الصريح هو نقطة الانطلاق في تطور العربية وعلومها . معلوم أن المـرب القدماء « أنشدوا » الشعر إنشاداً ولم يلقوه إلقاء كما هي العادة في النثر من خطاب وخطابة وقصة . ومعلوم أن إنشاد الشعر لم تكن له قواعد يعرفها الإخصائيون بذلك ، ويتبعونها بدقة وإخلاص . فلقد كان كل شاعر وراوية إنما ينشد الشعر إنشاداً على سليقة فردية . أما « ترتيل » القرآن — والفرق بين القرآن والشعر هو فرق أساسي واضح — فما كان ليجوز فيه التحرر من تقليد أقره الرسول ووجب التقيد به . وطبعي أن يجري هذا التقليد النبوي مجرى القانون على كل من آمن بالله ورسوله . وهنا ظهرت عوامل ثلاثة :

أولاً : لم تكن لغة سكان الجزيرة العربية واحدة موحدة في القرن السابع الميلادي ، إذ كان هنالك لغات قبلية تختلف واحدتها عن الأخرى أصواتاً ومفردات وتركيباً . ومعلوم أن الرسول كان قرشياً ، وإن قریش كانت قـمة

الهرم الاجتماعي العربي ، وإذا ، مرجعه في جميع الأمور الحضارية ، بما في ذلك اللغة . ونزل القرآن على محمد بن عبد الله بلسان لا يمكن ان يكون فيه أي اختلاف عن لسان الرسول . ويؤيد هذا ما تقرأه عن أوائل المسلمين ، وإصرارهم على تدوين كلام الله بلغته الأصلية ، لغة قريش ، مقرّين عن علم ومعرفة بأن ذلك الكلام إنما أنزل على رسولهم بلغة قريش نفسها (١) .

ثانياً : عندما توسعت رقعة الاسلام وامتدت عبر حدود الجزيرة العربية ، ابتداءً من غير العرب ، يدخلون في الدين الحديث زرافات . ومعلوم أن المسلم ، مهما كانت جنسيته ومهما كان لسانه ، يدين لربه بواجب الصلاة وقراءة ما تيسر من الكتاب ، بلغة الكتاب .

وإذا ، فلقد كان على كل مسلم ، عربياً كان أم أجنبياً تعلّم قراءة العربية تعلّم صحيحاً يمكنه من تأدية واجباته الدينية على سنة الله ورسوله .

ثالثاً : كان المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في الشام ومصر وفي العراق وفارس أقدم عهداً بالحضارة من عرب الجزيرة ، وكان جلهم من المسيحيين وبعضهم يهود . وهؤلاء كانوا على معرفة بتقاليد الشريعتين : المسيحية والموسوية ، فيما يتعلق بكتبهم الدينية من تورا وأناجيل ، وكذلك كان بعض العرب ممن تنصّر وتهود ، أو عاشروا أهل الكتاب ، أو على الأقل ، رأى رهبان وكهنة المسيحية يمارسون طقوسهم الدينية ويعنون بكتبهم المقدسة (٢) ، فكان من

(١) انظر المقنع للداني والإتقان للسيوطي واد. برنثزل. اورتوغرافي اوثر. يونكثيروثغ ديس كران (اسطنبول ، ١٩٣٢) و آ . جيفري متيريلتز فور. ذي هيسثري أف. ذي يكست أف. ذي قرآن لايدن ، ١٩٣٧) وأيضاً ح . راين آتشيت وست أرابين (لندن ، ١٩٥١) وحوده (القراءات واللهجات) (القاهرة ، ١٩٤٨) .

(٢) أنت حجج بدي عليه فأصبحت كخط زيور في مصاحف رهبان وقد تقدم ذكر هذا البيت في حاشية سابقة .

الطبيعي أن ينظر هؤلاء المسلمون الجدد إلى كتاب الله ، ويقرءونه بكثير من التقوى والخشوع . والقرآن الكريم ، كان ولا يزال في نظر المسلمين ، اعظم شأنًا من الكتب السماوية الأخرى ، ولذلك كانت هناك حاجة ماسة لحفظه تاما كاملا لا يشوبه نقص لا في كلامه وتركيبه ولا في تجويده : وكانت هنالك ضرورة لتعليم الناس قراءة آياته اليبينات قراءة صحيحة لا لحن فيها ، خاصة وقد وقف بعض الصحابة على ما كان المستعربون يرتكبونه من الخطأ في قراءة الكتاب ، إذ كانوا يجوّدونه دون إلمام علمي بأعرابه فيقومون في أخطاء شنيعة (١) .

وهنا بدأت المصاعب تظهر للعيان . فالخطّ العربي الذي رُسم به المصحف في عهد عثمان ، والذي أرسلت نسخ منه إلى كل من مكة المكرمة والبصرة والكوفة والشام ، كان خطأ لم يصل بعد إلى الكمال ، مثلا :

أ. كان الحرف غير منقوط ، وكانت بعض الحروف . تمثل عددا من الأصوات فالباء ، والتاء ، والهاء والنون في مطلع الكلمة ووسطها ، كانت تكتب سواء ، وكذلك الجيم والحاء والحاء ، والذال ، والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، الخ .

ب. وكانت الكلمة غير معجمة ، غير محركة او منقوطة بالشكل ، فكانت آنذاك تمثل عدداً من الكلم : وكلم ، مثلا ، كان يمكن ان تقرأ : كلم ، كلم ، كلم ، كلم ، الخ .

ج. ولم يكن هنالك ما يعبر عن الألف الطويلة وما يشير إلى الإدغام ، فكانت كلمة كلم يمكن ان تقرأ كلم ، كلم ، كلم ، كلم ، الخ .

واذا ، كانت المشكلة الأولى التي وجب التغلب عليها هي تمييز حروف العربية التي شابه أحدها الآخر . ولم يمكن تمييز الحرف بالنقط غريبا عن ثقافات

(١) سوف تعرض لهذه الناحية اللغوية بالبحث مطولاً في القسم الثالث من هذا المقال .

الشرق الأوسط ، فاللغة السريانية مثلا ، وقد تشابه في البدء بعض حروفها ، استعملت النقط بنجاح لتمييز حرف عن شبيهه (١) . وطبيعي أن يكون أول ماخطر لذهن العالم العربي آنذاك ، استعمال النقط لتمييز حروف العربية . وطبيعي أيضاً أن تكون هذه الطريقة وتطبيقها قد استغرقت أمداً من الزمن قبل استقرارها على حال نهائي ، يدلنا على ذلك :

أولاً : ان تميز حرف الفاء عن القاف كان بنقطة فوق الأولى وأخرى مثلها تحت الثانية (ولا يزال هذا التقليد شائماً في المغرب العربي حتى اليوم) ثم تطور فأصبح تمييز هذين الحرفين بنقطة فوق الفاء واثنين فوق القاف . ثانياً : ان حرف الشين مميّز أول الأمر عن السين بنقط ثلاث متوازية (أفقية لأهرمية كما هي الحال الآن) ، ويظهر أن هذا الحال قد أدّى إلى الخلط بين الشين وبين التاء والنون أو النون والتاء فنجم عن ذلك إبدال نقط الشين بالشكل الهرمي المعروف .

ثالثاً : ان نقط التاء المربوطة لم يصبح تقليداً مفعولاً به إلا بعد انصرام مدة من الزمن كتبت التاء المربوطة خلالها كالحاء .

أما هذه الطريقة في تمييز حروف العربية المتشابهة فقد عرفت منذ البدء بالإعجام أو التنقيط أو النقط (٢) . ويظهر أن النقط قد دخل العربية بالتدريج كما تدلنا على ذلك مخطوطات عربية قديمة . ولم يرق هذا التجديد في نظر

(١) انظر كتابنا لِنُفُوسِ تِكْزُ إِنّ ذِي مِدَلّ آجَزْ : فُونِيَتِكْ سَمْدِيَزْ إِنّ إِرْلِي إِسْلَامْ (لايدن ، ١٩٥٨) ص ١٣ .

(٢) انظر (كتاب النقط) للداني ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، وأيضاً (العقد الفريد) ج ٣ ص ١٥٤ .

رجال العلم والدين والأدب فعارضوه معارضة شديدة ، واعتبروا استعماله في الخط خطأ من كرامة العلم والعلماء ، وأيضاً ، تجديداً مكروهاً في رسم المصحف الكريم (١) .

أما المشكلة الثانية فكانت مشكلة الحركات . وهذه العقبة اللغوية ، كسابقها ، لم تكن غريبة عن ثقافات الشرق العربي القديم ، وقد اعترضت الكتابة السريانية فقررها علماء اللغة السريان باستعمال النقط وباستعارة الحركات من اللغة الإغريقية (٢) . أما العربية ، فلم تلجأ إلى الإستعارة بل عملت على خلق طريقة عربية أصيلة وفيت بالحاجة . وإنا لنرى آثار تطور النقط والإعجام واضحة في الكثير من أوراق المصاحف القديمة ، حيث نجد نقطة واحدة فوق الحرف تقوم مقام الفتحة وتحتة للكسرة وبجانبه للضمّة ، كما نجد الألف والواو والياء تبتّر عن حركات المدّ . وبعض هذه النقط التي نلاحظ وجودها خاصة في ما لدينا من أوراق مصاحف قديمة وضمت بألوان مختلفة لتمييزها عن سواها . وهكذا ، وبالتدريج ، وأبدعت الثقافة العربية الحركات الثلاث ، الفتحة والكسرة والضمّة (٣) .

وكما جرى الحال في نقط حروف العربية عارض رجال الثقافة العرب

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٧١ ، حيث يذكر عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « جودوا القرآن ولا تخطوه بشيء » ؛ وأيضاً (كيف الظنون) ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) كتابنا المذكور في الحاشية الأولى ، ص ١٤ ؛ وأيضاً ت . فولدريكه : كومبنتديوس سيرياك غرامر (لندن ، ١٩٠٤) ، ص ٦ - ١٤ .

(٣) انظر كتاب النقط للداني ص ١٣٢ .

هذا التجديد معارضة قوية أدت إلى تأخر استعماله بعض الوقت ، وإلى حين (١) .

وبالرغم من هذا كله ، بقي لفظ العربية معقداً بعض التعقيد إذ لم يكن هنالك من الأشياء ما يمكن القارىء من تمييز الحروف المدغمة والنوثة والهموزة ، ولم يكن من السهل تمييز هذه الحروف في الكلام المكتوب . وعليه فقد كان على علماء العربية إيجاد أشكال تفي بالغرض وتؤمن إجابة قراءة الكلام العربي المكتوب . ونجح علماءنا في إيجاد الحلول المناسبة إذ قرروا إدخال نقطتين على الحرف إبانة للتون ، تطورتا تدريجياً فأصبحتا ما يعرف اليوم بالفتحتين والكسرتين والضميتين . ثم ابتدع علماءنا الأوائل السكون فالشدة فالهمزة كما فصل ذلك الداني في كلامه عن الإدغام والإشمام والإمالة والإشباع والاختلاس (٢) ، وأبو داود في المصاحف (٣) والسيرافي في الأخبار (٤) ، الخ .

الدكتور خليل سمان

جامعة ولاية نيويورك في بنگتن



-
- (١) النقط ، ص ١٣٣ وكتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٤١ ، والرسالة العذراء لابن المدبر ، ص ٢٥ ، والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٢ ، والاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ٢٧١ ، وكتابنا المذكور آتياً ، ص ١٥ وحواشيه .
- (٢) النقط ، ص ١٣٥ — ١٣٧ و ١٤٤ — ١٤٧ .
- (٣) ص ١٤٤ — ١٤٧ وكتاب النقط ، ص ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .
- (٤) ص ١٦ وأيضاً كتاب النقط ، ص ١٣٣ والفهرست ، ص ٤٠ .

بين كاتب وشاعر

في التاريخ الأدبي مصادقاتٌ عجيبة ومفارقات غريبة توحى إليك بأن
القدر يهيء أشخاصاً لأشخاص ، ويخلق أناساً من أجل أناس ، لحيرهم
أو لشرمهم ، هذا يكسب وذاك يخسر ، ولكن هذا الكسب وذاك الخسار ،
كلها ، يظللان خالدين في بطون الكتب ، باقيين في أثناء التاريخ على
مر المصور والأيام

لقد وجد النابغة والتميم ، وخلق جرير والفرزدق والأخطل ، وعرف
الزمن أبا تمام والبحري ، ورأينا المتنبي إلى جانب سيف الدولة ، لولا هذا
لما عرف ذلك ، ولولا ذلك لكانت شهرة هذا أقصر أمداً وأخصر مدىً .
من هذه اللقاءات العجيبة في الفن والأدب اللقاء الذي جمع الشريف
الرضي الشاعر الكبير ، وأبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب الألمي
والمتفنن اللوزعي ، لقد جمعتهما صفة خالدة ، ولاقت بينها علاقة وشيجة من
الفن في الشعر والنثر أوحى إليهما بالكثير من القصائد والمراسلات والمبارات
التي ذهبت مذهب الأمثال ، يستشهد بها الناس ويرون فيها آثاراً عريقة
الأصالة ، بعيدة الأثر في النثر والشعر العربيين .

أما الصابي ، فهو أبو إسحق الحراني^(١) ، واسمه إبراهيم بن هلال
الصابي ، ولد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة للهجرة وتوفي يوم الخميس ،
لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(٢) .

(١) بلدة بينها وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والنام والروم (معجم
البلدان — ياقوت) .

(٢) معجم الأدباء (الجزء الثاني ص ٢٠) .

وأُسرة الصابي أسرة حفل التاريخ بذكرها لما عرف من رجالها الكثر الذين خدموا الأدب والعلم ، وكانوا من مذهب يعرف أهله بالصابئة أو الصابئين ، وصَبَّأً وصَبَّؤً ، صَبَّأً وصَبَّوْءاً ، خرج من دين إلى آخر ، وصَبَّأً فلان في دينه ، صار صابئاً ، وصَبَّأً النجم ؛ خرج من مطلعه وظهر ، وصَبَّأً فلان عليهم : طَلَعَ (١) .

والصابئة والصابئون ، يزعمون أنهم على ملة نوح ، ويعرفون في العراق باسم : الصَّبَّة ، واحدهم : صابي . وما زال منهم جماعة حتى الآن . ويقال إن دينهم عبادة الكواكب ، ومذهبهم أن للعالم صانعاً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان وهم عاجزون عن الوصول إلى جلاله (٢) .

كان الصابي في عصر بني بويه ، وقد عاش مدة القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذي تكشفت عبقرية الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وبلغ الشعر فيه أوجه ، كما وصل النثر فيه إلى المحل الأعلى ، وبحسبك أن تعلم بأن من رجال هذا العصر : التتبي وابن العميد والصاحب بن عباد وأبو اسحق الصابي ، وعضد الدولة وسيف الدولة وأبو فراس الحمداني وغير هؤلاء كثيرون ممن حفلت كتب التاريخ بذكر مآثرهم وتدوين أخبارهم .

كان صديقاً لمز الدولة بختيار (٣) بن معز الدولة بن بويه ، وقد أراد له هذا الصديق الحاكم كل خير وحاول أن يسلمه الوزارة لديه شريطة أن يعتنق الإسلام ، ولكن الصابي امتنع من ذلك ، ويروي الصفدي أن

(١) معجم متن اللغة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني .

(٣) بختيار : لفظ فارسي مركب من بخت وهو الحظ ويار بمعنى صاحب ، أي صاحب الحظ وكان هذا لقب عز الدولة .

عز الدولة بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول فأبى ، لأن الصابئة
تحرم أكل الفول .

وصفه مؤرخوه بالعفة وحسن المعاشرة ، ولكنه ، على ما يبدو ، كان
متعصباً لمذهبه لا يهادن فيه ولا يداهن ، من ذلك رفضه للأعطيات والمناصب
التي عرضت عليه حين اشترط عليه الإسلام أو مخالفته اعتقاده من معتقدهاته
ومع ذلك فقد وصل إلى المراكز العليا في الدولة فقد عمل نائباً للوزير
أبي محمد المهلبى في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة (١) .

ولكن الأمور لم تسر على ما يشتهي فقد اعترضت حياته مشاكل عديدة
وصعاب كثيرة كادت أن تؤدي بحياته ، إذ كان العصر قد بلغ المرحلة
الدنيا من الناحية السياسية ، وإن كان متقدماً ، كما أسلفنا ، من الناحية
الأدبية والعلمية والثقافية ، وقد نَقَمَ عضد الدولة عليه أموراً لم تكن
للصائىء بد فيها وأساء الظن به حين قدم بغداد ، وذلك بسبب بعض
الرسائل التي كتبها عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبس من أجل
ذلك ، ولكن الناس ، من المعجبين بالكاتب الأديب ، توسطوا لدى عضد الدولة
وعرفوه مكانة الرجل وفضله ، وأوضحوا له عذر الموظف في وظيفته ،
والعامل في عمله ، فاستجاب الوساطة ، ورضي بأن يخلى سبيله على أن
يعمل كتاباً يضمنه أخبار بني بويه وتاريخهم ومآثرهم وهو الكتاب الذي أسماه
« التاجى » ، (٢) .

ولكن الصائى لم يسلم من التعرض لخطر الموت حين صرّح لأحد
زاريه في السجن أنه غير راضٍ عن تأليف هذا الكتاب وأنه إنما حمل

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

(٢) أخذ الاسم من : تاج الله ، وهو من ألقاب عضد الدولة .

على تأليفه حملاً ، وربما كانت الكلمة التي نقلت إلى عضد الدولة ، ملفقة تلفيقاً ، أو ممدوسة دساً ، فإن مثل الصابي ، وهو من عرف بفضله ورزاقته وفهمه ، لا يقدم على البوح برأيه والإدلاء بذات نفسه لكل زائر أو غابر ، فقد روت الأخبار أن أحد أصحابه زاره في السجن ، وكان الصابي متهماً في كتابة كتابه ، فسأله عما يعمل ، فقال : أباطيل أنعمها ، وأكاذيب الفقه ، ووصلت العبارة بنصها إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقاء الصابي تحت أرجل القيلة ، ولكن إخوان الرجل ، شفّعوا إلى عضد الدولة في أمره ، وروى أنهم قبلوا الأرض بين يديه (١) ف رضي أن يقيه حياً ، ولكنه أخذ أمواله ، وأبقاه بالسجن بضع سنين ، إلى أن أفرج عنه في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة (٢) .

كان أبو أسحق يمثل الرجل المحترم ، هذه الأيام ، فقد كان الوزراء يقدرونه ويشقون بقدرته وعلمه وادبه ، كالوزير المهلب وسيف الدولة وآل بويه والصاحب بن عباد .

ولا أدل على قيمة أبي أسحق الصابي الأدبية من هذه القصة يرويها عنه ابنه أبو علي المحسن بن إبراهيم بن هلال أن أبا أسحق قال : راسلت أبا الطيب المتني - رحمه الله - في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال له (٣) قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب علي في هذه البلاد واحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك ، تنكّر لك الوزير ، يعني - أبا محمد المهلب - وتغير عليك لأتني لم أمدحه :

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أي المتني .

فإن كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمست ، وما أريد منك مالا ، ولا عن شعري عوضا ؛ قال والدي ، فتنهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه قد نصح ، فلم أعاوده (١) .

ولكن أبرز حدث في حياة هذا الرجل يتلخص في الصداقة الأدبية التي كانت بينه وبين الشاعر الكبير الشريف الرضي ، والشريف هذا هو أبو الحسن محمد بن الحسين الوسوي ، وقد كان شاعراً مرموقاً وشريفاً منظوراً ، ونقياً للطالبيين في عهده كما كان أبو تقياً ، وأخوه هو الشريف المرتضى صاحب الأمالي .

كانت الصداقة ، والملاقة الأدبية بين الصابي والشريف ، موضع تساؤل واستفهام ، فالصابي رجل يدين بغير الإسلام ، وهو حراني الأصل يسيد عن الوسط العربي في تفكيره وعقليته ، وإن كان يحترم رجال المسلمين ويسيرهم ، إذ كان يصوم شهر رمضان ، كما يقال ، ولو أنه لا يؤمن بهذا الصيام ، ولكن الشريف رجل من آل البيت ، ومن بيت النبوة ، وتقابة الطالبيين لم تكن بالمكان الهين في مقامها ومحلها ، لأن هذه النقابة كانت تنافس الخلافة في نظر المسلمين ، وكانت الشيعة العلوية ترى في النقيب الطالبي ممثلاً للفكرة العلوية التي كانت ترمي في أهدافها البعيدة إلى استرداد الحق العلوي في الخلافة فإن العلويين كانوا وما زالوا يرون بأن سيدنا علياً هو أحق رجل بالخلافة بعد النبي ، لأسباب كثيرة لا مجال لسردها الآن ، وقد كانت نقابة هؤلاء الطالبيين بالحق الضائع تمثل الحق الذي لا يموت ، والأمل الذي لا يمت به الزمن ، ولقد رأى الشريف الرضي المطالبيين بالخلافة من أبناء عمومته يذهبون قتلاً أو تشريداً أو تعذيباً منذ الحسين إلى عبد الله

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

ابن الحسن ، إلى زيد بن علي وغيرهم لأنهم أقدموا على المطالبة بالحق الطالبي علناً وصراحة ، ولأنهم لجأوا إلى القتال بدلاً من السعي إلى غايتهم عن طريق السياسة وتكثير الأعوان ، والتقرب من الناس ، وخاصة الأدباء وأصحاب المواهب والناقلين على الدولة العباسية :

ولقد أخذ الشريف الرضي يلمح إلى حقه شعراً وحديثاً ، ثم اشتد صراحة وتعريضاً حين رأى قيام الدولة الفاطمية في مصر ، ويروى أن الخليفة — وهو القادر بالله يومئذ — قد استدعاه إليه وسأله عن معنى قوله حين افتخر بالخليفة العلوي في مصر ، ويروى أن الشريف أنكر هذا القول ، وإن كان الأسلوب الشعري يدل عليه دلالة واضحة ، وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها :

كم مقامي على الهوان وعندى مقول صارم وانف حمي*
وإباء محلق بي عن الضيم — كما راع طائر وحشي*
أي عذر له إلى المجد إن ذلّ غلام في غمده مشرفي*
أليس الذلّ في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي*
من أبوه أبي ، ومولاه مولاي إذا ضامني البيد القمي*
لفّ عرقي بعرقه سيدا النا س جميعاً محمد وعلي*

إنها مطالبة صريحة بالحق الطالبي ، واستنجد صارخ بالخليفة الفاطمي العلوي في مصر واعتراف بتحمل الضيم في ظل الخليفة العباسي ، وألم نفسي من هؤلاء البويهيين الذين استولوا على الخلافة وأعمالها ، واضطلموا بشئونهم رغم الإرادة العربية هاتيك الأيام .

كان الشريف إذن يلجأ إلى الصراحة في طلب حقه بأن يكون خليفة ، لأنه من أولاد علي بن أبي طالب صاحب الحق الأول ، ولقد غرر به شعره مرة فعرض نفسه لخطر محقق يوم خاطب الخليفة العباسي القادر بالله

بهذه الآيات الصريحة التي تجمل من الشريف منافساً قوياً ونداً علوياً
لا يسكت عن حق ولا يهادن في طلب .

عظفاً أمير المؤمنين فائقاً في دوحة الملياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلاًنا في المعالي معرق
إلا الخلافة ، ميزتك فاتي أنا عاطل منها وأنت مطوق

لقد قامت الخلافة العباسية على الفكرة العلوية ، فالطالبيون هم أساس
الدعوة التي استند إليها أبو مسلم الخرساني وإبراهيم الإمام وأبو عبد الله السفاح ،
ولكن العادة محكمة ، كما يقول الفقه ، فإن العباسيين حين وصلوا إلى الخلافة
استأثروا به ونسوا أبناء عمومتهم وشركاءهم في الدعوة إلى الحق الهاشمي ضد
الأمويين — بل لقد صار الطالبيون الأعداء الألداء للعباسيين وخاصة في
زمن أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد .

ولكن العلويين لم ينسوا حقهم هذا ، وظلوا يطالبون به إلى أن سكنت
ريحهم وذهبت الخلافة الإسلامية عنهم وعن خصومهم الهاشميين إلى الأتراك
والدليم والسلاجقة وغيرهم ، ممن تسلقوا إلى الحكم عن طريق هذه الفكرة
الهاشمية ، ثم نسوا أهلها حين وصلوا إلى غايتهم .

لذلك لجأ الشريف الرضي إلى الطريقة المقولة ، لجأ إلى الأصحاب
وأكثر من الدعاية ، والأدباء من الكتاب والشعراء هم أولى الناس بأن يتقرب
إليهم صاحب المهدف السياسي ، لأن هؤلاء هم وسيلة الدعاية الأولى
هاتيك الأيام .

ولقد لام أناس الشريف الرضي يوم رثي الصابي ، فما يحق لرجل مسلم

شريف وقيب للأشراف أن يكي رجلاً غير مسلم ، ولكن الشريف أجاب
اللاثين بقوله : إني رثيت علمه وفضله (١) .

وقد اتهم المؤرخون الشريف الرضي بأنه إنما سمح لنفسه برقاء الصابي
لأنه كان يطمح إلى الخلافة وأن الصابي كان يرشحه لها — وأنه كان من
أكبر أعوانه (٢) .

ولا بد من الوقوف قليلاً قبل الاقتناع بهذا الرأي ، لأن الصابي لم
يكن في ذلك الزمن إلا شخصاً ينتمي للعلم والفضل الأدبي ، فلم يكن له
أنصار ولا قوم ، لقد قضى ربحاً من حياته يتنقل بين الاضطهاد ، والسجن
واستصفاء الأموال ، وليت شمري ماعسى أن يستطيعه رجل مثل هذا
لا يأمن على نفسه غائلة الظلم ولا عادية الاضطهاد ، أمثل هذا يمكن أن
يعتمد عليه الشريف الرضي في أكبر مطمح يخطر على بال عربي هاتيك
الأيام وهو الخلافة الإسلامية .

الذي اعتقده أن الشريف لم يعتمد على الصابي في صميه للخلافة ، بل
اتخذ الرجل الأدب وسيلة للرعاية ، بدلاً من أن يكون وسيلة للمارضة ،
وأرجح أن العلاقة بين الرجلين الأدبيين لم تمتد الحدود الأدبية إلا قليلاً —
ولهذا فقد كان الشريف صادقاً في رثائه متفجعاً في بكائه ، ولعلك تحس صدق
الماطفة وأثر الحزن في قوله :

يأليت أني ما اقتنيتك صاحباً كم قنية جلبت أسمى لفؤادي
ويرجح لدينا قوة هذه العلاقة الأدبية قوله :

العقل ناسب بيتنا إذ لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي
إن لا تكن من أسرتي وعشيرتي فلأنت أعلقهم يداً بودادي

(١) معجم الأدباء .

(٢) معجم الأدباء (جزء ٢ الصفحة ٢٦ وقافي) .

تلك الصداقة ، ما نظن إلا أنها بريئة ، وإن شابها الزمن بشوب من السياسة لم يكن منه بد في ذلك الزمن فلم تزل صداقة الأدباء أقوى الصداقات كما قال أبو تمام قبل الشريف :

إن يختلف نسب يؤلف يبتلى أدب أقمناه مقام الوالد
ولقد عرف الشريف بالوفاء لإخوانه والإخلاص لأخذانه من الأدباء
والشعراء ، ويكفي تأييداً لهذه الفكرة ، أن تعلم عطفه وحده على ميار
الدبلي ، تلميذه وربيه ، فلولاً أدب ميار وموهبته الفنية لما كانت علاقته
بالشريف متسمة بهذه القوة التي ذهبت مضرب الأمثال .

لقد كان الزمن الذي عاش فيه الأديبان الكيران - الصابي والشريف -
زمن اضطراب في السياسة والمفهوم الأخلاقي بحيث تغيرت الأفكار وساءت
الظنون . ومن هنا جاء هذا الرأي الذي لم يستطع قبول الصداقة البريئة
حتى رماها بالقصد المادي والغاية الدنيوية . وإن رجلاً مثل الشريف ، في
أخلاقه وفنه وثقافته وكرمه محتده ، لأبعد ما يكون عن سوء القصد
وزيغ النية .

أحمد الجندي



الكلمات التركية

في اللهجات العربية الحديثة

لما ذهبت إلى القاهرة في سنة ١٩٦٤ واستمعت إلى لهجتها شد انتباهي بعض الكلمات فيها مثل سادة ، وطازة ، وخانه وبقشيش وبهلوان وترزي وجنيز ، وعشرات أخرى من هذا القبيل شدت هذه الكلمات انتباهي لأنني استعمل الكلمات نفسها في لتي — الأردنية — وتفيد نفس المعاني أو معاني متقاربة — فما سر وجود هذه الكلمات في هاتين اللغتين : اللغة الأردنية وبعض اللهجات العربية الحديثة . لم تدم دهشتي طويلاً فبدأت بحث يسير تبين لي أن هذه الكلمات فارسية الأصل دخلت اللغة الأردنية مباشرة بينما دخلت اللهجات العربية الحديثة عن طريق التركية والمعروف أن اللغة التركية غنية بالكلمات الفارسية . فلما تأثرت اللهجات العربية الحديثة باللغة التركية . وأخذت بعض كلماتها كانت من ضمنها هذه الكلمات الفارسية « المتركة » .

لقد دفعني حي للدراسة الكلمات وتاريخها إلى جمع هذه الكلمات الفارسية ثم نوسمت وجمعت الكلمات التركية المستعملة في اللهجة المصرية بغض النظر عن أصلها . ولما اتسع المامي باللهجات عربية أخرى أضفت إلى هذه الكلمات كلمات أخرى تركية تستعمل في بعض اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجات السودانية والأردنية واللبنانية .

لقد دخلت اللهجات العربية الحديثة — لاسيما اللهجة المصرية — مئات من الألفاظ التركية طوال حكم المالك والأتراك غير أن معظم هذه الكلمات

اقرضت وما بقي منها إلا قدر يسير — ولقد استقر بعض هذه الكلمات في اللغة العربية وارتقى عن مستوى الكلام العامي إلى مستوى اللغة الأدبية مثل بشرف وبصمه ، ويوغاز وجمرك وطابور وطاقم وقنبلة ونيشان . ومن ثم اكتسبت دراسة هذه الكلمات نوعاً من الأهمية والخطورة .

إني أذكر الكلمات التركية العربية وأشرحها وإذا كانت الكلمة مستعملة في لهجة غير لهجة مصر فإني أشير إلى ذلك ثم آتي بأصلها التركي مكتوباً بالحروف اللاتينية وفيما يلي بيان نطق بعض الحروف ولها نطق يخالف مثيلاتها في اللغات الأوربية .

★ ★ ★

تكتب اللغة التركية الحديثة بالحروف اللاتينية ، وتنطق معظم هذه الحروف كما تنطق في اللغة الانجليزية . أما الحروف التي يختلف نطقها فسندكرها فيما يلي ونشرح نطقها :

C ينطق مثل ز في اللفظ الانجليزي Judge , Jam

c ينطق مثل ch في اللفظ الانجليزي Church

g هذا الحرف في الغالب يطول الحركة السابقة .

j ينطق مثل ز في اللغة الفرنسية .

s ينطق مثل الشين العربية .

I (بدون نقطة) صوت الضمة بدون تدوير الشفتين .

ö صوت e مع تدوير الشفتين .

ü صوت i مع تدوير الشفتين .

u صوت u كما في Put في الانجليزية .

★ ★ ★

« أ »

أبلة : كلمة تخاطب بها امرأة صغيرة السن من غير الأقارب
تركي Abla الأخت الكبيرة .

أجزجى : الصيدلي

تركي Eczaci

أجزخانه : الصيدلية

تركي Eczahane ، Eczane واللفظ مركب من الكلمة العربية
« أجزاء » التي تفيد معنى الأدوية بالتركية ، والكلمة الفارسية
« خانه » بمعنى البيت أو الدار .

ابنخانه : المرحاض

لا يوجد هذا اللفظ في التركية الحديثة ، وهو مركب من الكلمة
العربية « أدب » والكلمة الفارسية « خانه » بمعنى الدار .
اشكره خبر : على المكشوف ، كما في قولهم : فعل كذا أشكره خبر .
لقد انقرض هذا اللفظ في اللهجة المصرية ولكنه لا يزال يستعمل
في اللهجة الأردنية .

تركي Aşikâne : علناً ، واضحاً ، واللفظ فارسي الأصل : آشكار .

أفندم : كلمة مفادها (١) (ليك) (٢) أعد ما قلت من فضلك .
تركي Efendim .

أفندى : لقب كالسيد ؛ المثقف ثقافة غربية والمتربي بالزري الأوربي .
تركي Efendi واللفظ يوناني الأصل .

الاي : فرقة كبيرة من العسكر ،

تركي Alay .

- انجليز : جيل من الناس يقطنون انجلترا .
 تركي Ingiliz من الإيطالية Inglese .
 أوروبا : القارة المروقة .
 تركي Avrupa من الإيطالية Europa .
 أورطه : وحدة من ألف جندي .
 تركي Ordu : الجيش ، المعسكر ، والجدير بالذكر أن من هذا اللفظ جاءت كلمة «أردو» وهي اسم إحدى اللغات الهندية وسميت بهذا الاسم لأنها نشأت في المعسكر ، كما جاءت من هذا اللفظ الكلمة الانجليزية Horde بمعنى القبيلة المتنقلة .
 اورمان : اسم حديقة في القاهرة .
 تركي Orman : الغابة .
 أورنيك : الاستارة ، وجمه أرانيك . يكثر استعمال هذا اللفظ في السودان .
 تركي Örnek العينة ، النموذج .
 أوسطى : صاحب صنعة ، ميكانيكي ، سواق السيارة .
 تركي Usta :
 اوضه : الحجرة ، جمعها أواض .
 تركي Oda :
 أونباشي : رتبة في الجيش والشرطة . ويكتب أيضاً «امباشي» ويجمع على اونباشية .
 تركي Onbaşı وأصل معنى الكلمة قائد المشرة وهو مركب من On أي المشرة Baş أي الرئيس (١) .

(١) الباء في لفظ «باشي» ضمير الإضافة فاصل معناه : رئيسهم . يقول الأتراك : المشرة رئيسهم بمعنى رئيس المشرة . وهكذا في بكباشي ووزباشي وحكيباشي .

« ب »

باش : الرئيس كما في باشكاتب أي رئيس الكتبة ، وباشمهندس أي رئيس المهندسين .

تركي Baş الرأس ، الرئيس .

باشا : لقب شرف تركي .

تركي Paşa .

باشتخته : مكتبه ، سبوره .

تركي Paštahta من الفارسية : پیش تخته ، پیش معناه إمام

وتخته معناه لوحة من الخشب ، والجدير بالذكر أن « باش » في

هذا اللفظ محرف من پیش ولا صلة له يباش بمعنى الرأس .

باميا : الخضار المروف .

تركي Bamya .

بخشونجی : مدير الحديقة .

تركي Bahçivan والكاسمة ci .

بدروم : الطابق السفلي من الدار . ويقال له أيضاً « بدرون » .

تركي Bodrum وأصل معناه السرداب .

برتقال : فاكهة معروفة .

تركي Portakal من الإيطالية Portogalle أصل معناه البرتقال .

برجل : أداة من أدوات الرسم الهندسي .

تركي Pergel .

برضه : أيضاً ، مع ذلك .

تركي Pirde . يظن بعض الناس أن الهاء في برضه ضمير الغائب ،

ويستبدلونها بالكاف عند الخطاب فيقولون : انت برضك .

- برطمان : وعاء من زجاج . ويقال له أيضاً مرطبان وهو الأصل .
فارسي مرتبان .
- برنجي : الأول وهو من المصطلحات العسكرية ، واسم سيجارة في السودان .
تركي Birinci الأول .
- برواز : الاطار .
تركي Pervaz .
- بروجي : من ينفخ في البوق (مصطلح عسكري) .
تركي Boru البوق والكاسمة ci .
- بزونج : القواد ، (يستعمل هذا اللفظ في اللهجة الأردنية) .
تركي Pezevenk .
- بسطرمة : لحم مملح مجفف .
تركي Pastarma .
- بشتي : من يتصل به جنسياً من الرجال (في اللهجة السودانية) .
تركي Puşt .
- بشرف : مقدمة اللحن في الموسيقى .
تركي Peşrev من الفارسية وهو مركب من « پيش » أي أعلم و « رو » أي الذهاب يعني المتقدم أو المقدمة .
- بصمة : خطوط الأصابع .
تركي Basma الختم .
- بقمط : نوع من البسكويت الصلب .
تركي Peksimet .

- بقشيش : ما يعطى من نقد لخدم الفنادق والمطاعم وغيرهم .
 تركي Bahşiş من الفارسية بخشش أي العطاء والجدير بالذكر
 أن في هذه الكلمة المربة أبدلت الخاء قافاً وهذا شاذ .
- بك : لقب تركي . وينطق « بيه » ، ويجمع على بهوات .
 تركي Bey .
- بقجه : الصرة .
 تركي Bokça .
- بكباشى : رتبة عسكرية وينطق بيماشى .
 تركي Binbaşı وأصل معناه قائد الألف ، وهو مركب من Bin
 أي الألف و Baş أي الرئيس .
- بلكه : يمكن ، لعل . يكثر استعمال هذه الكلمة في اللهجتين
 الأردنية والفلسطينية .
- تركي Belki من الفارسية وهو مركب من « بل » العريضة
 و « كه » الفارسية .
- بلطجى : الحارس المسلح بالفأس ويطلق مجازاً على رجل مستبد متشدد .
 تركي Baltacı .
- بلطة : الفأس .
 تركي Balta .
- بلوك : فوج أو جماعة (مصطلح عسكري) .
 تركي Bölük .
- بلياتشو : المهرج .
 تركي Balyaço .
- بميه : القنبلة ، نوع من اللعبة المفرقة .
 تركي Bomba من الإيطالية .

- بنج : خمسة في لعبة الطاولة . بنج وسه : خمسة وثلاثة .
فارسي بنج .
بنجر : خضار معروف .
تركي Pancar .
بهار : التوابل .
تركي Bahar .
بهريز : نوع من الشوربه .
تركي Perhiz ، Peñriz الامتناع ، الحمية ، من الفارسية .
بهلوان : اللاعب على الجبل ومنه أيضاً « الفهولة » .
تركي Pehlivan : الملاكم ، البطل ، من الفارسية .
بوطة : في اللهجتين السورية واللبنانية الآس كريم ، وفي اللهجة المصرية
نوع من الشراب المسكر .
تركي Buz الجليد .
بوغاز : المضيق .
تركي Bogaz .
بوية : الدهان . وفي اللهجة السودانية بويه .
تركي Boya .
بياده : المشاة .
تركي Piyade من الفارسية بياده ، وقديماً عرب هذا اللفظ انقارسي
« يياذق » واشتق منه ييذق ظناً أن يياذق جمع .
بيره : شراب معروف .
تركي Bira من الإيطالية .
بيش : خمسة في لعبة الطاولة .
تركي Beş .

(يتبع) ❖❖❖ السودان : ف . عبد الرحيم

التعريف والنقد

أمراء البيان

أعادوا طبع كتاب : أمراء البيان ، للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، ولقد أعيد طبع هذا الكتاب النفيس في وقت ترامت فيه الشقة بيننا وبين البلغاء من كتّابنا المتقدمين واشتدت فيه الحاجة إلى الاقتباس من خالد بيانهم ، فمنع نميش في عصر تكاد الصلة بيننا وبين أدبنا القديم تكون منقطعة الأواصر ، لقد اقلب عالمنا كل منقلب ، أدبه وثقافته ، ودخلت علينا مذاهب حديثة في كل أفق من آفاق الحياة حتى كاد يائنا يعجز عن الإفصاح عن هذا الانقلاب العظيم ، على أن المتقدمين من بلغاء كتّابنا وكبار علمائنا لم يضعفوا عن تمثيل الانقلاب الذي وقع في عصرهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، فقد استطاعوا أن يجدوا لغة وأسلوباً لكل ماجرى في أبتامهم ، أما نحن فقد ظهر عجزنا في هذا الأمر حتى كاد يائنا يفصل عن بيان المتقدمين ولذلك نجد الحاجة ماسة إلى تذكيرنا ببلغة أولئك الأئمة والغرف من بحرهما ، وهذا ما يحملنا على أن ننظر إلى كتاب : أمراء البيان نظرة خاصة ، ونشكر للذي ألفه والذين أعادوا طبعه .

طبع الكتاب مرتين وأعيد طبعه هذه السنة ، وقد صدر الدكتور سامي الدهان ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الجديدة بمقدمة بليغة لم يخس فيها الأستاذ الرئيس حقه كما لم يخس كتاب أمراء البيان حقه ، لقد أنزل في مقدمته الأستاذ الرئيس المنزلة الرفيعة التي تليق بمقامه كما أنزل

الكتاب نفسه المنزلة السامية التي يستحقها ، كل هذا في بيان يدل على ذوق خالص وبراعة فائقة .

أما الأستاذ الرئيس فإن هذه السطور عاجزة عن أن تعطيه حقه أو تصور مقامه الجليل في فهم الأدب وقدره حتى قدره ، لقد فصل الكلام في مقدمته على بيان العرب أبلغ تفصيل ، فلم يغفل عن شيء من خصائص الأدب في عصوره بأجمعها ، كما لم يغفل عن شيء من تصوير الأطوار التي تقلب فيها هذا الأدب ، وكما ظهرت بلاغته في المقدمة فكذلك ظهرت هذه البلاغة في الكلام على كل إمام من أئمة البيان مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن هارون وابن مسعدة وابن يوسف الكاتب والصولي والزيات والجاحظ والتوحيدي وابن العميد .

من هذه الطبقة الرفيعة من رجال البلاغة ندرك مقادير هذا النثر الذي انتخبت منه نماذج في كتاب : أمراء البيان ، فإذا كنا نقدر هذا النثر فلا يرجع تقديسنا إلى مجرد الإعجاب ولكننا نشعر بتقصيرنا عن طبقة وبالجهد في ذوق محاسنة حتى نصل إلى درجته على الأقل ، هذا إذا كنا لانستطيع أن نجاوز هذه الدرجة .

لقد استطاع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أن يبلغ الدرجة الرفيعة من بلاغة المتقدمين ، فما علينا أن نضم اسمه الكريم الى أسماء أمراء البيان .

سفيان عيري



حكاية الأيام الثلاثة

لا نرى الدكتور عمر النص غريباً عن قن الرواية ، لقد ظهرت قدرته على هذا النوع من الأدب في روايته الأولى : شهر يار ، التي كانت جذابة من أولها إلى آخرها ، وإذا كان من شروط الرواية محاسن اللغة ، فلمة الدكتور عمر النص لا تقتصر إلى هذه المحاسن ، ويكاد يكون شرط هذا الحسن أبرز شروط الرواية ، ولما أتت « أنا قول فرانس » ، على « موباسان » ، في أحد كتبه الأدبية كانت مسألة اللغة مظهراً من مظاهر هذا الثناء .

وقد يضاف إلى إتقان اللغة في الرواية إتقان الحوار ، فالحوار إنما هو روح الرواية على ما اعتقد ، ولقد نشاهد براعة الحوار ومحاسن اللغة في رواية الدكتور عمر النص الثانية وهي : حكاية الأيتام الثلاثة ، فإن أكثر الروايات في أدبنا لا تزال تحتاج إلى أشياء كثيرة من قواعدها ، مثل سلامة اللغة وبساطة التعبير ودقة التحليل وحسن الحوار وماشا كل هذه الأمور .

إنما نجد في رواية : حكاية الأيتام الثلاثة قوة في جذب القارئ إلى تتبع حوادثها ، فالقارئ لا يكاد يفرغ من قراءة الفصل الأول من قصورها حتى يشتد به الميل إلى الاطلاع على الفصل الثاني .

لقد جرت حوادث حكاية الأيتام الثلاثة في مدينة « جالوق » سنة ١٤٠٢ الميلادية ، خلال غزو التار لبلاد الشام ، ومن ذكر التار وبلاد الشام يعرف روح موضوع الرواية ، لقد تجلّت البلاغة في وصف بطولة « جالوق » أي بطولة رجالها ومجدهم وضحاياهم ، ثم تجلّت هذه البلاغة في وصف إهمال المدينة وخضوع رجالها ونومهم عن الدفاع عنها ، وقد نجد في

أعمال « تيمورلنك » صورة لأعمان كل معتدٍ أثيم ، فكل كلمة من كلمات الرواية في وصف هذه الأعمال تعبّر عن حالة كل مغلوب على أمره في أي عصرٍ من العصور ولعلّ بلاغة الصبر على احتمال الأذى والإصرار على دفع هذا الأذى تتمثّل في هذه الجملة : ولكن « جالوق » ستظلّ تضيء ... ، هذه العبارة تتضمن الإشارة إلى كل مدينةٍ من المدن التي تحتل الشر حيناً من الدهر ثم توطن النفس على دفع هذا الشرّ .

لسنا نبالغ إذا قلنا ان الدكتور عمر النص خلق للرواية وإتقانها ، وليس هذا بشيء قليل بالنسبة إلى عصرنا الذي استفاض فيه هذا النوع من الأدب .

س . ج .



اتجاهات النقد الحديث

للدكتور جميل صليبا

عهدنا بأستاذنا الدكتور جميل صليبا أنه قد فطر نفسه للفلسفة فهو منذ قرابة أربعين عاماً ما انفك يعلّمها ، ويدرس قديمها وحديثها ، ويحقق بعض ذخائرها وكنوزها ، ويضع معجماً لمفرداتها ، وينقل إلى العربية بعض روائعها العربية ، بأسلوب عربي مشرق أصيل ، فبنت أصوله في مكتبه عنبر ، ، واخضرت غصونه وفروعه مع طول مصاحبة كتب الأمهات . وهو حين علّم وحقق ألف ونقل ، المثال الذي يحتذى ، والأسوة التي تقتفى . فمن استمع إلى دروسه وهي في فجرها المبكر ، رأى عليها مسحة من الأدب ظاهرة ، وطلاوة تتبع من حسن اختيار الألفاظ ، وضم الكلمة إلى أختها ، ومن حسن التوفيق في الجمل والتراكيب . وطلابه الأولون يذكرون أنه لم يعلّمهم الفلسفة ليس غير ، ولم يلقنهم مذاهبها وفيرقها ، شرقها وغربها ، وما حفلت به كتب القدامى والحديثين من مناقشات ومساجلات وردود ليس غير ، وإنما أخذوا عنه كذلك أدباً ولغة ، ولقد كان يؤكد لطلابه دوماً الصلة الوثقى بين الفلسفة والأدب فيقول : الأدب بتوَج الفلسفة ، ولهذا لم أعجب حيناً أهدي إليّ كتابه الأدبي الأول عام ١٩٥٨ الذي سماه (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث) ، ولم أسأل نفسي : ما لهذا الإخصائي في الفلسفة يغير على الأدب ، فيبحث عن تأثير الاتجاهات الفكرية فيه ؟ فلقد كان جميل صليبا دوماً فيلسوفاً أدبياً ، وأدبياً فيلسوفاً .

كذلك لم أعجب يوم أهدى إلي كتابه الجديد (اتجاهات النقد الحديث في سورية وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في هذا العام (١٩٦٩) على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، التابع لجامعة الدول العربية . فالتقد من الأدب ، ولم نعرف في أدبنا العربي عصرأ من العصور خلا من النقد ، منذ أن قام سوق عكاظ وجلس فيه مقدم من الشعراء ، حكماً بين الشعراء ، إلى يومنا هذا . فمن حق جميل صليبا الأديب الفيلسوف أن يبحث في النقد الحديث واتجاهاته في سورية ، ولا جناح عليه في أن يخوض ميدان الفن الذي يتوج اختصاصه .

قم أستاذنا المؤلف كتابه إلى اثني عشر فصلاً وخاتمة .

فتناول في الفصل الأول ركود الأدب في سورية خلال العهد العثماني ، وحالة الأدب في سورية خلال الحكم العربي ثم خلال الانتداب الفرنسي ، ثم خلال عهد الاستقلال ، وعوامل الإنتاج الأدبي وتأثيرها في النقد ، والمحافظون والمجددون .

وتناول في الفصل الثاني : رواد النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي الفصل الثالث : النقد اللغوي : المحافظون المتشددون ، وفي الفصل الرابع : المحافظون المعتدلون ، وفي الفصل الخامس : طلائع التجديد في النقد ، وفي الفصل السادس : تحرير الأسلوب العربي من العيوب التي علقته به في عصور الانحطاط ، وفي الفصل السابع : الثورة على الأدب التقليدي ، تحطيم الأصنام ، وعقد في الفصل الثامن فصلاً سماه : من النقد البياني إلى النقد التحليلي ، وفي الفصل التاسع فصلاً سماه : بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، وبحث في الفصل العاشر : نقد

أنواع الأدب ، وفي الفصل الحادي عشر : مذهب الالتزام ، وفي الفصل الثاني عشر : مذهبه في النقد . وأنهى الكتاب بالخاتمة .

ومن المسير أن نبحث في هذه الكلمة مضامين العناوين التي أوردناها فيما سبق ، فالكتاب يقع في (٢٦٦) صفحة من القطع المتوسط وحسبنا أن نلم ببعض المواضيع التي نرى أنها تستحق البحث ، لنعطي صورة قريبة من الوضوح عن هذا الأثر القيم الذي قدمه أستاذنا الدكتور صليبا إلى المكتبة المربية .

فالكتاب كما نرى من تعداد فصوله يخلب عليه الترتيب المنطقي ، فهو يتدرج منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، وهو يبدأ بالمحافظين المتشددين ، وينتهي بالمتحررين وبالملتزمين ، وليس بدعاً في التأليف أن يأتي كتاب من علم المنطق أربعة عقود منطقي الترتيب .

وعلى الرغم من أن أستاذنا قد غاص في الأدب والنقد واللغة فإنه لم يستطع التحرر في بعض مواضيع الكتاب من أسلوب الفلاسفة وتمايرهم وألفاظهم ، فقد غلبت عليه أحياناً بشكل واضح ، كقوله (ص ٢٥١) :

« قيل ان بين النقد والعلم فرقاً كبيراً ، لأن العلم ينظر في الأشياء للكشف عن القوانين الطبيعية التي تضبطها ، والنقد ينظر في قيم هذه الأشياء . وإذا كان النقد مؤلفاً من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قيم الأشياء ، بحسب قربها من المثل العليا أو بعدها عنها ، فإن العلم مؤلف من أحكام خبرية أو وجودية تعبر عما هو كائن بالفعل . وإذا علمت أن ما يكتبه الكاتب أو يصوره الفنان أو يقوله العالم أو الفيلسوف يرجع في النهاية إلى أحكام خبرية أو إنشائية ، علمت أن حكم الناقد على قيمة هذه الأحكام كلها ليس حكماً بسيطاً ، وإنما هو حكم مركب أي حكم على حكم . »

فإذا كان النقد « حكماً على حكم » كما قرر أستاذنا المؤلف ، فإن كتابه لم يخل من هذه القاعدة ، فكثيراً ما أصدر « حكماً على حكم » أو إن شئت « تقدماً على نقد » . ولنضرب على ذلك مثلاً واحداً فهو من جهة شديد الإعجاب بالأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، يقول عنه بمرض الرد على أحمد شاكر الكرمي (ص ١٣٧ - ١٣٨) : « فمحدد كرد علي الذي تربع في دست الوظيفة لم تخدم شعلة مواهبه ، بل ترك الكتابة في الجريدة وانصرف إلى الكتابة العلمية والأدبية ، ونشر خطط الشام والإسلام والحضارة العربية ، وأقوالنا وأفعالنا ، وكنوز الأجداد ، والمذكرات وغيرها ، حتى صار — بما قبسه من الثقافة العربية والثقافة الغربية . قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام ، ويمد أسلوبه الأدبي من الأساليب البليغة الواضحة في غير تصنع ولا إفراط » . إلا أن قائد الحركة الأدبية ليس في نجوة من نقد أستاذنا المؤلف كقوله عنه : « وبلغ من ضعف ملكته الموسيقية أنه كان يستعين ببعض أصدقائه على ضبط أوزان الأشعار التي يستشهد بها في مقالاته » .

ويشير أستاذنا المؤلف إلى نقد قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام لكتاب قواعد التحديث الذي ألفه جمال الدين القاسمي (ص ١١٩) ، وينقل قوله في مؤلفه : « إنه ينقل عن مجلات غاضاً من ذكر أسمائها ترفهاً ، وأنه يقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره ، وأنه من العلماء المشهورين الكثيرين من التأليف على هذه الطريقة في الجمع والنقل وأنه آخر من جرى على تلك الطريقة التي ضعفت فيها ملكة التأليف ، فاكتمى في أكثر تأليفه بسط آراء غيره » ثم يشير إلى المساجلة التي جرت بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي حول هذا الموضوع ، ويعلق على رأي كرد علي بقوله (ص ١٢٢) :

« وإذا عدنا الآن إلى رأيه في طريقة النقل والجمع ، قلنا : انه لم يسلم هو نفسه من اتباع هذه الطريقة في بعض تأليفه ، فإن تراجم بعض الرجال الذين ذكرهم في كتاب كنوز الأجداد لا تختلف عن تراجم ابن خلكان والبيهقي والقفطي وابن أبي أصيبعة إلا قليلاً » .

ويتضح إنصاف أستاذنا المؤلف ، وغيرته على المجمع ، في رده على سامي الكيالي الذي اتهمه بأنه (ص ١٦٤) : « كان يضم الكثير من الأطباء ولكنهم كانوا يحاولون إتقانه بطب ابن سينا لا بطب باستور ... ولم يستطع أن يخطو أي خطوة في تطوير الأدب » . فيقول : « وفي هذا القول حيدة عن الطريق ، لأن المجمع اللغوية لم تنشأ لتطوير الأدب ، بل أنشئت للحفاظ على سلامة اللغة ونقاوتها وتطوير ألفاظها حتى تصبح صالحة للتعبير عن حاجات المصر ... ويكفي المجمع العلمي شرفاً أن يعمل على صيانة اللغة ، وتطوير ألفاظها ، وتقد أساليبها ... » .

وفي فصل « اثورة على الأدب التقليدي — تحطيم الأصنام » الذي اتخذ له أغودجاً متركه أحمد شاكر الكرمي ، يحلل الأسباب التي دعت إلى هذه الثورة « التي أرادت أن تطور الأدب ، وأن تهض به ، وأن تبث الحياة فيها ركده منه ، ولكن بشرط المحافظة على الفصحى ، وعلى اللغة وقواعدها ، « لأنها من أهم أركان الأدب » ، وتبين نصرة أستاذنا المؤلف لهذه الثورة بما نقل من أقوال الكرمي ، وبلقنطفات التي اختارها . مثال ذلك قول الكرمي (ص ١٤٦) :

« أول ما يجب الشروع به لإحياء الآداب العربية هو القضاء على المعجمة الخبيثة ، واجتثاث أصولها ، وإقصائها عن الناشئين جهد المستطاع : لكي لا تعلق بأذهانهم فتفسد ملكاتهم » .

وأحمد شاكر الكرمي يسمي الذي يهملون شأن اللغة بالتمردين ، ويقول عنهم (ص ١٤٧) : تعصف في رؤوسهم عاصفة الطموح ، وتدب في عروقهم حمى الطمع في الشهرة وبعد الصيت ، فيندفعون إلى الكتابة دون تعلم قواعدها ، فيشوّهون وجه الأدب بأجساث التي يفتشونها ، والجرائم التي يشونها . . .

ولهذا فإن أستاذنا المؤلف يحكم على الكرمي هذا الحكم المنصف الجليل (ص ١٥١) :

« وإذا أضفنا إلى ذلك كل ما عرفناه من حماسه وإخلاصه وصدقه وعدالته أمكننا أن نقول أن ذلك النجم المتوقد كان لا يزال في دور التكوين يوم أدركه الاحتراق . »

وكما يبدو أن أستاذنا المؤلف كان نصيراً لثورة الكرمي فإنه يبدو أيضاً أنه كان رفيقاً بأصحاب المذهب الحر وبدعاة مذهب الالتزام ، وعلى الرغم من أنه قد عرض آراء الواقعيين والمخالفين ، فإن عرضه كان مجرداً ، ولم يصدر فيه « حكماً على حكم . »

وليس هنا مجال بحث البدعة التي استحدثوها ، وزعموا أنها تحرير للشعر من الوزن والقافية ومن كل قواعد « عمود الشعر » التي أشار إليها الأقدمون ، منهم المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام . وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن هذا المذهب إذا كتب له البقاء ، وهذا الحال ، فيمكن أن يكون كل شيء إلا الشعر .

وأما ماسمونه « الالتزام » فهو أيضاً بدعة جديدة منكرة ، لا يمكن أن تستقيم في أي زمان أو مكان .

لو عدت إلى أقوال أصحابها لوجدت فيها برقاً خُلِباً ، وسراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ، ذلك بأن نصرة الأمانى الوطنية ، والتحدث عن الآسى الاجتماعية ، والتكبات القومية ، أمور قد التزمها الشعراء والأدباء في سورية ، في جميع المصور ، وفي العصر الحديث خاصة ، من غير إلزام وإنما دفعهم إليها شعور قومي عميق صادق ، وحس دافق يتسالم لأرزاء المجتمع ، وجراح نازفة لما حل بأرض الوطن من التكبات . ولا أدل على ذلك من مجموعة القصائد التي قُلت في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) التي جمعها الأستاذ عبد الدين الخطيب في كتاب سماه « ديوان الثورة » . هذا الديوان لم يوح به مذهب سياسي معين ، ولا أملاء تسخير لقرائع الشعراء ، ولم يستلهم أصحابه قصائدهم إلا من وحي وجداناتهم . ولا ريب عندي في أن الذين يتحدثون عن « الالتزام » إنما ينظرون من وراء الأفق إلى ردة « باسترنك » فيما زعموا .

وخلاصة القول فإن الكتاب الذي بين أيدينا يمكن أن يوصف بأنه جديد في موضوعه وفي أسلوبه ، وهو من خير الدراسات الملهمة الرصينة التي ينبغي أن يحرص عليها المتأدبون الناشئون ، وأن تزين بها مكاتب العلماء والأدباء والنقاد .

طاهر القاسمي

ضهور الشوير (لبنان)



دراسات في فقه اللغة

تأليف الدكتور صبحي الصالح

طبعة دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٨ (الطبعة الثالثة)

الأستاذ الدكتور صبحي الصالح علم من أعلام التأليف في دنيا العرب . عرفناه أول ما عرفناه في كتابه (مباحث في علوم القرآن) الذي أصدره سنة ١٩٥٨ ، ثم في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) الذي أصدره سنة ١٩٥٩ ، ثم في كتابه (دراسات في فقه اللغة) الذي أصدره سنة ١٩٦٠ . وقد صدرت هذه الكتب جميعاً أول مرة في دمشق حين كان المؤلف أستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق .

وسرعان ما عرفت هذه الكتب ، ولقيت عناية فائقة من الدارسين والباحثين ، كما طارت شهرتها بين طلبة الجامعات العربية خاصة . ثم تابعت طبعاتها لذلك ، حتى صدرت الطبعة الثالثة من كتاب (دراسات في فقه اللغة) في السنة الماضية منقحاً ، ومزيداً فيه بحثان جديداً كما يقول المؤلف (١) .

وهذا الكتاب الأخير هو الذي يعنينا في هذه الكلمة العجلى . وهو كتاب قيم قويم ، أقامه المؤلف على أصول الدروس التي كان يلقها على طلابه في كلية الآداب بجامعة دمشق .

أجاد الدكتور صبحي تأليف هذا الكتاب وتبويه ، وأحسن فيه دراسة كثير من خصائص العربية ومسائلها وقضاياها التي تدارسها علماءنا في القديم والحديث ، مثل مسألة اللهجات العربية القديمة وأثرها في تكوين العربية

(١) انظر مقدمة المؤلف للطبعة الثالثة ص ٥ — ٦ .

الفصحى ، وتقل اللغة وتدوينها ، ومثل ظاهرة الإعراب ، ومسألة الاشتقاق وأنواعه المختلفة ، ومسألة الدخيل وتدريب الألفاظ الأجنبية ، ثم المشكلات التي تواجهها العربية في العصر الحديث ولا سيما مشكلة المصطلحات العلمية ، وغيرها من قضايا العربية .

وكلها قضايا معروفة ، بحث فيها العلماء من العرب والمستشرقين ، وأبدؤوا فيها القول وأعادوا في أبحاث ومقالات متفرقة في كتب وصحف دورية كثيرة . ولكننا لم نرها مرتبة مجموعة معروضة معاً بين دفتي كتاب قبل أن يصدر الدكتور صبحي كتابه هذا . فهو لذلك يعد فريداً ، لا صنو له في بابيه . وهذا إلى بيان عربي أصيل جميل ، ولغة صحيحة فصيحة ، طبع عليها الدكتور صبحي ، فتجلت في كتبه جميعاً . ومن وراء هذا البيان الجميل واللغة الفصيحة حماسة ظاهرة للغة الضاد ، وإشادة دائمة بأصالتها وعبقريتها في القديم والحديث . ومنشأ هذه الحماسة حب للعريسة خالص ، يملك نفس الدكتور صبحي ، ويجعله دائماً راضياً عمن يحب ، مستحسناً لأحواله جميعاً . وهو على حق لا ينكر ولا يدفع في حبه الكريم هذا ، والموقف النبيل الذي يؤدي إليه . ولقد أوتينا مثله حظاً وافراً من هذا الحب ملاً ليلي عمرنا ، واستنفد منا طاقة الشباب الغالي .

ولا يمكننا هنا أن نوفي القول في هذا الكتاب القيم . وغايتنا القصوى هو التعريف به والإشارة إلى قيمته وحسب . وقيمة الكتاب الأساسية كائنة ، كما نرى ، في براعة المؤلف في رسم المعالم الكبرى في طريق الباحثين في كثير من قضايا العربية التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً ، مثل قوله في كلامه على قضية اللهجات العربية القديمة : « هذه خلاصة الفوارق الرئيسة بين لهجتي تميم والحجاز ، رأينا من خلال عرضها أننا من تميم أمام لهجة

خاصة قائمة بذاتها ، لها خصائصها ومميزاتها . وعسى أن نكون قد استنتجنا من معرفتنا لذلك أن لهجة تميم قد أمدت العربية الفصحى بروافد غنية غزيرة ، ساعدت على استقرار نحوها وصرفها ، وسمة اشتقاقها ، وبعد دلالاتها ، وانسباط مدرجها الصوتي ، وحياة عدد كبير من مفرداتها . فإذا أردنا أن نتنقل إلى دراسة خصائص العربية ومميزاتها كان لازماً علينا أن نفهم لدى أول خطوة نخطوها حتى آخر نتيجة نمطها أن تيمماً تشارك قريشاً بنصيب كبير من هذه الخصائص ، وأن إغفال دور تميم في هذا إنغا هونهاون بجزء لا يتجزأ من لغتنا العربية الفصحى^(١) .

وهذا حق مبين ، وهو أيضاً تخطيط وجيز دقيق لدراسة لهجة تميم ، ويان أثرها في تكوين العربية الفصحى . ومثل هذا كثير في الكتاب .

ولنا بعد كلمة أخيرة نحب إسماعها ، وهي أن المؤلف الكريم قد صرف أكبر همه إلى بعض قضايا العربية دون بعضها . فقد أولى الاشتقاق وأنواعه مثلاً عناية خاصة ، وبذل في بحثها جهداً جاهداً ، على حين مرةً مرأً سريعاً بقضايا أخرى مثل مسألة الترادف ، والمشارك في اللفظ ، أو ما اتفق لفظه واختلف معناه كما يسميه القدماء ، ومثل مسألة الأضداد . وهي كلها لا تقل أهمية عن مسألة الاشتقاق ، بل تفوق في أهميتها مسألة مناسبة حروف العربية لمعانها من مباحث الكتاب . وهي في الدراسات اللغوية أقرب إلى مسائل ما وراء الطبيعة في الدراسات الفلسفية .

ونحن في انتظار مزيد من الخير من الدكتور صبحي ، وهو أهل لذلك . قواه الله ولقاء برأ .

الدكتور - عزرة حسن



(١) انظر ص ١٠٣ — ١٠٤ من الكتاب .

المورد

قاموس انكليزي عربي

تأليف منير البعلبكي

كتب منير البعلبكي في صدر مقدّمته لمعجمه المورد (١) أن مؤلفه كان ثمرة عمل متواصل طوال سبع سنوات أنفقها في تأليفه وطبعه ، وجاء في ثبوت المراجع التي اعتمدت في تأليف هذا المعجم أن معجم وبستر الجامعي السابع المطبوع في الولايات المتحدة الأميركية في عام ١٩٦٥ كان في جملة هذه المراجع . وقد تصفحت معجم وبستر المنوه عنه ، وأنا أتصفح هذا المعجم في كل يوم تقريباً منذ صدوره ، فاذا بأصحابه يدوتون على غلافه أنه نتيجة خبرة تنيف مدتها على القرن . أفلا يحق لنا إذن أن نأخذ من ذلك أن معجم البعلبكي الذي هو وليد معجم وبستر أشهر معاجم العالم الأنكلو أميريكي على الإطلاق ، إنما هو ثمرة عمل وجهد وخبرة يزيد أمدّها على قرن كامل .

وكم كان إعجابي شديداً بقاموس المورد ، وبرسوخ قدم صاحبه في اللغتين العربية والإنكليزية لدى قراءتي مقدمة القاموس التي سماها المؤلف تصديراً . وكنت قرأت فيما سبق لأحد الكتبة المتأخرين مقالاً كتبه عن اللغوي والمحقق المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي ، فقد قال هذا الكاتب في معرض وصفه لشرح ديوان المتنبي الذي وضعه اليازجي ، وللدراسة المستفيضة التي كتبها اليازجي عن المتنبي وجعلها ذيلًا لشرح الديوان ، لو لم

(١) صدر هذا المعجم عن دار العلم في بيروت وأُنجز طبعه على المطابع الأهلية اللبنانية في عام ١٩٦٧ .

يمكن لليازجي غير هذه الدراسة لكفى بها دليلاً على علو كعبه في اللغة العربية وآدابها ، وأنا أقول ، وأراني على حق فيما أقول ، لو لم يكن لمير البعلبي غير هذا التصدير الذي مهد به لقاموسه لكفى به شاهداً على بلاغة صاحبه وتمكنه من اللغتين العربية والإنكليزية .

وكم كان إعجابي شديداً أيضاً بقاموس المورد لدى ما علمته من تصديره أن عدد مفرداته أو موادّه entries كما سماها المؤلف ، لا يقل عن مائة ألف مادة . فذكرت بعد علمي بذلك أن المعجم الانكليزي العربي المدرسي الذي وضع بين أيدينا خلال سنوات الدراسة الابتدائية والثانوية في المدارس الأميركية في لبنان ، وهو قاموس ابكاربوس^(١) ، لم يكن يزيد عدد مفرداته على ٢٥ ألف مفرداً ، وقلت في نفسي ما أوفر حظ المثقف العربي — وقل الطالب العربي على الأقل — في هذا العصر حين يتاح له في دراسته اللغة الإنكليزية أن يستعين بقاموس البعلبي الكبير ، عوضاً عن قاموس ابكاربوس الصغير ، وكم كنت أشعر بالخيبة في دراستي للجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضية حين اضطراري على مراجعة قاموس ابكاربوس للتفتيش عن المعنى العربي لإحدى الألفاظ الإنكليزية ، فلا أجده فيه غير المعاني البعيدة عن المعنى الذي افتش عنه ، أو لا أجده اللفظة المطلوبة بين ألفاظه فلا أرى بداً إذ ذاك من مراجعة معجم وبستر للتفتيش عن ضالتي المنشودة فإذا وجدت اللفظة المطلوبة وعثرت بين معانيها على المعنى الذي أريده ، وهذه المعاني قد تكون في بعض الأحيان كثيرة تحتاج في قراءتها وفهمها إلى الوقت والدأب ، لرحت بعد ذلك افتش عن اللفظة العربية المقابلة لمعنى اللفظة الإنكليزية الذي وُفقت في العثور عليه ، وإنما كان التفتيش كما هو واضح ، فيما كانت تعيه حافظتي من المفردات العربية ، وجل هذه المفردات

(١) طبع هذا القاموس لأول مرة في النطبعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٠٣ .

مقتبس من كتابات بعض مشاهير المتأخرين من أمثال جرجي زيدان وفرح أنطون وجبران والريحاني وطانيوس عبده وسوام .

وعلى ذلك فاني بعد هذا البيان الذي يجلو حقيقة الدراسة للغة الإنكليزية في الحقبة الممتدة من أول الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية لايسفي إلا أن أغبط دارسي اللغة الإنكليزية في هذه الآونة ، وبخاصة الطلاب الجامعيين الذين يدرسون اللغة الإنكليزية وآدابها ، لأن لديهم سفراً مطولاً هو معجم البيلكي يستطيعون الرجوع إليه لتقصي المعاني العربية لمعظم الألفاظ الإنكليزية التي تعترضهم خلال الدراسة ، بدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع إلى المعاجم الأميركية أو الإنكليزية . وإني إذ أغبط المثقفين والطلاب لأن لديهم مرجعاً غزير المادة يستطيعون اعتماده في تعلمهم اللغة الإنكليزية ، لأغبط أيضاً لأنني في كل يوم تقريباً أقلب صفحات هذا المعجم لاستقصاء المعاني العربية أو للتحقيق في المعاني العربية التي قد أجدني في حاجة إليها خلال الترجمة من الإنكليزية إلى العربية .

غير أنني شأن كل باحث مدقق ، وزولاً عند رغبة المؤلف بإبداء ما ينظر للمراجع من الملاحظات على منهج تأليف المعجم وعلى ما بين دفتيه من الثروة اللغوية استطيع المؤلف عذراً إذا أنا أبدت له الملاحظات التالية :

١ — كثيراً ما يلحق المؤلف آل التعريف بالأسماء الموصوفة وربما كان ذلك تمييزاً لها عن الصفات ، فهو في الصفحة الأولى من المورد يورد لفظة « الحيفلار » بأل التعريف لمقابلة لفظة abatis الإنكليزية ، وبينها بلفظة واحدة يذكر لفظي « مجتزّر » ، « مسلّخ » بدون آل التعريف لمقابلة لفظة abattoir ، فهو إذن في إيراد الأسماء الموصوفة ، يهمل آل التعريف أحياناً ويلحقها بها أحياناً بدون أن يكون لذلك سبب هام يقتضي هذا الإلحاق . وحذا لو تخلي

عن آل التعريف تخلياً تاماً جرياً على المنهج المتبع في معجم ابكاربوس ومعجم الأب بلو اليسوعي ، وهو معجم فرنسي عربي ، ومعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لمؤلفيه الأساتذة خاطر وخياط والكواكي وهذا أيضاً فرنسي عربي ، إلا في أحوال خاصة يفضل فيها تعريف الاسم بدلاً من بقاءه بحالة التنكير . وليس بمنكر أن آل التعريف تلحق دوماً بالأسماء الموصوفة في المعاجم العربية وحتى بالصفات أيضاً ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دعت المؤلف إلى هذا اللاحق . ولكن الفرق جسيم بين التأليف في الحالة الواحدة وبينه في الحالة الثانية ، لأن أسلوب التأليف في المعجم العربي يقتضي أن يكون الكلام في سياق واحد وأن تكون فقراته المتابعة مطوفاً إحداها على الأخرى فلا محالة من إلحاق آل التعريف حتى بالصفات . قال المعلم بطرس البستاني على الصفحة الأولى من قاموسه محيط المحيط « الأبوابُ الماء والسراب والأبواب معظم السيل والموج » . وقال أيضاً « الأبيدة الداهية يبقى ذكرها أبدأج أبدأ وأوابد . والأوابد أيضاً الوحوش والقوافي الشرّدة . الأبدُ الدهرُ والدائمُ والقديمُ الأزلي والولد الذي أنت عليه سنة ج آباد وأبود ، وهكذا إلى آخر صفحة من صفحات معجم البستاني وإلى آخر مفرد من مفرداته .

وعلى تقيض ذلك فإن مؤلفي المعجم الطبي المذكور آنفاً أسقطوا آل التعريف من كل الأسماء الواردة في المعجم فقالوا عضلة لمقابلة كلمة muscle وقالوا عضلة صدغية في ترجمة muscle temporal بدون آل التعريف ولم يقولوا العضلة الصدغية بآل التعريف مع أن اسم هذه العضلة خاص بها دون سواها من العضلات فهو أحرى باستلحاق آل التعريف من كلمة عضلة ذات المعنى العام أو الدلالة العامة .

٢ - ويصطلح المؤلف في ترجمة الأفعال على صيغة المضارع بدلا من الماضي الذي هو الأصل في بناء الفعل وهو الصيغة الأصلية التي تقابل صيغة الـ infinitive في اللغة الانكليزية وسواها . فهو يقول على الصفحة الأولى في ترجمة كلمة abandon « يتنازل عن ، يهجر ، يترك الخ . . » وربما كان الأفضل ما جرى عليه مؤلفو المعاجم الأخرى الانكليزية العربية والفرنسية العربية من استعمال صيغة الماضي لمقابلة الأفعال ، وربما كان الأفضل من هذا وذلك أيضاً استعمال الماضي والمضارع معاً مع الاهتمام بإثبات حركة عين الفعل في كلتا الصيغتين لما لهذه الحركة من الشأن في تصويب التلفظ بالأفعال .

٣ - أما بشأن البواديء التي تدخل على الألفاظ الانكليزية فيمكن أن تقسم قسمين هما البواديء بخاصة prefixes وهذه تكون عادة من الحروف أو الظروف اللاتينية أو اليونانية نحو البواديء في الكلمات abduct أي أبعدَ و abscess أي خراج و subcutaneous أي تحت الجلد الخ ... والقسم الثاني هو الصيغ التركيبية combining forms وهذه تكون عادة من الأسماء اللاتينية أو اليونانية نظير الجزء الأول من الكلمتين oropharynx أي البلعوم الفموي و nasopharynx أي البلعوم الأنفي . غير أن مؤلف المورد لا يفرق بين هذه الصيغ فهو يسميها جميعاً بواديء (الصفحتان ١٩٤ و ٧١٨ من المورد) وهب أن تسميتها كذلك جائزة ، فما تفعل حين تترضنا كلمة مركبة من ثلاثة أجزاء مثل sternocleidomastoid أي العضلة القصية الترقوية الحشائية وماذا نسمي جزءها الثاني أي -cleido- الذي لا يمكن اعتباره بادئة لأنه الجزء المتوسط من الكلمة فلا هو بادئة ولا هو لاحقة . لذلك نرى أن الأفضل في التفريق بين هذه الألفاظ المستعملة في

بناء الكلمات المركبة أن نسمي ما كان منها من قبيل الأسماء بالصيغ التركيبية أي بترجمة اسمها حرفياً عن الانكليزية ، وأن يقتصر في إطلاق كلمة البادئة على الأدوات والحروف والظروف وما أشبه .

٤ — وفي المعجم الكثير من الألفاظ العربية كلفظة السَّقْوَبَة التي عرّبت بها لفظة succubus ولفظة السَّكْتُاش لمقابلة لفظة succotash والصَّنْفَرَة أو السَّنْفَرَة لمقابلة sandpaper أو emery paper وغير ذلك . وإني أظن أنه لا حاجة إلى أمثال هذه المِثَرَات إذ أن الناس يتعذر عليهم الاقبال على استعمالها فلا ينقضي عليها بعض الوقت حتى تعود من الألفاظ المأتمنة . وقد عرب الجمع العلمي العربي بدمشق فيما مضى كلمة chocolate بكلمة شَكُولَات على وزن قَعْمُولَات فهل استعمل الناس اللفظة العربية في الكلام أو الكتابة ، إنهم لا يزالون يقولون ويكتبون شوكولا أو شكولاته أو شكولاتا أو ما اقترب من هذه الكلمات في هجائه ولفظه .

٥ — ثم إن في بعض ألفاظ المعجم العربية شيئاً من نقص الإيضاح أو عدم التفريق فيما ترمز إليه من المعاني الانكليزية فكلمة solder الفعل ترجمت بكلمة « يَلْتَحِم » ، وكذلك كلمة weld ، مع أن هناك فرقاً بين اللفظتين إذ أن الأولى تفيد معنى وصل قطعتي المعدن باللاحام والثانية تفيد معنى وصلها بالحرارة وبدون وساطة اللحام ، فلا بد إذن من التفريق بين المعنى الانكليزي لكل من اللفظتين فيما يقابله بالعربية .

٦ — وقد يكون في المعجم قليل أو كثير من الأخطاء في اللغة العربية نفسها ، فقد جاء على صفحة ٤٦٠ في ترجمة Indian club ما نصه « أداة خشبية قارورية الشكل يُتَرَيِّضُ بها » والصواب يُتَرَوِّضُ لأن الفعل راض واويّ وليس في صيغة المضارع المجهول يُتَرَوِّضُ شيء من الاستعمال لقلب الواو ياء . وجاء على صفحة ٢٤٨ في ترجمة كلمة dark « مظلم ، داكن ، قائم

الخ ... ، والصواب أدكن ومؤثته دكناء لأن لفظة داكن على وزن فاعل لم ترد فيما اطلعت عليه من المعاجم العربية (محيط المحيط للبستاني صفحة ٦٦٩). ثم إن المؤلف يقول على الصفحة ٦٥ من المعجم في إيضاح التعبير artificial horizon «حين يتعذر عليهم رؤية الأفق الحقيقي» ، والصواب تتمذر لأن الفاعل رؤية مؤنث . ويقول على نفس الصفحة في تعريفه اللغة الآرية « اللغة التي تحدثت منها معظم اللغات الأوروبية واشتقت منها معظم اللغات الأوربية » والصواب تحدثر واشتق لأن فاعل تحدثر مذكر وكذلك نائب فاعل اشتق .

٧ - وقد يذكر مؤلف المورد القليل أو الكثير من الألفاظ البامية لمقابلة نظائرها الانكليزية مع وجود مايقوم مقامها من الألفاظ الفصيحة فهو يستعمل كلمة غامق لمقابلة كلمة deep وفاتح لمقابلة كلمة light مع أن الكلمتين عاميتان ، وقد استعمل الشيخ إبراهيم اليازجي كلمة مشبع لترجمة كلمة deep وكذلك فعل الأب بلو في معجمه الفرنسي العربي فذكر كلمة مشبع لمقابلة كلمة foncé التي لها نفس المعنى .

وذكر صاحب المورد كلمة مستديم في ترجمة كلمة constant وهي عامية في هذا الاستعمال وفي المحيط استدام اللازم غير ثابت عند العرب لأنه متعدي ومعناه طلب دوامه ولا يعني دام . لذلك كان الأصوب ترجمة كلمة constant بالدائم أو الموجود بصورة دائمة .

على أني فيما يتعلق بالتنبيه على الخطأ الملازم لاستعمال لفظة مستديم ، لا أخال أنها ستستعمل على وجهها الصحيح بل إن استعمالها كفعل لازم سيستمر إلى ما شاء الله لأنها كالفعل تَبَقَّى الذي تعده كتب متن اللغة فعلاً متعدياً في حين أن أكثر الناس لا يستعملونه إلا فعلاً لازماً فيقولون

ماتَّبَقِي من الشيء أي بقي والشيء المتَّبَقِي أي الباقي حتى أن صاحب المورد نفسه أثبت كلمة مُتَّبَقٍ لقابلة كلمة residual التي تفضل ترجمتها بالباقي . والغريب في أمر هذه الألفاظ التي شاع استعمالها الخاطي حتى طغى على استعمالها الصحيح أنه ما من وسيلة يمكن التوصل بها لحمل الكتاب وسوام على اجتناب الخطأ في استعمالها . خذ مثلاً آخر على ذلك لفظة استهدف اللّازم قلنا تعني أصبح هدفاً أو غرضاً يرمى ومنه قولهم من صَنَّفَ فقد استهدف أي أصبح هدفاً للنقد . ومنه قول ابن الفارض :

ولقد أقولُ لمن تحرّشَ بالهوى عَرَضَتْ نَفْسُكَ لِلْبَلَا فاستهدفِ

أي اجعل نفسك هدفاً . أما الاستعمال الشائع فيُعَدِّي هذا الفعل ويجعل مناه رمى هدفاً مُعَيَّنًا أو رمى نحو هدفٍ مُعَيَّنٍ فيقولون مثلاً أن هذه الخطة تستهدف إصلاح هذا الأمر ، وما إلى ذلك . فإذا نحن نبهنا على هذا الخطأ فلا أخال أننا نستطيع إصلاحه مادامت إذاعات العالم العربي وغير العربي قاطبة وربما معظم جرائده أيضاً تجعل الفعل استهدف فعلاً متعدياً وتستهمله بهذا المعنى الخاطي .

٨ — ثم إن في تعريفات بعض المصطلحات الطبية والبيولوجية شيئاً من النقص مثال ذلك لفظة antibiosis فقد ورد ما يقابلها بالمرية كما يلي «التضادّيّة : تضادٌّ بين مُتَعَضِّيَّيْن يؤدي إلى إتلاف أحدهما». وقد جاء في معجم دورلند الطبي^(١) ما معناه :

«أن antibiosis هي bacterial antagonism أي التضادّ الجراثيمي وهو عبارة عن اجتماع لتعضّيتين متلفٍ أو مؤذٍ لأحدهما أو لهما معاً». ومن ناحية

(١) الطبعة الرابعة والعشرون المأذرة عن شركة سوندرز للنشر والطباعة في فيلادلفيا سنة ١٩٦٥ .

ثانية فقد جاء في المورد أن antagonism هي بالمعنى الطبي أو البيولوجي التضاد ، فلماذا نترجم اللفظة الأولى بالتضادية بياء النسبة وقاء المصدرية ، ونترجم اللفظة الثانية المرادفة antagonism بالتضاد بدون الباء والتاء .

وقد اعتبر المورد بعض الألفاظ الطبية أسماء في حين أنها قد تكون أسماء nouns وصفات adjectives في آن واحد مثل anticoagulant أي مانع التخثر فقد جعلها المورد اسماً فحسب مع أن معجم دورلند الطبي يذكر أن اللفظة تعني مانع التخثر أي أنها تكون صفة وتعني أيضاً المادة مانعة التخثر أي إنها تكون اسماً . والغريب أن صاحب المورد لم يغفل نسبة الإسمية والوصفية إلى بعض المصطلحات الأخرى الطبية نظير antiseptic أي مانع العفونة و antipyretic أي مانع الحمى فقد اعتبرها أسماء وصفات في آن معاً ، وذلك على حد ما جاء في معجم دورلند الطبي وسواء من المعاجم الطبية وعلى حد ما ورد في معاجم متن اللغة الانكليزية .

٩ - وقد يضع مؤلف المورد في بعض الأحيان ألفاظاً عربية جديدة لمسميات انكليزية لها ما يقابلها بالعربية نظير لفظة 'مجتدل' الموضوع لمقابلة كلمة arena التي تعني ساحة البراز أو حومة القتال أو حومة بدون إضافة . والطريف في هاتين اللفظتين الانكليزية arena والعربية حومة أن لفظة arena عنت في أصلها اللاتيني الرمل أو المكان الرمل ثم أطلقها الرومان على ساحة البراز لأن هذه كانت تفرش بالرمل ، وكذلك كلمة حومة فإن العرب استعملوها في بعض المركبات الإضافية فقالوا حومة البحر والرمل والقتال وغيره أي معظمه أو أشد موضع فيه . وهم يسمون موضع القتال حومة لأن الأقران يحومون حوله (محيط المحيط) .

ودكر صاحب المورد أن كلمة premolar وهي السن التي تلي الناب ، تقابلها كلمة قَبْطَاحِن العريية وهذه الأخيرة كما ترى منحوتة من كلمتين هما قبل وطاحن لمقابلة البادئة pre- المأخوذة من prae- اللاتينية ومعناها قبل ، وكلمة molar أي السن الطاحنة أو الرحي وهذه مأخوذة من mola اللاتينية أي حجر الرحي . غير أن العرب أطلقوا لفظة الضاحكة على السن التي تبدو عند الضحك ، أو السن التي تلي الناب . وجاء في محيط المحيط الضاحكة مؤنث الضاحك وكل من تبدو عند الضحك أو السن التي بين الأنياب والأضراس وهي أربع ج ضواحك . وقال الأصمعي في الفم الأسنان وهي الثنايا والرَّبَاعِيَّات والأنياب والضواحك والطواحن والأرحاء والنواجذ . ويقول الأصمعي وبلي الأنياب الضواحك وهي أربعة أضراس إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلام ضاحك ثم تلي الضواحك الطواحن والأرحاء ثم تلي الأرحاء النواجذ . أما نحن في جامعة دمشق فقد اعتبرنا الأسنان التي تلي الأنياب ضواحك أولى first premolars وسمينا طواحن الأصمعي بالضواحك الثانية second premolars وذلك لما بين الضاحكة الأولى والثانية من التشابه في الملامح التشريحية حتى ليتعذر التفريق بينها أحياناً ، وأطلقنا اسم الأرحاء molars على الأسنان الثلاث الباقية وهي التي تلي الضواحك ، وسمينا أولاهها بالرحى الأولى first molar وثانيها بالرحى الثانية second molar وثالثها بالرحى الثالثة third molar وهذه الأخيرة هي الناجذ الذي ذكره الأصمعي . وقد سميناها رحي لأنها تحاكي أرحاء الأصمعي في أوصافها التشريحية وكل ذلك موافق للتسمية التي اصطلح عليها الفرنجة (١) . غير أننا احتفظنا بلفظة الناجذ لمرادفة خرس العقل

(١) معجم المصطلحات الطبية الذي وضعه اتحاد طب الأسنان الدولي وأصدره عن

wisdom tooth المسمى كذلك عند الكثير من الأمم . وعليه وبعد هذا التفصيل التشريحي لا يبقى ثَمَّةٌ وجوب لنحت كلمة جديدة هي القَبْطَاحِين هذا ناهيك من أن هذه الكلمة المنحوتة ثقيلة يمجها السمع فلا محالة من عندها ميتة من يوم ولدت .

١٠ — وقد يعمد صاحب المورد أحياناً — وهي أحيان قليلة جداً — إلى التعاريف الطويلة لشرح بعض المعاني أو بعض التعابير الاصطلاحية كما في ترجمته للتعبير الاصطلاحي rule out فقد ترجمه بعبارة صحيحة ولكنها طويلة حيث قال « يعلن أنه غير وارد أو لا مجال للبحث فيه » ، مع أنه قد يمكن الاستغناء عن هذا التعريف الطويل والاكتفاء بالفعل نفى أو استبعاد لا سبباً وأن وبستر يرى أن التعبير rule out يرادفه الفعلان exclude أي استثنى و eliminate أي أخرج واستبعد .

١١ — ثم إن المؤلف قد أحسن كل الإحسان بإيراد الكثير من المصطلحات الطبية حتى ما استعمل منها في مختلف نواحي الاختصاص كلمة bitewing الدالة على الفيلم الشعاعي المُجَنَّح الذي يستعمل بعد عَضِّ جناحه في تصوير تيجان الأسنان العلوية والسفلية في آن واحد . وقد أحسن المؤلف كل الإحسان أيضاً بإيراد الكثير من الألفاظ معانيها المستعملة في البحوث الطبية . وذلك عملٌ جليل النفع يفيد منه المشتغلون في ترجمة هذه البحوث . فهو يقول مثلاً إن من مساوي لفظة invasive معنى طبي هو « توسعي » ، وبخاصة : نزاعٌ إلى غزو الأنسجة السليمة ، ، ويستشهد على هذا المعنى بقوله invasive cancer cells . ولكنه على العكس من ذلك يسقط بعض المعاني الهامة التي يتوالى استعمالها في الكتابات الطبية مع أنها قد تكون في غاية البساطة مثل كلمة common الكثيرة الاستعمال في وصف درجة تفشي المرض فيقال مثلاً common disease أي مرض شائع ومألوف

أو كثير المصادفة والحدوث . وقد جاء في وبستر شرح هذا المعنى بقوله occurring or appearing frequently أي كثير الحدوث أو أنه يحدث أو يصادف غالباً وتكراراً . ومع ورود هذا المعنى في وبستر فإنه لم يرد بين معاني كلمة common في المورد .

ومن هذا القبيل أحد المعاني التي أوردها مؤلف المورد لمقابلة كلمة dull فقد ذكر أن من معاني هذه اللفظة المعنى « غير واضح » . وبما أن هذه اللفظة صفة يُلَبَّ استعملها في وصف الألم فيقال dull pain فقد كان من المفيد أن يُعَرِّز المؤلف معنى عدم الوضوح بهذا الشاهد الذي يوصف به الألم بكونه مبهماً أو عميقاً وغير واضح . وذلك ما جاء في معجم كلارفيل الفرنسي الكثير اللغات ، وهو المعجم الذي نقله إلى العربية الأساتذة خاطر والحياط والكواكي والذي سبقت الإشارة إليه ، فقد قال المؤلف الفرنسي douleur sourde بالفرنسية بقابلها dull pain بالانكليزية . وكذلك فإن معجم لاروس الفرنسي الكثير التداول لم يغفل إيراد هذا الشاهد لوصف الألم مع أنه ليس بالمعجم الطبي فذكر بين معاني كلمة sourde المعنى الذي يوصف به الألم بالعمق والإبهام فقال douleur sourde .

ومن هذا القبيل أيضاً عدم إيضاح المعنى البيولوجي الذي يتضمنه الفعل اللازم break في الاستعمال الاصطلاحي break down فقد ذكر المؤلف أن من معانيه « يَحُلُّ » أو « يَحْلِلُّ » مركباً كيميائياً ، في حين أنه ليس من الضروري أن يكون الجسم المنحل مركباً كيميائياً بل قد يكون أيضاً نسيجاً مرضياً فيقال إذ ذاك في وصف الآفة المنحلة أو المتجزأة the lesion breaks down أي أن نسيج الآفة يتجزأ أو يتَهَتَّم .

ومن المعاني الطبية التي تحسن الإشارة إليها بين معاني الكثير من كلمات المورد المعنى واقع في الجانبين أو مؤثر في الجانبين لمقابلة كلمة bilateral فقد

ذكر المؤلف جميع معاني هذه اللفظة خلا المعنى المتقدم مع أنه شائع الاستعمال في علمي التشريح والأمراض فيقال مثلا *bilateral enlargement* أي ضخامة واقصة في الجانبين . وقد عبر وبستر عن هذا المعنى بقوله *affecting reciprocally two sides* أي مؤثر في جانبيين متقابلين .

وبما سقط ذكره من المورد لفظة *stiffness* الاسم مع أن *stiff* الصفة المذكورة وأن من معانيها « جاسيء أو صلب » . وعليه كان من الضروري أن تذكر كلمة *stiffness* التي تفيد من الوجهة الطبية معنى جساءة العضو أو صلابته ويؤسسه . وبما يدعو إلى العجب أن مؤلف المورد أثبت لفظة *supraorbital* أي فوق الحجاج أو فوق المحجج وترجمها باللفظة المنحوتة فوق المحجج ، ولكنه أسقط من المعجم لفظة *infraorbital* التي تعني تحت الحجاج أو تحت المحجج مع أن هذه اللفظة الثانية لا تقل في كثرة استعمالها عن الأولى .

وبما يشبه هذا السهو في التأليف أن صاحب المورد أثبت لفظة *polymer* ومشتقاتها ، وهي لفظة تطلق على المركب الكيميائي ذي الذرات المتماثلة أو المتضاعفة ، والوزن الذري المرتفع ، ولكنه أغفل اللفظة الشقيقة وهي لفظة *monomer* التي يسمى بها المركب الكيميائي ذو الذرات البسيطة أو غير المتضاعفة ، والوزن الذري المنخفض ، مع أن أول هذين المركبين يتكون عادة من اتحاد أو تماثر (تلمر كما يقول المؤلف) ذرات المركب الثاني (راجع معجم دورلند الطبي في مادتي *polymer* و *monomer*) .

ومن الألفاظ التي أشار المؤلف إلى معانيها العامة ولكنه أغفل الإشارة إلى معانيها الخاصة لفظة *artifact* (أصلها اللاتيني *artis facta* ويعني تأثير العمل الفني في الشيء المصنوع أو في مظهره) . فقد ذكر المؤلف من معاني

هذه اللفظة معنيين هما أولاً الشيء الدال على مهارة صانعه والثاني النتيجة الصناعية الناجمة عن عامل خارجي . غير أنه لم يُشرْ إلى للمعنى المؤلف في الاستعمال الطبي والدال على الخطأ الحادث في التصنيع المخبري أو على التبديل الطارئ على نتيجة العمل المخبري . مثال ذلك المظهر الكاذب أو الخادع الذي يشاهد أحياناً في الصور الشعاعية أو المَحَضَّرَات النسيجية ، فإذا أعيد التصويرُ الشعاعي أو التصنيع المخبري بعد تعديل طريقة التصنيع أو بعد تغيير المواد المستعملة فيه ، لاختفى المظهر الخاطئ من الصور أو المحَضَّرَات . وعليه فإن هذا المظهر الكاذب والطارئ على نتيجة العمل المخبري يشار إليه بالمعنى الخاص للفظـة artifact ، وهو المعنى الذي تذكره المعاجم الطبية ويهمله أكثر المعاجم المادية ومنها معجم المورد ومعجم وبستر الجامعي . وإني أخال أن المؤلف في إغفاله المعنى الطبي لهذه اللفظة ذهب إلى ما ذهب إليه معجم وبستر الجامعي ، وكان الأحرى الاقتداء بمعجم وبستر الدولي الذي جمعه المؤلف في عداد المراجع التي اعتمدها في تأليفه ، فقد أثبت هذا المعجم المعنى الطبي الخاص للفظـة artifact كما تفعل المعاجم الطبية .

وقد يقال رداً على كل ما جاء في هذه الملاحظة أن معجم المورد ليس بالمعجم الطبي لكي يثبت المعاني الطبية لجميع ما ورد فيه من المفردات ولكن الرد على هذا الرد ما اكثرت في صدر هذه الملاحظة وهو أن المؤلف أورد المعاني الطبية للكثير من مفردات معجمه حتى أنه أورد فيه العدد الكبير من المفردات الطبية كما أشرت إليه في أعلاه ، فكان من المفيد أن تذكر فيه أيضاً بعض المعاني الطبية الأخرى التي أغفل ذكرها مع أنها لا تقل في أهميتها وكثرة استعمالها عن المعاني الواردة في المعجم .

١٢ — وأخيراً فإني لن أترك القلم جانباً قبل أن أقول كلمة عن هذه الألفاظ المنحوتة التي تكثر في قاموس المورد نظير دُوَّ أَحْمَرُ أي دُونُ الأحمر التي ترجمت بها لفظة infrared ، وقَوْبَنْقَسَجِيّ أي قَوْقُ البَنْقَسَجِيّ لترجمة لفظة ultraviolet وقَوْمَحَجِرِي أي قَوْقُ مَحَجِرِ العين لترجمة لفظة supraorbital ، وشَمَقَمَرِي أي شَمَسِي قَمَرِي solunar وحِسِيَّ حَرَكَِيّ أي حِسِيّ حَرَكَِيّ sensorimotor ، وشِرْيَانِيَّوَرِيَّيْنِيّ أي شِرْيَانِيّ وَرِيَّيْنِيّ arteriovenous الخ . . . أنا لا أنكر أن في استحداث هذه الألفاظ جرأة كبيرة من مؤلف المورد ولكني لا أظن أن صدى هذه الجرأة سيكون على النحو أو من القدر الذين يشاؤهما المؤلف ، وذلك لأنني أعتقد بأن الأقلام لا تُقِيلُ على تداول هذه الألفاظ المنحوتة لأنها غريبة الوجه واليد واللسان ، ولأنها تعتمد كل البعد عن أصول تركيب الألفاظ العربية . أجل لقد نحت العرب بعض الألفاظ كما هو معروف فقالوا عبشمي ، وقالوا البسملة والحمدلة والحوقة ولكن هذه الألفاظ المنحوتة على ما أعلم قليل عديدها فلا يتجاوز أصابع اليدين . وعليه فأنا أرى — وربما رأى سواي هذا الرأي — أن تترك أجزاء هذه الألفاظ المذكورة حرة بدون بترها وحصرها في كلمات منحوتة . وظاهر أن المغالاة في النحت ممكنة وسهلة في اللغات الأجنبية حيث يعترف العلماء والمُعْجَمِيَّوْنَ ماشاؤوا من المعين اليوناني اللاتيني لبناء الألفاظ الجديدة ، لا بل إن النحت هو الوسيلة الوحيدة عندم لبناء الألفاظ المركبة ، خلافاً لما نحن عليه في لغتنا العربية من التقيّد بأحكام لغويّة وبيانيّة لا نستطيع الخروج عليها . ولتمثيل على هذا الرأي الذي أراه أعود فأذكر اللفظة الانكليزية المنحوتة sternocleidomastoid التي تقدم ذكرها في صدر هذا المقال والتي تعني العضلة القصيّة الشرفويّة الخشائيّة . إن هذه اللفظة

الإنكليزية مركبة من ثلاثة أجزاء ، فإذا أردنا جمع الألفاظ العربية الثلاثة التي تقابلها في كلمة منحوتة واحدة لقلنا مثلاً العضلة القَصْترُ قُشَائِيَّةٌ على طريقة مؤلف المورد ، وتلك لفظة لا تسر الناظرين كما أن موسيقاها لا تطرب السامعين . ولذلك فإني أخال أن أكثرنا يمرض عن هذا التكلف الذي يقينا عنه ما في لغتنا العربية من الليونة والطواعية وما في أسماؤها من قابلية الإضافة وبناء صيغ النسبة ، هذه الصيغ التي تحجب إلينا الاحتفاظ بالمصطلحات القديمة وتسهل علينا بناء المصطلحات الجديدة .

وبعد فإن هذا ما خطر لي تدوينه من الملاحظات على قاموس المورد . وكنت قد أنعمت النظر فيه وأكثر من مراجعته في الأسابيع الأخيرة خلال قيامي بترجمة مقال طبي من الإنكليزية إلى العربية ، فاجتمع لدي من هذه المراجعة الملاحظات التي كشفتها وأوجزتها فيما تقدم ذكره . ومع أنها ليست كل ما يمكن قوله في مجال الملاحظة على مواد المعجم ، فإنها مها كثرت لا تعد شيئاً مذكوراً إذا هي قيست بالحسنات الجليلة التي يطفح بها معجم المورد ، والتي تجعله خير معجم إنكليزي عربي أخرج للناس . هذا وإن المؤلف قد وعد في تصديره لمعجم المورد بأنه سيوالي التحقيق في أصول الألفاظ حين اقتضاها هذا التحقيق لتكون الطبقات القادمة أكثر شمولاً وأغزر مادة من الطبعة الحالية . وإني لموقن بأن تحقيقه سوف لا يقتصر على أصول الألفاظ ، بل سيتناول الألفاظ الجديدة والمعاني الجديدة للألفاظ الراهنة وذلك من شأنه أن يرفع معجم المورد إلى درجة الكمال التي يتسم بها معجم وبستر الدولي وسواه من المعاجم الأجنبية المطبوعة .

الدكتور ميسيل الخوري

أستاذ في جامعتي دمشق وبغداد سابقاً



المعجم العربي

نشأته وتطوره

كتاب في جزأين صفحاته ٨٣٥ للدكتور حسين نصار المدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة

منعورات مكتبة مصر - دار مصر للطباعة ١٩٦٨

سبق لهذه المجلة أن وصفت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في مجلدها السابع والثلاثين (ص ١٢٥) بقلم العالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون ، وصفاً وفتى الكتاب ما هو أهل له من التقدير ، ومنح المؤلف « إضافات قيمة أفاد منها » في طبعته الثانية هذه وقد أشار إليها شاكراً في مقدمة الطبع .

لا أعيد شيئاً مما نشر عنه في هذه المجلة ويحسن بالقارئ الرجوع إليه ، لكن لا مندوحة لي عن تذكيره بأن الكتاب دراسة تاريخية نقدية خطوطها العريضة ثلاثة :

١ - الرسائل اللغوية على الموضوعات

٢ - المعاجم

٣ - المعاجم التي نحتاج إليها

والدراسة متأنية صابرة جاهدة تستحق مع الشكر والتقدير العناية بها وبالنواحي التي أطافت بها ، وكلها ذو خطر من الواجب الاهتمام به ؛ ولم يسعني الاعتذار حين كلفني السيد رئيس الجمع الكتابة عن هذه الطبعة ، فرأيت بعد الإشارة إلى ما كتب عن الطبعة الأولى وبيان نظرتي إلى هذه الدراسة أن أعرض ما بدا لي من ملاحظ بالترتيب :

ص ١٦ — د واعترف القرآن للعرب بهذه القدرة اللغوية قال تعالى :
(ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصيمون) وقال : (فإنما يسرناه
بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لئلا) ...

... ومثال ذلك الرسول الكريم ... فكان يقول بصدد تعليل
فصاحته : (أنا أفصح العرب ، يد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد
ابن بكر) ...

.. كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤا على
تفوقهم اللغوي . مثال ذلك زهير بن أبي سلمى الذي عاش مع خاله بشامة
ابن الندير الشاعر فخرجه شاعراً .

هذه النقول من صفحة واحدة يتخطها ظاهرة واسعة الشروع في الدراسات
الحديثة هي تحميل النصوص فوق ما تحمل ، وتجاوزها في الاستنباط إلى أبعد
منها ، فلا يوقف حيث وقعت ؛ فالآيتان ليستا اعترافاً بالقدرة اللغوية
وشتان ما بين اللد في الخصومة والقدرة اللغوية . ، والحديث على فرض
صحته لا يشهد لقول المؤلف (إذ أرسل [الرسول] إلى البادية في طفولته
لهذا السبب) وقد ضعفه المحدثون . وليس في ترجمة زهير ما يؤيد (أنهم
كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤوا على تفوقهم
اللغوي ، إنما هي حال زهير الخاصة أن كان خال أبيه سيد غطفان وحكيمها
وكان شاعراً .

ص ١٨ — أحكام عدة عن زواج الوالي هي موضوع نظر وتحتاج إلى
تمحيص ، ويحسن أن يرجع فيها إلى كتب الفقه والأحكام ، وما كان (الأغاني)
و (المقد الفريد) يوماً ما مرجعاً في مثل هذه الأمور .

ص ٢٢ — « بل تعلم بعض العرب أنفسهم الفارسية وتظلموا بها شعراً وتشبهوا بالفرس في أزيائهم واحتفالاتهم . تفهم ذلك من خبر الشاعر العربي يزيد بن ربيعة بن مفرغ مع عبيد الله بن زياد ، وليس في الخبر المشار إليه ما فهمه ، وكل الذي فيه أن الثعلبان الذين خاطبوا يزيد بالفارسية أجابهم بها جملة بجملة ، وهو شيء يستفيدة عادة من أقام حيث أقام يزيد فلا نظم شعر ولا تشبه في الأزياء والاحتفالات .

ص ٥٩ — في كلامه عن (الفائق) للزحشري قال : « ولا يمرض للمجاز وما إليه ، مما بني عليه الأساس . ولعل سبب ذلك أنه ألف الأساس بعد الفائق . » وهذا تسميم فيه نظر إذ لا نعدم في الفائق تعرضاً للمجاز ، ففي كلامه مثلاً على مادة (ختل) جاء في شرح المراد من الحديث (وأن تتخذ السيوف مناجل) :

المناجل المجاز ، أي يؤثرون الحرث على الحرب .

ص ١٠٣ — « ومن المؤرخين من سلبه (أي ثعلباً) الكتاب جملة فنسبه إلى الحسن بن داود الرقي أو يعقوب بن السكيت . »

قلت : يحسن إثبات ما اشتهر عند المطلعين من كثرة نقد القدماء فصيح ثعلب حتى حملوه على إنكار نسبة الكتاب إليه (١) .

ص ١٦٥ — في كلامه على كتاب الفزاري الإسكندري أقحم ثلاثة أسطر . (وألف محمد بن أبي القاسم بن بايحوك البقالي .. الخ يحسن تأخيرها إلى ما بعد انتهاء كلامه على كتاب الفزاري في الصفحة التالية .

(١) في أصول النحو ص ١٦٣ (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤) .

ص ٢٠٠ — س ١٤ (أبواب السالم) وأعني به هنا ما فيه حرف علة واحد أو همزة واحدة) ، أطلق (السالم) وهو يريد (غير السالم) كما هو ظاهر قلعل كلمة (غير) سقطت في الطبع ، إلا أن ذلك تكرر .

ص ٢٥٦ — في كلامه عن التحليل وكتاب العين : (بل أورد أشياء من لغة المعاصرين له في إقليمه المراق ، أو بلدته البصرة خاصة ولو كانت لا تعرف في البادية مما يدل على تسامحه وتحرره من القواعد المتزمتة) !! ؛

ولغة معاصري التحليل في البصرة عربية وما أثبتته منها في العين لا يخالف القواعد ، ومن الذي قال إن على صاحب المعجم ألا يثبت إلا ما كان يعرف في البادية ١٢ وأي كان فكلمة (تسامح) و (تزمت) وأمثالهما مما تستعمل في عصرنا في غير محلها ، تصان عنه دراسة موضوعية جادة عن (المعجم العربي) .

ص ٢٥٨ — فيها نقل عن ابن الأنباري في قياسية النحو استفاء المؤلف من (الاقتراح) للسيوطي وكان ذلك سائناً في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ أما في الطبعة الثانية فلا ، إذ أن (الاقتراح) منتزع انتزاعاً من كتاب لابن الأنباري اسمه (لمع الأدلة) (١) وقد نشرته الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ ونقل السيوطي تجد أصله في ص ٩٩ من لمع الأدلة ، ولم يعد (الاقتراح) مصدراً أصيلاً بعد نشر الأصل (لمع الأدلة) .

ص ٢٧٨ — (يكفي أن يذكر أمام المتأخرين كتاب العين حتى تنهال الشتائم واتهم جزافاً ، وأقرب مثال لذلك الأشموني الذي قال عن لفظ انفرد به التحليل : « ... لم يسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليه ، ومن

(١) في الكتاب (رسالتان لابن الأنباري) الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة (مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٧ بتحقيق سعيد الأفطاني) .

الطبيعي أن يشاركه الصبان محشيه في شتائه قال ؛ وقوله (إلا من كتاب المين) أي المحشو بالخطأ .

في هذه الأسطر مثال آخر على الظاهرة التي أشرنا إليها في كلامنا على ص ١٦ : المبالغة في تحميل النصوص ما ليس فيها فكلمتا (لا يلتفت إليه) و (المحشو بالخطأ) خطأ ، ولكنها ليستا (شتائم تنهال) ولا تهماً تكال (جزافاً) .

ح ٢ : ص ٤٤٤ في كلامه على ابن فارس في مقاييسه : (فهو يقدم الأصل أو الأصول ثم يبني الفروع عليها ويختم المادة بالشواذ) . ولكن هذه الطريقة اضطربت عليه فمادة (عق) أصلها الشق ولكنها تطورت إلى ثلاثة فروع واضحة أولها ما زال محتفظاً بمعنى الشق صراحة ، وثانيها ما يسدور حول الشعر الذي يولد به المرء ، والثالث ما يدور حول عقوق الوالدين . ومن الطبيعي أن يتناول الإنسان صيغ كل فرع منها على حدة ولكن ذلك لم يحدث في المقاييس .

قلت : لا اضطراب ، فقد أشار ابن فارس في أول كلامه على المادة بقوله : (المين والقاف أصل واحد يدل على الشق وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر ، قال الخليل : أصل العق الشق وإليه يرجع العقوق وكذلك الشعر ينشق عنه الجلد) . فلا يزال الأصل ملحوظاً في كل الفروع حتى دون لطف نظر ، وإذاً لا اضطراب ...

ص ٥١٦ — (ويبدو أن النسخة المطبوعة من الصحاح تألها شيء من التصحيح ، إذ ورد فيها البيت الأول والثالث ، ورواية (سمعوا من صالح) لا البيت الأول وحده ، ولا الرواية التي ذكرها الصغاني .)

قلت : لعل نسخة الصفاني فيها التصحيف لا أن النسخة المطبوعة من الصحاح صححت .

ص ٧٥٥ — (وكان القتل من الميموز من أعظم الأمور إثارة لخيرتهم واضطرابهم حتى تخلص كثير منهم بجمع القتل الواوي والياء والميموز مما ... والحق أن هذه مشكلة أخرى ربما تفوق غيرها في الصعوبة ..)

ربما صح هذا الوصف في المراحل الأولى لتأليف المعاجم ، أما اليوم فمن الإسراف إطلاق مشكلة على مثل هذه الأمور وقد تيسر للباحث الفصل في الواوي واليائي ، بل تيسر ذلك لمن قبلنا وفصلوا كلاً عن الآخر ، والخطأ في بعض كلمات يمكن إصلاحه ، فليس مشكلة ما حلوه منذ أزمان متطاولة .

ص ٧٥٦ — كان من أثر الدعايات السيئة التي أغرق فيها غيرنا كثيراً منا حتى صار يردد أن لفتنا نحوها وصرفها ومفرداتها وحروفها كلها مشاكل في مشاكل ، أن تسمت ناشئنا في عقيدتها في لغتها ، ولولا أنهم يعرفون لغة أجنبية يجدون فيها ما هو أبعد مما يعد أولئك في باب المشكلات لأصرع ذلك في إهمالهم لغتهم مرة واحدة ، وليس هنا موضع بيان ، وكان من ذلك التيار : الدعاية المريضة في أثر دراسة اللغات السامية الميتة وتصحيح المريية عليها ، وذلك عكس ما يقضي به المنطق وعلم اللغة العام ، أذكرني بذلك قول المؤلف (وحصروا [حروف الزيادة] في عبارة (سألتمونيها)) ولكن البحث المقارن بين اللغات السامية جميعاً يهزأ من هذا الحصر ويرى أن الممكن زيادة غيرها من الحروف وقد حدث هذا فعلاً في المريية وأخواتها . وأترك هذا البحث المقارن إذ لا أستطيع أن أقوم به لعدم معرفتي بالساميات ، II .

والمؤلف يعرف أن حروف (سألتمونيهـا) هي الزيادات المطردة في الكلمات لمعانٍ خاصة، وأن الأقدمين من علماء اللغة فرقوا بينها وبين حروف مزيدة سماعاً، فوصفوا ذلك الواقع اللغوي وقرروه ونهبوا على هذه الألفاظ المعدودة القليلة، مستغنين كل الاستغناء عما يسمى بـ البحث المقارن بين اللغات السامية الذي يهزأ .

ص ٧٨٤ — ارتباط العربية بالدين (ارتباطاً شديداً أسبغ عليها القداسة فكان في ذلك نفعها وضررها .. أما ضررها فلأن هذه القداسة جعلت المسلمين والعرب يتمسكون بها بصورة واحدة (؟) منها، فتأخرت عن حاجيات العصور الحديثة ولم تستطع أن تجاريها حتى نادى كثيرون بهجرها تماماً) .

لم أفهم المقصود بالصورة الواحدة منها إذ لم يشرحها المؤلف ولا بسط الصور الأخرى التي كان يجب أن يتمسك بها العرب والمسلمون . أترك ذلك وأنساءل عن آخر الفقرة : (وتأخرت عن حاجيات [كذا] العصور الحديثة) وهي شبهة يتلقفها ناطق عن آخر : هل كان ينتظر هؤلاء الكثيرون أن يجد الكيميائي والفيزيائي والبيكاني في القاموس المحيط ولسان العرب مصطلحات لما جدت في ديار المخترعين بعدها بقرون ؟ ثم من هم كيميائيونا وفيزيائيونا وميكانيكيونا الذين اخترعوا ولم يجد لهم علماء اللغة مسميات لمخترعاتهم وأجهزتهم وأجزائها ؟ ما تأخرت اللغة ولكن أرباب الألسنة الطويلة في غير طائل تأخروا وانخطوا وتكاسلوا إلا عن اللغو . ولا يقال إن اللغة تأخرت حتى يعجز المهندسون منا والعلماء المتخصصون الذين درسوا لغتهم كما يدرس الأجنبي لغته ثم تخصصوا وحاولوا وضع المصطلح . أما حين يتصدى المختص المؤهل فسيجد كل شيء مهيأ وقد حصل ذلك فعلاً في آخر المئة الماضية في القاهرة وساحل الشام ، وفي الحسين سنة الماضية

في دمشق حيث لبّت اللغة حاجات الإدارة والجيش وكليات الجامعة (في الطب والحقوق والعلوم والتجارة والزراعة)، لبّت حين بذل المحتاج الجهد ولم يقعد يسوغ كسله بأن الماضين لم يهيئوا له .

إن تأخرنا هو في إعداد أنفسنا لتكون مؤثرين في عصرنا في العلوم والفنون والابتكار ، ومتى أردنا بجهد وصدق هذا الإعداد وجدنا لفتنا سابقة أمامنا^(١) فما تقديسنا لفتنا أخرنا ، ولكن أخرنا إهمالها وقبول الدعايات المفرضة فيها وانسياقنا على أذبال مخطيها ومروجيها .

ص ٧٨٥ — (ووضع ابن سيده في مقدمة محكمه منهجاً يعتبر ثورة في عالم التأليف اللغوي العربي ... ولو طبقه عليه لأغنانا عن كثير من التخبط والاضطراب وكثير مما زيد أخذه عن الغربيين اليوم ، ولكان معجمه فذاً بين معجمات العربية) .

قلت : خير من (لو) هذه أن يقوم نفر منا بتطبيقه على (المحكم) في طبعة علمية ذات نهج سليم محكم ، وحسب ابن سيده أن وضع الخطة وليكن التطبيق من نصيبتنا . وعصرنا ليس فيه كل شيء .

* * *

لست أرى ما رأى المؤلف من تسمية (منشورات اليسوعيين في بيروت) بالمعاجم في دراسة علمية من خصائصها تحديد الأسماء والصفات ، وكان حسبه أن يشير إلى هذه الأعمال التجارية التي نظر حين تأليفها إلى مخطط لمدارس اليسوعيين في حاشية تنوء بأثرها في إفساد اللغة ، أما أن تسمى

(١) انظر بسط قضية اللغة العربية وما أثير حولها من حرب خفية في عصرنا الحديث في كتابي (حاضر اللغة العربية) — مطبوعات معهد الدراسات المالية بالقاهرة ١٩٦٢ .

مدرسة !! وتقرن بالمعجم الوسيط فهذا ظلم كبير . ولن أستشهد إلا بأقوال المؤلف نفسه في وصفها ، وإنصافه كفيلاً برفع الحيف في طبعة قادمة إن شاء الله .

في كلامه على (أقرب الوارد) وزياداته على القاموس المحيط قال (ص ٧١٨) :

« وأخذ بعضها الآخر (يعني الزيادات) من معجمي جوليوس Golius وفريتاغ Freitag ومحيط المحيط وقطر المحيط للبستاني . وكان جوليوس وفريتاغ قد اعتمدا في معجميهما على بعض كتب الأدب المتأخرة التي لا يستشهد بلغاتها ولا تعنى بالسلام الفصحى ، فأدخلا في معجميهما كثيراً من الألفاظ المولدة والعامية ، فتسربت إلى معاجم بطرس البستاني والشرقوني ، فنقدت هذه المعاجم تقدماً مرئياً . وخاصة من الأب انتاس ماري الكرمللي الذي كان يقف لها بالمرصاد . »

وإشارة المؤلف إلى أنها لم يقصد بتأليفها إلا غرض خاص لطائفة معلومة مما يبعدها عن صفة المعجم الذي يكون عاماً عادة ، جاء في ص ٧٣٠ :

« وآخر الظواهر فيها عنايتها بالألفاظ والماني المسيحية أو التي لها دلالات خاصة عند المسيحيين . وكان ذلك أمراً طبعياً لهم لأنهم جميعاً مسيحيون نشؤوا على تربية مسيحية دينية وألفوا معاجمهم لمدارس مسيحية دينية هي مدارس اليسوعيين . »

وعرض المؤلف لنقد بعض هذه المنشورات الذي نشره اليازجي فقال : « .. ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتاب تنبيهات اليازجي على محيط البستاني الذي يخرج الباحث من دراسته بأن البستاني وقع في الأخطاء التالية :

التصنيف ، وتفسير الألفاظ بأخرى غير موجودة في موادها ، والخطأ في التفسير ، وعدمه تماماً ، وسوء عبارته ، والخطأ في ضبط الألفاظ ، والإتيان ببيان لم ينص أحد من القدماء عليها وقد استمد كثيراً من هذه المعاني من جولبوس وفريتاغ ، ومن الآثار المسيحية ، وآثاه كثير من هذا الخطأ من سوء فهمه لبعض عبارات الفيروزآبادي وبعض اصطلاحاته وعاداته في قاموسه .

وكل هذه الأخطاء على وجه التقريب نجده عند أفراد مدرسة اليسوعيين جميعاً .. ، اهـ وواحدة مما عدّ المؤلف كافية في إبعاد هذه المنشورات عن صفة المعجم أو أي صفة علمية .

إذا كان ما تقدم يسمى مدرسة فلمؤلف رأيه ، لكن الذي لا يجوز بحال أن تقرر هذه الأعمال بالمعجم الوسيط ويقال في المقابلة إن هذا خير من معاجم اليسوعيين ، بين الفريقين فروق صارخة فأين أعمال هؤلاء الموصوفة آنفاً من أعمال مؤسسة دستورها المحافظة على سلامة المريعة وتلبية حاجات المصر في ميادين العلوم والفنون .. الخ وجماعتها علماء أعلام ، أعمالهم خلصت للعلم لا لاستهلاك مدارس خاصة أريد الحيلولة بين تلاميذها وبين معاجم اللغة الصحيحة .

* * *

لئن استطعت تعداد ما وقفت عنده من هذا الكتاب النافع إن ماراقي منه أكثر ، والأعمال العلمية هي التي تستحق أن يوقف عندها طويلاً ويبدل في مسيل استكمالها كل جهد ، وأرجو أن يطرد نحو هذا البحث واستكماله

في طبعة بعد طبعة والله الموفق (١).

(١) رأيت - خدمة للكتاب - أن أشير إلى ما لم يذكر فيه من أخطاء الطبع التي تلفت النظر لقلبة الصحة والجودة عليه :

ص	س	خطأ	صواب
ح	١	جدير بالشكر المشرفين ..	المشرفون
ـ	ـ	والعاملين	والعاملون
٢	٤	هذا	هذه
١٦	١٧	وينشئوا	وينشؤوا
١٧	١٧	حدا بالمؤرخين إلى	حدا المؤرخين على
٥٤	٤	لا زال	ما زال
١٠٤	٤	أخطئوا	أخطؤوا
١٢٢	٢٢	الألف بائي	الألفبائي
١٢٤	٢٢	بينها	بينها
١٦٢	١٥	الجغرافيا	الجغرافية = ١٦٩ الخ
١٧٠	٩	وصفهم	وصفها
٢٠١	٢٣	الباقيين	الباقيين
٢١٢	١٩	عقد	عقدوا
٢٢٢	١٤	يمشون	يمشون
٢٢٣	٤	نظام .. بنظام	بنظام ... نظام
٢٢٩	٩	الرائين	الرائين
٢٣٥	١٤	مجمع	مجمع
٢٥٠	٥	هل لا بد	ألا بد
٢٦٢	٦	أقطب	أقب

صواب	خطأ	س	ص
الأقصىين	الأقصىين	٦	٣١٩
ها هنا = ٥/٣٧٠	هنا	١١	٣٤٤
لا طرادها	لاضطرادها	٥	٣٧٤
لا يتعارض ... هو وتمحيه	لا يتعارض ... مع تمحيه	٥	٣٨٦
اتفق هو والتحليل	اتفق مع التحليل	٦	٤٢٨
ثلاثة أصول	ثلاث أصول	٢	٤٤٦
بوساطتها	بواسطتها	٩	٤٤٩
وللزيد = ٥٣٩ .. الخ	والزاد	٩	٤٥٤
تميزه من	تميزه عن	٢٠	٤٧١
غير عربي	عربي	١٩	٤٨٦
اللفويون	اللفويين	٩	٥٠١
فأجفؤوا	فأجفؤوا	٢٢	٥٤٠
على جميع صيغ ومعاني كتابي المين والجمهرة :		٣	٥٦٤
على جميع صيغ كتابي المين والجمهرة ومعانيها			
المعاني الثلاثة	المعاني الثلاث	١٧	٥٨٦
المطلقات السبع	المطلقات السبعة	١٣	٦٤١
حداه على	حدا به إلى	٧	٦٧٧

سبيل الألفاني



الأعلام العربية

(دراسة لغوية اجتماعية) للدكتور ابراهيم السامرائي

٩٤ س من القطع الوسط - مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٤

ما ضم بلد مختلفين في الجنس أو العقيدة أو الحضارة إلا كانت بين فئاته أخذ وعطاء وتأثر وتأثير، في الأخلاق والعادات والمواضعات، لا فرق في ذلك بين غالب ومغلوب ووطني ومحتل. واللغة، هذه الظاهرة الاجتماعية لا تأتي على الناموس العام، فما زالت اللغات الأوروبية الغربية مثلاً تحمل طوائف من كلمات أصولها عربية تسربت إليهم من مئات السنين، وما زالت لهجاتنا الدارجة في البلاد العربية عليها آثار من التركية والكردية والفارسية، ثم الإنكليزية والفرنسية والإيطالية في عصرنا الحديث.

وهذه الرسالة محاولة من صاحبها، أثبت فيها عدداً من الأعلام التي يسمّى بها في العراق، بين طوائفه المختلفة من مسلمين ونصارى ويهود وصابئة، استقرأها الباحث، وأشار إلى ظاهرة حديثة تسربت فيها أعلام مما يسمي به المسلمون إلى بقية الطوائف، كما أثبت أعلاماً سجلها من تونس والجزائر، ثم نظرق إلى ما يشيع في إيران من أعلام عربية الأصل على أكثرها الطابع المذهبي، وهو يأمل أن تيسر له مادة أخرى يكمل بها هذا الاستقراء الذي لا بد منه في الدراسات اللغوية الاجتماعية التاريخية، على حد تعبيره.

ولا ريب أن الخطوة الأولى إلى تلك الغاية هو الاستقراء والتسجيل، يعقبها خطوة ثانية تميز بها مدلولات الظواهر التي تدرس، وينظر بعدها ما يمكن أن يستنبط منها من أحكام اجتماعية تاريخية.

هذا وقوله ص ١٥ : وهذه المسألة اللغوية [يعني تمييزهم في الشال الإفريقي عن ابن الحاج بـ بلتجاج] عربية قديمة فقد سمع (بلتجارث بن كعب وبلتغبر وبلتجيم) وغيرها ، موم ، فلا شك أن الباء في الأعلام الأخيرة مختصرة من (بنو ، بني) على حين باء (بلتجاج) مختصرة من ابن . وأخشى أن يكون خلل في قوله ص ٥٠ : دراسة الأعلام الحديثة ... تؤلف جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معيناً على فهم العربية الفصيحة ، فالتبادر إلى الذهن العكس .

وربما كان شيء من التعميم غير الصحيح في حاشية (٧) ص ٥٣ : (حمد الله) من أعلام الإيرانيين وهو غير معروف عند العرب ، !! ففي دمشق مثلاً عدد من البيوت ألقابها آل حمد الله

كما توقفت عند قوله ص ٧٣ : سبني : من الأعلام الشائنة بين المسلمين في عصرنا هذا ، ويحسن أن يحدد المكان ، فما أذكر أنني سمعت به في الأعلام الشائنة .

وفي بعض أخطاء الطبع ما يحير القارئ كقوله ص ٧٥ : (سمحه) وهي من أعلام اليهود الشائنة الاستعمال ، وهي من مادة عبرانية وهي صفة مؤنثة تعني في العربية (فرحة) . اهـ فهل يريد : تعني في العبرانية (فرحة) العربية ، كما هو الظاهر من القرينة ؟

والعرب ترسم (سورية) بالهاء لا بالآلف كما ورد في ص ٨ وكذلك إفريقية المرسومة بالآلف خطأ في ص ٢٧ . وصواب (ابن أصيعة) في ص ٤٠ هو : ابن أبي أصيعة .

أرجو أن يوفق الله المؤلف الفاضل إلى بلوغ ما يأمل فيها بنفع .



طب الحبشة ونبأاتها

المؤلفات الطبية الحبشية

تأليف متيفان ستره لسين

نشرته الأكاديمية البولونية للمؤلفات الشرقية عام ١٩٦٨

هذا الكتاب تبلغ صفحاته نحو (٨٠٠) صفحة مطبوع على ورق جيد بقياس ١٦ر٥ × ٢٤ سم^٢. عالج فيه المؤلف في مقدمة بلغت نحواً من (١٠٠) صفحة ، البحث عن الطب والسحر عند الأجاش ، وتوسع توسعاً كلياً في الكلام عن اللغة الحبشية وكتاباتها ولهجاتها ، وذكر المراجع التي اعتمد عليها ، كما تحدث عن عالج الموضوع من علماء آخرين ، ثم استطرد في الكلام عن بعض المخطوطات الطبية ، فخصص لكل من المخطوطات الست التي كانت ترجمتها الافرنسية تحتل الجزء الأكبر من الكتاب ، صفحات يتحدث فيها عن أوصاف المخطوطة ومكان وجودها ومؤلفها ولبن كتبت ، وتجد المؤلف يصرف جهده لوصف اللهجة التي كتبت بها المخطوطة ، ويستعين بصور الكلمات الحبشية التي لفتت نظره ليتحدث عن تهجيتها وعن موضوع الرسالة ولماذا خصصت ، ويذكر الأمراض بأسمائها الافرنسية ، فإن لم يعرف اسم المرض كتب اسمه بأحرف افرنسية كما يلفظ بالأمهرية أو الفيزية ، وإليك مثلاً لذلك : يقول في وصف مخطوطة (أبا يوحنس) أي (الأب يوحنا) ما يلي :

إن القسم الثاني من هذه المخطوطة (الوريقات ٥١ - ١٠٠) تحمل عنوان « كتاب الكتاب لكل أمراض الجسم » تحوي الكلام عن الجراحة.

ومعالجة الأمراض العامة (الكسور والقطوع والمضات والميزه ،
والكسلاسينا ، والجرب ، والجروح ، والجذام الخ) فوجد هنا كلمتي
الميزه والكسلاسينا أمريتين .

ويتحدث عن التكرار في الواصفات وكثيراً ما يستعمل نصوصاً كاملة
مكتوبة بالأحرف الأميرية . ثم يتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن مشاكل
كتابه ولهجات المخطوطات فيستعرض كل حرف من حروفها فيتوسع في
الكلام عن ذلك الحرف وأشكاله المستعملة في كل لهجة من لهجات الحبشة ،
مستعيناً بكلمات مرسومة طبق الأصل ، ثم ينصرف إلى تهجية الأحرف
فيوزعها إلى أحرف حلقية وشفوية وسنية ، ويمضي طويلاً في التحدث عن
ذلك فتبلغ الصفحات التي خصصت لذلك (٦٠) صفحة ، ويتحدث خلالها
عن الكلمات المستعارة من لغات أخرى يستلها بالعربية فيتحدث عن الألفاظ
التي اقتبسها الأجباش من العربية وأماكن وجودها في المخطوطات كالمصطكي
والصبر والزيب والسفرجل والهيل والخيار والراوند والنيل ولسان
البحر إلخ

ثم ينتقل إلى الإغريقية واللاتينية فيستعرض ما اقتبس من هاتين اللفظتين
من ألفاظ وأسماء ، ثم اللغة التيفرينيا ، ثم لغة الأغاو وخلاف ذلك من
لهجات ولغات ، ثم ينهي مقدمته في التحدث عن اللغات الخليفة بين الأميرية
والفيزية ، وملخص القول : إن تلك المقدمة ذات قيمة كبيرة لكل من
يحاول الترجمة من اللغات الحبشية كالأمرية والفيزية ، فقد جمعت فأوفت
وتحدثت فأفاقت ، واعتباراً من الصفحة ١٠٣ حتى الصفحة ٥٨٠ يترجم
لنا المؤلف المخطوطات الست التي عثر عليها ، فيخصص الصفحة اليسرى
لصفحة من صفحات النص المخطوط مصورة بناية والصفحة اليمنى لترجمة

تلك الصفحة ، وقسّد ذيل كل صفحة من صفحات النص بحاشية تذكر مقابلة بين كلماتها والكلمات المختلفة في النصوص الأخرى .

ويتبدى بكتاب الحيات حسب المخطوطة (ك) فيستغرق ذلك (٤٤) صفحة ثم يخصص (١٢) صفحة لتصوير المخطوطة (ل) ثم يترجم المخطوطة (ث) وهكذا إلى أن يتم له ترجمة المخطوطات الست حسب الخطة ذاتها ومنتهجاً النهج ذاته . ثم يخصص ما تبقى من الكتاب لتصوير مخطوطات أخرى غير مترجمة .

والخلاصة إن الكتاب المذكور هو كتاب ترجمة مخطوطات حبشية عن الطب قام بترجمتها إخصائي باللغات واللهجات الحبشية غير طيب ، ولذلك فهو لا يعرف النباتات الطبية وأسماءها العلمية ، وكثيراً ما نجده يستعمل الكلمات الحبشية للنباتات ، وهذا ما يجعل إمكانية الاستفادة من تلك الترجمة محدودة بالنسبة للأطباء والمشتغلين بالطب القديم . وقد اعترف المؤلف في صدر مقدمته بأن الموضوع يحتاج إلى لجان مؤلفة من أطباء ونباتيين بالإضافة إلى علماء اللغات الحبشية ليكون العمل تاماً .

ولعل الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة القيمة مستحقنا بمعلومات أكثر وضوحاً وأكثر فائدة سواء للأطباء أو للنباتيين .

من السقا



مجلد تاريخ الأدب التونسي

من فجر الفتح العربي لأفريقية إلى العصر الحاضر

تأليف: حسن حسني عبد الوهاب

عدد صفحاته ٣٥٨

طبع بمطبعة المنار بتونس ١٩٦٨ م

ظهر هذا الكتاب لأول مرة بتونس سنة ١٩١٨ م بعنوان المنتخب المدرسي من الأدب التونسي . وبعد مضي نحو ربع قرن على الطبعة الأولى ، طبع طبعة ثانية بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م . ثم بعد نقاد الطبعة أعادت طبعه مكتبة المنار بتونس ، بعد أن استبدل اسمه ، وضم مؤلفه إليه طائفة وافرة جديدة من الأدباء ، خلت الأولى والثانية من تراجمهم .

وقد قسم المؤلف تاريخ الأدب التونسي إلى أربعة أدوار رئيسية ، يفصل بين كل واحد منها حادث مهم يحمل في تاريخ البلاد انقلاباً عظيماً في السياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن ، وهي :

الدور العربي ٢٧ - ٣٠٠ = ٦٤٧ - ٩١٢ م . والدور العربي البربري الأول ٣٠٠ - ٦٠٠ = ٩١٢ - ١٢٠٤ م ، وفيه ثلاثة عصور : العصر المييدي ٢٩٦ - ٣٦٢ = ٩٠٩ - ٩٧٣ م ، والعصر الصنهاجي ٣٦٢ - ٤٥٠ = ٩٧٣ - ١٠٥٨ م . وعصر الطوائف ٤٥٠ - ٦٠٠ = ١٠٨٥ - ١٢٠٤ م .

والدور الثالث هو الدور العربي البربري الثاني ٦٠٠ - ٩٥٠ = ١٢٠٤ - ١٥٤٣ م . ويتبدى مع ظهور الدولة الحفصية التي تدخل الأسبان في شؤون البلاد واستيلاء الترك عليها .

والدور الحديث ، وفيه عصران : العصر الحسيني الأول ١١١٧ — ١٣٠٠ هـ = ١٧٠٥ — ١٨٨٢ م ، والعصر الحسيني الثاني وفيه ظهرت النهضة الأدبية الأخيرة ويمتد حتى قيام الجمهورية التونسية .

وقد سعى المؤلف بقدر المستطاع أن يجمع في هذا المجلد عدداً من الأدباء القدامى المحترمين ، فبلغ عددهم ٩٢ أديباً بين نثر وشاعر ، وهم :
عبد الله بن الزبير ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير ، الحسام بن ضرار ، الأغلب التميمي ، سليمان النافقي ، عبد الرحمن بن زياد ، إبراهيم ابن الأغلب ، داود القيرواني ، أسد بن الفرات ، الامام سحنون ، أبو العباس بن الأغلب ، عبد الملك المهري ، أحمد بن سودة الأغلبية ، بكر ابن حماد ، عبيد الله المهدي ، أبو بكر اللواتي ، أبو العرب التميمي ، القائم بأمر الله ، أبو القاسم الفزاري ، ابن الرايس ، محمد بن هاني ، علي بن الأيادي ، عبد الله بن أبي زيد ، ابن عبدون الوراق ، عبد الكريم النهشلي ، عبد الرحمن القراسي ، محرز بن خلف . إبراهيم الحصري والكاتب الرقيق ، ابن الريب ، ابن غانم الكاتب ، علي بن أبي الرجال ، ابن خلوف الحروري ، علي بن حبيب ، عبد الواحد بن فتوح ، أبو طاهر التجيبي ، ابن أبي حديده ، الحسن بن رشيق ، محمد بن شرف ، علي الحصري ، عبد الله الشقراطي ، أبو الحسن الحداد ، ابن تميم بن المعز ، أبو الفضل بن النحوي ، ابن بشير المهدي ، جعفر بن شرف ، ابن فرحان القابلي ، أبو زكرياء الأول ، أبو المطرف بن عميرة ، أحمد بن الليثي ، أبو عمرو بن عريمة ، محمد بن أبي الحسين ، هنان ابن جابر ، أحمد التيفاشي ، ابن السباط المهدي ، أبو الفضل التيجاني ، عبد الله التيجاني^١ ، ابن حُسَيْنِيَّة ، محمد الظريف ، عبد الرحمن بن خلدون ، الشهاب بن خلوف ، أبو الفتح ابن عبد السلام ، محمد الرشيد باي ، علي

الفراب ، الشيخ الشافعي ، محمد الورغي ، خليفة المشرق ، ابن سعيد
الحجري ، حمودة بن عبد العزيز ، محمد ماضور ، محمد الأصرم ، الطاهر بن
عاشور ، محمود قابادو ، ابن أبي الضياف الباجي المسمودي ، محمد السنوسي ،
أبو القاسم الشابي ، الطاهر الحداد ، عبد الرزاق كرباكة ، مصطفى آغة ،
سعيد أبو بكر ، الشاذلي خزندار ، محمد أبورقية ، محمد الخضر بن الحسين ،
العربي الكبادي ، والسعيد الخلامي .

وقد ترجم لهؤلاء ، ثم ذكر بعض آثارهم من شعر وثر ، وذل كتابه
بعض التعليقات المفيدة أوضح بها ما كان غامضاً ، تقمده الله برحمته وإحسانه ،
وجزاء خير جزاء .

عمر رضا كحالة



الأصول العربية للدراسات السودانية

جمع وإعداد وتنسيق : يوسف أسعد داغر

عدد صفحاته ٢٦٢

طبع في مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ م

عهدت منظمة اليونسكو إلى واضع هذا الكتاب ، العمل خلال أربعة
أشهر ابتداءً في ٨ كانون الثاني ، وتنتهي في ٨ أيار ١٩٦٧ م ، في وزارة
التربية والتعليم في السودان ، كخبير للتوثيق التربوي .

وقد أتاح له رئيس المال أن ينقب في مكتبة جامعة الخرطوم عن
المراجع الخاصة بالسودان ، فتجمع لديه مجموعة كبيرة تقرب من ألي مصدر
في الدراسات السودانية ، من كتب وضعها أو ترجمها سودانيون ، أو كتبت

عن السودان في الخارج ، أو نشرت في السودان في الفترة الواقعة بين ١٨٧٤ - ١٩٦٧ م .

كما تظم هذه المجموعة - مئات المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية الكبرى ، أو في المجلات السودانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة ، مما استطاع الوصول إليه ، ولم يتعرض للأبحاث والمقالات التي نشرت في الصحف اليومية أو الأسبوعية .

وأما خطة العمل في هذه المجموعة فقد وضع جامعها تحت كل موضوع معين المصادر التي تعود إليه ، وأثبتها وفقاً للترتيب المعجمي لأسماء مؤلفين أو كاتبيها ، وإلا فبمنوان الكتاب أو المقال ، ان كان غفلاً من اسم المؤلف . وإذا شاء الباحث أن يتعرف إلى الكتب أو المقالات والأبحاث التي وضعها المؤلف ، فعليه أن يتبع الأرقام المثبتة بعد اسمه مباشرة في الفهرس الخاص بالمؤلفين ، إذ لكل كتاب أو مرجع رقمه السلسل الذي يميزه ، كما أورد اسم المؤلف تبعاً للشهرة أو الكنية أو اللقب الأشهر في حال غموض اسم الأسرة .

وبالختام نشكر الأستاذ واضع هذه الأصول على ما قدم ويقدم من بحوث أصيلة تعين الباحث والمؤلف في عملها متمنين له متابعة العمل والبحث .

ع . ك



كتاب الطبقات

عن أبي عمرو خليفة بن خياط
رواية : موسى بن زكريا التستري
لحمد بن أحمد الأزدي

القسم الثاني : عدد صفحاته ٤٦٧
تحقيق : سهيل زكار

بلغ عدد من ترجم له في هذا القسم ١٤٢٦ مترجماً ، وقد ذكرهم المؤلف على طبقات وهي من قريش ، ثم من المهاجرين من قريش ، ثم من أبناء المهاجرين من قريش ، ممن سكن مكة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم من أهل الطائف من أصحاب النبي ﷺ ، ثم من أهل اليمن من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أهل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فمن أتى مصر من أصحاب الرسول وشهد فتح مصر ، فمن أتى الشامات من أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل الشام بعد أصحاب الرسول ﷺ ، فمن أهل المواسم ، فمن نزل الجزيرة ، فمن أهل الموصل ، فمن أهل خراسان ، فمن أهل الري ، فاللدائن فواسط ، فمن نزل بغداد وتأهل بها من الحديثين ، فتسمية من حفظ عنه الحديث عن رسول ﷺ من النساء . وقد وضع للكتاب فهرس للطبقات والمترجمين والأعلام والقبائل والأرهاد والأسم والأماكن والأحاديث النبوية ، مما أضافه اللثام عما حواه هذا الكتاب من أبحاث جديرة بالناية والتقدير .

وقد علق المحقق في صلب صفحات الكتاب تعاليق مفيدة ، ذكر في بعضها المراجع التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب مما يدل على جهد مشكور وقته الله إلى المزيد من العمل على إحياء تراثنا العربي الجليل .

العصا في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عيتاش

عدد صفحاته ٩٦

طبع : دير الزور ١٩٦٨ م

هذا بحث طريف ومفيد عن العصا قد بحثه مؤلفه بحثاً دقيقاً فشمّل نواحي متعددة ، قدم له توطئة ، ثم ذكر الأسماء القاموسية للعصا التي وردت في اللغة العربية ، منذ عصر الجاهلية فذكر ألفاظاً كثيرة لأشكال وأجناس من العصي ، استمر استعمالها في اللغة ، من قبل الشعراء والكتاب والأدباء والمعلماء في كل المصور إلى اليوم في تماثيل وتشابهه ومجازات وأمثال وحكم بمفرداتها وجموعها ومشتقاتها وتصاريقها بمختلف المعاني ، وقد رتب المؤلف هذه الألفاظ على حروف المعجم .

ثم أورد الباحث مراتب العصا وما إليها ، فالأسماء المحلية لها ، فشجر العصي والميدان ، فتقويمها وتزيينها ، فالأعجار بها ، فالعصا في التاريخ ، فاستعمالاتها ، فالجلد ، فالعصا في عادات العرب ، فجناباتها ، فالعصا في الفكاهة والنوادر والقصص ، فالعصا في الشعر العربي القديم ، ففي الأمثال القديمة ، فضرب الأمثال بها في الشعر العربي القديم ، فالعصا في آيات القرآن الكريم ، ففي الحديث النبوي ، فتسمية الأشخاص بأسماء العصا ، فالعصا في الأدب العربي الحديث ، ففي الأمثال الشعبية ، فالعصا في ألعاب الكبار ، ففي ألعاب الصبيان ، فالعصا في الفنون والتأليف ، فالعصا في الأغاني الشعبية في الفرات .

وبالختام نشكر المؤلف على رسالته الصغيرة بعدد صفحاتها ، الكبيرة بما حوته من أبحاث تدل على الجهد الذي بذله في جمع مادة بحثه وتنسيقه ، فجزاه الله كل خير .



ديوان

كمال نصرت

عدد الصفحات (٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد عام ١٩٦٨)

يضم هذا الديوان شعر أحد الشعراء العراقيين المعاصرين ، وقد قدم له إبراهيم الوائلي الأستاذ بكلية الآداب من جامعة بغداد . وفي الصفحة الأولى صورة للشاعر تحتها بيتان من نظمه ، وقد أشار صاحب المقدمة إلى تأثير الشاعر نصرت بالرصافي و « طريقته في الأداء » ونحن نؤيد صاحب المقدمة الموقفة في رأيه الناقد ؛ ان شعر الشاعر منصرف إلى الفكرة والموضوع وإنه قليل الالتفات أو الاهتمام (بالموسيقى التصويرية التي تنسجم في إيقاع رتيب) على حد تعبير الأستاذ الوائلي كما تؤيد رأيه في ملاحظة بعض التناقض عند الشاعر حين يطوِّح به اليأس فيتمنى الموت ، وحين تعود إليه قوة ذاته فيصف نفسه بالتحمل ومناوبة الدهر والأيام ، وبلي التقديم مقدمة أخرى للأستاذ عبد القادر البراك لم تضاف شيئاً إلى الديوان لولا بعض عبارات المديح التي أملاها على الكاتب وفاءً للشاعر لا تقده العلمي الصحيح ، وبعد هذه المقدمة الثانية ، قصيدة بائنة الطول للشاعر جميل أحمد الكاظمي في تقرُّظ الديوان ، لم تردنا تعريفاً ولم تكون عندنا رأياً خاصاً ، ثم آيات أخرى للشاعر عبد الحمادي البغدادي ، وهي ذات معنى عام يصح أن قوض بين يدي كل ديوان ، وأخيراً تأتي ترجمة الشاعر بقلم محمد علي حسن وقد تحدث فيها عن أصله ونسبه وحياته ودراسته والوظائف التي شغلها والترجمة تعطينا معلومات مفيدة عن حياة الشاعر حسب السنين .

ثم يأتي شعر الديوان ، وهو موزع على أبواب هي الوطنية ، السياسيات ، الاجتماعية ، الإخوانيات ، الوصف ، المراثي ، المهجاء ، التزل ، ثم عدد من القصائد جعل لها الشاعر عنواناً (ديوان سميّة) وهي موجهة إلى مغبة عراقية معروفة . ثم مجموعة أخرى عنوانها « السمرات » وهي مغبة عراقية أخرى ألمع إلى اسمها في القصيدة الأولى من هذه المجموعة . ومجموعة شعرية ثالثة عنوانها « عذراء المستشفى » وأخيراً التفرقات ، ولقد تعددت مقاصد الديوان وفق اختلاف الموضوعات وتباينها ، وشعر الشاعر بسيط في لفظه وفي مضمونه . وهو لا يدلّك على ثقافة واسعة ، كما يدلّ على أن الشاعر اعتمد على فطرته الأدبية وعلى مجالسة الأديباء والإفادة منهم وخاصة الزهاوي والرصافي ، أما الصور الشعرية والمعاني الجديدة والخيال البعيد فالوان تجدها نادرة في هذا الديوان .

أحمد الجندري



ديوان محمد العيد محمد علي خليفة

عدد الصفحات (٦٠٢) من القطع المتوسط

من مطبوعات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ومن منشورات وزارة التربية الوطنية بالجزائر لعام ١٩٦٧

يشتمل هذا الديوان الشعري الكبير على مقدمة صغيرة بقلم وزير التربية الوطنية الجزائرية وعلى تقديم بقلم (رائد الأديباء ورئيس العلماء الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيم رحمه الله) ، وبلي ذلك كلمة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، ثم خاتمة شعرية عنوانها « خاتمة ثناء وابتهاال » ثم تبدأ القصائد مبوبة حسب

الموضوعات ، التسلسلة على الطريقة الآتية (أدبيات وفلسفيات ، إسلاميات وقوميات ، أخلاقيات وحكيات ، اجتماعيات وسياسيات ، اللزوميات ، الإخوانيات الثوريات ، الذكريات ، المتفرقات ، الألفاظ ، الأناشيد) .

ويتهيء الكتاب إلى جدول كبير يبلغ ثمانى صفحات يشير إلى الخطأ المطبعي الذي ورد في الكتاب ، وهو يدل على كثرة الأخطاء ، وفي الصفحة الأخيرة من الغلاف ترجمة لصاحب الديوان مع صورة صغيرة له بلباسه الجزائري الوطني ، ومن الاطلاع على هذه الترجمة ، تتيّن الطابع الديني العربي الذي السّترمه الشاعر وهو الطابع الذي ظهرت آثاره في قصائده الكثيرة التي ملأت الديوان .

أما شعر الديوان ، فمن الشعر العربي الذي أفاد أسلوبه من القراءات الدينية ولا بدع فالشاعر من تلامذة جامع الزيتونة في تونس ، ويلاحظ قارى الديوان أن القصائد طويلة وأن نفس الشاعر غير قصير ، كما أن أكثر هذه القصائد قيل في مناسبات خاصة وعامة ، كالحفلات والاجتماعات الدينية والوطنية وأبرز ما في هذا الشعر أسلوبه الصحيح ، وإن كان بسيط المعاني غير مضمّد على الصور البراقة ، والخيال الشعري الذي يهتم به الشعراء الجدد .



الأمثال البغدادية المقارنة

الجزء الثاني

عدد الصفحات / ٣٩٠ / من القطع المتوسط

من تأليف العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

من مطبوعات مكتبة التنقيح - بغداد لعام سنة ١٩٦٧

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « الأمثال البغدادية المقارنة » ، وبني العنوان أن المؤلف ، أو المحقق ، قد جمع أمثال أحد عشر قطراً عربياً وقارنها بالأمثال العراقية المماثلة ، وهي على حد قوله ، أول محاولة لمقارنة الأمثال العربية ، وقد سبق أن أهدانا المؤلف الجزء الأول من سفره ، وبدأ هذا الجزء بتبنيه أشار فيه صاحب الأمثال إلى المراجع التي استعان بها على وضع كتابه ، وقد رتب الأمثال على الحروف الأبجدية بادئاً جزءه هذا بحرف « التاء » وطريقته أنه يأتي بالمثل العراقي فيثبت به بالخط العريض الأسود مع وضع رقم لكل مثل ، ثم يشرح بعده لماذا يضرب هذا المثل ، ويبي ذلك تعقيب بين المثل الذي يؤدي معناه في قطر عربي آخر ، وبدأ هذا الجزء بالرقم (٥٨٣) وينتهي بالمثل ذي الرقم (١١٨٥) وفي الصفحات كلها حواشي تبين المراجع التي يمكن الرجوع إليها استزادة للاطلاع .

والعمل الذي قام به العميد التكريتي عمل شاق ومضن ، وهو يسد ثغرة علمية في الثقافة العربية الحاضرة .



ديوان ابن الدهان الموصل

حقيقه عبد الله الجبوري في / ٢٨٠ / صفحة

من القطع المتوسط عام سنة ١٩٦٨ م وطبع في مطبعة المعارف بغداد

هذا شاعر وُلد في الموصل سنة ٥٢١ هـ على وجه التقريب وتوفي في
 حمص سنة ٥٨٢ هـ فهو عراقي موري . وقد قدم المحقق للديوان بمقدمة
 ذكر فيها تعدد أسماء الذين حملوا هذا اللقب ، ووصف مخطوطة الديوان
 وصفاً مسهباً كما تحدث عن أهمية شعر الشاعر . أما اسم الشاعر المفصل فهو :
 مهذب الدين عبد الله بن أسعد أبو الفرج الموصل الشافعي .

لم يلتزم المحقق الترتيب الأبجدي في نشر قصائد الديوان فقد بدأه
 بقصيدة عينية . وأكثر الديوان من شعر المديح الذي يتخلله الغزل كما
 كانت عادة الشعراء في عصر الأيوبيين وهو عصر يعتبر في نظر الناقدين
 عصر انحطاط للشعر ، ولكن شعر هذا الشاعر على ما تخلله من تكلف
 وصناعة غير خالٍ من الإحساس الشعري وإن كان التقليد قد أخذ بجانيه
 واران عليه . وفي القصيدة العينية التي بدأ بها الديوان أبيات مشهورة
 ردها المنون وتأتق في تلحينها الملحنون وهي :

قل للبخیلة بالسلام تورعاً كيف استبعت دمي ولم تورعي

وفي قصائد الديوان المطولات التي تذكرك بهود الشعر الأولى كالقصيدة
 اللامية التي وردت في الصفحة (٣٥) فقد بلغ عدد أبياتها (٧٤) بيتاً وكذلك
 قصيدته الحائية التي وردت في الصفحة (٥٩) وعدد أبياتها (٨١) بيتاً وهما
 في مديح السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ويبدو أن الشاعر كان معجباً بالسلطان مأخوذاً بانتصاراته الرائعة مما أثار شاعريته وحفزها على الإسهاب ، وكان يتمالي عن التكسب بالشعر في زمن كان التكسب فيه مهنة فهو يخاطب القاضي الفاضل ، رجل الأدب في عصره فيقول له :

وفاءً لحق الود لا تاباً منى ولا بائناً شعراً ولا طالباً جدوي
وهي مزية تحفظ له فتشكر .

ولكن التقليد الذي ملك عنان شاعريته قد حجب عنه الآفاق الشعرية الصحيحة فخرج شعره بسيطاً مصنوعاً لا يحرك القاري إلا في موسيقاه اللفظية وعباراته المنغومة . أما المعاني الجديدة وأما الصور والملحاحات الأخاذة فتأدرة في هذا الشعر الذي جنى عليه عصره كما جنى على الشعراء غيره .
ويختتم المحقق الديوان بستة من الفهارس المفيدة ، ثم قائمة خاصة بالكتب التي حققها الأستاذ الجبوري .

وهذا الديوان مفيد لأنه أحياناً شاعراً منموراً ، ولأنه يعطي صورة من صور عصره الأبوي كما يذكر القراء بقوة الشعر ومناقته وجزالته .

أ.ج



آراء وأنباء

انتخب بجمع اللغة العربية في الجلسة التي عقدها بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٨٧ هـ وفق ١٥ شباط ١٩٦٨ م ، الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً فيه ، وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) المؤرخ في ١٣٨٨/١/٨ وفق ١٩٦٨/٤/٦ .

وقد دعا المجمع الأستاذ المنتخب لاحتلال المقعد الشاغر بوفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التتوخي ، وعقد لاستقباله جلسة علنية بتاريخ ٧ صفر ١٣٨٩ هـ وفق ٢٤ نيسان ١٩٦٩ م .

وفي جلسة الاستقبال ألقى الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع خطاب الترحيب بالعضو الجديد ، الذي أجابه بخطاب تحدث فيه عن حياة سلفه وآثاره . وفيما يلي ثبت نص الخطابين .



خطاب الدكتور عدنان الخطيب

في حفلة استقبال

الأستاذ عبد الهادي هاشم

[في ظهيرة يوم من شتاء سنة ست وأربعين وتسعمئة وألف ، كانت الشمسُ تبدو مثقلة وثيدة الخطى ، حينَ بدأت «عناية الله» ، واسمها بالفرنسية « Providence » ، ترفعُ مراسيتها وهي تتحرك ببطء نحو الغرب ، مبتعدة عن رصيف ميناء بيروت .

كانت الباخرة تحمل على ظهرها ، فيمن تحمل من السفّار ، فقراً من أبناء الشام ، وقفوا على سطحها ، والبشر يطفح من وجوه أكثرهم ، فقد جرى الزمان بما يشتهون بآخرة ، وأبحروا نحو بلاد فيها ما يرغبونه من علم ومعرفة .

كان هؤلاء السّفَر ، بلوحون بمناديلهم كمادة المسافرين ، تحيةً لأهل لهم وصحاب وقفوا على الرصيف ، تنسكب الدموع من عيونهم ، ساخنة هادئة تحمل معنيين ، دمعُ فراق لأحبة يئاون ، ودمعُ إشفاق لهؤلاء الذين ركبوا البحر ولما يطهر مأؤه مما زُرِع فيه من صواعق تزهقُ الروح باللمس الرفيق .

لقد كانت «عناية الله» أول سفينة تقصد إلى أوربة بعد أن أُذيع في الناس ، نظافة البحر مما بثَّ التجارِبون في دروبه ، خلال حرب ، خمد أوارها ، قبل أن تتفجر . وكانت العناية المبذولة في الكشف عن هذه

النجايا في البحر ، أضيق من أن تحيط بكل شيء ، وما زال الناس في الفينة بعد الفينة ، يسمعون عن قرابين قدمتها هذه الألفام طعاماً شهيئاً لما ضم البحر بين جنباته من أحياء . كان من بين هذه الضحايا برءاء ما اجترموا ذنباً ، فاصطلوا بالنار ، بعد أن قدر لسيرها الذي أجبه الطامعون ، أن يهدأ ، فلا جرم ، تسكب الدموع عن حب ، وتسكب الدموع من إشفاق .

ما كادت الباخرة تبعد قليلاً ، حتى أخذ جرسٌ فيها يقرع على شكل خاص ، فسير للسفّار ، بأنه دعوةٌ إليهم كي يجتمعوا على السطح ، وبدأ المسافرون يتحلقون حول الرابينة وهم يرشدونهم إلى ما يجب عمله ، إذا ما نزلت الباخرة بهم من لغم مسننه ، ويعلمونهم كيف تلبس أدوات العموم ، إذا أهيب بهم : أن ألقوا بأنفسكم إلى الماء .

كان المسافرون يستمعون بقلوبهم إلى هذه الإشارات تلقى عليهم بالفرنسية ، وتلفت الركاب من أبناء الشام أو أكثرهم إلى رجل يحسن فهم الفرنسية ينطق بها أهلها ؛ فوجدوه فتىً يكبرهم سنّاً ، سبق له أن أمضى زمناً في فرنسا ، وعاد إلى دمشق ، بعد أن تزود بكثير مما يجهلون ، ثم لما لفت الحرب الدنيا حالت بينه وبين ما يشتهي من عودة إلى أوربة لمباً بما كان نهل ؛ فإذا به حين أتيح له السفر من جديد ، يلقى رفاقاً كانت الحرب حجزت أكثرهم عن متابعة الدراسة التي منى نفسه بها .

أخذ الفتى يترجم لرفاقه ما كان يلقى عليهم ييسر وطلاقة وإيجاز ، تركت له أثراً طيباً في نفوس ركب ركاب تفاوتت أسنانهم واختلفت دراساتهم ، واتفقوا في غاية واحدة ، هي الرغبة الصادقة في أن يكتب لهم أن يردّوا منابع العلم والثقافة لم تكن سبلها ميسرة لهم من قبل .

وأنس الفتى برفاقه وأنسوا به ؛ كان يقصُّ عليهم من أبناء باريس ما تهفو إليه قلوبهم ، وكانوا يستزيدونه شرحاً ، فيجيب كلاً إلى سُؤله بتفصيل وافٍ دقيق يلذ للجلس الاستماع إليه ، ولو كان لا يعنيه من أمره شيء . كان في أحاديثه يبين عن ثقافة أدبية واسعة ، وذاكرة قوية تحسن أن تتلي ، يزيئها تواضع جَم . فإذا به في مركز الريادة بين الركب ، ساعده في ذلك خلقٌ رضيٌّ ، وصدرٌ رَحْبٌ ، وعقلٌ راجحٌ ، وأريحيةٌ كريمةٌ ، وصنعةٌ مارسها فلكت عليه جانباً من طباعه ، كان مدرساً عانى التعليم مذ كان يتقماً سنواتٍ طوالاً ، فتعود مصادقة طلابه وأهلهم ، في المدينة وفي القرية ، فليس يدعاً أن يغدو في هنيهات صديقاً لنفَرٍ من الشباب الجامعيين ، كانوا رفاق سَفَرٍ طويل .

كان يقف إلى جانب الفتى المعلم ، فتى آخر يبدو أصغر منه بسنوات قد لا تتجاوز الثلاث ، كانا ابني حيٍّ واحد من أحياء دمشق القديمة ، واتفق أن أمضيا بعض دراستهما في مدرسة واحدة ، يوم لم يكن من ثانوية في دمشق إلا مكتب عنبر ، . كانا يلتقيان حيناً في باحة المدرسة ، وفي الدروب المؤدية إليها حيناً آخر ، وكان أقصى ما يربطها تحية عابرة يتبادلانها إذا ما التقيا في درب ضيق .

كان الفتى الأول ، رجلاً أدبٍ واجتماع ، موفداً من وزارة المعارف للتعلم في دراسة اللغات القديمة ، وكان الثاني رجلاً قانون وإدارة . يشغل مناصباً قضائية ، إنه موفدٌ من وزارة العدل لدراسة النظم القضائية في البلاد الأوربية المختلفة ، وبحكم صنعة هذه ، كان متشداً في خطواته متمهلاً في أحكامه ، لا يتكلم إلا بمقدار ، يحب النكتة ويحسن الاستماع إليها ، ولكنه ينذر أن يلقيها إذا اتسعت حلقة المستمعين إليها .

وجد الفتى القاضي نفسه ، إلى جانب رفيق عرف صورته وجهل
طويته ، فاذا به يجد رفيقاً عالي التهذيب ، عفيف اللسان لين العريكة ،
سمحاً في صلاته مع الآخرين ، فحين أتيح له أن يلتقي به على انفراد يتمتع
طرفه بمنظر الشمس وهي تتكوّر في البحر ، ثابته شعور أنيس مدة
الحديث بينها حتى وجدا نفسيهما ينشدان مع شاعر دمشق الكبير :

ماله في عيظم الشأن قرين* كل جيسار يداينه مهين*
سعة ليس لها من غاية* حشرت عنها عيون الناظرين*
أنا إن أوجست منه خيفة* خافه قبلي أمير المؤمنين*
يلا المين فتغضي قرقا* ويهول النفس حتى تستكين*
كل يوم تسجد الشمس له* فكان الشمس بالبحر تدين*
ترمي في حوضه حمرة* خجلاً كالرود في حوض خدين*
وكاذا إذا نظرا إلى أمواج البحر تلاحق مرتفعة منخفضة ، رددا
مع الشاعر قوله :

أثري ، أمواجه أنفاسه* ردت بين شقيق وأنين*
جحفل يركب منها جحفاً* يتمادى كجنود زاحفين*
وكاذا إذا اجتماعا ضحى يستمتعان بدفء الشمس ، ويتمنان ناظرهما
بجمال حوّم الطيور ، تلتقط ماتخلفه الباخرة من طمام ركاها ، أو إذا
ذكرا حينها إلى مراوغ الصبا ومدارج الطفولة ، أنشدا مع الشاعر :

وطيور البحر في أسرايها* تهادى كشراعات السفين*
قلت للسرّب ، وقد أقبل من* أفق ؛ قلبي به عان رهين*
أيها القاطع عرض البحر هل* لك عهد بروابي قاسيون*

ثم مهوى القلب دارات الهوى منزل الأهل ، حبي المستضعفين
بأبي الشام وأمي ، إنها كعبة الآمال والحصن الحصين

* * *

وفي يوم غامت شمس ، وتجمّع السفّار يصطلون بالقرب والحديث ،
انضمّ إلى السفّر الدماشقيّة أحد رجال السلك السياحي في بلد عربي
شقيق ، وقد أنس بطرفهم وتهذيبهم ، وأنسوا بمله وثقافته ، فإذا به
يدعوم إلى مائدته عشية اليوم التالي ؛ ولكن البحر هاج ضحوة ،
وكانت الباخرة تمرّ في مضيق « مسينا » وصخب موجه ، واضطربت
السفينة ، ثم غدت على ضحامتها ، وكأنها طفل عصبت عيناه بغمامة يسمى
وراء لدائه ، فإذا بالسفّار يهرعون إلى مضاجعهم مرضى بدوار البحر ،
فأخذ أفراد الركب الشامي ، ينسل الواحد منهم تلو الآخر ، وما كادت ساعة
الغروب تأزف ، حتى كانت قاعة الاستقبال قد أقفرت إلا من ثلاثة ،
صاحب الدعوة والصدّيقين وهما يتساءلان عن الدعوة ، إن كانت ما تزال
قائمة ، فأجاب صاحبها : هي قائمة مادامنا ثلاثة على الأقل . ولم تمض
بضع عشرة دقيقة ، حتى اعتذر المعلم ، فران صمت مطبق ، ثم قام
السياسي وقام القاضي ، دون أن ينبسا بينت شفة ، لقد مضى كل منها
متجلداً نحو مقصوده .

وعندما بدأت السفينة تلتقي مراسيها في « مرسليليا » ، كان كل رفقة
السفّر شرّبان المتعة التي نعيم بها أربت على مشاق السفر الطويل ، وكان
أكثر الركب شعوراً بهذه التّعوى ، ابنا الحبيّ الدمشقي الواحد ، فقد
شعرا بأن آصرة ربطت بين رجلين فجعلت منها صديقين أخوين .

ولا ينسى القاضي يوم زل من الباخرة ، ليلحق بقطار باريس ، أن
اليابسة كانت تميد من تحت قدميه ، فقد حمل معه شيئاً من دوار البحر ،
وإن ساعد صديقه المعلم كان عوناً دفع عنه أذى كثيراً .

وحمل القطار الصديقين إلى باريس حتى إذا بلغاها ، سلك كلٌ منها مسلكاً وما اجتمعا بعدئذٍ ، على نَدْرَةٍ ما اجتمعا ، إلا على ودٍّ صافٍ وحبٍّ مقيمٍ .

★ ★ ★

أيها الزميل العزيز .

هذه صفحةٌ من « ذكريات » كتبها في يوم غبر ، ثم جاء يوم في سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف ، وكنتُ أنولى منصب « نائب عام في وزارة العدل » ، فإذا بي أسجل في هامشٍ : [في هذا اليوم زرتُ الصديق الأستاذ عبد الهادي هاشم ، مهنئاً بتوليهِ منصب الأمانة العامة لوزارة المعارف ، وقد ذكرنا رحلتنا على السفينة « عنـاية الله » فقمنا دقائق برجع الذكرى وانتشينا بالحديث عن أيام لا تنسى] .

وإذا كنتُ يا صديقي ، بدأتُ حديثي الليلة بذكرياتنا فلأصل الحديث بالقول : إني أمّلتُ يوماً أن تكون في استقبالٍ في هذه القاعة ، إذا ما قِض لي الدخولُ إلى هذا الصرح العظيم ، فقد كبرتني بسنوات ، وكنتُ ذا سابقةٍ في خدمة العربية ، والعمل على تحقيق أغراض هذا المجمع الذي تفاخرُ العربُ به ، وكان من حقِّ سابقتك ، أن تكون سابقاً في الدخول إليه ، ولكن الرياح كثيراً ما جرت بغير ما تشتهي السفن ، على أنها قد تجري أحياناً بأسرع مما كان يؤمل ذو حظ من السفّانين ، وما كان الحظ ليفير يوماً من فضل السابقين في علم أو معرفة . لقد حالفت الرّيحُ سفّيتي فأرستها بحلبةً ، وما هو ذا حظي يجري الليلة بما أشتي فأمنح من قبل الرصفاء شرف استقبالك باسمهم .

★ ★ ★

سيدي الأستاذ الرئيس

أبها الرصفاء الأعزاء

سادتي المحترمين

يسعدني في هذه الأمسية الزاهرة بمشارككم ، أن أقدم إليكم واحداً من رجال يعتز بجمع دمشق بأن يضمهم إليه ، فيقوى بهم على حمل العبء الذي نهض له خمسين عاماً ما ناء به ، عبء خدمة الضاد أم اللغى لسان الذكر المين . وبأمثال هذا الزميل الجديد يستمر بحمنا الغالي مجاهداً في سبيل تحقيق أغراضه ، ملقياً الأضواء على زائنا المجيد ، خيء الأقية المهمة والقانات المجهولة ، ساعياً لجعل العربية الخالدة ، لغة العصر الحديث تسير علومه وفنونه .

لقد ولد رصيفنا الجديد عبد الهادي هاشم ، في حيٍّ من أقدم أحياء دمشق ، سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافقة لسنة اثنتي عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ، في أسرة شامية عُرف كثير من رجالها بمزاولة التجارة ، كما عُرف بعضهم بالانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع إلى العبادة . بدأ الزميل تحصيله الأولي ، كما كان يفعل أكثر أبناء الأسر الشامية المريقة التي تسكن داخل دمشق وحول جامعيها الأموي الكبير ، في « المدرسة الجقمقية » يوم كان على رأسها علامة دمشق وأحد رواد نهضتها المعاصرة وأصحاب الفضل على كثير من شبابها المرحوم الشيخ عيد السفرجلاني . ومن الجقمقية تحول زميلنا إلى مدارس أهلية وأجنبية تلقى فيها تحصيله الثانوي ، إلى أن أنهى هذا التحصيل في « مكتب عنبر » ثانوية دمشق الحكومية الفريدة .

ومن « الجامعة السورية » جامعة دمشق الوحيدة ، حصل الزميل على شهادة « مدرسة الأدب العليا » ، وكان أول متخرجي دفته . وحالت الوظيفة بينه وبين إتمام دراسة « القانون » التي بدأها ، فانتسب إلى « سلك التعليم » واضطر إلى العيش سنوات عديدة بعيداً عن داره في دمشق .

وفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة وألف أوفدت وزارة المعارف زميلنا إلى باريس ، فتلمذ لكبار المستشرقين فيها ، وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين كثير منهم ، وفيها درس شيئاً من علوم الفلسفة والتربية والألسن وألم إلاماً وافياً ببعض اللغات السامية ، ومنها اللغة الحبشية القديمة (الجمز) ، ثم عاد إلى دمشق في بداية الحرب العالمية الثانية ، فسُمّي أستاذاً للعربية في المدارس الثانوية ومديراً لدار المعلمين ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ، أوفد إلى سويسرة ليتم فيها دراسة اللغات السامية والحامية ، فتمكن من المصرية القديمة ومن العبرية ، ونال في هذه جائزة « باومان » عن دراسة وضعها عن الفيلسوف اللغوي اليهودي ، سعاديا غاوون المعروف عند العرب بـ « سعيد بن يوسف الفيومي » ثم اختارته منظمة « اليونسكو » آنذاك ليكون خبيراً ثقافياً لها في القطر الليبي الشقيق ، بعد إعلان استقلاله سنة ١٩٥٢ م ، فأقام فيه مدة عامين ، كان خلالها خير سفير بين شقيقين ، يحمل الحب والود بين جنبيه ، كما يحمل رسالة الفكر بين يديه .

ولما عاد الزميل عبد الهادي هاشم إلى دمشق ، تولى فيها وظائف كثيرة علمية وإدارية فكان محاضراً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، ومديراً للتعليم الثانوي والتعليم الريفي ، رئيساً للجنة التربية والتعليم ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف ، ثم تولى بعدها مديرية دار الكتب الوطنية بدمشق « المكتبة الظاهرية » ، ثم مديرية إحياء التراث العربي القديم في وزارة الثقافة .

وزميلنا اليوم أمين عام مساعد للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ويتولى تدريس « فقه اللغة » في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وهو عضو في اللجنة الوطنية السورية لـ « اليونسكو » ، وعضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإلى جانب هذا قام زميلنا الأستاذ عبد الهادي هاشم بتمثيل سورية على خير ما يكون التمثيل ، في كثير من المؤتمرات العلمية والتربوية ، ولا سيما في مؤتمرات « اليونسكو » و « جامعة الدول العربية » و « مكتب التربية الدولي في جنيف » ، كما شارك في تحرير كثير من المجلات الأدبية والتربوية ، وحاضر في أكثر من مدينة عربية ، وحقق بعض المخطوطات من تراثنا نائراً ذلك في مجلة مجمع دمشق ، كما أعان بعض الباحثين في تحقيقاتهم لمخطوطات عربية قيمة . وقد سبق لمجمعنا أن نشر تحقيق رصيفنا لكتاب فقيد العربية الكبير أستاذ الجيل المغفور له سليم الجندي المسمى « الجامع في أخبار أبي الملاء وآثاره » وهو في ثلاثة أجزاء ضخام .

* * *

سأدتي :

هذه المأمة سرية عن الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الذي أجمع أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق على اختياره رصيفاً لهم ، خلفاً للزميل الراحل فقيد العربية الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ، يشدون به أزرهم ويتابعون معه خدمة العربية وآدابها .

وإني باسم المجمع أدعو الرصيف الكريم إلى خطاب مجمي يحدثنا فيه عن سلفه الراحل أجزل الله ثوابه .

عبد الله الخطيب

١٣٨٩/٢/٧ هـ

دمشق في ١٩٦٩/٤/٢٤ م

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

في حفلة استقباله

سيدي وزير التعليم المالي ، سيدي وزير الثقافة ،

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي أعضاء الجمع سدة اللغة وحماها .

أحسنتم بي الظن فارتضيتموني لكم رصيفاً ، وأخذتم بضبعي ، مُنعمين متفضلين ، فأحللتُموني في بجمكم الكريم منزلة سامية تجاوز الأمانى وتفوت المطامع ، منزلة ما كانت عنقي تتناول إليها ، لمعرفتي بنفسي وشعوري بنقصي ويرحم الله امرءاً عرف حده فوقه عنده . وإني لموقن أنه لم يرفني إلى مزاملتكم إلا عين راضية نظرت بها إليّ ، ونفسٌ سمحة عالية تجاوزت عن عجزى واحتسبت بحبتي لهذه اللغة الشريفة وإخلاصي لها واعتدادي بأدبها وحرصى على تراثها ففسحت لي مكاناً بينكم ، وأرجو ألا تكونوا على ذلك فيما بعد من النادمين .

ولئن لم أكن أطمع في أن أغدو في يوم من الأيام من أعضاء الجمع فما ذلك لأنني غريب عنه أو بعيد منه ، فأنا من مميته ارتويت ، وبرجاله اقتديت ، ألفتُ رحاب الجمع منذ أكثر من أربعين سنة ألزم قاعاته وأشهد محاضراته وأتلمذ لأعلامه وأتخرج بمن شرفُت بصحبته منهم أو حظيت بمزاملته فيهم ، وكنتُ أجدي ملازمتي الجمعيين الخُلدَين شرفاً أزهى به واعتزاً ، وأرى في شمرتهم غذاء الروح ومثمة العقل وراحة النفس ، وما أزال أذكر الفرحة التي غمرتني يوم اختارني الأستاذ الرئيس محمد

كرد علي منذ خمسة وعشرين عاماً لأشارك في التهيئة لمهرجان الميري الألفي ،
ولأكون في إمرة الرجل النبيل الأمير جعفر الحسني في الإعداد للمهرجان
والعمل لإنجاحه .

كما أذكر بالفخر والشكر ذلك اليوم الذي وقف فيه طه حسين منذ
أكثر من اثني عشر عاماً في حفل افتتاح مؤتمر المجامع العلمية الأول في
دمشق يتوجه على رؤوس الأشهاد إلى رئيس الجمهورية السورية المرحوم
شكري القوتلي طيب الله ثراه بقوله :

« ولا بد أن يُردّ الحق إلى أهله ، ولا بد من أن
استأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد
هذا المؤتمر ، وأولُ تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في
اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في جدة ، وكان الفضل
فيه لممثل سورية العظيمة ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي
هانم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه
الفكرة ، ولا غرابة في هذا ، فما رأيتُ إلى اليوم أحداً
كالسوريين لا ينسى العروبة ومجد العروبة ومستقبل العروبة ،
ما رأيتُ أحداً كالسوريين يذكر هذا ويستصعبه في حلقه
وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوم
لكل عقل سوري ، وجزء مقوم لكل قلب سوري ، وجزء
مقوم لكل ذوق سوري . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا
المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون
عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في مصدر التفكير فيه : في دمشق
مهد العروبة وعاصمتها وهناك مزية خاصة لدمشق ، فجمعها

العلمي الموقر هو أولُ المجامع العربية وجوداً وأشدّها نشاطاً وأخصبها إنتاجاً وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحية وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم ؛ تتخذ في كل هذه الأشياء مثلاً وغوّجاً ، ونطمح في أن نسير في إثره ونطمح في أن نصنع صنيعه وتقدي برجالاته من زعماء المروبة وأعلام البيان .

اعذروني أيها السادة إذا أطلتُ الاستشهاد بشيء من خطاب عميد الأدب العربي في هذا العصر ورئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم ، فقد فلتُ ذلك لأعيد إلى الذاكرة رأي كرام زملائكم في مجمعكم وتقديرهم رجاله وإكبارهم جهاده .

قلتُ لم تنقطع صلتى بالمجمع ، بَمُدَّتْ أَوْ قَرَبَتْ ، ولكنْ انْضَرَ أَيَّامَ عمري وأعوْدَها عليّ بالخير واليمن تلك الأعوام التي قضيتها في حرم المجمع ، على رأس دار الكتب الظاهرية ، فقد كنتُ ألقى الأستاذ الرئيس (خليل مردم بك) رحمه الله ، كل يوم ، لا المذاكرة في قضايا الإدارة فقد كان أمرها سهلاً ميسوراً ، ولكن للمداولة في مسائل أدبية ولغوية ، وللقاء الأفاضل من الوافدين على المجمع لزيارة رجالاته ، ولما حلّ العلامة الأمير مصطفى الشهابي في نيابة الرياسة خلفاً للمرحوم الأستاذ المغربي كان يخصني بوده ويُشركني في بحوثه ، وقد ذكرني بلقاءاتنا الماضية يوم زرتُه رحمه الله الزورة الأخيرة فبيل وفاته يومين .

★ ★ ★

ولئن أتيح لي شرف لقاء أكثر أعضاء المجمع من قبل ، فإن صلتى بالمرحوم عز الدين التنوخي الذي أحالتموني محله بعد انتقاله للأعلى كانت أوثق وأقوى ، فقد كتبتُ أعرفه وأنا في ريتق الشباب من خلال ما ألف

وترجم وحقق وحاضر ، فلما سُمِّيتُ منذ ثلاثين عاماً أستاذاً للمريسة في ثانوية حمص خَلَفْتُ فيها الأستاذ التنوخي وسرتُ على نهجه ، وكنتُ أزوره عند مقدي إلى دمشق وأستهدي برأيه فيحتني بي ويصفيني وده وإخاه ، وكان تواتر اللقاء يزيدني إعجاباً بأبي قيس ومحبة له ، ويكشف لي كره الأيام فضائل وشمائل في نفسه وخلقه وعلمه لا يكاد يعرفها أحص خلطاته .

ثم ازدادت صلتني به تواتراً أيام كنتُ في المجمع ، فكانت لجنة الطبوعات تعقد اجتماعاتها في مكتي ، وكان التنوخي أحد أعضائها ، وكانوا يبيحون لي أن أخوض في الحديث معهم وكأنني أحدم ، وبشركونني في عملهم وإن لم أكن منهم . ثم لما تحوأتُ عن المجمع إلى وزارة الثقافة كان الفقيه يتماهدني بالزيارة بين الفينة والفينة ، فأردتُ تحيته وأقصدُ إلى مكته في المجمع وإلى داره في ضاحية الميزة (أو دمشق الجديدة كما كان يحلو له أن يسميها) وكنت في الحالين سعيداً منتبهاً لما كان يفيض فيه من طلع الحديث وحلو النادرة وبارع الرواية وحاضر النكتة ، ولما كان يلقي به بحالسه من كرم الترحيب ورفع الكلفة والانبساط الوقور دون ما تبدل ولا إسفاف . ولا أزال أذكر آخر لقاء بيننا وكان قبيل وفاته بلواذ أسبوع وكنا نتحدث فيه عن (معاني الشعر) للأشنانداني وما صنعه في تحقيقه ، وكان يومها مفتر الثغر منشرح الصدر يتدفق بشراً ونشاطاً ، وما كنتُ أعلم أنها آخر مرة ألقاه فيها في هذه الفانية . على أن صلتني لم تنقطع بالتنوخي بعد وفاته ، فقد عكفتُ على العناية بكتاب الأشنانداني واستكمال تحقيق أصله ولاحقه وذيله والتقديم له ، وأرجو أن يظهر الكتاب إلى الأسواق بعد أسبوع أو أسبوعين .

تقضي سنة للمجمع حميدة بأن يتحدث الخلف من أعضائه في حفل استقباله عن سلفه ، وكنت أحسب الأمر هيناً يسيراً ، وأن معرفتي بأبي قيس وبمجموع آثاره قيمة بأن تجعل الأمر على طرف الثمام ، وما كنت أدري أن شدة القرب حجاب وأن العين لا ترى جارتها ولا تحسن وصفها وأن أجهل ما يكون المرء عندما يحسب نفسه عالماً ، وأن ترجمة من بعد من الغرباء قد تكون أسهل وأيسر من ترجمة من دنا من الغرباء ، وهذا عذري إذا لم ترضوا سيداتي وسادتي عما سأسوقه في ترجمة الفقيد ووصف بعض آثاره .

يُسمى عز الدين علم الدين التنوخي إلى أسرة يذكر بعض العارفين أنها كانت قد اتخذت العراق سكناً منذ مئات السنوات ، ثم هاجر بعض أبنائها إلى الشام وأقاموا في سواحله وعلى جباله الشم يشتركون مع أهلها في رد عادية الصليبيين عن الثغور الشامية . ثم انتهت تلك الحروب واستقر أبناء هذه الأسرة في لبنان وتكاثر نسلهم وغلبوا على أرجاء واسعة من الجبل . فلما وقعت الواقعة في عين دارة سنة ١٧١١ م / ١١٢٢ هـ بين القيسيين وعلى رأسهم الأمير حيدر الشهابي واليمنيين وأمراؤهم بنو علم الدين وانجلت عن هزيمة اليمنيين وقتل الكثيرين منهم نزع من سلم من آل علم الدين إلى دمشق واتخذها موطناً له .

وقد ولد الفقيد عز الدين بدمشق حوالي سنة ١٨٨٩ م في أسرة كادحة عاملة تصنع سروج الخيل وتتفوق في هذه الصناعة فتصير إليها مشيختها ويسمى والده (شيخ السروجية) فإذا لقي الوالد وجه رب حل محله في المشيخة ابنه وهو أخو عز الدين .

نشأ الفتى عز الدين في هذه البيئة ، ولكن نفسه عزفت صغيراً عن الرضى بأدنى المباشرة ، وتطلعت إلى مجد مؤثر مؤمل . فبعد أن أنهى الدراسة

الابتدائية في المدرسة السباهية والاعدادية في المدرسة الرشدية تحوّل عن دمشق إلى يافا ومنها إلى الأزهر في القاهرة يدرس على شيوخه بمجمل معارف عصره ، وقد عاش التنوخي في مصر عيشة شظف وقشّف يتبلّغ بالقليل ، وينصب ويتعب من أجل الحصول عليه ، ثم عاد إلى دمشق قبيل إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ولم يبلغ العشرين من العمر ، فتصدّر للتدريس والإقراء في جامع بني أمية ، وأقبل الناس عليه ، ورضوا عن طريقته في الوعظ والإرشاد ، ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد أعانه على امتلاك قنوب طلابه طلاقة لسان وحلاوة حديث وبعدّ عن الجمود والتطرف ، ودعوة معتدلة لإصلاح في شؤون الدين والدنيا متزن متد ، وعلم غزير اكتسبه من الأزهر ومن دروس علامتي دمشق يومئذ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار .

وكان جو الشام متلبداً بالنيوم : حكومة تركية غاشمة توجس من بنيه شراً ، وتضمر لهم أذى وضرراً ، وتربص للإيقاع بمن أبوا منهم الإقامة على ضيم يراد بهم ويلادم ، وأنفقوا من الاستكانة إلى ظلم أولئك الطورانيين الفاسيين ، فقامت جمعيات سرية عربية تدبّر للخلاص مما تعانيه البلاد وكان التنوخي فيما يبدو ضالماً معها مشاركاً في بعضها .

وتوفده جمعية أهلية مع بعض الشباب الشاميين إلى فرنسا لدراسة الزراعة في (غرينيون) ، فإذا أتم عز الدين دراسته عرج في طريق عودته على القسطنطينية يتصل فيها بالجمعيات العربية السرية ، وينتسب إلى بعضها كالمتدي الأدبي ، ثم يهبط بيروت لينهض بتعليم الزراعة في مركزها الزراعي سنة واحدة ، وما تلبث أن تنشب الحرب العالمية الأولى ويساق التنوخي إلى مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق ، وقبل أن تم دروسها يفرق جمال باشا قائد الفيلق الرابع طلاب المدرسة العرب ، ويميّن التنوخي في

حلب ، ولكن الضابط الصغير يتبين الغدر في نفوس الأتراك فيفسارق دمشق خفية إلى جبل الشيخ ومنه إلى بادية الشام فإلى الجوف (وهي دومة الجندل) ثم يعم شطر العراق فالحجاز لينضم إلى الشريف حسين عندما أعلن ثورته على الأتراك . وهناك يسميه الشريف (وزيراً للزراعة في واد غير ذي زرع) كما يقول التنوخي . ثم يلتحق بجيش الأمير فيصل ويدخل دمشق ثانية بعد أن حررها الجيش العربي .

وكانت تلك الفترة مباركة على الأمة التي أخذت تنشئ الحياة يومئذ ، وتعدّ لنذر باسم مشرق يذكر بالأمس البعيد الوضاء .

وشارك التنوخي مع بعض علماء الشام حينئذ في بعث العربية وشرها وتعليمها ، وتألف من صفوة هؤلاء العلماء المجمع العلمي العربي في حزيران عام ١٩١٩ وكان عز الدين في عداد هذا الرعيل الأول .

ثم يسهم التنوخي من بعد في تأليف جمعية (الرابطة الأدبية) ويشرف على إصدار مجلتها ، ولكن السلطة الفرنسية — وقد غزت جيوشها البلاد الشامية بالحديد والنار — لم ترق في عينها الرابطة ولا مجلتها ، فأمرت بحل الجمعية وحجب مجلتها سنة ١٩٢٢ وكمت الأفواه وكسرت الأقلام وبثت في البلاد الملح والفرع .

ضاعت السبل أمام هذا الشاب التنوخي في بلده ، فلما دعاه ساطع الحصري إلى العراق — وكان قد رافق فيصلاً الأول إليه — ولى وجهه شطر بغداد وأخذ يدرس في دور المعلمين الأولية والعالية وينشر المعرفة ويبصر الناشئة بلغة الجدود وتراثهم المجيد الحسب ويضع لطلابه كتباً في العلوم واللغة والأدب لا يزال الناس يذكرونها ويشكرون مسعاته في تأليفها .

ثم ينال الحنين إلى مسقط رأسه فيعود في أوائل العقد الرابع إلى دمشق وينصرف إلى المجمع وعمله فيه ردحاً من الزمن ، ويشارك في

محاضراته وندواته ، ويسهم في مهرجان المتنبي سنة ١٩٣٦ ، ثم يُسمّى بُعيد ذلك مدرساً للعربية في ثانوية حمص ويتقلب بعدها في وظائف كثيرة إدارية وتعليمية في السويداء ودمشق ؛ إلى أن يوكل إليه تدريس علوم الآلة في كلية الآداب ويظل قائماً بها إلى أن يحال إلى التقاعد عام ١٩٥٣ وهو على أتم ما يكون نشاطاً وحيوية . فيتفرغ أو يكاد للعمل في المجمع وفي مجلته ، ثم ينتخب عام ١٩٦١ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وأخيراً يسمى نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي في دمشق أواخر العام ١٩٦٤ بعد وفاة العلامة الأستاذ الغربي . فكان يقضي سحابة نهاره في المجمع ويروح أصيلاً إلى مزرعة له في ضواحي دمشق كان قد اقتناها لما عاوده الحنين إلى الزراعة . ومن هذه المزرعة يذهب إلى لقاء وجه ربه راضياً مرضياً فجر يوم الجمعة ٢٤ من حزيران ١٩٦٦ (٦ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ) .



كان المرحوم التنوخي رضي" الخلق كريم النفس جم" التواضع عف" اللسان قريباً إلى القلب ، وكان متمسكاً بدينه معتزاً بقوميته مجاهداً في سبيل أمته بسيفه وقلمه ، جامداً في الحفاظ على لفتها وتراثها . وكان وافر النشاط يعمل في المجمع والمزرعة والشروعات الخيرية والاجتماعية لا يصرفه واحد منها عن غيره .

وكان إلى ذلك قوي الذاكرة حاضر البديهة جميل النكتة .

وقد قضى حياته الطويلة جليداً دموياً على الدرس والبحث والعلم والعمل حتى غدا حجة في العربية مشاركاً في علوم أخرى كثيرة ، وحتى خلف لنا ثروة ضخمة من الآثار النافعة والتصانيف القيمة . وقد نُشر في حياته

منها أكثر من عشرين كتاباً ورسالة بين مؤلف ومترجم ومحقق في شتى ضروب المعرفة .

فأول ما ألف رسالة فلسفية سماها (الفتح المبين) في شرح عينية ابن سينا الرئيس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنّع
وقد طبعت هذه الرسالة في مصر أيام كانت التنوخي يدرس في الأزهر
ولم تتجاوز سنه الخامسة عشرة فيما يبدو .

ثم نشر في المراق كتاباً في مبادئ الفيزياء في جزئين ترجمه عن الفرنسية لفرنان ماير ، ثم ترجم قصة قلب الطفل في جزئين أيضاً ، وأصدر كتاب دروس الإنشاء مقتبساً من كتاب موريس غريغو ثم والى في دمشق تحقيق بعض التآليف الأدبية واللغوية ومنها :

كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي للربيعي وكتاب تكملة إصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي وكتاب بحر العوام فيما أصابت فيه العوام لابن الحبلي .
ثم أخرج لطلابه في الجامعة ثلاثة أجزاء فيها شرح (إيضاح القزويني للدمشقي) في البلاغة وكتاباً سماه (إحياء العروض) وشارك في وضع (المعجم المسكري) الفرنسي العربي والانكليزي العربي ثم نشر تحقيقه المتقن لكتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي في جزئين كبيرين وكتاب المتن وكتاب الإتياع وكلاهما لأبي الطيب نفسه ثم نشر كتاب الابدال للزجاجي وحقق مقدمة النحو خلف الأحمر كما نشر الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب الأزدي .

ويتوفاه الله قبل أن يفرغ من تحقيق كتب أخرى كان يعتزم نشرها ، ومنها كتاب (معاني الشعر) للأشنانداني في أصله ولحقه وذيله ، وكتاب

(الدلائل في غريب الحديث) لقاسم بن ثابت السرقسطي، وكذلك كتاب (منتهى الطلب) لابن سيمون فيما يذكر صديقه الملامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي . هذا إلى عدد جم من الرسائل الصغيرة والمقالات والقصائد التي كان ينشرها في مجلات كثيرة كالمجلة السلفية ومجلة الزهراء ومجلتي التربية والتعليم في بغداد والشام ومجلة الرابطة الأدبية ومجلة الثقافة ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومن عجب أن آخر مقالة له نشرت في صدر عدد مجلة المجمع الذي نعا فيه .

قضى التنوخي ستين سنة كاملة (من ١٩٠٦ إلى ١٩٦٦) يؤلف ويترجم ويحقق في أنواع شتى من المعرفة ، ولوددت أن أتحدث عن خصائص كل من مؤلفات التنوخي وأن أذكر موضوعه ومنهج التنوخي فيه لو كان الوقت مسمفاً ، ومع ذلك فلا أحب أن يفوتي الحديث ولو موجزاً عن ثلاثة من تصانيف التنوخي هي كتاب الإبدال وكتاب تهذيب الإيضاح وكتاب مسند الربيع بن حبيب . ففي هذه النماذج دلالة واضحة على نهج التنوخي رحمه الله في التأليف والتحقيق ، وبيان لطول بابه في علوم كثيرة لا يتاح لغيره الإلمام بها مجتمعة ، بلة إتقانها والتمكن منها .



فأول هذه التصانيف التي اخترت كتاب (الإبدال) لأبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ ، وقد نشره التنوخي في جزئين يقعان في قرابة ألف ومائتي صفحة ، ووطئاً له بحديث ضاف عن الإبدال اللغوي والنحوي وحدودهما ، وبسط قواعد الإبدال اللغوي وضرب الأمثلة عليها ، ثم انتقل إلى الكلام على القلب الشعري وعلى تعاقب الفصحى والعامية ، وعلى التعاقب بين العربية واللغات السامية ، وعلى تولد اللغات من اللغات ، وشرح ذلك كله شرحاً علمياً لا تكاد تقع على مثله عند المعنيين المتفرغين

مثل هذه البحوث ، وانتقل بعد ذلك إلى بيان أثر قلة الإعجام في التصحيف ، وإلى مباحث شتى تتصل بالترادف والتعاقب . ثم أخذ يقارن بين المتقدمين والمحدثين في هذا العلم ويرجع المحدثين وهو في خلال ذلك يسوق آراءً في هذه الظاهرة اللغوية الصوتية : ظاهرة الإبدال ، يحاول فيها أن يفيد من العلم الوضعي المستحدث اليوم في تحليل ما رواه العرب سماعاً ولم يحكموا تحليله . ثم عرف التوخي بمؤلف (الإبدال) أبي الطيب اللغوي وانتقل إلى الحديث عن مخطوطة اشتملت على الكثير من كتب أبي الطيب ، وساق الأدلة على أن عزو الكتاب الذي نشره إلى أبي الطيب عزو صحيح . أما نص الكتاب فقد ضبطه بالشكل الكامل المتقن ، وهذا الضبط في الشكل أمر لا مندوحة عنه في كتب اللغة ، ولم يدع التوخي كلمة لغوية في هذا السفر الضخم إلا شرحها ، ممتداً أوثق المراجع وأوسع المعاجم ، حتى جاءت حواشي الكتاب أضعاف مثله . ويبدو أن أبا قيس كان يودّ "الضي" في النهاية بالكتاب فوق ما فعل ، فهو يقول (في مقدمة الإبدال ص ١٢) : « ولوددتُ مهلة من العمر لأشرح إبدال أبي الطيب اللغوي أو فائت إبداله مما جمعته من كتب اللغة على طريقته ، مخصصاً لها وباحثاً عن أصولها وفروعها وذاكراً آراء فقهاء اللغة فيها من المتقدمين والمحدثين . »

ولا شك أنه لا يقوى على نشر هذا الكتاب وضبطه وتخريجه والتعليق عليه إلا الراسخون في العلم ، فتحقيق كتاب لغوي ليس بالأمر اليسير ولا سيما كتاب لم تصل إلينا منه إلا مخطوطة واحدة . وهذا الكتاب يعالج زاوية عسيرة من اللغة ، وقد وفق المحقق في التعليق على الكتاب بما يستوجب الحمد والثناء . وبكاد الرء يجد في كل صفحة منه ما يحسبه صنيع لجان مجتمة لا فرد متوحد . وكان التوخي يعلم أن عمله هذا مجازفة قد يكبو فيها

جواده فقال في المقدمة : ققلًا خلا تحقيق كتاب ، من مبابنة لوجه الصواب ؛
والتنزه عن الخطأ معوز ، والكمال لغير الله معجز .

★ ★ ★

أما الكتاب الثاني الذي أود التحدث عنه فهو (تهذيب الإيضاح) .
والحق أن التوخي لم يكن يرضى بالاختصار على علم واحد من علوم
الأوائل ، بل كان يود الإحاطة بها جميعاً ، ويتطلع إلى إتقانها كلها وتجديدها
وتيسيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وعلوم البلاغة ، كما صنعها المتقدمون ، عسيرة المطلب وعرة المسلك ،
قل العارفون بها ، المتمكنون منها ؛ على أنه لا غنية عنها لمن يود فهم
أساليب عصور طويلة من تاريخ أدبنا ، وأنماط كثيرة من تفكيرنا ،
وجوانب عديده من ثقافتنا . وأشهد أن التوخي كان في هذا الميدان من أبرع
من عرفنا في علوم البلاغة كلها ، ومن أقدرهم على تبيين خصائصها ونقائصها .
ولما نيط به تدريس طلاب جامعة دمشق علوم البلاغة اختار من كتب
المتقدمين كتاب (الإيضاح) للقزويني الدمشقي المتوفى عام ٧٢٦ هـ فشذبه
وهذبه وشرحه وعلق عليه في أجزاء ثلاثة يشرت لطلابه معرفة أصول
هذه العلوم وأذائقهم حلوة درسها وفتحت عيونهم على طريقة في فهم البلاغة
ما كانت تتاح لهم لولا كتاب التوخي هذا .

ولا شك عندي في أن خدمة أبي قيس (لإيضاح) القزويني خدمة
جليلة محمودة ، ولا أكتفي أنني كنت قد قرأت منذ سنوات طويلات (مفتاح
العلوم) للسكاكي و (تلخيص المفتاح) للقزويني ، و (مختصر تلخيص
المفتاح) للتفتازاني ، و (مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح) لابن
يعقوب المغربي و (عربوس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين

السبكي و (الإيضاح لتلخيص المفتاح) للقزويني ، و (حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح) ، كل هذه المفاتيح والشرح والحواشي المتعلقة (بإيضاح) القزويني لم تَسُنْ لي أبواب البلاغة ، ولم تُنِرْ لي ظلماتها ، وكنتُ أجد في نفسي انصرافاً عن القزويني وزهداً بما ألف ، فلما رأيتُ كتاب التنوخي قلت : وهذا مفتاح آخر لن يزيد الباب إلا إرتاجاً . ولكني مضيت في قراءته فأدركت وهي ، وعرفتُ أنه كم ترك الأول للآخر وكم فات السابق ما أدركه اللاحق ، فقد يَسُرُّ التنوخي علومَ البلاغة وأضاء مجاهلها ، برهف ذوقه ودقة فهمه وسعة حفظه وسلاسة شرحه واستحضاره الشواهد المينة الواضحة ، واستكثاره من النصوص المحكمة المتخيرة ، وتعليقاته المفيدة النافعة . وقد أعانه ذلك على أن يذيل كل باب بأمثلة كثيرة متخيرة جميلة يسوقها لتدريب القراء وتمربهم والأخذ بيدهم لادراك وجوه الجمال في التعبير وضروب البلاغة في الأداء . وليس لنا أن نقضي التنوخيَّ وضعَ أسس جديدة لعلوم البلاغة واستكمال ما فات القزويني وغيره منها ، ليس لنا ذلك ، لأنه في هذا المقام شارح للكتاب لا مؤلف . ويبدو أنه كان يود أن يصنع شيئاً من ذلك ، ولكن لم يقيض له قصر الزمن بلوغ غرضه .



كان التنوخي -- كما سبق القول -- متعدد جوانب المعرفة ، متسع آفاقها ، فقد بدأ حياته العلمية بدراسة شيء من اللغات الأجنبية كالفرنسية والتركية والفارسية ، ثم انصرف إلى تعمق العريضة والعلوم الدينية في الأزهر ، ثم عكف على دراسة العلوم الزراعية في فرنسا ، ثم اتجه إلى العلوم الوضعية في العراق ، وعاد لتدريس علوم الآلة في دمشق ، واشتغل

بتحقيق عيون ترائنا المجيد في اللغة والأدب والنحو . على أن من آخر الكتب التي حقق ونشر كتاباً في الحديث يثق به الاباضية من الخوارج ، عنيت به الجزء الثالث من (شرح الجامع الصحيح 'مسند الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي) وقد طبع بدمشق عام ١٩٦٣ م . وأتم تعلمون أيها السادة أن هذا الجامع الصحيح هو عمدة الاباضية في الحديث ، لا يعدلون به شيئاً من كتب السنة والشيعة ، وأن لهذا الجامع شأنًا — وأي شأن — عند الباحثين ، لأنه لم يسلم لنا من كتب الخوارج الأولين غيره في باب . وقد توفر التوخي خريج الأزهر على تحقيق متن هذا الجامع وشرحه ، ووطأ له بمقدمة أرتخ فيها أولية تدوين الآثار والأخبار والأحكام عند المسلمين ، ثم أفاض في بدء تدوين الحديث وشرح رتب الصحيح من أحاديث الرسول والأسانيد الثلاثية ورجالها ، ومقام مسند الربيع بن حبيب ، وجلا ثلاثيات الربيع وكيف أن أحاديثها في مسنده من أسحها رواية وأعلاها سنداً ، وقد ترجم لرجال هذا المسند : أبي عبيدة التميمي وجابر بن زيد الأزدي والبحر عبد الله بن عباس . وجابر هذا هو — كما تعلمون — أصل المذهب الاباضي في عمان والعرب ومن أصحاب عبد الله بن عباس .

وكأن التوخي كان يخشى أن 'يرمى' بنصرة المذهب الاباضي — وهو المجاهر بسنيته المعتز بها — ، فقال في مقدمة الكتاب : وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما مارواه الشيخان ، إلا لتطمئن قلوب اخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بُني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره ، ليكلاً يقع الناظر في هذا الكتاب فيما وقع

فيه خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة .

أما تحقيق التنوخي لهذا الجامع الصحيح فيدل على تمكن من علم الحديث قل في عصرنا من يضارعونه فيه ، فهو يقابل ما جاء فيه بكتب أهل السنة ويشرح وينقد ويترجم للرواة يعدل ويحرج ، وقد يعدل إلى شيء من المربة يمينه على إيضاح الغامض وتقويم المناد .

ومن الطريف أن آخر تعليقة للتنوخي في هذا الجزء من الكتاب عادت به إلى ما اعتاده رفاقه وطلابه منه حين كانوا يسمعون أحاديثه الطلة الحلوة ، وأستمحكم العذر في تلاوة هذه التعليقة الأخيرة عليكم لصلة ما فيها بعض أعمال بحكمكم ، ولتصورها جانباً من جوانب العز التنوخي رحمه الله . فقد جاء في تعليقه على شرح الحديث الشريف : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » :

« يقول الشارح : نكثره (نكثراً علماً في قوله : يلتمس فيه علماً) ليندرج فيه القليل والكثير ؛ فيضيف التنوخي : كما نكثر العلم في قوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ليكون شاملاً لجميع العلوم النافعة ، فليس مقصوراً على الفقه والنحو والصرف وحدها ، بل يطلق أيضاً على العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وعلم الحيدل (الميكانيك) وعلى كل علم يقوى به المسلمون والعرب ويمينهم على اختراع الأسلحة الحديثة الذرية التي يقاتلون بها الأعداء من المستعمرين ، ويدافعون بها عن حوزة الوطن والدين ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ صدق الله ؛ لا يستوي عالم وجاهل ولا دارع عالم وأعزل غافل ؛ ولو أن شاعرنا العربي الشداخ عاش في عصر العرب المسلمين هذا لقال :

أَبَيْنَا فلا نعطي السلاطينَ طاعةً ومستعمرأ إلا الصُّرُوخَ المضرِّما
ولا ننتفي هذا الحسام مجرّداً ولا نرتضي ذاك الوشيح المقومما

ثم يضيف التنوخي المجمعي : الصُّرُوخَ وزن فعول هو الصاروخ الذي
يصعد بتضريم النار إلى السماء ، ويتا الشدّاخ بن عوف الكثاني ها :

أَبَيْنَا فلا نعطي مليكاً ظلامه ولا سوقه إلا الوشيح المقومما
وإلا حساماً يبرقُ العينَ لَمُحْه كصاعقةٍ في غيثِ مزنٍ تركبها .

هذا ولا أعلم أن للتنوخي كتباً أخرى نشرها في الحديث النبوي ،
ولكنه كان في أواخر أيامه مضيئاً بكتاب (الدلائل في غريب الحديث)
لقاسم بن ثابت السرقسطي ، فقد عرف به في مجلة الجمع في مطلع العام
١٩٦٦ م في مقالة ضافية جميلة ، واشتغل بتحقيق الكتاب ، ولكن وافاه
الأجل قبل الفراغ منه . وقد عزم الجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

وصفوة القول كان التنوخي حافظاً للكثير من الأحاديث النبوية ، واقفاً
على معانيها المستفادة منها عارفاً بمطائنها ورواتها قادراً على تخطئها وتبين
صحيحها من موضوعها .

وهذا جانب آخر يدل على فضل الفقيه واتساع آفاق علمه .

★ ★ ★

وبعد فما يجمّل بي أن أجتزئ بالإلماع إلى آثار التنوخي وأغفل الحديث
عن صاحب هذه الآثار ، ولكن استيفاء هذا الحديث يشغل من وقتكم
فوق ما يتسع له صدركم ، فاسمحوا لي أيها السادة بأن أقصر على كلمات قليلات
أقولها في التنوخي المجدد والتنوخي الشاعر والتنوخي اللغوي .

★ ★ ★

عرف الأكترون من رجالاتنا في فاتحة عصرنا هذا بالمحافظة والوقوف عند ما وقف عنده المتقدمون فهم لا يميلون للتجديد إلا بقدر، ولا يرضون من الإصلاح إلا بما تشتد الحاجة إليه؛ ولئن غلبت نزعة التجديد — ولو إلى حد — عند بعض رجال السياسة والفلسفة والاجتماع والثقافة والفكر والأدب، فإن نزعة التجديد هذه كانت تطرق على استحياء وخفر أبواب اللغويين ولا تلجها إلا بحذر وزدد، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. وكانت دواعي الإصلاح والتجديد في بادئ الأمر وافرة غزيرة، ولكن عوامل البيئة المحافظة، وغلبة الثقافة التقليدية، والخشية من التردّي في موامي المنبت كانت تدعو إلى القصد في التجديد والتغيير، ومن أجل ذلك كانت صدور رجال اللغة مثلاً تخرج بتقبل الدخيل والنوليد، وتحجم عن مجازاة ما استنّه أبناء اللغات الأخرى في المستحدث من الألفاظ للدلالة على المستجد من المعاني. وتفسير ذلك عندي أن الأمة العربية كانت في مطلع هذا القرن في معركة حياة أو موت، وأن مقومات النصر في هذه المعركة لضمان بقاء الأمة كادت تنحصر يومئذ في الحفاظ على اللغة، فزوال اللغة مؤذن بزوال الأمة، وبقاء أبنائها يبقاء لغتهم، فكانت صدور علمائنا تضيق بالنوليد والدخيل وتود الرجوع إلى المأثور الأصيل. فلما اطمأنت الأمة إلى وجودها وبقائها (أو لما خيل لها ذلك) اتسمت صدور علمائنا، فرضوا بتسفية أبواب اللغة وباجتهاد فيها، وغدا علماءنا أقلّ زمناً وتصلباً، وأصبحوا أميل إلى التيسير والتجديد، وقد يختلفون في تعيين الحد الذي ينبغي لهم أن يقفوا عنده، وقد يغلو أحدهم فيجاوزه بأشواط أو يتصلب بعضهم فلا يبلغه إلا من بعد، ومرد ذلك اختلافهم في التقدير وتباعد نظرتهم في الأصلح والأمثل.

وبروعنا أن نجد التنوخي — وقد ولد في القرن الماضي ونشأ نشأة ازهرية في بيئة دينية وتكوّنت ثقافته وتقسيته في هذه الفترة الأولى — يروّعنا أن

نجمه ، عمره كله ، منادياً بالتجديد ، راضياً به ، داعياً له ، ما أعانته عليه إعداداته الفكرية وتفتحته الذهنية وتقديره الشخصي ، فهو يقول مثلاً في واحد من أوائل كتبه وقد نشره في العراق عام ١٩٢٧ :

« وما زالت هذه الصناعة (صناعة الإنشاء) تتبع في تهذيبها وترقيتها سير العلوم وتكامل الصنائع حتى أوشكت أن تبلغ بين الفرنجة تمامها ، ونحن لم نزل على تركة أسلافنا جامدين ، وسادّين أبواب الاجتهاد في الفقه بأنواعه : فقه اللغة وفقه البيان والتبيين وفقه الآداب الرفيعة وفقه الصنائع المفيدة وفقه السلم وفقه الحياة بمخاديفها أي فقه الدين والدنيا معاً . »

ويقول في مقدمة كتاب آخر أصدره بعد أكثر من ثلاثين سنة :

« ولو توقّر لسلفنا الصالح من وسائل دراسة الأصوات السمعية والآلية وعلم أمراض الكلام والاطلاع على اللغات السامية ومقارنة اللغات القديمة والحديثة كما توفرت لفقهاء اللغة في ديار الغرب في هذا العصر ، لرأينا من حلّ مشكلات الابدال واستبطان أمرار لغتنا العربية ما هو مقطع الصواب . »

ويقول في موضع آخر (مقدمة الابدال) :

« ثم ماذا كان علينا لو اتفمنا بأبحاث علماء التجويد الحديث Phonologie من الغربيين ، بعد أن نضجت على نار الاختبار مباحثهم الصوتية ... إن أساتذة اللغة المحدثين الذين كتب لهم الاطلاع على الباحث الصوتية الحديثة ودرسوا علم الأصوات اللغوية وتطور الأصوات في اللهجات العربية القديمة والحديثة ثم تابعوا سير الدراسات اللغوية في ديار الغرب وتطور أصوات الصبيان في مراحل النمو أو درسوا علم أمراض الكلام ، وأبحاث آفات اللثغات وأسباب حدوثها وطرق معالجتها هم لعمري أصدق نظراً في أحوال الابدال وأصح أحكاماً على نظائره وأقوى على حلّ مشاكله

وامتبطان دخائله ممن لم يطلع على غير فن التجويد أو بحث الفصاحة من كتب البلاغة أو آراء ابن جني وأتباعه وغيرها

ويقول في مقدمة كتاب آخر (مقدمة الإتياع) :

« ولقد آن لنا أن ندرس لفتنا المامية دراسة علمية . . »

كما يقول في مقدمة (الايضاح) :

« إن البلاغة العربية التي تشمل على هذه الفنون الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) إنما تبحث عن الجملة والصورة وهما شطر من الأسلوب الذي أغفلته بلاغتنا . والأسلوب لا تخلد الكتابة ولنة الأمة إلا به ، ولم تبحث معه عن الفكرة والعاطفة والخيال وعن قواها وأنواعها ، ولئن كانت الجملة والصورة قوام جسم البلاغة فالفكرة والعاطفة والخيال روح ذلك الجسم السوي الجميل ، والتعبير المستوفي لشرائط الحسن إذا ما خلا من روحه أشبه المثال الذي استوفى نحتة شرائط الإتقان ولكنه يظل معها جامداً بارداً لفقده الروح والحياة .

ثم إن لهذه الفنون أو الفصول الثلاثة من البلاغة أنواعاً أدبية أخرى Les genres littéraires لها بها اتصال وثيق ، وبجملتها يتم بيان الإنسان كالوصف والخطابة والقصة والرسالة والبحث والمناظرة ، فلها بلاغات فنية خاصة ، وعسى أن نوفق يوماً لإتمام البحث عنها في رسائل أو كتب مستقلة تدل طالب البلاغة الإنسانية على أصولها وأساليبها وشرائط الإتقان والإحسان فيها . »

والتوخي في كتابه (إحياء العروض) يشير الى النزعات الانتقادية في العروض وغلبة سلطان التقليد وتحكمه في أصحاب هذا العلم ، وينمى عليهم موادعتهم له ورضاهم به ، كما يجاهر بإنكاره على الجامدين جمودهم ويقول :

« وال علماء الاتباعيون لا يعدون ما استحدثته الحاجة من فروع العلم علماً ،
ولذلك لا يعتبرون ما استحدثته الأندلسيون من الموشحات شعراً ، على أنها
أرق فنون الشعر العربي ، ومن أقوى الدلائل على حيويته وخلوده بتطوره ؛
وأمتنا العربية اليوم في حاجة حاقّة إلى هذه الأوزان الموسيقية ... »
هذه النية الحسنة في التماس الإصلاح ، وهذه الدعوة الصريحة إليه
هل وليّتها عند التنوخي جرأة على العمل تعدل الجرأة على القول ، هل
حاول التنوخي أن يلج باب الاجتهاد والتجديد في فقه الدين والدنيا كما دعا
أكثر من مرة ؟

الحق أنه حاول التجديد والإصلاح ، وحاوله صادقاً ، ولكن البيئة
والنشأة والتربية كبحت جماحه وكبّلت يده وحبّست قدمه ، فلم يقوَ على
السير إلى غاية الأمد وقنع ببلوغ القليل مما كان يدعو إليه . فهو في تجديده
المروض مثلاً لا يزيد على تغيير ترتيب بحور الشعر ، فيبدأ العروض بالمتدارك
والتقارب ثم المزج والوافر .. وهكذا دواليك حتى ينتهي بالمنسرح ؛ وهو
يثبت دوائر البحور ولكنه يذكر أقوال من تقدما . وقد يورد في الحين
بعد الحين (الملاحظات) و (نظرات) ترجّح رأي ابن الحاجب أو الزجاج
أو الزمخشري على آراء آخرين من أقرانهم ، أو يجلو قرابة الخفيف والمديد
إلى الرمل ، أو المجتث إلى البسيط ، أو المضارع إلى التقارب . وقد
يستشهد بما اختاره من شعر المحدثين ولكنه لا يمضي في الشوط إلى أبعد
من ذلك ، فلا يحاول مثلاً وضع علم جديد للعروض لا يقوم على أسس
الخليل ولكن على أسس من الدراسات الموسيقية والصوتية التي تيسرت لنا
اليوم ، ولا يدلي برأيه في هذا التحلل من الوزن الذي عاذ به الناشئون
من شعرائنا ، ولا يصرفهم عن هذا الذي يسمى (بالشعر الحر) بوضع
ما يرضيهم من قواعد طريفة مستحدثة سليمة مقبولة .

ويعاود التنوخي التجديد في علوم البلاغة (الممانى والبيان والبديع) فيقنع بأن قلب ترتيبها المأثور المؤلف فيقدم علم البديع ثم يثنى بالبيان ويحتم بالممانى ، ويضيف إلى شواهد (الايضاح) تمرينات اختارها مما حفظ أو مما نظم ؛ أما إنجاز ما وعد به من التأليف في (البلاغات الفنية) وأساليب إتقانها فلم يقيض له الوفاء به .

والتنوخي يدعو إلى دراسة اللغة العامية دراسة علمية ، وهي دعوة جريئة لا يزال الكثيرون يُصمتون آذانهم دونها ، ويرمون دعايتها بنجث النية وسوء الطوية ، كما يدعو التنوخي إلى الانتفاع بما جاء به علماء الصوت ومقارنة الألسن لتجديد البحث في العربية ، ولكنه في هذا المجال لا ينطلق بيسداً ، ولا يزيد على شرح بعض الفصح بما يقابلها من العامية ، أو مضاربة الألفاظ الدارجة بالألفاظ الصحيحة ، ثم يقف عند هذا لا يعدوه .

والحق أن التنوخي كان فيما يدعو إليه من التجديد حذراً - متأنياً ، وكان فيما يأخذ به منه أكثر حذراً وحيطه ، لم يكن يصدر في هذا الحذر والحيطه عن مصانعة أو مداواة ، وإنما كان يخشى استبهاام المحجة وخفاء نهاية المطاف . وتخيّر ألف مرة أن نسير الهوينى ولكن على بصيرة ويقين من أن نلقي بأنفسنا في مجاهل لانعرف صيورتنا فيها .



إلى جانب التنوخي المجدد يمكن أن يقال كلمة في التنوخي الشاعر . وقد أدرك أبناء جيلنا أباقيس يعلو النابر وبلقي الشعر بصوته الجمهوري الرفيع ، وقرأ الكثيرون شيئاً من النظم الذي كان يطالع به الناس بين الحين والحين . ولكني لا أعلم أن شعره جمع في ديوان برأسه . وقد يجد المتبّع لآثار فقيدنا في الصحف والمجلات والكتب شعره على خريين : مقطعات

وقصائد ، أما المقطعات القصيرة فتهاز بسلاسة أسلوبها وجمال نكتها وخفتها على اللسان وعلوقها بالحفظ ، فمن ذلك قوله وقد تقل مقر عمله إلى دمشق من السويداء بعد أن ضاق ذرعاً بمقامه فيها :

الحمد لله الذي أنقذني ولم أصب
وردني بلدي (وسلي بلا عنب)

ومثال ذلك ما كان يكتبه أو ينشده لإخوانه أو يرتجله لمناسبة عرضت أو نكتة حضرت . وكثيراً ما كان ينثر بعض المقطعات في كتبه ولا سيما في أجزاء تهذيب (الإيضاح) و (إحياء العروض) ، فهو يؤلف مقطعة لكل من ضروب الوجوه البديعية والبيانة والأعاريض والأضرب الشعرية . وإلى جانب هذه المقطعات القصيرة قصائد يحرص التتوخي فيها على قوة الحوك وشدة السبك ومتانة الأسر وسمو الغرض . ومثال هذه القصائد ما قاله إبان الثورة السورية عام ١٩٢٥ وقد قذف المستعمر المدن والقرى بقنابله المحرقة الفاتكة وقتل الرجال وسبي النساء ومثل بالأطفال :

قف في المنازل نادياً أطلالها ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تعد تصف الجميلة الوري وجمالها
النار تظمرها المشية وابلاً والعلج وبل العلج جاس خلالها
يارب آمنة هناك بسرهما تندو لتصلح دارها وعيالها
برزت تصيح وشعرها متفرق سترت به حذر العيون جمالها
وهناك نائحة تنوح لبعليها السناوي وتندب بعده أطفالها
الله للأطفال كيف غدت لقي صرعى القنابر بشرت أوصالها
تشجيك أيدي صية بئرت وأر جلها ثرن يمينها وشمالها

والتنوخي قصائد وطنية واجتماعية كثيرة كقصيدته التي قالها في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩٤٥ يستنهض الهمم لجهاد الناصب والمحتل ، أو قصيدته في العيد الألفي للمنتي . على أن من أجمل شعره ما كان ينشده في الإشادة باللروز بني عمه ، ومن ذلك قوله :

سل الوغى عن تنوخ فهي تعرفهم من كل أروع في الهيجاء مشهود
تسلسل الملك فيهم قبل ذي يزن إلى المناذرة الفرّ الأماجيد
أهل السدير وأصحاب الخورنق والـ خيل السوابق والمهريّة القود
أبناءؤم في ذرى لبنان تملكهم صباة بالعلى لا الخردّ القيد
ولم تزل بحمى الفيحاء هابطة بقية السيف منهم والصناديد
عصاة لو رأى حسان طلعتهم لقال قول امرئ بالحق مهور
هذي وجوههم هذي أنوفهم الأبيض والشمّ ما شي بمفقود



جانب آخر من جوانب حياة التنوخي الخصب : انتوخي اللغوي . وقد يمفّي الزمن على تصانيف فقيدنا في الأدب والشعر والنقد ، وقد تنكر الأجيال القادمة لصنيعه في مضامير البلاغة والحديث والعلوم ، ولكن مستنقضي أعوام وأعوام قبل أن تنسى آثار التنوخي في ميدان اللغة .

لقد أحب علامتنا لغته وافتن بها وسمى في إحيائها منذ صباه إلى يوم لقي وجه ربه ، حافظ على تراثنا اللغوي وحقق منه ما استطاع وعلق عليه ونشره نشرًا علميًا ، ودعا إلى التآزر في بعثه وحثّ على التكاثر في الإفادة منه ، ثم حاول جاهداً أن يجبّب العربية إلى الناشئة فعمل على تقريبها إلى أفهامهم وتيسيرها على أقلامهم وترويض ألسنتهم بها ، وحضّ على اصطناعها في الدار

والمدرسة في الجامع والمجتمع في الجدد واللاهوت في السراء والضراء، وكان القدوة الصالحة لهم في هذا كله .

وقد أعانه على ذلك حافظة واعية وذوق مرهف واطلاع واسع وصبر على الدرس لم يؤتته غيره ، وقد راغني عندما كنت في الظاهرية أن التتوخي أشار بخط يده على المخطوطات التي قرأ فوجدتها تتجاوز المئين عدداً وأكثرها عسير القراءة عدا الزمان على ورقه وخطه وحمل قارئه عناءً وعناء لا يحتمله إلا أولو العزم من عشاق العربية المخلصين لها ولأبنائها .

وقد وضع التتوخي لأبناء هذا العصر الكثير من المصطلحات الجديدة شاع بعضها وذاع ، والتزمه الناس في دنيا المروبة كلها قاصيها ودانيها . نظر يوماً في الدراجة وأحصى أسماء أجزائها بالفرنسية ثم وضع لكل من هذه الأجزاء كلمة عربية سائغة ونشرها في مجلة دمشقية وعاش بعض هذه المصطلحات وتناقلها الناس ونسوا من وضعها لهم .

وقبل ذلك عندما كان في العراق وترجم كتاب (فرنان ماير) عرب كلمة Physique بـ (فيزياء) كما صنع أسلافنا عندما وضعوا كلمة (كيمياء) على وزن سيمياء ، وهي - كما يقول التتوخي - أدق علمياً من كلمة (الطبيعة) التي تشمل علوم الأرض والسما ، وأخص من (الحكمة) أو (الفلسفة الطبيعية) . وقد انتشرت كلمة (الفيزياء) على ألسنة الناطقين بالضاد في الشرق والمغرب .

وقد شارك أبوقيس في لجنة كان على رأسها الأستاذ المرحوم الأمير مصطفى الشهابي كلفت ترجمة المصطلحات العسكرية بمصطلحات عربية سائغة ، فقامت اللجنة خير قيام بما وكل إليها ، وأخرجت للناس معجمين اثنين قيّمين تستأنس بهما اليوم جميع الجيوش العربية وترضى أكثر ما وضعته التتوخي وصحبه من مصطلحات .

وقد وضع المجمع - والتنوخي من أوائل أعضائه - في مطلع تأسيسه مصطلحات كثيرات فصيحات عرفناها وألفناها اليوم ، ولولا التنوخي ورفاقه لكانت ألسنتنا ترطُن - في أغلب الظن - بما جرى على ألسنة آبائنا منها كالجرنال والكزيطه والدركنار واستاتيسيتق وراپور وبول وقوجان وماصه وقاصه وقومسيون ودوسيه وغيرها وغيرها .

كان التنوخي رحمه الله يحرص على ألاّ تستبدل العربية الخبيث الأعجمي بالطيب من كلها أو صيغها ، وقد كرر الدعوة في آخر مقالة كتبها قيل وفاته إلى تغليب (تلفاز) على (تلفزيون) إذ أن إقحام أمثال هذه الكلمة بصيغتها الأعجمية سيضعف شأن اللغة ويدخل الضيم على شخصيتها وعبقريتها وسيمحو خصائصها التي انفردت بها ورُكبت عليها .

وقد وضع التنوخي ألفاظاً كثيرة رشيقة البنية صحيحة التركيب خفيفة على اللسان ، ولكن لم يتح لكلها الذبوع ، فقد اقترح مثلاً (المكيني) لما نعبّر عنه اليوم بـ (اليكانيكي) فلم تشع وإن كنا نحار اليوم في التعبير عن معناها ، ووضع كلمة (الأصولي) ترجمة لـ (كلاسيكي) و (مكفل) لـ (بانسيون) ومصطلحات أخرى كثيرة .

ولم يقنع التنوخي باللفظ الفصيح الصحيح يستعمله ويدعو إليه ، وإنما كان ينشر أيضاً الأسلوب الأصيل القويم ، ويدلّ على ما نترّب إلى آثار كتاب عصره من تراكيب قد تكون مفرداتها - متفرقة - سليمة قوية ، ولكنها في مجموعها وتأليفها ضعيفة سقيمة ، كقولهم : رحنا صباحاً .. وفصيحتها غدونا صباحاً ، أو : فمابه الأستاذ على كسله ، وصحيحها : فماب الأستاذ كسله ... والتنوخي في هذا يجاوز دائرة العالم اللغوي إلى حيز البياني البلاغي فيقول مع صاحب (النمل السار) : إن أسرار الفصاحة

لا تؤخذ من علماء العربية ، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو صرفية أو نقل كلمة لقوية وما هو من هذا الجرى ، أما أسرار الفصاحة والعلم بالموسيقى اللغوي فلها قوم مخصوصون بها .

وبعد فمراد القول في التنوخي رجب فسيح ، ولكن صبركم على حديثي لن يتسع لأكثر مما قدّمت ، فلا تجزئ به ولا توجه في الختام بالحمد وأصدقيه وأصفاه ، والشكر أوفره وأوفاه ، إليكم وإلى الزميل الكريم الدكتور عدنان الخطيب فقد أسبغ عليّ من الثناء حلة زاهية لا تليق إلا بفضله ، وفوقها بألوان زاهية أخذها من كريم نبله ، ولعلّي أبلغ في مقبل الأيام بعض ما شام فيّ من كفاية وما توسم من اجتهاد .

« ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين . »

والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الرهادي هاشم

٦٩/٤/٢٤



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

مقدمة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

— ٤ —

ع ز ب عَزَبَ : غَابَ ، وَأَعَزَبَ : بَعُدَ ، وَعَزَبَ بِمَا شِئَتْهُ : بَعُدَ
بِهَا يَتَّبِعُ مَسَاقَطَ النِّيثِ . الْعَازِبُ مِنْ الْكَلَا : الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ
وَأَرْضٌ عَزُوبَةٌ : بِحَرَاءٍ قَلِيلَةِ الْكَلَا .

ع ص ب الْعَسْبُ : مَاءُ الْفَحْلِ .
الْمَسْقَبَةُ : جُودُ الْمَيْنِ فِي وَقْتِ الْبُكَاءِ .
عَسَنْبَتُ الْمَاءِ : ثَوْرَتُهُ .

ع ش ب الْعُشْبُ : الْكَلَا الرُّطْبُ .
وَعَشِيبَ الْخُبْرِ : يَبِيسَ .

ع ص ب الْعَصْبُ : شِدَّةُ قَحْذِي الثَّاقَةِ لِتَدْرِءَ اللَّبْنَ كَالْعِصَابِ ،
وَنَاقَةُ عَصُوبٍ : لَا تَدْرِءُ إِلَّا بِالْعَصْبِ .

وَالْمَصْبُ : جَفَافُ الرِّيقِ ، وَعَصَبُ الْمَاءِ : لَزِمُهُ .
وَالْمَعْصُوبُ : الْجَانِعُ الَّذِي كَانَتْ أَمَاؤُهُ تَيَبَسُ جَوْعاً .

ع ط ب العوّطَبُ : لُجَّةُ البحر ، أو أعمق موضع فيه ، أو المطمئن بين الموجتين .

ع ظ ب عَظَبَ الجلد إذا يَبَسَ .

ع ق ب العُقْبُ : ثَوْبُ الوَارِدَةِ ، ترد قطعة فتشرب فإذا وردت قطعة بعدها فشربت فذلك عَقْبَتُهَا ، والعِواقِبُ الإبلُ تشرب الماء ثم تعود إلى المَعطِن ثم إلى الماء .

وَأَعْقَبَ مستعيرُ القيدر : ردّها وفيها العُقْبَةُ ، وهي مَرَقَةٌ تَرَدُّ في القيدر .

العُقَابُ : مسيلُ الماء إلى الحوض ، والحَجَرُ يقوم عليه السَّاقِي ، وحَجَرُ نَاقِيٍّ في جوف البئر ، والرجلُ الذي ينزل في البئر فيرقعها يسمى المُعَقِّبُ .

انتعاقب الورْدُ مرّةً بعد مرّة .

ع ك ب عَكَبَتِ القيدرُ : ثار عُكَابُهَا . والعُكَابُ : البُخَارُ وشدةُ الغليان .

ع ل ب عَلِبَ النباتُ : جَسَأَ (أي صَلَبَ) . واستعلبت الماشيةُ البَقْلَ : أَجْمَتْهُ واستغلظتْهُ إذا ذَوِيَ .

عَلَبَ : غَلِظَ وصلب ولم يكن رخصاً . والمكان العَلِبُ : الغليظ من الأرض الذي لو مطر بهراً لم يثبت خضراء . والعَلَبُ : الصَّلابةُ والشدةُ والجُسوءُ .

العَلْبَةُ : مَحْلَبٌ من جلد أو خشب يحلب فيه ؛ أو هي جِلْدَةٌ تُوْخَذُ من جَنْبِ جِلْدِ البعير إذا سُلِخَ ، يُمَلِّقُهَا الرَّاعِي أو الرَّاكِبُ فيَحْلُبُ فيها أو يَشْرَبُ بها .

عَلِيَّةٌ : مُوَيْهَةٌ في بلاد أسد .

- ع ن ب المُنْبَبُ : كَثْرَةُ الماء ، ومن السَّيْل : مُقَدَّمُهُ .
 المُنَابَة : ماء في ديار بني كلاب .
 عَشْكَبُ : ماء بأَجْلٍ لبني قَرِير بن عُنَيْن .
- ع ي ب عَابَ السِّقَاءُ : خَشِرَ مَا فِيهِ مِنَ اللَّبَن . والعَائِبُ : الْخَائِر .
 غ ب ب غَبَّ : شَرِبَ غَيْبًا كَالغُبُوب . والغَيْبُ : وَرْدُ يَوْمٍ وَظِيمٌ آخِر .
- الغُبُ : الضَّارِبُ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى يُجْعِنَ فِي الْأَرْض .
 الغَيْيَةُ : الرَّائِبُ مِنَ اللَّبَن .
 الْمُغْيَبَةُ : الشَّاةُ تَحْلَبُ يَوْمًا وَتَتْرَكَ يَوْمًا .
 وَمِيَاهُ أَغْيَابُ : بَعِيدَةٌ . يُقَالُ مَاءٌ غَبٌّ أَيْ بَعِيدٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ :
 غَبُّ السَّلَامِ .
- الغَيْبُ : السَّيْلُ الصَّغِيرُ الضَّيِّقُ .
 غَثْلَبَ الْمَاءُ إِذَا جَرَعَهُ جَرَعًا شَدِيدًا .
- غ و ب الْغَرَبُ : الرَّائِيَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ ، وَالذَّلَوُ الْعَظِيمَةُ ،
 وَمَسِيلُ الدَّمْعِ ، وَكَثْرَةُ الرِّيقِ ، وَيَوْمُ السَّقْيِ ، وَأَعْلَى الْمَاءِ
 أَوْ هُوَ الْمَاءُ نَفْسَهُ الَّذِي يَقَطُرُ مِنَ الذَّلَوِ بَيْنَ الْبَثْرِ وَالْحَوْضِ ،
 وَغَوَارِبُ الْمَاءِ أَعَالِيهِ أَوْ أَعَالِي مَوْجِهِ .
 أَغْرَبَ الْحَوْضَ وَالْإِنَاءَ : مَلَأَهُمَا .
- غ ر ب غَرَبُ : اسْمُ جَبَلٍ أَوْ اسْمُ مَاءٍ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ غَرَبَةٌ .
 غ س ب غَسَنَبَ الْمَاءُ : ثَوَّرَهُ وَهَيَّجَهُ .
- غ ض ب مَكَانٌ غَضْرَبٌ وَغَضَارِبُ : خَصْبٌ ، كَثِيرُ النَّبْتِ وَالْمَاءِ .
- غ ي ب الْغِيَابَةُ فِي الْأَصْلِ : قَعْرُ الْبَثْرِ ، ثُمَّ نَقِلَتْ لِكُلِّ غَامِضٍ خَفِيٍّ .

ق أ ب قأب الماء : شَرِبَهُ ، أو أَكْرَمَ من شَرِبَهُ أو عَمَلًا منه .
ورجلٌ قَوُوبٌ : كثيرُ الشُّرْبِ .
إناءٌ قَوُوبٌ : كثيرُ الأخذِ للماءِ .

ق ب ب قَبُّ الثُّبْتُ يَبِسُ . وَقَبْتُ الرُّطْبَةَ : جَفَّتْ .
القَابَةُ : القَطْرَةُ من المَطَرِ .

ق و ب قَرِبَ وَقَرَبَ وَأَقْرَبَ : سارَ إلى الماءِ أو كانَ بينَهُ وبينَ الماءِ
ليلةً . والقَرَبُ : طلبُ الماءِ ليلًا ، أو أنْ لا يكونَ بينَكَ وبينَ
الماءِ إلاَّ ليلةً ، أو هو اللَّيْلَةُ التي تَرُدُّ في صِيحَتِها الماءَ .
القَارِبُ : طالبُ الماءِ ليلًا ، أو طالبُ الماءِ . والحمارُ القاربُ الذي
يَقْرَبُ القَرَبَ ، أي : يُعَجِّلُ ليلةَ الوُرُودِ ، ومنه
السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ .

قَرَبَ : طَلَبَ ، والأصلُ فيه طلبُ الماءِ ، ثم اتَّسَعَ فيه ،
فَقِيلَ فيه : فلانٌ يَقْرُبُ حاجَتَهُ ، أي يطلبُها . والقَرَبَانُ :
ما يَتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى ، أي يطلبون القُرْبَ منه بها .
القَرَبُ : اليَثَرُ القَرِيبُ الماءِ .

القِرَابُ : الدُّلُوعُ قاربٌ أنْ يَمْتَلِئَ ؛ وإناءٌ قَرَبَانٌ : قاربُ الامتلاءِ .
وأقْرَبْتُ القَدَحَ : إذا قاربَ أنْ يَمْتَلِئَ .
القَوْرَبُ : الماءُ لا يُطَاقُ كَثْرَةً . وظهرتْ قَرَبَاتُ الماءِ ،
أي : تَبَاشِيرُهُ .

قُرْبِي : ماءٌ قُرْبُ تَبَالَةٍ .

(يتبع)

عبدنا الخليل



الرُّبَاعِيَّاتُ وَالْمَثْنِيَّاتُ

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارعة رأياً الأستاذ الدكتور المحقق عمر موسى باشا عنوانه « الرباعيات أو الدوبيتات » استدرك به على الأستاذ الدكتور المحقق علي جواد الطاهري في هذا الفن من فنون النظم وتسميته ، وقد رأيت فيه بعض النقصان في البحث فوددت إتمامه :

إن « دوبيت » اسم مركب من كلمتين فارسية هي « دو » بمعنى اثنين ، و « ديت » العربية ، فمعناه « ديتان » فتسمية الدوبيت « الرباعية » أو « الرباعي » ، وإن كانت شائعة متداولة ، مخالفة للمعنى الأصلي الفارسي وموافقة للاصطلاح الذي شاع في دنيا العرب الأدبية ، لأنها استندت إلى « الأشطر الأربعة » لا إلى البيتين ، ولا مُشاحَّة في الاصطلاح .

والظاهر لي أن الرباعية لم تكن تسمى دائماً في فنون العرب النظامية هذه التسمية بل كانت تسمى أيضاً « المثناة » وتجمع على « المثنيات » وهي التسمية الأصلية الحقيقية ، قال الجوهري في ثنى من الصحاح : « وفي الحديث : من أشرط الساعة أن توضع الأخيار » وترفع الأثرار وأن تُقرأ المثناة على رؤوس الناس فلا تُغيَّر . يُقال هي التي تُسمى بالفارسية (دوبيتي) وهو الفناء . قال (١) أبو عبيد يذهب في تأويله إلى غير هذا . وورد في مختار الصحاح قول مؤلفه : « قلت : ذكر في التهذيب أن الحديث

(١) هكذا ورد الفعل في طبعة بلاد العجم وهو تصحيف « كان » بدلالة ما ورد في طبعة أخرى ومختار الصحاح .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - وفُسرَ لما سُئل عنه بما استُكتب من غير كتاب الله تعالى ، وقال أبو عبيدة : قيل إن الأحبار والرهبان بعد موسى - عليه السلام - وضُموا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تعالى فهو المثناة (١) ، فكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - كره الأخذ عن أهل الكتاب ولم يُرد به النهي عن حديث رسول الله - ﷺ - وسنته ، وكيف ينهى عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه ، ؟ ! وجاء في الفائق للزنجشري « ابن عمر - رضي الله تعالى عنها - من أنراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ (المثناة) (١) على رؤوس الناس لا تغيّر . قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استُكتب من غير كتاب الله . قيل : هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على ما أرادوا من غير كتاب الله الذي أنزل عليهم أحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا ما شاءوا على خلاف الكتاب وقد وقعت إلى ابن عمر كتب يوم اليرموك فقال ذلك لمرفقه بما فيها (٢) . وذكر المبارك بن الأثير مثل ما ذكر الزنجشري » وذلك في النهاية وأضاف إليه ما أثر الجوهري في الصحاح من كون « المثناة » الدويّتي وهو الغناء .

والذي يهتّمنا من هذه الأخبار في هذا البحث حاقّ الإهام هو أن « المثناة » الدالة على الاثنين « تقابل » الدويّتي ، أي اليتين ، وأنها كانت تُنقّش

(١) الصحيح أنها « المثنة أو المثناة » بالعين الدجمة وأشهرها « مثنة يهودا بن شمعون الثاني أو الناسي » ١٣٥ - ٢٢٠ م ، وهي جمهرة تفاسير التوراة في الزراعة والأعياد والزواج والطلاق والجنائيات وللعاملات والعقوبات والقدسات وغيرها من رحلة بنيامين (ص ٧٣) وغيرها . وهي الآن تقرأ على رؤوس الناس بقيام دولة إسرائيل كما جاء في الحديث ، فهل ظهرت أسراط الساعة ؟

(٢) الفائق ١ : ١٥٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٤ = ١٩٤٥ .

ولشيوخ الغناء بها سميت « غناء » ، أما حقيقة الاسم اللغوية فلا تفيد الغناء البتة ، و « الدوييتي » تصحّف في لغة العامة إلى « الذوييت » ، بالذال المعجمة ، قال المحي : « وقد اشتهر بأعجام داله وهو تصحيف وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف كالمواليات وأعرج بثلاث قواف ومردوف بأربع أيضاً وكله على وزن واحد (١) . والدوييتي أو الذوييت أو الذوييت القديم لا يزال يُغنى عند عوام العراق الجنوبيين ، وقد اعتراه القلب المكاني بعد التصحيف ، فصار الذوييت إلى « البوذيت » ، ثم صار « البوذيت » بتشديد الياء ومنهم من يسميه « الأبوذيت » وقد حارت الظنون واختلفت في أصلها ، وهو ما اهتديت إليه ، ولا يصح الالتفات إلى غير هذه الحقيقة ، من مختلقات الأوهام ، و « البوذيت » من وزن الوافر « مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ » ولحنها مُحْزَن يشبه البكاء ، وتحتوي على التثنية أو النسيب أو آلام النوى والفراق ، وما أشبه ذلك ، وأقبح الأمور عندنا التغني بها في الأفراح .

وقد اخترع الفرس دوييتاً جديداً على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » ومن أربعة مصاريع أيضاً ، وهو الذوييت الذي شاع في أوائل القرن السادس للهجرة أو أواخر القرن الخامس في دنيا العرب الأديبة ، وذكره الرجوة له الرحمة الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه في تاريخ أدب العرب (٢) ، وبعد أن فر اسمه المركب قال : « وقد أخذته أدباء العرب عن الفرس ويعرف عندهم بالرباعي واختصّ بالاجادة فيه بعض شعرائهم كعمر الخيام ... ولا نعرف أول من استعمل هذا النظم في العريضة ولكن نشأته كانت في بغداد ... ونحن نرجّح أنّ هذا النوع لم يكن في

(١) خلاصة الأثر « ٢ : ٢٥١ طبعه القسطنطينية سنة ١٢٩١ » .

(٢) تاريخ آداب العرب « ٣ : ١٧٢ طبعه مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ » .

العريئة قبل القرن السابع لأننا لم نجد في شعر أحد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا إشارة إليه ، ولم نجد للشعراء ولماً به إلا في أواخر تلك المائة وما بعدها ، والرباعي يُعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية لأن أول من وضعه أبو سعيد بن الخير المتوفى سنة ٤٦٥ وبعضهم يقول إنه كان موجوداً قبل ذلك ولا يرجع اختراعه إلى تاريخ معين ، غير أن ثمن عرقوا بنظمه أبا جعفر رودكي^(١) الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى افتن في الخيام وأجاده فاشتهر بما نظم في شهره بعيدة لأنه ضمته أفكاراً سامية وانتقادات مرّة ثم أقبل الأدباء عليه من بعده ، وبعد تقط ثلاث جاء قول الرافعي : « وقد عارضها في العريية سديد الدين الأنباري ، كما ذكر صاحب خلاصة الأثر (٤ : ٣٩٠) ولم يقع لنا شيء من رباعيّاته . ولادوييت وزن واحد وهو فَعْلُنْ (بسكون العين) مُتَفَاعِلُنْ (وتارة يغير إلى متفاعيلن) فَعْمُولُنْ فَعْمُولُنْ (بتحريك العين وسكونها) وأمثله (٢) كثيرة . »

(١) الصحيح « الرودكي » بالتعريف والذال المعجمة للفتوحة بعد الراء المضمومة والواو السكونة قال السهاني في الأنساب : « الرودكي ... منه النسبة إلى رودك فاحية بمرقند وبها قرية يقال لها سج (؟) وهذه القرية قطب رودك وهي على فرسخين من سمرقند ، والمشهور منها الشاعر المليح القول بالفارسية السائر ديوانه في بلاد العجم أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الرودكي الشاعر السمرقندي كان حسن الشعر متين القول . قيل أول من قال الشعر بالفارسية هو ، قال أبو سعد الأدرسي الحافظ : أبو عبد الله الرودكي كان مقدماً في الشعر بالفارسية في زمانه على أقرانه ... وكان أبو الفضل البلعي وزير إسماعيل بن أحمد والي خراسان يقول : ليس للروذكي في العرب والعجم نظير . ومات بروذك سنة ٣٢٩ . قلت لا شك في أن أبا الفضل البلعي كان شعوبياً فقال ما قال .

(٢) قوله « وأمثله كثيرة » متافض الكلمتين لأن « أمثلة » جمع قلة و « كثيرة » تدل على الكثرة فالصواب « ومثله كثيرة » .

وقد ظهر للقارىء الكريم أن في تاريخ وفاة الروذكي الذي ذكره الرافعي أو ذكره من بعده غلّت في السنين ، أما المعارض العربي للرباعيات الفارسيّة فهو «سديد الدولة» لا سديد الدين ، كما جاء في خلاصة الأثر ونقله الرافعي ، قال الذهبي : «محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن رفاعة الشيباني سديد الدولة ابن الأنباري ، كاتب الانشاء بالديوان العزيز ، له معرفة بالأدب والشعر والترسل ، بقي بديوان الانشاء نحو خمسين سنة ووثاب في الوزارة ، ونُفِذَ رسولاً إلى الشام وخراسان وكان محموداً إذا رأي وتدير ، وكانت بينه وبين أبي محمد القاسم بن علي الحريري رسائل وقد دُوِّنت . سمع عبد الله بن أحمد ابن السمرقندي وهبة الله بن الحصين وروى عن أحمد بن محمد الخياط وأبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني من شعرهما . سمع منه أحمد بن صالح بن شافع وعلي بن أحمد الزبيدي والبارك ابن عبد الله بن النقور وعبد المحسن بن خطّلع الأميري . توفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وشيعه الوزير والأكابر . عاش نيّفاً وثمانين سنة (١) .

وقال ابن الديبّي مؤلف أصل المختصر : «وذكر صدقة بن الحسين الناسخ في تاريخه أن سديد الدولة ابن الأنباري توفي ما بين الظهر والعصر من يوم الاثنين تاسع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وُصِّلَ عليه يوم الثلاثاء بجامع القصر الشريف وحضر الصلاة عليه الوزير يحيى بن هبيرة [الحنبلي] وأرباب المناصب ودُفِنَ بالجانب الغربي بالمشهد - يعني مشهد الإمام موسى [بن جعفر الصادق] - رحمة الله عليه - وكان من مشايخ الدولة القدماء ، وكان سنّه دون التسعين بسنة أو سنتين ، وكان فيه فضل وأدب .

(١) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديبّي « ١ : ٧٣ ، ٧٤ » ، طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧١ = ١٩٥١ .

وقال غيره : مولده يوم الاثنين سادس ذي القعدة سنة سبعين وأربعمائة - رحمه الله وإيانا - (١) .

وكنْتُ قلتُ في التعليق على ترجمته في « المختصر المحتاج إليه » ما هذا نصه « ترجمه المهاد في الخريدة (نسخة باريس ، الورقة ٧) وابن الجوري في المتظم ١٠ : ٢٠٦ وابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٨ وغيرها لأنه كان من كبار رجال الدولة العباسية وقضى عمره في خدمتها خلاصاً ، وله ذكر كثير في التواريخ والظاهر أن القبور التي كانت في الكاظمية المروفة بقبور الأنباريين كانت له ولأبنائه على ما نصت عليه التواريخ من موضع دفنهم ، (٢) . ثم نشر الجزء الثالث من « الوافي بالوفيات » للصفدي سنة ١٩٥٣ بدمشق وفيه ترجمته « ص ٢٧٩ » وفي سنة ١٣٧٥ = ١٩٥٥ نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول من خريدة القصر للمهاد الاصبهاني الكاتب بتحقيق الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثري ، وفيه ترجمته « ص ١٤٠ - ١٤٤ » قال المهاد : « وترددت إليه ببغداد وما كان يتعاطى الشعر تنافياً عنه وكنْتُ أهابه وأكبره من أن أستنشده ، لكنني أثبتُ من شعره البيتين والثلاثة على حسب ما أنشدتها فمن ذلك رباعياته الخالبة للخلب ، السالبة للب فنها (٣) :

يا قلبُ إلام لا يُفيد النصحُ دع مزحك كم هو سيّ جناد الزحُ ؟ !
ما جراحة منك خلاها جرحُ ما تشعر بالحمّار حتى تصحو

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢١ هـ الورقة ٧٤ والورقة ٧٥ .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٧٣ .

(٣) ذكر هذا الرباعي أو هذه الرباعية الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

ومنها :

الدمر يعوقني عن الإلزام مع ما (١) أتني إلى التصابي ظلام
لا تأخذني بما جنت أيامي ما ذنب السهم حين يخطي الرامي؟!

ومنها :

ياريح تحملي من المهجور شكواه إلى المعسكر المنصور
قولي لمعدتي شبيه الخور ما أنت عن الجواب بالمعذور

ثم ذكر له من رباعياته :

الآن وما روضه العمر ندي لا تخل من الكؤوس والراح يدي
في باقي العمر فز بيش رغد إن الدنيا إذا مضت لم تعد
فإن كانت هذه الرباعيات من نظم أيام الشباب أمكننا أن نقول إن سديد الدولة
نقل وزن الدوييت الجديد إلى أدب العرب في أواخر القرن الخامس للهجرة
أو أوائل القرن السادس كما ذكرنا آنفاً .

وبقي البحث عن حقيقة الرباعيات التي ذكرها الدكتور المحقق عمر موسى باشا
مأثورة في رسالة « آداب الشره وذكر الصعبة والاخوة » لبدر الدين محمد
الغزي ، ومذكورة بلسان الجنيد الصوفي الكبير الشهير أبي الدوييتي القديم
أم الدوييت الحديث ؟ فورودها مقرونة بالطرب والوجد يدل على أنها من
المناة القديمة لا الحديثة ، قال القاضي أبو علي الحسين بن علي التنوخي المتوفي

(١) يستعمل كتاب العصر بدلاً من هذا التعبير « بالرغم من كذا وكذا » وهو ترجمة
حرفية للعبارة الفرنسية En dépit de ... وباب المجاز مفتوح في العربية استثناساً
واقتراساً إلا أن عبارة بالرغم من كذا تأتي أحياناً منافضة لقول الكاتب وممراده
وذلك عند استعمالها للنفي كقول بعضهم : « بالرغم من أن الأشغال لم تسمح لي
بقول كذا » .

سنة ٣٧٤ : « حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفي يتنم بشيء من الرباعيات ، فلم يستطع أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير (١) » . فالتسمية بالرباعية كانت شائعة بالعراق في القرن الرابع .

وذكر المهاد الكاتب في ذلكم الجزء من الخريدة ترجمة الوزير جلال الدين أبي علي الحسن بن صدقة (٢) المتوفى سنة ٥٢٢ هـ وأورد له شعراً قال : « أنشدني له محمود الكاتب المعروف بالمولد البغدادي بالشام (٣) ، وذكر أنه رآه يكتب بخطه إلى المواقف المسترشدية هذه الأبيات ... وتنسب إليه هذه الرباعية :

آتيك غداً ولو سحماك الأهل لا أرجع عنك أو يتم الوصل
آتيك ولو سئل علي النصل السيف أو الفراق كل قتيل .
فإن صح عزو الرباعية إلى الوزير جلال الدين الحسن بن صدقة تأكد شيوع الدوييت الحديث في الأدب العربي بالقرن الخامس للهجرة ولم يبق مجال تصديق لقول الرافعي بترجيح أنه لم يكن معروفاً عند العرب قبل القرن السابع للهجرة ، وأختم بحثي بتقديم الشكر الأوفى إلى الدكتور المحقق البارع عمر موسى باشا لاغنامه إياي فرصة الكلام على الرباعية والدوييت والمثناة والمترادفات .

(بغداد)

مصطفى جواد



- (١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة ١ : ٥٤ » .
- (٢) خريدة القصر « ١ : ٩٤ - ٩٦ قسم العراق » .
- (٣) في هامش نسخة المتحف البريطانية بلندن « وكان مليح الخط توفي بدمشق سنة سبعين » اهـ .
يعني « سنة سبعين وخمس مئة » . (وأرقام النسخة ١٨٥٢٤ والترجمة في الورقة ٣١ منها) .

السلطانة رضية الدين

لا

جلالة الدين

ورد في الصفحة ٨٩٤ من الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارة في نقد كتاب «النساء الحاكمات في الدول الإسلامية» تأليف الدكتورة التركية بحرية أوج أوق «السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إبلتشمش التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند» ، والذي علمناه وحفظناه أنها «رضية الدين» لا جلالة الدين ، بله أن الاسم الثاني غاية في الغرابة ، فلم نعرف إنساناً لقب بجلالة الدين ، جاء في حوادث سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث «وفيها توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند وملك بعده ولده ركن الدين فيروزشاه فلم يستقم له الأمر ، وتفرق عنه المسكر فقبضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت (رضية الدنيا والدين) واستقام لها الأمر (١)» . واستطرد الفضل بن أبي الفضائل المؤرخ في حوادث سنة ٧٢٥ هـ إلى ذكرها وذكر أسرتها قال : «ولما قتل السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغوري تولى بعده قطب الدين أيك [مملوكه] مدة قليلة ، ثم تولى الملك شمس الدين ايتشمش وأقام أربعين سنة وخلف جماعة أولاد قتولى الملك بعده علاء الدين

(١) كتاب الحوادث الذي سمي غلطاً الحوادث الجامعة «ص ١٠٤» .

ثم أخوه ركن الدين تترشاه ومن بعدهما أختها (رضية خاتون) وأقامت ثلاث سنين وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخ بغداد قال : وصل الخبر إلى بغداد أن ركن الدين تترشاه بن شمس الدين ايتمش ملك الهند ولّي بعد وفاة أبيه وذلك في سنة أربع وثلاثين وستائة للهجرة وأقام سنة فلم يستقم أمره وتفرقت عنه عساكره فقبضت عليه أخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية واستقام لها الأمر وتلقبت (برضية الدنيا والدين) قال المؤرخ : وتولى بعد رضية خاتون أخوها ناصر الدين وكان متزهداً ملكاً أربعاً وعشرين سنة (١) وفصل تاريخ الأسرة ابن بطوطة قال : « ذكر السلطان شمس الدين للمش : وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم ، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً ، وكان تملكه ملوكاً للأمير قطب الدين أيك وصاحب عسكره ونائباً عنه ، فلما مات قطب الدين استبد بالملك . . . وكان عادلاً صالحاً فاضلاً . . . ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد المذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعر الدين وناصر الدين وبنياً تسمى (رضية) وهي شقيقة معز الدين منهم فتولّى بعده ركن الدين . . . ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته ، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها ، فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دوله خانه ، ولبست ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلّتهم من أعلى السطح ، وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه . وذكّرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم ، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم : القاتل يقتل .

(١) النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد للفضل بن إبي الفضائل ،

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ و ٢٠٢٠ . م (٢٠)

فقتلوه قصاصاً ، وكان أخوه ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية ، ولما قتل ركن الدين اجتمعت المساكر على تولية اخته (رضية الملك) فولّوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان ، كما يركب الرجال ، ولا تستر وجهها ، ثم إنها اُتُهِمَتْ ببغْيٍ لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وزوجها ، فخلعت وزوّجت من بعض أقاربها ، ووُلّي الملك أخوها ناصر الدين . . . ولما مُخِلَّت رضية ولي ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدة ، ثم إن رضية وزوجها خالفاً عليه وركبا في مماليكها ومن تبعها من أهل الفساد ، وتهايأ لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بَلْبَن متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهمز عسكر رضية وفرّت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدها الإعياء فقصدت حرّاًثاً رآته يحرث الأرض فطلبت منه ما تأكله فأعطاهما كسرة خبز فأكلتها ، وغلب عليها النوم وكانت في زيّ الرجال ، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباءً مرصعاً فلم أنها امرأة فقتلها وسلبها وطردها فرسها ودفنها في فدائه وأخذ بمض ثيابها فذهب إلى السوق يبيها ، فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقرّ بقتلها ودلّهم على مدفنها ، فاستخرجوها وكفنوها ودُفِنَتْ هنالك وبني عليها قبّة وقبرها الآن يُزار ويتبرك به ، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخٍ واحدٍ من المدينة ، واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرون سنة ، وكان ملكاً صالحاً ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ويبيها فيقتات بشمها (١) ، فهذه طراغوديا (٢) رضية الدين أو رضية الملك .

(بغداد)



مصطفى جواد

(١) تحفة النظر في غرائب الأمصار المعروفة برحلة ابن بطوطة ٢ : ٢١ ، ٢٢ طبعة

طبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ .

(٢) أي تراجيدي كما جاء في تاريخ مختصر الدول لابن العبري « ص ٣٤ » .

التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م)

لمجمع اللغة العربية

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة مجلس المجمع الختامية لدورة عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين عاماً على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح فيما بعد بجمع اللغة العربية بدمشق فلقد استقلت سورية العربية عام ١٩١٨ بعد جهاد طويل وولدت مع هذا الاستقلال فكرة إنشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة العربية التي طفت عليها العجمة خلال العهد التركي الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشياً مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩ م أي قبل خمسين عاماً خلت وضمت إليه دار الكتب الظاهرية وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن رمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية تعد من أقدم المدارس بدمشق وأشهرها وأجملها ، أنشأها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ، والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لقد درس فيها عدد من أئمة العلماء الأعلام منهم ابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس المجمع داراً للآثار الإسلامية وعرض في إحدى غرفه ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار البعثرة جمعها من مختلف جهات سورية ، وكانت هذه البهجة نواة المتحف الوطني الحالي .

كان من حق الجمع علينا أن نحتفل بعيدة الذهبي على نطاق عربي شامل اعترافاً بجميله وخدماته التي أسداها للغة العربية وثقافتها .

إن تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية أخرى كالأردن ولبنان ولم يكتب لمجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، إلا أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقاً إلى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم مجمع علمي آخر في القطر المراقي الشقيق بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو أقدم المجامع في العالم العربي .

ولئن فائنا بتحقيق أمنية التكريم على الوجه الذي كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار وأن تكتب له السلامة والازدهار على مر الأيام ليستمر في أداء رسالته حتى يتمها خدمة للغة العربية وثقافتها .

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا إحصاء جميع مآحقه هذا المجمع خلال سنواته الماضية وإني لأكتفي بإحالة من يرغب في معرفة ذلك إلى مقال الأستاذ الدكتور حسني مبيع الذي نشره في عدد مجلة المجمع الخاص الصادر حديثاً ، والذي وزع في حينه ليجد فيه ماينقع الغلة وبطني الأوار أو أن يعود إلى مجموعة مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (٤٤) مجلداً يبلغ مجموع صفحاتها نحواً من (٣٠) ثلاثين ألف صفحة تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة للامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية واللغوية الحديثة في سائر الأقطار العربية .

إن اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى فهي لا تقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً ،

وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فإن أمرها يعود على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة بجمع دمشق بنشر ما يصلها من علماء العربية في الأقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث القيمة والمقالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ماحققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على إلقاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في جملة جهوده ، بمراقبة الأقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الأقلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (١٢٥) كتاباً من عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الأقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (٤٤) مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك مجموع ما طبعه (١٧٩) مجلداً هي من أمهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لا سيما إذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لمضويته أصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم إليه خلال مدة وجوده (٢٥١) عضواً من عامل ومراسل وجلهم من أعلام العرب والمستشرقين ، وقد توفي منهم إلى رحمة الله (١٦٦) عضواً وبقي منهم (٧٥) عضواً مازالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمرهم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لحظة عاجلة من ماضي مجملنا ، وإليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (١٩٦٧ - ١٩٦٨) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بمض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

١ - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .
٢ - قطب السرور في أوصاف الحور لأبي أسحق إبراهيم المعروف بالرفيق النديم القيرواني تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .

٣ - التنية على حدوث التصحيف لحرمة بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين الملوحي .

٤ - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .

٥ - خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للمهاد الأصفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .

٦ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

٧ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خاف حمارة .

٨ - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ محمد النفاس والدكتور حسين عطوان .

٩ - فهرس المجلدة الماثرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الآنسة ملك هنانو .

١٠ - مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٣) لسنة ١٩٦٨ .

ويوجد تحت الطبع :

- ١ - كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .
- ٢ - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان ، للدكتور صلاح الدين الكواكي .
- ٣ - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- ٤ - زويج القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٤) لعام ١٩٦٩ المزدان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (٤٣٨) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

- ١ - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٢ - الأستاذ ناصر الدين الأسد (الأردن) عضواً مراسلاً
- ٣ - الدكتور فيصل دبدوب (العراق) عضواً مراسلاً
- ٤ - الأستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضواً مراسلاً

استقبال أعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين زميلين كريمين رشحها لعضوية المجمع علمها وفضلها وإخلاصها لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه السمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة إلى مصر والمراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معها أمر تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين الجامع الثلاثة والتعاون فيما بينهم عن طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مشمرة ومفيدة تكللت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات فعلاً .

إهداء مكتبات :

١ - نفذ ورثة الرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع ما أوصى به الرحوم من كتب وأثاث ومخطوطات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ - كذلك نفذ ورثة الرحوم الشيخ حامد التقي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب الرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة الرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .

إنشاءات :

إن مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم الشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناءجهزة بكل أسباب الراحة .

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة أن يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين ممن واقتهم المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الأساتذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دعي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها ، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمرض الدولي للطبوعات العلمية الذي سيعقد المجمع العلمي في بولون (إيطاليا) .

وقد لبي المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الأستاذ الرئيس الدكتور حسني مسبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تأيئاً للمغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، وأحد أعضاء مجمع القاهرة سابقاً .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها ، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الآزريجانية .

دار الكتب الظاهرية :

ولإيكم في النهاية تقرير مديرية دار الكتب الظاهرية السنوي وخلاصة عن نشاطها وأنواع الكتب والمطبوعات فيها :

إلى الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية

زفع إليكم التقرير السنوي لدار الكتب الوطنية الظاهرية عن عام ١٩٦٨ .

أ - الكتب المخطوطة :

١ - بلغ عدد المخطوطات التي دخلت الدار خلال العام المنصرم (٦٦) مخطوطة .

٢ - بلغ عدد الأفلام المصورة لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢٥٧) فلماً .

ب - الكتب المطبوعة :

١ - بلغ عدد الكتب التي دخلت الدار (١٤٢٥) كتاباً منها :

أ - (٤٩٢) كتاباً مشترى .

ب - (٧٤٩) مهدى .

ج - الدوريات :

هناك (٤٩٥) عدداً من مجلات مختلفة سجلت في سجلات الدار .

د - الرواد :

بلغ عدد قراء دار الكتب الظاهرية ١٨٩٣٣ مطالماً .
يرجى التفضل بالاطلاع وأخذ العلم .

مدير دار الكتب الظاهرية
الدكتور عزة حسن

١٩٦٩/٤/٢٧



بيان في مشروعات

دورة الجمع لعام ١٩٦٩ - ١٩٧٠

أرحب بالسادة الزملاء أعضاء الجمع أطيب ترحيب وأتمنى لهم في دورتهم الجديدة نشاطاً موفوراً وجهداً مشكوراً ، كما أتمنى لهم دوام الصحة والعافية ، وآمل أن تكون العطلة الصيفية وما كان فيها من استجمام وراحة حافظاً على الجهد وباعثاً على الدأب في كل مجال من مجالات العمل الجمعي الذي يجتمع مجلسكم الموقر من أجله .

أيها الاخوة الزملاء ، إننا بدأنا في جلستنا هذه مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس جمعنا هذا ، ولقد كانت الرحلة التي مرت بنا مرحلة إنشاء وتأسيس ، وفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا الصرح ، أما الرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد ، يرمي إلى رفع مستوى الجمع وإعلاء شأنه في كل هدف من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد الجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم العاشر الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام ١٩٦٩ وسيشترك الجمع في هذا العيد الكبير ايجتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه ، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها الجمعيون عن تاريخ الجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا الجمع إلى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي وقائي الرئيسين والأمينين العامين لجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

إن لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو أن يتحقق جلها إن لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

- ١ - ملء الشواغر بانتخاب الأعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .
- ٢ - وألفت نظر السادة الزملاء في هذه المائدة إلى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فإن كثرة الأعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما أن وضع المجمع قد أصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديرية المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

- ١ - سيعمد المجمع إلى إكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقاً وهي :
 آ - فهرس المجلة المباشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الأنسة ملك هنافو .
 ب - فهرس مخطوطات قسم الطب للأستاذ سامي حمارة .
 ج - كتاب «ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب» ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
 د - فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .
 هـ - طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للمسكري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

٢ - المباشرة بطبع الكتب الآتية :

آ - ديوان الشاعر ابن أحرر تحقيق الدكتور محمد عطوان الأستاذ
في الجامعة الأردنية .

ب - ديوان عرقلة الكلبي تحقيق أحمد الجندي .

ج - طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د - طبع ديوان النزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ - طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و - طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز »
للشيخ عبد النبي النابلسي وتحقيق الأستاذ عارف النكدي .

ز - طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع
الأستاذ إبراهيم الخوري .

ح - طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء ٣١ - ٤٠
وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط - طبع فهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في دار الكتب
وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي - طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق
لابن عساكر تحقيق الأنسة ملك هنانو .

ك - طبع المجلد (٤٥) من مجلة المجمع .

٣ - وقد قرر المجمع إعادة طبع أكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد
مجلته التي تفقدت وبأشر طبع المجلد الأول من المجلد .

أما المشروعات التي تتعلق بدار الكتب الظاهرية خاصة فأهمها :
 أ - السعي إلى إنجاز المرحلة الثانية من توسيع بناء دار الكتب
 لتصبح وافية بالغرض الذي أنشئت من أجله .

ب - تصوير ما بقي من مخطوطات دار الكتب .

الوفيات :

فجع المجتمع ب وفاة عضو بارز من أعضائه المراسلين وهو الدكتور
 عبد الرحمن الكيالي رحمه الله .

هذا ما أمكن الإشارة إليه في بياننا الجديد لدورة عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠
 من أعمال ومشروعات راجياً أن تتوفر الأسباب لتحقيقها .

مجمع اللغة العربية
 الأمين العام
 جعفر الحسني



إهداء كتب

١ — نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم ، وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخلفات وتم تسليمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ — كذلك ونفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته ، وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ — وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد ، فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .



الوفيات

ويذكر المجمع بالأسف والرحمة الأعضاء المجمعين الراحلين ممن واقتهم منيتهم هذا العام وهم المنفور لهم : الأستاذ الكبير ساطع الحصري من العراق والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من تونس ، والأستاذ منير القاضي من العراق رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .



الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال عام ١٩٦٩

العدد

- ١ — أنشودة لينغراد ترجمة محمد جديد وميشيل كيلر ١
- ٢ — الفكر لألماني من لوثر إلى نيتشه تيسير شيخ الأرض ١
- والدكتور أسعد درقاوي ١
- ٣ — العالم الثالث ترجمة حسام الخطيب وهيفاء هائم ٢
- ٤ — دستور ألمانيا الديمقراطية ١
- ٥ — سعدي الشيرازي (البستان) ترجمه شعراً محمد الفراقي ٢
- ٦ — من دفتر الصامت محمد عفيفي مطر ٢
- ٧ — جرائم الحرب في فييتنام برتراند رسل محمود قلاحة ١
- ٨ — تاريخ خليفة بن خياط (القسم الثاني) ١
- ٩ — الحياة الجديدة ذكرى شوقي (عدد ممتاز) ١
- ١٠ — ديوجين مصباح الفكر (العدد السابع) ١
- ١١ — ميمونه عبد الله ساجي ١
- ١٢ — مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا البلغارية (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٣ — داود باشا ونهاية الماليك في العراق (المجمع العلمي العراقي) ١
- ١٤ — مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١٦ ١
- ١٥ — في الأدب العربي الحديث يوسف عز الدين ١
- ١٦ — فهارس مجلة المجمع العلمي العراقي ١

العدد

- ١٧ — مع الربيع عبد السلام عيون السود ١
- ١٨ — الأرض والسماء ترجمة أدم البنان ١
- ١٩ — بيت الإنسانية أكبر عمار خاتم ترجمة ١
- ٢٠ — الفن الإسلامي جورج ماسيه عفيف بهنسي ١
- ٢١ — افلاطون طيماوس ترجمة فؤاد برّبارة ١
- ٢٢ — دروس في الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول) ١
- ٢٣ — مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية (العدد ١٩) ١
- ٢٤ — ديوان قيس بن الخطيم ناصر الدين الأسد ١
- ٢٥ — ديوان الطرماح غزة حسن ١
- ٢٦ — القيان والغناء في العصر الجاهلي ناصر الدين الأسد ١
- ٢٧ — محاضرات في الشعر الحديث ناصر الدين الأسد ١
- ٢٨ — محاضرات عن خليل بيدس ١
- ٢٩ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١
- ٣٠ — الكيمياء العامة (الجزء الأول والثاني) التعليم العالي ١
- ٣١ — مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١
- ٣٢ — درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ١
- ٣٣ — مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد رؤوف جمال الدين ١
- ٣٤ — الاجراءات الادارية للخطيب ١
- ٣٥ — الأدب العربي المعاصر في سورية لسامي الكيالي ١

العدد

- ٣٦ — الأعلام العربية للسامرائي ١
- ٣٧ — المعجم العربي حسين نصار (جزآن) ١
- ٣٨ — أمراء البيان ١
- ٣٩ — حكاية الأيام الثلاثة ١
- ٤٠ — مجموعة القواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض في قضايا العمل ١
- ٤١ — العمل العلمي في البلاد المتدنة شيث سليمان ١
- ٤٢ — الاسلام والثقافة العربية أنور الجندي ١
- ٤٣ — اماره بهدينان العباسية محفوظ محمد عمر ١
- ٤٤ — نصف العيش الدكتور عادل البكري ١
- ٤٥ — ألوان من الجزائر (شعر) محمد الأخضر عبد القادر السباعي ١
- ٤٦ — مالك حداد رصيف الأزهار ١
- ٤٧ — البحرية الجزائرية ١
- ٤٨ — تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك محمد الهلالي (٣ أجزاء) ١
- ٤٩ — عيون البصائر محمد البشير الابراهيمى ١
- ٥٠ — الفوائد المهمة وجيه الجباوي ١
- ٥١ — التين عماد حاتم ٢
- ٥٢ — يا مال الشام سهام ترجمان ١
- ٥٣ — قول على قول حسن سعيد الكرمي ١
- ٥٤ — نساء متفوقات سلمى الحفار الكزبري ١

المدد

- ٥٥ - عینان من اشبيلية سلمى الحفار الکزبري ١
- ٥٦ - الکیمیاء الفیزیائیة (الجزء الأول ، المجلد الثالث) ١
- ٥٧ - رسائل في النحو واللغة ١
- ٥٨ - سورية الثورة في عامها السادس وزارة الاعلام السورية ٣
- ٥٩ - تاریخ فن الحرب ستروکوف ٢
- ٦٠ - رسائل في النحو واللغة الدكتور مصطفى جواد ١
- والأستاذ یعقوب مسکونی ١
- ٦١ - مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل ترجمة أنطون حمصي ١
- ٦٢ - لیبق فرحي دائماً جان جیونو ترجمة مسید القضاہی ١
- ٦٣ - رباب الکاظمی - دراسة وشعر عبد الرحیم محمد علي ١
- ٦٤ - الکیمیاء العامة (الجزء الثاني) كلية العلوم بجامعة دمشق ١
- ٦٥ - بطاركة الشرق أغناطيوس یعقوب الثالث ١
- ٦٦ - الغابة النسبية أحمد نخیمر ١
- ٦٧ - النبوة سعدي لین ١
- ٦٨ - اللمعة الدمشقية (الجزء ٧) محمد جمال الدین مکی العاملي ١
- ٦٩ - الفیزياء النظرية (الجزء الأول) وزارة التعليم العالي ١
- ٧٠ - معجم تج العروس (الجزء ٥) الزییدی ١
- ٧١ - من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ابراهيم الراوي ١
- ٧٢ - عبر وعبرات جواد المرباط ١

العدد

- ٧٣ - معجم الهندسة الميكانيكية روسي عربي كيفورك ميتارجيان ١
- ٧٤ - المعجم الفني ١
- ٧٥ - الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق : فاضل الخالدي ١
- ٧٦ - المقدّمين في تاريخ البلاد الأمين (٧ أجزاء) أبو الطيب القاسمي ١
- ٧٧ - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية تأليف محمد بن أحمد
- المقبلي (قدّم الكتاب الأستاذ حمد الجاسر) ١



فهرس المجلد الرابع والأربعين

الجزء الأول والثاني

صفحة	
٣	مجمنا بعد نصف قرن من تأسيسه الدكتور حسني سبيع . . .
١٤	خسون عاماً الأستاذ شفيق جبيري . . .
١٨	سابق البربري : شاعر من المغرب عاش في الشام . . . الأستاذ عبد الله كنون . . .
٤٥	العربية بين الفصحى والعامية الأستاذ عارف النكدي . . .
٦١	الألفاظ المتشابهة في السريانية والعربية دراسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث
٧٤	مجلة المجمع العلمي العربي بمناسبة بلوغ المجمع خمسين عاماً . . . الأستاذ محمد بهجة اليطار . . .
٩١	عهد الرئيسين : محمد كرد علي و خليل مردم الدكتور سامي الدهان . . .
١١٣	صفحة من تاريخ النقد الدكتور جميل صليبا . . .
١٣٧	النظم القرآني الأستاذ محمد المبارك . . .
١٥٥	المجمعون في خمسين عاماً
	القسم الأول - الأعضاء المؤسسون :
	١ - الأستاذ الرئيس محمد كرد علي . . .
	٢ - الشيخ أمين سويد . . .
	٣ - الأستاذ أنيس سلوم . . .
	٤ - الشيخ سعيد الكرمي . . .
	٥ - الشيخ عبد انقادر المغربي . . .
	٦ - الأستاذ عز الدين التنوخي . . .
	٧ - الأستاذ عيسى اسكندر الملوفا . . .
	٨ - الأستاذ ميري قندلفت . . .
	الدكتور عدنان الخطيب . . .
٢٥٦	أمانة مجهولة الأستاذ خير الدين الزركلي . . .
٢٦٦	العقل بين النظريتين للمادية والروحية الدكتور عبد الرحمن الكيالي . . .
٢٨٩	العوامل الخفية في التطور اللغوي الأستاذ أنيس المقدسي . . .
٣٠٩	الجهاد ومسوغاته الشرعية الدكتور ضبحي الحمصاني . . .
٣٢٣	تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي اللبناني . . . الأستاذ محمد جميل ميم . . .
٣٤٣	العالم القديم بين الشرق والغرب الدكتور عمر فروخ . . .
٣٥٥	بعض الكلمات عن الأدب العربي الحديث في المغرب الأقصى . . . الدكتور عبد الكريم جرمانوس . . .
٣٦٣	لمحة عن التاريخ اللبي الأستاذ علي الفقيه حسن . . .
٣٧٥	المتحف الوطني بدمشق الأستاذ محمد أبو الفرج العش . . .
٣٩٢	ذكريات... المجمع العلمي العربي والأستاذ محمد كرد علي . . . الأستاذ محمد الشريقي . . .
٣٩٧	نظرة في مجمع اللغة العربية في دمشق الأستاذ عباس العزاوي . . .

آراء وأنباء

- ٤٠٠ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٨ / ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م . . .
- ٤٠٣ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون
- ٤٠٨ بيان أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق لدورة سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م . . .
- ٤١٣ تقرير عن الاشتراك في الحفل التأسيسي في القاهرة للرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي
- ٤٢١ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق خلال خمسين عاماً (منذ إنشائه إلى سنة ١٩٦٨ م)

الجزء الثالث

صفحة	
٤٣٩	بقايا الفصاح الأستاذ شفيق جبري . . .
٤٤٦	تقيد العروبة الأستاذ ساطع المصري الدكتور عدنان الخطيب .
٤٦٤	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٧) الدكتور صلاح الدين الكواكبي .
٤٧٩	صفحات من تاريخ الاستشراق (٥) الدكتور كامل عياد . . .
٤٨٨	فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) (٤) الدكتور مصطفى جواد . . .
٥٠٥	شعر الوقوف على الأطلال (٤) الدكتور عزة حسن . . .
٥١٥	أبو علي الفاي وكتابه الأمالي الدكتور عمر الدقاق . . .
٥٣٨	ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٥) الدكتور علي جواد الطاهر .
٥٥٤	كتاب « الجوهريتين » الأستاذ حمد الجاسر . . .
٥٦٩	وصف الطبيعة في شعر الصنوبري (٢) الأستاذ فواز أحمد طوقان .
٥٧٧	محكمة المياه في فلسفة الدكتور فيصل دبذوب . . .
٥٨١	مجتمع الممذاني من خلال مقاماته (٤) الدكتور مازن المبارك . . .
٥٩٦	نافذة تطل على تاريخ الزيدية الأستاذ محمد أحمد دهمان .

التعريف والنقد

٦٠٣	كتاب (الأئيقون) الدكتور كامل عياد . . .
٦٠٦	العلم رفيق قبريش { الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٦١٣	نظرة في معجم الطحانة والحجازة والقرانة
٦١٩	مدينة دمشق { الأستاذ عارف النكدي . . .
٦٢٣	الملكة زنوبيا
٦٢٥	كتاب المفوات النادرة الدكتور عزة حسن . . .

آراء وأنباء

٦٣٢	تأين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة
٦٦٠	كلمة الدكتور حني سبيح في الجلسة التي عقدت لاستقبال الأستاذ وجيه السمان .
٦٦٤	كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان في حقلة استقباله عن سلفه المرحوم فارس الحوري .
٦٨٤	أغلاط مطبعية

الجزء الرابع

٦٨٧	تطور اللغة في العصر العباسي	الأستاذ شفيق جبري . . .
٧٠٠	الاصطلاحات الفلسفية (٣٣)	الدكتور جميل صليبا . . .
٧٤٠	الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين	الأستاذ محمد القاضل ابن عاشور . . .
٧٦٨	نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء أعضاء الإنسان (٨)	الدكتور صلاح الدين الكواكبي . . .
٧٨٩	صفحات من تاريخ الاستشراق (٦)	الدكتور محمد كامل عياد . . .
٨٠٠	فوات الوفيات في طبعته الجديدة (الجزء الثاني) (٥)	الدكتور مصطفى جواد . . .
٨١٣	شعر الوقوف على الأطلال (٥)	الدكتور عزة حسن . . .
٨٢٤	شيء من الفعل في العربية	الدكتور ابراهيم السامرائي . . .
٨٣٥	مجتمع الهمداني من خلال مقاماته (٥)	الدكتور مازن المبارك . . .
٨٤٧	دراسات في العربية والألسنية	الدكتور خليل سمعان . . .
٨٦٦	بين كاتب وشاعر	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٨٧٥	الكلمات التركية في اللهجات العربية الحديثة (١)	الأستاذ ف. عبد الرحيم . . .

التعريف والنقد

٨٨٣	أسماء البيان	{	الأستاذ شفيق جبري . . .
٨٨٥	حكاية الأيام الثلاثة		
٨٨٧	اتجاهات النقد الحديث	{	الأستاذ طاهر النقاسمي . . .
٨٩٤	دراسات في فقه اللغة		
٨٩٧	المورد (قاموس انكليزي - عربي)	{	الدكتور عزة حسن . . .
٩١٣	المعجم العربي		
٩٢٥	الأعلام العربية	{	الأستاذ سعيد الأفغاني . . .
٩٢٧	طب الحبشة ونباتاتها		
٩٣٠	مجل تاريخ الأدب التونسي	{	الأستاذ عمر رضا كحالة . . .
٩٣٢	الأصول العربية للدراسات الدوائية		
٩٣٤	كتاب الطبقات		
٩٣٥	النص في حياتنا وتراثنا		
٩٣٦	ديوان كمال نصرت	{	الأستاذ أحمد الجندي . . .
٩٣٧	ديوان محمد العيد محمد علي خليفة		
٩٣٩	الأمثال البغدادية المقارنة (الجزء الثاني)		
٩٤٠	ديوان ابن الدهان الموصلية		

تابع فهرس الجزء الرابع

صفحة	آراء وأنباء
٩٤٢	المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) بانتخاب الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً .
٩٤٣	خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفلة استقبال الأستاذ عبد الهادي هاشم .
٩٥٢	خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم في حفلة استقباله
٩٧٨	ظاهرة في المعجم العربي جديدة بالدراسة (٤) . الدكتور عدنان الخطيب .
٩٨٢	الرباعيات والثنائات
٩٩٠	السلطانة رضية الدين لا جلالة الدين { الدكتور مصطفى جواد .
٩٩٣	التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م)
١٠٠١	بيان في مشروعات دورة الجمع لعام (١٩٦٩ — ١٩٧٠ م)
١٠٠٥	إهداء كتب ، الوفيات
١٠٠٦	الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق خلال عام ١٩٦٩ م





Bibliotheca Alexandrina



0652711